



مجموعه آثار امام

المؤید العالمی الأول للامام الرضی عنہ السلام

المؤید العالمی الأول للامام الرضی عنہ السلام



PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

PAIR



02101 018294957

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*

Kungrah-i
...



مجموعه عنایتان

آلوهما العالی الاولی الامام الرضی عنہما لیس السلام

(RECAP)

2264

,1055

,832

1984

كتاب التوبة

كتاب التوبة

الكتاب : مجموعة الآثار المؤتمر العالمي الاول للامام الرضا عليه السلام
الناشر : اللجنة الثقافية للمؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام
التاريخ : رمضان المبارك ١٤٠٦ هـ
الكمية : ٣٠٠٠ نسخة

الامور الفنية والطبع : مؤتسه طبع ونشر الآستانة الرضوية المقدسة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

انتصار الانتفاضة الاسلامية الايرانية بقيادة المرجع الكبير للعالم الاسلامي، زعيم الثورة الاسلامية المقدم، ومؤسس الجمهورية الاسلامية الايرانية، سماحة آية الله العظمى الامام الخميني دام ظله العالی، هياً فرصة ذهبية و ثمينة للمحققين والمفكرين لكي يسعون بكل جهدهم في إحياء المعارف الاسلامية السامية، وتراث الائمة المعصومين عليهم السلام... الآثار و المآثر التي سعى الحكام الطغاة المقبورين في أدوار مختلفة إلى طمسها والقضاء عليها، سيما حكام بني أمية... و بني العباس الفاصبين، واذنابهم الدناة الذين كانوا يسعون للقضاء على هذه الكنوز الاسلامية.

إن شهادة مفكرين عباقرة أمثال العلامة الشهيد المطهري... والشهيد الدكتور بهشتي... و علماء اغلام آخرين، تعني مضاعفة المسؤولية من قبل المفكرين المعاصرين. و الآن بدأ بسعي وافر و وسيع باحياء علوم أهل البيت ببركة الدماء الطاهرة لهؤلاء الأعداء.

إن عقد المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام، تزامناً مع الذكرى السنوية السعيدة لميلاده صلوات الله عليه و للمرة الاولى عام ١٣٦٣ في مشهد، كان بداية لايجاد حركة ثقافية عميقة وعلمية و تحليلية في اطار المعرفة والاحاطة بالائمة المعصومين عليهم السلام سيما الامام الثامن الحجج عليه آلاف التحية و الثناء.

وهذا المنتدى العلمي يهيئ أرضية لمطالعة كافة جوانب حياة الامام
الشامن المشرفة. وقد قطعنا بحول الله وقوته الشوط الأول. وبعناية الامام
عليه السلام الخاصة.

هذا الكتاب مجموعة من المقالات، ومن آثار أول مؤتمر عالمي للإمام
الرضا (ع)، نضعه بين أيدي القراء الكرام والمجامع العلمية، والسالكين طريق
المعارف الاسلامية.

ومن الجدير بالذكر انه يمكن ان يكون في ذلك المؤتمر نواقص كثيرة، بسبب
ظروف خاصة، ونرجو من الله سبحانه وتعالى، وبالاسترشاد بآراء العلماء
الافاضل، ان ترفع تلك النواقص، وأن نستطيع اقامة المؤتمرات ذات النفع
الأكمل للمجتمع بعونه تعالى.

وبالله التوفيق ومنه العون

المؤتمر العالمي للإمام الرضا (ع)

مشهد المقدسة

اسماء الهيئة التنفيذية لمؤتمر الامام الاضاح(ع) العالمي:

- | | |
|--|------------------------------------|
| رئيس المؤتمر | ١ - سماحة حضرة آية الله جنّتي |
| عميد » | ٢ - حضرة حجة الاسلام الدكتور مصطفى |
| المعاون التنفيذي للمؤتمر | ٣ - حضرة الاخ سيدجلال الفياضى |
| مسؤول لجنة الاستقبال والمراسيم | ٤ - حضرة حجة الاسلام محمدعلي رضائي |
| » العلاقات العامة | ٥ - حضرة الاخ سيداحمد العلوى |
| » الحماية | ٦ - حضرة الاخ اسماعيل العسلي |
| » الاستعدادات | ٧ - حضرة الاخ علي الخنجري |
| » اللجان الترفيهية والامور اللجنات الستة | ٨ - حضرة حجة الاسلام العسكري |
| » اقامة الصنوف | ٩ - حضرة حجة الاسلام المعيني |
| » الاستقبال في لمطار | ١٠ - حضرة الاخ حميد الترقى |
| » الاحتفاء | ١١ - حضرة الاخ خوش زبان |
| » الاستعلامات | ١٢ - حضرة الاخ علي اصغر فرزانه |
| » دراسة الانتقادات والمقترحات | ١٣ - حضرة حجة الاسلام الوفائي |

لمحة مختصرة عن المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام

الدكتور سيد جواد المصطفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في إحدى جلسات اللجنة العلميّة للعتبة الرضوية المقدّسة، والتي انعقدت بحضور مندوب الامام و سادن العتبة سماحة حجة الاسلام والمسلمين الواعظ الطبسي، اقترحت إدارة الأمور الثقافيّة مايلي: إقامة حفل علمي في اليوم السعيد لميلاد حضرة ثامن الأئمة علي بن موسى الرضا عليه السلام، لكي يتسنى لمحققي وعلماء البلدان الاسلاميّة عرض بحوثهم وآرائهم حول شخصيّة الامام (ع) الرفيعة، وبالتالي تعرض نتيجة بحوثهم وآرائهم العلميّة التي تتعلّق بالأبعاد العلميّة والسياسيّة، والأخلاقيّة لحياة هذا الامام الهمام، ومن ثمّ تطبع طباعة أنيقه بعون الله تعالى وتوضع في متناول أيدي الباحثين عن الحقيقة، ولكي ينير شعاع هذا السعي العلمي الأمور المهمّة في حياة الامام (ع) السياسيّة والاجتماعيّة للشّيعه ولسائر مسلمي العالم، وسيكون هذا الشعاع نفسه بمثابة مشعل أمام طريقهم، لاسيّما أنّ ذكرى افتتاح جامعة العلوم الرضوية الاسلاميّة سيكون في نفس ذلك اليوم المبارك.

ومن البديهي ان اقتراحاً - كهذا - سيخطي بالأهميّة الفائقة سواء باهدافه ام بنتائجه فلم يبق للاعتراض اثر يذكر.

كنت مشغول البال حينها في أمر واحد فقط على جانب من الأهميّة، نحن في شهر بهمن (شباط) ولم يبق لحلول الحادي عشر من ذي القعدة - ذكرى

ميلاد الامام الرضا عليه السلام إلا ما لا يزيد عن خمسة شهور لا غير، و حين الأخذ بنظر الاعتبار التجارب السابقة حول توقيت موعد الانعقاد، فإن هذا المدة غير كافية، والفرصة اللازمة لم تكن متوفرة، لأجل التحضير و تهيئة المقالات التحقيقية من قبل العلماء المشتركين.

ومن الطبيعي أن الموانع والعقبات ستعرض العمل أيضاً، فينتج من ذلك نقص الفوائد المتوخاة من حفل كهذا، وبالأخص أنه قد تقرر أن يستمر هذا الحفل* «المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام» وتقرر كذلك دعوة العلماء من البلدان الإسلامية الاخرى أيضاً.

أما بقية المشتركين في اللجنة العلمية هذه، فقد صمّموا أن لا يدعوا الفرصة تفلت من أيديهم، وأيقنوا أن إنجازاً بهذا الحجم من النشاط الثقافي المذهبي العظيم لا يتم إلا بتدبير ومدد من الرعاية الخاصة واللفظ اللامتناهي لثامن الأئمة (ع) الى معدي المؤتمر، وهكذا أرى نفسي واقعات تحت تأثير بيانهم المنطقي. وبعد ذلك نوقشت مسألة «ادارة المؤتمر» ونتيجة لمداولة الاراء تقرر إجراء القرعة فوق الاقتراع عليّ، فكان لا مفر من الامثال، وأرجو أن أخطو في طريق نشر علوم أهل البيت (ع) وأطلب من الله تعالى العون.

وفي جلسته أخرى عُيِّنَتْ بعد التّساور الموضوعات التي يجب بحثها و تحقيقها في المؤتمر فكانت كما يأتي:

١ - شخصية الامام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام العلمية، وتشمل: الآثار المتبقية منه (ع) ومن أصحابه، البحوث العلمية والمناظرات التي كان يعقدها، مسألة الواقعية، والمواضيع الاخرى في هذا المجال.

o من جملة الاراء التي نوقشت، هي حول تلفظ كلمة «كنگره» - وتعني مؤتمر في العربية - علماً أن أصل هذه الكلمة فرنسية (Congrès) فتلفظ هكذا: ضم الكاف وسكون النون الكاف معاً، بيد أن تلفظ ساكنين في الفارسية مشكل، فلذلك يضم البعض حرف الكاف عند التلفظ، فيقع عند ذلك في الخطأ، لأن التلفظ بهذه الصورة يعنى في الفارسية مستنات الحصون والقلاع.

٢- الحياة السياسيّة للإمام الرضا عليه السلام، وتشمل: موضوع ولاية العهد وانتفاضات العلويين وتأثير قيادة الإمام (ع) في حركاتهم، إصطدامات الإمام السياسيّة مع أمراء ذلك الزمان، هجرة بني هاشم إلى إيران عقب ولاية عهد الامام (ع) وبحوث كهذه.

٣- الجوانب الأخلاقيّة والسيرة العلميّة للإمام (ع).

٤- المسائل المتعلقة بالامامة ونفوذ الولاء والشخصيّة المعنويّة والروحيّة لثامن الحجج عليهم السلام.

٥- المواضيع المختلفة الأخرى مثل: فهرست الكتب التي كتبت حول الامام (ع)، تاريخ مكتبة وموقوفات العتبة المقدّسة، والجغرافيّة التاريخيّة لمدينة مشهد، وأهميّة الزيارة وأثرها، والأدب الثنّي، والأدب الشعريّ، ومدائح الامام. أرسلت هذا الامر طيّ بطاقات الدّعوة التي وجهها حضرة سادن العتبة المقدّسة إلى ثمانين (٨٠) شخصيّة من المحقّقين والكتّاب وذوي الاختصاص في داخل البلاد وخارجها. وكذلك توجيه دعوات عاقمة أيضاً لاستماع الخطب قبل الظّهر إلى حملة الاقلام من اعضاء مجلس حماية الدّستور ومجلس القضاء العالى، وأساتذة الحوزة والجامعة، وعلماء طهران المجاهدين، واطباء مجلس الشورى الاسلاميّ وبعض من الوزراء، وأئمة الجمعة والجماعة، إضافة إلى ثلاثة أضعاف هذا العدد من رجال السياسة والطلاب والجامعيّين ومجموعات أخرى. ومع أنّ معدّي المقالات كانوا من المفكرين والمطلعين، إلّا أنّ هناك عدّة من العلماء المدعّوين لم يحضروا المؤتمر لسببين هما:

١- كان وقت عقد المؤتمر من ١١ إلى ١٥ ذى القعدة، فيكون والحاله هذه متزامناً مع سفر حجّاج بيت الله إلى مكّة المكرمة، وبهذا السبب لم يستطع بعضهم تلبية دعوتنا نهائيّاً، وبعضهم الآخر لم يكن لديه متسع من الوقت سوى يوم أو يومين للإقامة في مشهد، وبسبب كونهم عازمين على السفر فلم يكن

لديهم حينذاك استعداد فكريّ لكتابة مقالة. كما لا يخفى أنّ هذا الاشكال باقٍ حتى في السنين القادمة أيضاً. إذا لم يكن وقت عقد مؤتمر ولادة حضرة ثامن الائمة (ع) في انسب الأوقات ونحن ندعو ذوى الرأي لبيان ما يروونه مناسباً لحلّ هذا الإشكال.

٢- السبب الثاني كان له علاقة بالمحقّقين المدعّوين من خارج البلاد، و حسب الظاهر فإن الاعلام الاجنبيّ المشبوه وأيادى المناقّين القذرة، قد شوّهوا لهم صورة ايران الاسلام والجماهير المسلمة وفدائيتنا الأبطال حتى صارت عند اولئك المحقّقين وجهاً قبيحاً وغولاً مخيفاً، فأحجم هؤلاء عن المجيئ خوفاً دون أن يروا الحقيقة بأعينهم، أو حذراً من طعن المخالفين وابتعاداً عن المتاعب السياسيّة حسب تصورهم، ولعلهم لم يكن لديهم فرصة كافية لاعداد مقالة، و ظنوا أن الحضور بلا مشاركة شئ غير صحيح.

ونتج عن هذين السببين مع عوارض أخرى كاشتغال العلماء من الروحانيين بالأعمال التنفيذيّة، وتأخير وصول بعض بطاقات الدعوة، غياب ثلثي مدعّوينا الذين كانوا من حملة الأقلام والفضلاء المستمعين، فأثارت هذه النُقطة حفيظة بعض الكتاب في الصحف، ولو أنّهم تحرّوا الأسباب عن قرب لكان الاشكال مرفوعاً.

أنا لا أدافع عن كلّ أعمال المؤتمر العالميّ للإمام الرضا عليه السلام، و لكن يمكنني القول بأننا لو حكّمنا العقل فسنجد بعض العقبات .

التي لم نكن قادرين على اجتيازها، ونشكر الله تعالى على أنّ المؤتمر انهى أعماله بنجاح. وهناك بعض العوائق أيضاً- ناشئة عن اختلاف النظر والأذواق المختلفة- إذ أنّ كلّ صاحب نظريّ يقيم الأدلّة من الكتاب والسنة ليُدعم رأيه، فإنهم سيؤجرون إن كانوا فوق الأهواء النفسية، كما أنّ المعترضين و مدققي النظر أيضاً إذا لم يكتبوا لأغراض شخصية دفيّنة ولديهم انتقادات بتّاءة.

- كما هو الحال في بعض الأحيان - فهم مثابون .

و مع ذلك يجب أن تأخذ بعين الاعتبار مايلي :

أولاً - وجود عقبات تحول دون عقد مؤتمر كبير كهذا في ظروف خاصة قاسية تحت ظل الحرب من قبيل المشكلات المفروضة على الطيران المدني من قبل العدو .

ثانياً - يعتبر إقامة المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام أول تجربة لمسؤولي العتبة الرضوية المقدسة في هذا المضمار ، و نرجو أن تكتسب في الأعوام القادمة تجربة أكبر ، و يُعقد المؤتمر بكيفية أفضل .

و بحسب رأينا : أن إضفاء الصبغة العلمية على المؤتمر يكون من أهم أهدافه لكونه بني على أساس علمي ، و نحن نتوخى من العلماء أن يتقيدوا بالأخلاق الاسلامية والانسانية ، أكثر من أي شيء آخر في محتوى مقالاتهم و عند القاء خطاباتهم و أن ينتقدوا و يحلّلوا نقاط ضعفها و قوتها من هذا المنطلق و يعدونها إلى المؤتمر القادم . و نرجو أن تكون أكثر الانتقادات التي تصلنا بثناء .

المكان : كان مكان انعقاد المؤتمر في بهو الاجتماعات التابع لجامعة العلوم الرضوية الاسلامية ، والذي أنشئ لعقد مجالس كهذه ، و هذا البهو يسع ٦٠٠ كرسي ، و يحوى على اجهزه مكيفه للهواء ، فيوء من الهواء الدافئ و البارد . ان وجود اجهزه ذات تقنيه حديثه كهذه في بناء هندسي ذي طراز اسلامي ، لهي شاره لحسن ذوق المهندسين و فتهم و هذه المهارة هي الطابع الغالب في كل بناء جامعة العلوم الاسلامية التي شيدت على أنقاض المدرستين القديمتين (ميرزا جعفر و خيرات خان) ، و بالاضافة الى الامتياز المعماري الذي تتمتع به هذه الجامعة ، فان وقوعها في جوار العتبة الرضوية المنورة يضيف عليها امتيازاً معنوياً و روحية خاصة ايضاً .

الزمان : عقد المؤتمر في الفتره من ١١ الى ١٥ ذي القعدة و المصادف ١٨

الى ٢٢ مرداد (آب) ١٣٦٣ هـ. ش، واليوم الأول من اقامة المؤتمر كان الميلاد السعيد لحضرة ثامن الائمه عليهم السلام، وكان المجلس متمتعاً بعظمة وروحية خاصة، سيما الخطاب الجامع والمشير لرئيس الجمهورية ممّا أصفى على هذا المجلس زخماً معنوياً واطلع الحاضرين على امور لم يتطرق اليها من تاريخ حياة الامام الرضا (ع)، وسلط الضوء للمستمعين على نقاط مبهمة، وكذلك الخطبة القيمة لرئيس مجلس الشورى الاسلامي التي ألقاها في نفس هذا اليوم ايضاً. وقد تمّ في الأيام الأخرى ايضاً لقاء خطبتين وانشاد المدائح من قبل كلّ المدعّوين وذلك بعد الظهر كالمعتاد، وقد خصّصت نصف ساعة للاستراحة والعناية بالضيوف في الأوقات التي كانت تتخلّل الخطب.

يجتمع العلماء المشتركون بعد الظهر كل حسب موضوعه لتحقيق ما أعدوا من المقالات بضمن لجنه مختصّه من مجموع خمس لجان تمّ تسميتها سلفاً. وهذه البحوث - التي كان بعضها مفيداً وجرّداً ويمكن الاستفادة منها في التعليم - تمّ تسجيلها، وسينشر كلّ ما يصلح للتشر منها ان شاء الله. اما تلك التي نُشرت و كانت الحصيله المتبقية لهذا المؤتمر فهي (١٧) مقالة ورسالة باللغتين الفارسية والعربية والتي طبعت بعون الله في مدّة قصيرة، ووزعت على المدعّوين في الايام الاولى من المؤتمر، وادناه اسماء هذه المطبوعات:

المطبوعات العربية:

- ١- صحيفه الامام الرضا عليه السلام: بتحقيق محمد مهدي نجف.
- ٢- على بن موسى الرضا (ع) والفلسفه الالهيه: بقلم عبدالله جواد الآملي.
- ٣- نقش الخواتيم لدى الأئمة (ع): بقلم سيد جعفر مرتضى العالملي.
- ٤- رسالة في عصمة الأنبياء (ع): بقلم محمد المحمّدي الكيلاني.

- ٥- قراءة في فكر الامام: بقلم محمد باقر الناصري.
- ٦- علم الامام علي بن موسى الرضا: بقلم سليمان اليحفوفي.
- ٧- ولاية العهد بين الامام والمأمون: بقلم سيد جواد الشهرستاني.
المطبوعات الفارسيّة:
- ١- الجوانب الاخلاقية والسيرة العملية للامام الرضا(ع): بقلم سيد هاشم الرّسوليّ.
- ٢- مسند الامام الرضا(ع): بقلم رضا الاستاذي.
- ٣- تحقيق حول كتاب فقه الرضا(ع): بقلم رضا الاستاذي.
- ٤- معرفة الله (ترجمة وشرح الخطبة التوحيدية للامام الرضا) بقلم حسن المصطفوي.
- ٥- فرصة ولاية عهد الامام الرضا(ع) في نشر المعارف: بقلم محمد تقى الفلسفي.
- ٦- تجلّي علوم أهل البيت خلال مناظرات الامام الرضا(ع): بقلم الدكتور سيد جواد المصطفوي.
- ٧- الزيارة: بقلم الدكتور محمد مهدي الركني.
- ٨- الإمامة العامة والخاصة للامام الرضا(ع): بقلم سيد حسن المصطفوي.
- ٩- مناظرات الامام الرضا(ع) التاريخيه: بقلم ناصر مكارم الشيرازي.
ويوجد كتاب قيد الطبع: يضم مجموعه مقالات وآثار المؤتمر العالمي الاول للامام الرضا عليه السلام، تقرّر ان يكون في متناول القراء الاعزاء والمحافل العلمية ومحققي العلوم الاسلامية قريباً.
وفي الختام نناشد كل الاخوة الذين تنزف قلوبهم في سبيل الاسلام، والذين يسعون لاحياء شعائر الدين وبث المعارف الاسلاميه، بان يمدوا مسؤولي

المؤتمر بأرائهم المشرمه وانتقاداتهم البتاء لكى يرتقوا به الى اهدافه المقدسه و
مما يجب التنويه به ان إقامة مشروع عظيم كهذا، لا يمكن ان يخلو من نقائص
كثيرة، ونحن نتمنى ان نسد هذه الثغرات فى المؤتمرات القادمة، وذلك من
ارشادات الشرفاء وذوى الرأى، حتى يمكن إقامة مؤتمرات مثمرة تشق الطريق
للمجتمع.

عميد المؤتمر العالمى للامام الرضا (ع)

الدكتور سيد جواد المصطفوي



النص الكامل لحظاب

حجة الاسلام والمسلمين سماحة الشيخ واعظ طبسي

ممثل الامام الخميني دام ظله العالي في محافظه خراسان

وسادن الروضه الرضويه المقدسه فيها



Very truly yours,

Wm. Lloyd Garrison

Secretary of the American Society for the Abolition of Slavery

25 North Second Street, New York

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وأشرفهم؛ أبي القاسم محمد «صلى الله عليه وآله».
وعلى عترته الطيبين الطاهرين المعصومين.
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين، من الآن إلى قيام يوم الدين.
قبل أن أبدأ حديثي معكم أيها السادة الأجلاء
يتحتم عليّ، أن أقدم جديلاً شكري وتقديري، إلى كل من حضر
مجلسنا هذا؛ من السادة العلماء، والسادة الأجلاء، والمحققين المحترمين،
والكتاب المجلين، وبقية الأحبة الآخرين الذين لبّوا دعوتنا، في هذا
الحضور، مشكورين.

وأخص منهم بالذكر، أبرز وجود الأمل والرجاء في عطاءنا، وألمع
رجال الثورة الإسلامية في إيران؛ سماحة حجة الإسلام والمسلمين، الشيخ
هاشمي رفسنجاني، رئيس مجلس الشورى الإسلامي الموقر.
والذي، تفضّل مشكوراً، متجشماً مشقة الحضور؛ فشارك في هذا الحفل
العلمي الأدبي الروحي، بالرغم من كثرة أشغاله.

كذلك، لا يفوتني، أن أسبّجَل تقديري الخالص، لسماحة أخ عزيز آخر.

أجل، الأستاذ الكبير، والمفكر الإسلامي العبد؛ حضرة حجة الإسلام والمسلمين، السيد علي خامنه اي، رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية. حيثُ سيادته، أتحت مشكوراً هذا المؤتمر العلمي والإسلامي، برسالة علمية ثقافية تحقيقيه؛ ضمنها باقة من ملاحظاته العقائدية والسياسية والاجتماعية؛ والتي هي بلا شك، جديرة بالآخذ والاستفادة منها؛ خاصةً فيما يتعلّق بحياة الإمام الرضا «عليه السلام».

آيتها الأخوة الأماجد؛...

لستُ مُغالياً إذا قلتُ: أنني لا أستطيع أن أعكس مدى شعوري، قبال هذا الإحتفال المبارك، بمثل هذه الكلمات اليسيرة؛ فرحةً وسروراً. كيف؛ وهوفي هدفه، مؤتمر إسلامي عظيم، يتمتع بروحية خاصة وأهمية كبيرة؟ كيف؛ وهوفي هدفه، موكبٌ إليه التعرف والكشف عن مناحي حياة الرضا «ع» ثامن الأئمة، عليهم آلاف التحية والسلام؟

بل، يُشرفني ويُسعِدني كثيراً، أن أقوم بمستلزمات التكريم، لضيوفنا الأعراء؛ زوّار علي بن موسى الرضا «ع». أجل، وافدون أكارم، لِمضياف معصوم إمام، في بقعة مباركة، وروضة منوّرة.

إلى مرقد مشرف ومثوى مطهر؛ أحد البيوت التي أذن الله أن تُرفع، ويُذكر فيها اسمه، ويُستجاب فيها الدعاء. لِم لا، وهوكعبة القُصاد؟! وهومن سهام «منزل وحي مُقَرَّر العرصات».

لم لا، وهو قبلة العباد؟! وهو سليل القائل: «وجدتک أهلاً للعبادة فعبدتک».

لم لا، وهو - كما قيل - مغيث الشيعة والزوار، وضامن «الياهو» الغزال.

إذاً، لاغرو إذا وجدنا كُلاًّ الأشياء، تتصاغرُ أمام عصمة الإمام، وتُعتبرُ ولايته نافذةً في حقّ جميع الأنام؛ وتلك إرادة الله.

أحبّتنا الكرام

إنّي لاشكرُ الله عزّ وجلّ، ولي أملٌ كبير؛ بأنّ هذا المؤتمر، في محققه ومفكره وعلماء مسلميه الكبار؛ سوف يتمكنّ من إعداد دراساتٍ مكثفة وموضوعية، تُعمّم مختلف الجوانب الروحية والعلمية والسياسية، في حياة الامام الرضا «ع»، كافة.

كي تكونَ حصيلةُ تلك الدراسات فيما بعد، زاداً متكاملًا، للثورة الإسلامية، فالعناصر الملتزمة بها؛ بل، لكلّ من يهتمُّ الأمر، من سائر المختصين. وحينئذٍ ستكونُ الفائدةُ جدّ عظيمةً، والنتيجةُ مُثمرةً، لكل ميادين العلم والمعرفة؛ بل، صحائف خالدة في تبيان الأسس الفكرية الإسلامية.

أجل، يا سادة

إنّ ممّا يستوجب المزيد من الشكر؛ هو الموقية لإقامة مثل هذا المؤتمر، في مثل هذا المكان المقدّس؛ الذي نُطلق عليه منذ اليوم اسم: «جامعة العلوم الإسلامية الرضوية»

علمًا، بأنّ هذا المركز الجامعي المهم، هو حصيلةُ توسعة ما أُدمج وأُوصل، بالمدرستين الكبيرتين والقديمتين؛ مدرسة ميرزا جعفر، ومدرسة

خيرات خان.

هذا المركز؛ يشغل أرضاً مساحتها: ٢٢٠٠٠ متراً مربعاً تقريباً؛ ويضم: ٢٢ صفّاً دراسياً؛ ناهيك عن ٢٥٠ غرفة للنوم، ومسجدٍ واحدٍ، ومحلٍ لِعَسَلِ الملابس، ومقهى، وموقعاً لِعَرْضِ الكتابِ وبيعه، وقاعاتٍ للدراسة سيع، ومطعم، ومكتبة للمطالعة والاستعارة، ومسرحاً، وقاعة كبيرة للاجتماعات، هي هذه التي تُستَقْبَلون فيها اليوم، ضيوفاً أعزاء.

وهنا.

نعم، هنا؛ لايفوتني إلا وأن أنقلَ تمنياتي بالموقفية، لطلاب هذه الجامعة الإسلامية؛ أملاً منهم كما هو متوقع، العمل ببصيرةٍ وجديّة، على حفظٍ وحراسةٍ ما لنا من تراثٍ دينيٍّ وعقائديٍّ. فالدفاع عن حدودٍ وثغورِ إيرانِ الإسلامية. كذلك، العمل على إيصالِ وبتِّ الأفكارِ والمعارفِ الدينية، وفق الطُّرُقِ الصحيحة، وعلى أُسُسٍ منطقيةٍ سليمةٍ؛ طبعاً مع مُراعاةِ تقديمِ الأهمِّ فالأهمِّ، وأخذِهِ بنظرِ الإعتبارِ.

أخواتي وأخوتي،...

وبحسبِ الوقتِ المخصَّصِ لي من قبلِ الهيئةِ المشرفةِ على مراسمِ الافتتاحِ مشكورةً.

أجدُّ الفرصةَ مناسبةً؛ أن أُحيطَ مسامِعكمِ الكريمةِ علماً؛ بأننا في خلالِ المدّةِ الوجيزةِ هذه، بعد انتصارِ الثورةِ الإسلامية، بزعامةٍ وقيادةِ امامِ الأُمّةِ مُدَّظَلُّهُ العالِي.

نعم، أطلعكم على موجزٍ بقائمة: المشاريعِ المنجزة، والخدماتِ

الثقافية والعمرانية والزراعية والإنشائية والاقتصادية المنشأة؛

ثم، بالمصانع والشركات المرتبطة بالروضة الرضوية المقدسة المُقامة.
أما هدفي من هذا الإستعراض؛ فهو أن أُرّف الفرحة إلى نفوسكم، انتم
أيها السادة الحاضرون.

بل، ومنكم إلى كُلّ أنصار الثورة الإسلامية؛ أولئك الذين يُدركون
ماهية وهوية ثورتنا؛ أولئك الذين تحسّسوا عظّمة مواقفها، وأهمية موقعها من
عالم اليوم.

بل، وتقديم الدليل القاطع والبرهان العملي، لتلك الأقلية التافهة؛
التي مازالت ترفُض حتى الآن، حقائق وقائع مجتمعنا الثوري الإسلامي،
هنا في إيران الإسلامية.

فتجحدُ بذلك، نَعَمَ اللهُ العظيمة علينا، التي وهبها لشعبنا الكريم؛ و
هوربُ وهاب، فلهُ الحمدُ منا وحقُّ الشكر.

بلى، تلك الفئة القليلة؛ التي يصدق عليها قولُ الشاعر:

كُوش باز و چشم باز و این عمی حیرتم از چشم بِندی خدا
آعمی برغم اُذن و عیونِ شاخصات حیرتی مِن نَعَمِ اللهُ الباهرات

أَعُوذُ فَأَقُول: إِنَّ مَشَارِعَنَا مَاضِيَةٌ، مَهْمَا تَنَكَّرَ لَهَا الْحَاقِدُونَ.

وَأَقُول: إِنَّ جَمَلَةَ الْأَعْمَالِ الْقَائِمَةِ حَوْلَ الْحَرَمِ الشَّرِيفِ - الْفَلَكَةِ
الِدَاخِلِيَّةِ - بِأَيْجَازٍ؛ هِيَ: أ- تَجْدِيدُ طِلَاءِ الْمَنَارَتَيْنِ وَالقَبَّةِ الشَّرِيفَةِ؛ ذَالِكِ،
لِأَنَّهَا بِمَرُورِ الزَّمَانِ، قَدْ تَأَكَّلَ سَطْحُهَا، وَأَصْبَحَ مَظْهَرُهَا غَيْرَ جَذَابٍ.

الْأَمْرُ، الَّذِي دَعَانَا إِلَى إِعْدَادِ نُحَاسٍ جَدِيدٍ، وَطَلِيهِ بِطَرِيقَةٍ فَنِيَّةٍ عَصْرِيَّةٍ،
وَبِسْمِكِ قَدْرُهُ أَرْبَعَةُ أَضْعَافِ الصَّفَائِحِ السَّابِقَةِ، الَّتِي بِدَوْرِهَا أُزِيلَتْ.

عِلْمًا؛ بِأَنَّ الْمَسَاحَةَ الْكَلْبِيَّةَ لِسَطْحِ الْقُبَّةِ، أَصْبَحَتْ فِي عَهْدِنَا،

تُقاربُ ٧٠٠م، كما أنَّ مساحةَ المنارتين الخارجيتين، بلغت هي الأخرى ١٤٥م.

ومعلومٌ لكم يا محترمين؛ أنَّ مثلَ هذا العمل، يُعتَبَرُ ذواهميةٍ عظيمة، خصوصاً من الناحية الفنية.

٢ - توسعة ثلاثة أركان، من أركان الحرم المطهر؛ وبمساحةٍ يبلغ مجموعها ٥٤م.

٣ - إعادة ترميم الممرين، العلوي والسفلي، مُجدِّداً وبصورةٍ أوسع؛ بعد ما أقدمت الحكومة الملكية البائدة على ازلتها.

بل، عمدنا أيضاً؛ الى إحاطتهما بسياج؛ بالاضافة إلى استحداث ممرين آخرين جديدين؛ يحملان اسم: ممر الطبرسي، وممر القبلة.

٤ - إنشاء صحن الجمهورية الإسلامية، في موازاة «مسجد گوهرشاد»، على أرضٍ واسعةٍ، تبلغ مساحتها «٢٥» ألف متر مربع؛ وماذالك، إلا لأجل توفير الراحة، وتحقيق الرفاهية، إلى زوار الحرم الرضوي المطهر، و قاصديه الكرام.

كما أنَّه من المقدر، انَّ يُوصلَ هذا الصحن مستقبلاً، عن طريق مدرسة الرأس العلوي، بالرواق المؤدي إلى مهبط الرأس الشريف.

كذلك، عمدنا إلى إنشاءٍ مبنيٍّ عظيم، في نهاية هذا الصحن الجمهوري؛ حاملاً اسم دارالولاية؛ وهو بمساحة: ٢٨٠م طولاً x ٣٥ إلى ٤٠م عرضاً.

٥ - اعدادٍ مُحَقَّقُ متكامل، لبناء دار استشفاء جديدة؛ باسم: دارشفاء الإمام «عليه السلام». هذه الدار؛ التي نأمل عند تحقيقها: أن تكون مُجَهَّزةً بأحدث الأجهزة الطبية، ومزوَّدةً بخيرة أعضاء الهيئة العلاجية.

وبذالك؛ نرجوها أن تعمل، ليل نهار، وبجديةٍ مُتَّناهية، وفعاليه كبيرة،

واضحتين للعيان؛ بغية تيسير الخدمات اللازمة، لسلامة الزوّار الوافدين، و تطيب مختلف الأناس المحرومين.

٦ - تشييد مكتبة كبيرة فاخرة، تليقُ عظمة الروضة المقدّسة؛ تسمو بارتفاع ثلاث طبقات، وعلى مساحةٍ تساوي «٣٣» الف مترٍ مُربّع؛ علماً، بان هذه المساحة، تحتلُّ الوسط الفاصل، بين الجامعة من جهة، والممرّ العلويّ من جهة ثانية؛ كما في النية إن شاء الله إنشاء المرافق الضرورية المتنوّعة، التي ينبغي أن تُلحقَ بها.

أما مخازن المطبوعات؛ فمن المؤمّل بحوله وقوّته تعالى؛ أن تتسع لاقتناء المليون كتاب، إن لم يزد.

و بالمُناسبة؛ فإنّه لدينا الآن، عدداً من القاعات الخاصة، لاستقبال الزوّار، رجالاً ونساءً واطفالاً كما أنّ هناك قاعة أخرى، مخصّصة لإقراءة المجلّات، ومطالعة النشرات.

هذا، بالاضافة إلى مجموعة من القاعات عدا تلك، تخصّص، إعداد وعرض مختلف البرامج السينمائية، سمعيّة وبصريّة، في أفلام جيّدة وغيرها من وسائل الإعلام.

بل، أوّذ أن أُشيرَ هنا أيضاً، إلى أنّنا قمنا بتجهيز الجناح الخاص، بالنسخ الخطيّة وكثير منها النادر النفيس؛ بأحدث المعدات الفنيّة، الآخذة بأحدث طرق وآساليب المحافظة والصيانة.

كذلك؛ مما يجدرُ ذكره هنا؛ أنّ بناية المكتبة، في عهد الحكومة الشاهنشاهية البائدة، لم تكن تتناسبُ وما ينبغي أن تكون عليه المكتبة الرضوية، كما لم تكن حينذاك في مساحتها كافيّة.

ولعل الفرق يتضح من خلال الإحصاء التالي: فبيّتما كان تعدادُ الكتب هنا، في أوائل انتصار الثورة، لايزيدُ عن ثمانين ألف كتاب تقريباً.

وكان مخزن المكتبة قد حُوِّلَ إلى تجميع نفايات الكتب-؛ نجدها الآن قد وَصَلَتْ إلى الرقم «٢٠٠» ألف كتاب تقريباً.

على كُلِّ حال، نأملُ منه تعالى؛ أن تكون مكتبة الروضة الرضوية المقدسة عامرة؛ لِمَا لها من قَدَمٍ يزيدُ على سِتَّةِ قرون؛ فضلاً عن أنها تمتازُ بمكانةٍ خاصةٍ في عالم المخطوطات، بين أمهات المكتبات العالمية؛ في اقتناء النفائس الفريدة من الكتب؛ وبالخصوص ما يتعلَّقُ منها بنسخ القرآن الكريم.

أجل، هذه الثروة العلمية، التي لا تُقَدَّرُ بثَمَنٍ؛ نرجو منه تعالى، أن نوفِّقَ في جعلها تحت متناول اليد، بُغْيَةَ الاستفادة منها؛ لمختلف رواد المعرفة، وحملة الآداب، مُحَقِّقين وكتاب، مُصلحين ومفكرين في جميع أنحاء العالم.

٧- فَمِنَّا بإنشاء صحنٍ جديدٍ آخر؛ اطلقنا عليه اسم: «صحن القدس»؛ وهو يقع في الجهة المقابلة لمسجد «گوهرشاد».

وماذا ك؛ إلا ليكون في بعض مراميه، أن يكون لنا عِلْماً من الأعلام الهادية، يفتح طريق القدس المقدسة العزيزة.

وماذا ك؛ إلا لِأَنَّا نَعْتَمِدُ بعد الله جَلَّ وعلا، على هِمَّةٍ وقوةٍ سواعد جُنْدِ الإسلام الأبطال، واراندهم الفولاذية التي لا تُقَهَّرُ.

والفتحُ هذا؛ هو أملٌ لانشكُّ ولانترددُ أبداً، في تحقيقه وتحققه، بمشيئة الله العزيز القدير، وتضحيات و جهاد أبناء الأمة الغيارى، السائرين على حُطَا إمام الأمة، المترسم لهدى النبي «صلى الله عليه وآله»، إن شاء الله.

آيها الأَعَزَّةُ الأفاضل

لاشكُّ؛ بأنَّ الحديثَ معكم مُفِرِّحٌ وحلوٌ؛ وأنه يطيب كلما استمرَّ، أكثر فأكثر.

بید آئی اکتفی من سرد المنجزات هذا المقدار؛ نظراً، لأنّ الوقت المخصّص، قد شارف على الإنتهاء.

وإنّ من یريدُ الزیادة في الإطلاع؛ یمكنه متفضلاً، أن یراجع المسؤول عن سِجلّ لمنجزات، في هذه الروضة المباركة، فيقف بذلك عن کتب، على ما تحقّق إنجازهُ، وما هو قيد التنفيذ، وما هو في طريق الدراسة والتخطيط.

أقول:

إنّها المُناسبةُ عزیزةٌ، استغلُّ وجودها وأنا بینکم؛ فأنوّه بالجهد الجھید، الذي بذلّه المسؤولون الأفاضل، المشاركون في إعداد وتنفيذ مشاريعنا الرضویة، من إداریین ومهندسين، فنیین وعمّلة، خُبراء ومشرفین.

أولئك الأفاضل، الذين أوقفوا جُلّ مساعيهم، وخبراتهم الخیرة؛ من أجل إقامة هذا الصرح العمراني الإسلامي العظیم.

في حين، أنّهم هم أنفسهم؛ لا یرون جیال ما أنجزوا، إلا ضالّة موقعهم فيما أتوا به؛ بل، یحسبونّه غیر ذي بال، أمام هكذا صرح تراثي هندسيّ بديع؛ لیمثل هكذا روضةً، هي روضة الرضا الإمام ابن الامام ابوالامام الجواد «عليهم السلام».

هذا الصرح المهبیب؛ الذي یجمع بین تراثنا القديم، وخبرات الجدید. هذا الصرح الرّوعة؛ الذي نأمل أن یكون مستقبلاً، واجهةً حیةً ناطقةً، في عرض ابتكارات وابداعات الفتانین المسلمین.

وبالتأكيد؛ انکم سوف تتجولون، مطلقین على مرافق هذا البناء الشامخ، فيما بعد؛ وفي وقته المُناسب.

نعم، ذا الصرح الجلیل، بالإضافة إلى ما سبق؛ فإنّه یُمثّل أحد مدخّراتنا الوطنیه، وروائعنا الإسلامیة، في ایران بلادنا العزیزة؛ لیس لیحیلنا الحاضر

فقط، وإنما لِمَا يَأْتِي من أجيالنا القادمة.

أعوذُ؛ فأعرجُ ثانيةً، للحديث عن مناهج الجامعة الرضوية؛ فأوجز قائلاً:
إنَّ برامجَ هذه الجامعة ومناهجها؛ قد أعدت قبلاً، ودرست مجتمعةً؛ من
قِبل لُجْنة مشكَّلة، من شيوخ و أساتذة مجلس الشورى العلمي، للروضة
الرضوية.

و هو المجلس الموقر نفسه، قد استعان واستفاد أيضاً، بخبراتٍ وتجاربِ
مجموعةٍ محترمةٍ، من شيوخ الحوزة الاجلاء، وأساتذة الجامعة الفضلاء.
والغاية بعد ذلك جليّة؛ من تأسيس مثل هذه المؤسسة العلمية الجليلة.
وهي بلاشك - بما يُحطّط لها-: إعداد نُخبَةٍ من أهل التقوى، فقهاء و
دعاة، تُوكَلُ إليهم مهمّةُ أمرِ التبليغ؛ إن بخطاباتهم و إن بكتاباتهم؛ أعني:
خصوص أولئك الذين هم بأنفسهم، يحسّون بأنهم هم المعنيون بأمرِ
التثقيف، اتّجاه مجتمعنا الإسلامي.

ليس هذا فقط؛ وإنما نحنُ نسعى جاهدين، في أن نُزِيلَ ظاهرة تقييد
القبول، لأولئك الذين يتقدّمون إلى الجامعة؛ وإيقافه فقط، على ذوي
الشهادات الرسمية الحكومية.

بل، هي مفتوحةٌ للجميع؛ كي يتعلّموا المعارفَ الإسلامية، بشكلٍ
مستقلٍّ و موضوعيّة تامّة؛ ثم، ليَتَدَبَّرُوا ما تلقّوه، فيضاهؤن به - بعونِ الله
المُتّعال و بركة الرضا الامام- تلكم الشخصيات العلمية الخالدة، أمثال:
الشيخ الأنصاري، والمقدّس الأردبيلي، و صاحب الجواهر، و ابن سينا،
و الفارابي؛ وغيرهم كثيرين.

نعم، لِمِثْلِ هذا السبب؛ فإننا نُعيرُ أهميّةً خاصّةً، إلى النظامِ الدراسيِّ

في الحوزة العلمية، والأقسام الجامعية؛ بغية تطويره، وتأکید الأصالة في أساليبه.

أعزتنا، يا محترمين

في ختام حديثي معكم؛ أرى من الواجب عليّ، أن اجلب انتباه المشاركين الأفاضل، إلى موضوع ذي أهمية خاصة؛ وفي مثل هذه الآونة من مسيرتنا الثورية بالذات.

و أعني به: الشروع في تهيئة دائرة معارف، تجمع الأحاديث الإمامية؛ حاملة اسم «معجم البحار».

المعجم؛ الذي شرعنا في إعداده فعلاً. بعد الإنكسار على الله؛ بمساهمة جملة من الأساتذة الأخصائيين، وجمع من المحققين الحوزويين.

وإني؛ في الوقت الذي أشكر لهؤلاء الأعزاء، جهودهم القيمة، وخدماتهم الجليلة؛ في الوقت نفسه. كما بينت لهم، أضع أمامهم كل ما في وسعي، من مساهمة ومساعدة؛ وما ذاك، إلا لإني طالب علم مثلهم، كأي واحد منهم، يحس بما يحسون به، من ضرورة انجاز هكذا مشروع حيوي. أجل، فقد علمت قبل بضعة أيام، بواسطة المذيع والصحف؛ بأن الفقيه الكبير، حضرة آية الله العظمى المنتظري، قد صرح في مقابلة له، مع الهيئة المسؤولة عن إعداد معجم البحار، من اخواننا الطلبة، في حوزة قم المقدسة.

أجل، قد صرح سماحته؛ بأنه يجب التعاون مع هؤلاء الاخوة المسؤولين.

ومن جانبي؛ فإنني كما أسلفت، أعلن عن كامل استعدادي للمساهمة، وبأي مجال من مجالات التعاون، وفي أي مستوى كان؛ بل،

مع آية جماعة أو مؤسسة علمية و تحقيقية كانت.

ولكن، اسمحو لي أن أقول:

الذي اعتقدته؛ أنّ أفضل وأنسب مكان، يُمكن أن يكون محوراً و مركزاً، للبحث والدراسة حول المسائل الإسلامية؛ هو بلاشك في مدينة مشهد المقدسة، مرقد ثامن الأئمة، المثنى الرضويّ المطهر سلام الله عليه. لذا، فإنّي أتوقّع من السادة المشتغلين الاجلاء، في قم المقدسة. بلى، أملي وثيق، من الأخوة الذين خطوا في هذا المضمار خطواتهم، كاه.

أملي منهم لازالوا موقفين؛ أنّ يتعاونوا مع مؤسسة البحوث العلمية، القسم الثقافي، المنبثقة من الروضة الرضوية المطهرة؛ ذلك، لأننا بدأنا عملاً بدقّة وتنظيم؛ بل نحن ماضون في إعدادنا، وعلى أساس من طريقة علمية مدروسة؛ بالإضافة إلى ضمّ أشخاص قمنا بانتخابهم، ممن يتمتّعون بالكفاية الفنية، واللياقة العملية.

وختام المسك.

أرى من الواجب عليّ، أنّ أذكرّ الجميع بأمرٍ أساسيّ. وأشهدُ الله، بأنّ هذا التذكير، أوّجهُ لِنفسي قبل غيري، مخافة أن اكون غافلاً عنه.

أيها الأجيّة.

أيها الاخوة، أساتذة وأفاضل.

كلّكم يعلم؛ أنّ أيّ عملٍ عظيمٍ وقيمٍ، سواءً تمثّل خدماتٍ علمية و ثقافية، أم مهامّ اجتماعية و عمرانية و اقتصادية؛ إن لم يكن لله فيه رضى؛ فهو

سوف لن تكون له اية قيمة ذات بال، من وجهة النظر الإسلامية.
أخيراً؛ آمّنتي لكل السادة العاملين، والمتصدّين للمسؤولية، في ايران
الاسلام؛ أن يُتابعوا أعمالهم، على أسس من التقوى والوّد والإخلاص؛
والعزيمة الجادة لخدمة الاسلام العزيز، والمسلمين الاكارم؛ والأمة
الإسلامية كافة، في أيّ مكان.

سادتي؛ كما أنّي من جانبي، أعاهدُ في مثل هذا اليوم العظيم، والعيد
السعيد أعاهدُ إمام الأمة، والمرجع الكبير، والقائد العظيم للثورة الإسلامية،
وجميع الأمة الإسلامية.

وأعاهدكم أنتم أيّها الأخوة الأفاضل الأعزّاء؛ أن ابذلّ قُصارى جهدي،
وكلّ قواي الجسدية وطاقتي الفكرية؛ في سبيل الله، وخدمة نظام
الجمهورية الإسلامية، وثقافة الثورة؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فهرست مطالب الخطاب:

- الفقرة الاولى: الشكر على الحضور.
- الفقرة الثانية: الإشادة بحضور رئيس مجلس الشورى الموقر.
- الفقرة الثالثة: الإشادة برسالة رئيس الجمهورية الإسلامية المحترم.
- الفقرة الرابعة: الشيخ الطبسيّ وشعوره نائباً عن الامام دام ظلّه.
- الفقرة الخامسة: ضيوفُ أعزّاء، وروضة مطهّرة، ونعم المضيف
الرضا الامام «ع».
- الفقرة السادسة: آمالك كبيرة من مهام المؤتمر العالمي الاول، لحياة
راقِد خراسان.

الفقرة السابعة: مشاريعٌ ومنجزاتٌ ومخططاتٌ تليق وعظمة مشهد الجمهورية الإسلامية.

الفقرة الثامنة: احتفالٌ مهيب، وحديثٌ حُلُو، وبكاديدرگ شهرزادُ الصباح.

الفقرة التاسعة: جهودٌ مشكورة للسادة العاملين في مشاريع الروضة الرضوية.

الفقرة العاشرة: الإشارة لمناهج الجامعة، اعداداً وغايةً وتطويراً في أساليب الدراسة.

الفقرة الحادية عشرة: الشهادةُ محترمةٌ، والعبرةُ بعلم الرجال، وما يُتدبَّرُ منه في كُلِّ حال.

الفقرة الثانية عشرة: معجم البحار وتطلعات مؤسسة البحوث الإسلامية في مشهد.

الفقرة الثالثة عشرة: دعوةٌ لجعلِ البحار معجماً في مسؤولية الروضة الرضوية.

الفقرة الرابعة عشرة: التقوى جوهر المؤمنة لقوافل السائرين كُلِّ السائرين.

نص خطاب

سيادة حجة الاسلام والمسلمين السيد علي خامنه اي

رئيس الجمهورية الاسلامية الايرانية الموجه الى المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

نص خطاب سيادة السيد علي خامنه اي
رئيس الجمهورية الاسلامية الايرانية
الموجه إلى المؤتمر العلمي العالمي للامام
علي بن موسى الرضا عليه السلام:

إنّ انعقاد مؤتمر علمي يتناول مسيرة حياة الامام الثامن (ع)، وفي جوار تربته الكريمة ومشهده المقدس، وتزامنًا مع الاحتفال بذكرى ميلاده السعيد، لخطوة جديدة نحو بيان شخصية الأئمة المعصومين (عليهم السلام). والوقوف على مسيرة حياتهم النضالية القاسية التي كانت لهؤلاء القادة العظماء. والواقع الذي ينبغي القول به أنّ سيرة حياة الائمة (عليهم السلام)، وجهادهم والشدائد التي تحمّلوها خافية حتى على شيعتهم. وبالرغم من تأليف ووضع آلاف الكتب الصغيرة والكبيرة حولهم، على امتداد التاريخ إلى يومنا هذا... واليوم مازال غبارًا من الابهام والغموض يكتنف جوانب واسعة هامة من حياة هؤلاء الأفاضل. وتعتبر الحياة السياسية لأبرز وجوه الاسرة النبوية، والتي قد امتدت قرنين ونصف القرن، من أكثر فترات

التاريخ الإسلامي حساسية. غير أن الفترة هذه قوبلت مع الانحراف والتعصبات الزمنية وأهواء الحكام ورغبات السلطات الحاكمة، فجاءت غير صحيحة وبعيدة عن جادة الصواب. ولهذا فنحن بحاجة ماسة إلى تاريخ صحيح ثابت مدون وصادق بخصوص حياة الأئمة عليهم السلام بالأحداث والثورات والوثبات الدامية التي قامت بها ثلّة من الطالبين ومن أولاد العترة الطاهرة. تضمّنت حياة الامام الثامن (ع) فترة تقارب العشرين عاماً كانت ذات فاعلية وأهمية كبرى ولأنّها تعتبر من أبرز أدوار حياته آنذاك، وحبذا لو تناولها التحقيق والبحث المطلوبان.

إنّ من أهم القضايا الهامة في حياة الأئمة (ع) التي لم تبحث بحدّ هي عنصر «النضال السياسي الحازم» في حياتهم.

ففي بداية النصف الثاني للقرن الأول الهجري، غلب طابع الملكية على الخلافة الإسلامية. وابدلت القيادة الإسلامية المتحررة إلى حكومة امبراطورية جائرة. ولذلك اندفع الأئمة من أهل البيت (ع) إلى النضال والمثابرة حسبما تتطلبه الظروف آنذاك. وكان من أهم أهداف نضالهم، إقامة نظام إسلامي، وتأسيس حكومة قائمة على أساس الإمامة. إلى جوانب أخرى من الجهاد ومنها تبين وتفسير الدين حسب النظرة المتميّزة لأهل بيت الوحي، وإزالة الأفكار المحرّفة، والمعارف المشوّهة الدخيلة على المفاهيم والاحكام الإسلامية. ولكن استناداً إلى الأدلة القاطعة فإنّ جهاد أهل البيت لم يكن محدوداً بهذه الأهداف فحسب، بل كان هدفهم الوحيد «إقامة حكومة علوية وتأسيس نظام إسلامي عادل». وكان سهم الأئمة (ع) وأتباعهم من الشدائد أكثر وأكثر فقد راحوا يقدمون الضحايا من أجل الوصول إلى هذا الهدف السامي. وبدأ جهاد الأئمة (ع) لتحقيق هدفهم هذا منذ دور الامام السجّاد (ع) وعقيب واقعة الطف الدامية على وجه التحديد، لقد بدأوا

وبتهيئة أرضية صلبة طويلة الأمد. وتعتبر حقبة مئة وأربعين سنة بكاملها و في هذه الفترة بين حادثة عاشوراء، و ولاية عهد الامام الثامن (ع) أحداث تخص أئمة أهل البيت، لان الأئمة (ع) و شيعتهم كانوا على الدوام يشكلون خطراً عارماً بالنسبة لأعداء نظم الخلافة.

و خلال هذه المدة جرت وقائع في عدة مرّات. و كاد النضال الشيعي- والذي ينبغي أن يسمّى النهضة العلوية- أن تحقّق انتصارات مظفرة- لولا وجود بعض الموانع في زحفها المقدس و انتصارها الحاسم و كانت توجه غالباً أقوى ضربة شرسة للمحور والعامل الأصلي لهذه النهضة. فكان شخص الامام (ع) بالذات في كلّ زمان معرضاً للسجن أو الاستشهاد، و حينما يصل الدور إلى الامام التالي يكون القمع والضغط والكبت في ذروته، فكانت الحاجة إلى إعداد خطّه أُخرى يتطلّب زماناً طويلاً، و قد حفظ الأئمة (ع) التشييع في أثناء عواصف الأحداث العاتية بتدبر و شجاعة. و أنقذوه من المهاوي العميقة، و المسالك المحفوفة بالمخاطر. و إن استطاع الخلفاء الأمويون و العباسيون في كلّ زمان من القضاء على شخص الامام، فانهم لم يتمكنوا من القضاء على زحف الامامة. و كان هذا الخنجر القاطع مغروراً في خاصرة نظام الخلافة، و ظلّ مغروراً و بتحدٍ على الدوام سالباً الراحة منهم. و حينما استشهد الامام موسى بن جعفر (ع) على يدهارون بعد إيداعه السجن سنين عديدة كان الضيق والكبت على أشده في أمصار السلطة العباسية الوسيعة.

إذ يصف أحد أصحاب الامام علي بن موسى (عليهما السلام) هذا الجوّ المشحون بالقمع قائلاً: «كان سيف هارون يقتردمًا».

فكان من أهم أهداف إمامنا ورائدنا المعصوم- والحالة هذه- المحافظة على شجرة التشييع و صونها من زوبعة العواصف، و الحيلولة دون تفرق شيعة

أبيه. وقد حفظ نفسه التي كانت محورًا ودرعاً للشيعه بأسلوب خاص و تقية تثير الإعجاب. و خلال فترة عظمة الخلافة العباسية و تبرع الطواغيت على أريكة العرش ظنا منهم ان الاستقرار والثبات حاصل لهم يندفع الامام (ع) إلى النضال المرير وهدم عروش الطواغيت بمعاول الأمامة. لقد عجز التاريخ عن تسليط الضوء على فترة عشر سنوات من حياة الامام الثامن في عهد هارون و عقبيه. و كذلك لم يطلعنا على فترة الخمس سنوات من الحروب الداخلية القائمة بين خراسان و بغداد. و لكن يمكن التعرف بتفحص أن الامام الثامن (ع) في تلك الفترة كان مستمرًا كذلك في ديمومة نضال أهل البيت الطويل، والذي قد استمر طيلة العصور من بعد حادثة كربلاء بهذه الطريقة و لعين الاهداف.

و حينما فرغ المأمون من حرب النزاع على السلطة مع الأمين في سنة ١٩٨، هيمن على الخلافة، وأصبح بلا منازع، كانت أولى خطته هي معالجة مشكلة الطالبين و نضال التشيع. و لأجل هذا وضع نصب عينيه تجارب جميع الخلفاء السابقين. و هي التي تتجلى فيها الهيمنة و السطوة و هي ذاتها التي أضافت إلى النهضة سعة و انتشارًا، ناهيك عن عجز النظام المتجبر عن استئصالها و حتى إيقاف عجلتها و تطهيرها. و هو قد رأى بأم عينيه سطوة و هيمنة هارون، و كذا قد عاصر فترة إيداع الامام السابع في غياهب السجون، و تقديم السم إليه في آخر المطاف. و مع هذا لم يقدر أيضاً أن يحد من الثورات و النضال السياسي و العسكري و الاجتماعي و الفكري للشيعه.

و هو والحالة هذه كان مفتقراً إلى قوة أبيه و قوة أسلافه أيضاً. بالإضافة إلى ما كان نصب عينيه تداعي السلطة العباسية من أثر النزاعات الداخلية بين بني العباس أنفسهم. و كان عليه أن ينظر إلى النهضة العلوية بجديّة أكثر. و لربما قد يفكر المأمون بصواب في معرض تخمينه للخطر الشيعي

المحدد بنظامه. وكان الظن السائد أنّ زحف التشيع كان يعدّ العدة لاهتزاز راية الدولة العلوية، وذلك خلال فترة الخمس عشرة سنة التي أعقبت شهادة الامام السابع إلى ذلك اليوم، وخصوصاً فرصة الخمس سنوات التي وقعت فيها النزاعات الداخلية.

أحسّ المأمون بهذا الخطر بذكاء. وظهر على مسرح التشاجر والمقابلة وبعد التأمل ودراسة الأوضاع من كافة الجوانب استدعى الامام الثامن من المدينة المنورة إلى خراسان. وعرض عليه ولاية العهد، وألزمه بقبولها. وبهذا حدثت هذه الظاهرة التي تعدّ فريدة في مدى الزمان الطويل للامامة. والآن نحاول اختصار البحث حول مشروع ولاية العهد.

أصبح الامام الثامن عليّ بن موسى الرضا (ع) عقيب هذه الحادثة قبال تجربة تاريخية عظيمة، وفي خضم معركة سياسية خفية يتقرر بمصيرها نجاح أو إخفاق مستقبل التشيع.

وكان المأمون هو المتقلد بزمام المبادرة في هذه المعركة، وقد زج بكلّ الطاقات في الميدان.

والمأمون بذكائه الخارق وتدييره الحازم برز في الميدان، وكان واثقاً من نفسه بالنصر والغلبة. إذ كان إذا أعدّ خطة يوقن سلفاً بنجاحها لامحالة، وأنّ في استطاعته الوصول إلى هدفه. وهذا الهدف طالما كانت الضالة المنشودة للخلفاء الأمويين والعباسيين منذ سنين طويلة، ابتداءً من عام أربعين الهجري عقيب شهادة عليّ بن أبي طالب (ع). ولكن راحت جهودهم الحثيثة أدرج الرياح. ويعني ذلك أنّ بإمكانه استئصال شجرة التشيع، وصدّ تيار المعارضه التي كانت بمثابة شوكة في عيون الطواغيت. ولكن الامام الثامن قد فاق المأمون مع الاستعانة بالمعونة الالهية. فوقع صريع التخاذل في المعركة السياسية وخسرها بعد أن كان هو بنفسه أشعل فتيلها.

ولم يضعف التشيع أو يستأصل فحسب، بل كان عام مثتین و واحد الهجري أى عام ولاية عهده (ع) من أكثر الاعوام ازدهاراً في تاريخ التشيع. ويعتبر العام الذهبي لنضال الطالبين.

و كان كلّ هذا ببركة الامداد الغيبي، وبفضل التدبير الحكيم للإمام الثامن. فتأققت شخصية ذلك الامام المعصوم خلال هذه التجربة العظيمة. وبناءً على هذا فسوف نسلط الضوء على مجريات هذا الحدث الملفت للنظر، ونشرح باختصار التدابير التي قد اتبعتها كلّ من الامام والمأمون في هذه الحادثة.

يهدف المأمون من وراء دعوة الامام الثامن إلى خراسان أهدافاً عديدة منها: أولاً- وهو من أهم تلك الأهداف تحويل الجوالثوري الحازم للشيعة إلى فعاليات سياسية مهادنة وغير خطيرة. و كانت للشيعة في اطار التقية نضالات مريرة لم تكلّ كما أسلفت. و كانت هذه النضالات ترتكز على ركنين يزلزلان الأرض من تحت أقدام أزام النظام. و كان ذلك الركنان هما: المظلومية أولاً، والقداسة ثانياً. فإنّ الشيعة وبالارتكاز على هذين العاملين المهمين يوصلون الفكر الشيعي إلى عواطف و ضمائر مخاطبيهم، ذلك الفكر الذي يعكس تفسير و تبين الاسلام حسب مفهوم أئمة أهل البيت.

فكانوا يستميلون كلّ فرد لديه أدنى استعداد لتقبّل تلك الفكرة، أو يعملون على جعله مؤمناً ملتزماً. و كان الفكر الشيعي كذلك ينتشر في مجالات واسعة يوماً فيوماً في أرجاء العالم الاسلامي. و كانت المظلومية والقداسة اللتان يرتكز عليهما الفكر الشيعي في كلّ الأدوار، يصعدان من النضال المسلّح والحركات الثورية ضدّ أنظمة الخلافة هنا و هناك. و كان المأمون يحاول جاهداً كشف أسرار هذه الجماعة المناضلة دفعة

واحدة، وأن يجرّ الامام من ساحة النضال الثوري إلى الساحة السياسية. و بهذه الوسيلة يتردّي تآلق النهضة الشيعية إلى الحضيض، بعد أن كانت تتصاعد يوماً فيوماً من أثر تلك السريّة والخفاء. و بهذه الطريقة يحاول المأمون سلب تلك الخاصيّتين المؤثرتين والمهمّتين من جماعة العلويين، لأنّ قائدهم يتسنّم مركزاً عالياً في نظام الخلافة، ويتولّى عهد حاكم قاهر، طليق اليد في أمور البلاد، ممّا يدلّ على أنّه لم يكن مظلوماً ولا مقدّساً.

و كان بمقدور هذه الخطة و هذا التدبير أن يجعل الفكر الشيعي في مصافي العقائد والأفكار الاخرى التي كان لها أتباع أيضاً. و عند ذلك يجعله خارج حلبة المعارضة للنظام، هذه المعارضة الممنوعة والمحظورة في عرف النظام، والجذابة والمثيرة للاعجاب في عرف الناس والمستضعفين بصورة خاصة.

ثانياً- نسف دعوى التشيع الذي كان مبنياً على اغتصاب الخلافة الالهية من قبل الامويين والعباسيين، و بالتالي اضافة صبغة المشروعية على الخلافة. و بهذا العمل يقدم المأمون على تزوير الحقائق لكلّ الشيعة- الذين يعتقدون بايمان راسخ على الدوام بغصبيّة الخلافة الحاكمة و عدم مشروعيتها بأنّ هذه الفكرة لا تستند على أساس، و مردّها الضعف والعقد النفسية. و إذا كانت خلافة الآخرين متجبرّة و غير مشروعة، تكون خلافة المأمون الموروثة من أولئك الجبابرة و مبتزة و غير صحيحة أيضاً. و عند ما دخل عليّ بن موسى الرضا(ع) في هذا النظام، و قبل ولاية عهد المأمون، أضفى عليها صفة القانونية و الشرعية، و بالتالي كان يجب اضافة الشرعية على بقية الخلفاء أيضاً تبعاً لذلك. و هذا يؤدي بالنتيجة إلى نقض كلّ ادعاءات الشيعة. و كذلك لم يكسب المأمون اعترافاً شرعية حكومته و حكومات سابقه من عليّ بن موسى الرضا(ع) فحسب، بل ينسف أحد الأركان العقائدية للتشيع

ألا وهو ذلك الاعتقاد الذي كان يقول بعدم مشروعية الحكومات السالفة. علاوة على ذلك سينقض بهذا العمل أيضاً ادعاء الشيعة الآخر القائل بزهد و تقوى الأئمة وإعراضهم عن الدنيا.

و كان يخيل إليه أنّ هؤلاء الأئمة يتشدقون ويتظاهرون بذلك الزهد، لأنّ لم يكن بمقدورهم الحصول على وسائل اللذة، وعند ما ستفتح أبواب لذائد الدنيا لهم فإنهم سيتسارعون إليها ويتنعمون بها كغيرهم.

ثالثاً- وبهذا العمل يضع المأمون الامام الذي كان دائماً أحد أقطاب المعارضة والنضال، تحت مراقبة جواسيسه. ولم يكن شخص الامام فحسب، بل يضع كلّ قادة ووجهاء ومقاتلي العلويين تحت المراقبة أيضاً. و كان هذا مكسب لم يوفق إلى إنجازه أيّ واحد من أسلاف المأمون أبداً، لامن بني أمية ولا من بني العباس.

رابعاً- أنّ الامام الذي كان أحد أعيان المجتمع، ومحظ الآمال، مصدر المسائل والعلم، يصبح بين ليلة وضحاها مطوقاً من قبل رجال الحكومة. و بذلك سيفقد السمة الشعبية بالتدرّج. و يضل بينه وبين الناس، وبالتالي الفصل بينه وبين عواطف الناس وحبّهم.

خامساً- بهذا العمل يكسب معنوية وشرفاً. إذ كان من الطبيعي في محفل ذلك الزمان أن يثني عليه الجميع لكونه قد انتخب لولاية عهده إبناً للنبي (ص) وذا شخصية مقدّسة ومعنوية. في حين أنّه قد حرم أخوته و أبنائه من هذا الامتياز. وكذلك قد صنع جسراً يلتقي عليه المتديّتون مع أصحاب اللذة على الدوام. وبذلك يضعف جانب المتدينين و تقوى كفة أصحاب اللذة.

سادساً- كان في تصوّر المأمون أنّه بهذا العمل سيأخذ من الامام مستشاراً لنظام الخلافة. و من البديهي أنّ أية حركة معارضة للنظام لا تستطيع

النيل منه مادام هناك شخص في درجة من العلم والتقوى كالامام يتمتع بشرف واحترام منقطع النظير، ويعتبر ابن للنبي في نظر الجميع، هكذا شخص يأخذ على عاتقه توجيه الأحداث في نظام الحكومة. و كان بإمكان هذا الحصن المنيع أن يغطي كل أخطاء وترسبات نظام الخلافة عن الأعين. وهناك أهداف أخرى أيضاً عندما ذكر كانت في قرار المأمون. وكما ترون أن هذه المؤامرة بقدر تعقيدها وعمقها، فيقينا أنه بأنه لا يستطيع أي فرد عدا المأمون أن يقوم بها بجديّة. ولذا كان ندماء المأمون وزبانيته لا يحيطون علماً بنتائج وجوانب هذه المؤامرة. ويمكن الاستنتاج من بعض الاخبار التاريخية أن فضل بن سهل، الوزير والقائد الاعلى، والذي يعتبر أقرب شخص لنظام الخلافة، لم يكن مطلقاً أيضاً على حقيقة ومحتوى هذه السياسة. ولكي لا تحبط دسائسه العنكبوتية هذه بأي ثمن، شرع بسرد القصص الخيالية لهذا وذاك، لتدبير وتعليل هذا الاقدام. وينبغي القول أن سياسة المأمون كانت تنطوي على حنكة وبعد ليس لهما مثيل. ولكن هناك في الطرف الآخر لساحة المعركة هذه الامام علي بن موسى الرضا(ع). وهو نفسه الذي أحال التدبير الماهر و كل مكائده التي حاكها إلى هواء في شبك. وحولها إلى لعبة للصغار على الرغم من الذكاء الجهنمي للمأمون.

لم يتحمل المأمون كل المشاق تلك، وراح يبذل الاموال الطائلة في تحقيق هذا الاتجاه فحسب، بل قد قلب سياسته رأساً على عقب، فانقلب بذلك السحطر على الساحر. والسهم الذي صوّبه المأمون صوب مركز و كيان الامام علي بن موسى الرضا(ع)، قد عاد عليه وأصبح هدفاً له. وعلى هذا النحو، وبعد مرور مدة قصيرة، أصبحت كل دسائسه أدرج الرياح، و كأن شيئاً لم يكن. وأخيراً قرر أن يتبع تلك الطريقة التي كان قد اتبعها كل

أسلافه من قبله في مواجهة الامام، يعني «القتل».
والمأمون الذي كان يؤمل فيه وجه القداسة، ويتوحي منه بأنه الخليفة
الموجه والمقدس والعاقل، كلّ هذا قد تحوّل إلى سراب، وبان زيفه وأنه
كان متصتّعاً.

وفي النهاية هو إلى تلك القمامة التي قد هو في كلّ الخلفاء
الذين سبقوه. يعني السقوط في منزلتي الفساد والفحشاء، والعيش في ظلّ
الحكم والجبروت.

ويمكن الاطلاع على رياء المأمون، وسقوط ورقة اليقطين من على
سواته خلال خمسة عشر عاماً من سيرة حياته بعد مشروع ولاية عهد الامام، و
في عشرات من الأمثلة. من جملتها استخدام قاضي قضاة فاسق وفاجر و
منعم، كيجي بن أكثم، أنيس وجليس عمّه المغتي، والعاظف للمأمون
ابراهيم بن المهدي، وسمير موائد الطعام والشراب، وهاتك الأعراض في
دار خلافته ببغداد.

وبناء على هذا نشرح سياسة وتدير الامام علي بن موسى الرضا (ع)
في هذه الحادثة:

١ - حينما دعى الامام من المدينة إلى خراسان، شحن جوال المدينة كرهاً
وبغضاً عليه. بحيث أيقن كلّ فرد من أتباع الامام بأنّ المأمون يضمّر سوءاً
من وراء دعوته إلى خراسان. وقد عبّر الامام عن اشمزازه من المأمون،
وأوصل ذلك إلى كلّ الاسماع بكلّ لهجة ممكنة:

بالوداع في حرم النبي، بالوداع مع أهل بيته حين الخروج من المدينة،
بالطواف حول الكعبة الذي جعله لأجل الوداع، بالقول والعمل، بلغة الدعاء،
بلغة النحيب. فأفهم الجميع بأنّ هذا السفر هو سفر الموت. و كان حسب توقع
المأمون أنّ الناس سيحسنون الظنّ به، و سيسيوون الظنّ بالامام لقبوله

اقتراحه. ولكن وفي أول لحظات السفر، امتلأت القلوب غيظاً على المأمون وقد جلب امامهم العزيز بهذه الطريقة الشيطانية وساقه إلى الموت.

٢ - حينما طرح مشروع ولاية العهد في (مرو) على الامام، رفض الامام رفضاً باتاً، ولولم يهدده المأمون صراحة بالقتل، لما قبل الامام ذلك. وقد شاع هذا الأمر في كل مكان، والذي كان مفاده أن علي بن موسى الرضا (ع) قد رفض مشروع ولاية العهد، وقبول الخلافة مع شدة اصرار المأمون. ولم يكن عمال الحاشية مطلعين على حقيقة خطة المأمون. لذا أشاع السذج منهم خبر رفض الامام في كل مكان. حتى قد صرح فضل بن سهل في اجتماع يضم موظفي وعمال الحكومة قائلاً: ما رأيت خلافة كانت أضيع منها، أمير المؤمنين يتفصى فيها ويعرضها على علي بن موسى الرضا (ع) وهو يرفضها ويأبى. و كان نفس الامام ينتهز كل فرصة ليوصل إلى الاسماع هنا وهناك، بأن هذا المنصب كان قد فرض عليه فرضاً.

فكان يردد دائماً: «إنني كنت مهدداً بالقتل حتى قبلت ولاية العهد». ومن الطبيعي كان هذا البيان بمثابة أعجب تصريح سياسي. ولذا أصبح مشهوراً تتناقله الأفواه من فم إلى فم، ومن مدينة إلى أخرى. وحتى قد علمت كل الآفاق الاسلامية في تلك الفترة، وربما بعدها هذه الحقيقة، وهي أن شخصاً كالمأمون قد عزله أخوه الأمين من ولاية العهد في ذلك الزمان، ويقوم باشغال فتيل حرب دامت بضع سنوات، وراحت ضحيتها آلاف الاشخاص، من جملتهم أخوه الأمين الذي يقتل بسبب هذه الحرب، و أخذ يطوف برأس أخيه من بلد إلى بلد إطفاءً ل نار غضبه، وينصب شخصاً مثل علي بن موسى الرضا (ع) ينظر إلى ولاية العهد نظرة استخفاف، ولا يقبلها إلاً مكرهاً تحت التهديد بالقتل. فكانت ترسم مقايسة في الاذهان بين الامام

عليّ بن موسى الرضا (ع) والمأمون العباسي، فتنجح صورة واضحة تعكس خلاف ما كان قد أنفق المأمون بسببه الثروة العظيمة.

٣ - قبل عليّ بن موسى الرضا (ع) ولاية العهد بهذا الشرط فقط وهو أنه لا يتدخل في أيّ شأن من شؤون الحكومة، ولا يستشار بحرب ولا صلح، ولا يقوم بعزل ولا نصب، ولا بتدبير أمر من الأمور.

وكان المأمون في بادئ الأمر يظنّ أنه بإمكانه الإيفاء بهذا الشرط. ومن ثمّ يستطيع دفع الامام شيئاً فشيئاً إلى ساحة مهام الخلافة في آخر الأمر. فقبل بهذا الشرط من الامام. وأنّ من الواضح عند تحقق هذا الشرط، تصبح خطة المأمون سراياً. وتكون جلّ أهدافه في خبركان.

حاز الامام في تلك الحالة لقب (وليّ العهد). وكان متمتّعاً قهراً من إمكانيات نظام الخلافة أيضاً. ويوحى بوجهه للرأي بأنه مخالفته لنظام الخلافة، ومعارض عليه، لا يأمر ولا ينهى، لا يفتي ولا يقضي، لا يوليّ ولا يعزل، ولا يغيّر شيئاً ممّا هو قائم، بعيد عن ذلك كلّه.

ومن المسلمّم به أنّ موظفاً في جهاز الحكومة قد ابتعد عن جميع المسؤوليات باختياره وبمحض إرادته، لا يمكن أن يصبح مخلصاً ووفياً لذلك النظام. وكان المأمون يحس بوضوح بهذه الثغرة. ولذا عمل بعد أن أسند ولاية العهد له، على تلافى هذا النقص في محاولات عديدة.

فحاول دفع الامام إلى مهام الخلافة بمختلف الحيل والأساليب، وكفّ الامام عن نضاله السلبي، ولكنّ الامام في كلّ مرّة يحبط خطته بذكاء. وهذا أحد الأمثلة حول ذلك المعنى: وهو أنّ معمر بن خلاد ينقل من شخص الامام الثامن (ع) إنّ المأمون قال للإمام إذا كان بإمكانك أن تكتب شيئاً إلى الأشخاص الذين يطيعونك في المناطق التي تكون أوضاعها مضطربة كي يسكنوا. ولكنّ الامام يرفض ذلك ويذكره بالمعاهدة السابقة،

تلك التي تقضي بعدم التدخّل مطلقاً. وهناك مثال آخر مهم جداً. ومثير للانتباه، وهو حول حادث صلاة العيد. يدعو الامام إلى تولي إقامة صلاة العيد بهذا التذرّع: «ليعرف الناس فضلک، ولتطمئن قلوبهم».

والامام يرفض. وبعد أن يصل المأمون حدًا من الاصرار، يوافق الامام على ذلك، ولكن بهذا الشرط، وهو أنه تودّي الصلاة طبقاً لسيرة النبي (ص) وعليّ بن أبي طالب (ع).

ومع هذا يكسب الامام من هذه الفرصة كذلك، إلى حدّ يجعل المأمون يندم على إصراره، ويرجع الامام من منتصف الطريق إلى الصلاة. وهذا يعني أن المأمون يوجّه صفة أخرى مرغماً على قفا نظامه المنافق.

٤ - يعدّ الاستثمار الرئيسي للامام من هذه الحادثة، والذي يعتبر أهم من تلك هو أنّ قبول الامام بولاية العهد كان بمثابة تقوية مساعد الحركة التي قويت وأصبحت بلانظير خلال تاريخ حياة الاثمة، عقب انتهاء خلافة أهل البيت في عام أربعين الهجري حتّى ذلك اليوم وإلى آخر أدوار الخلافة. ذلك على أثر صعود داعية الامامة الشيعي على الساحة الاسلامية العظيمة، وإزاحة ستار التقيّة السميک، وإيصال إعلان التشييع إلى أسمع كافة المسلمين.

وأصبح منبر الخلافة تحت تصرف الامام، وقد بين الامام بواسطته الافكار التي ما كانت تقال على امتداد فترة المئة والخمسين سنة إلا في الخفاء ومع التقيّة، وإلى الخاصّة والاصحاب المقربين. فأخذ يجهذ بها. وسخر الامكانيات المتيسّره في ذلك الزمان والتي كانت حكراً للخلفاء وأقربائهم من الدرجة الممتازة، فاستفاد بواسطتها بتوصيل الكلمة إلى الاسماع جميعاً. وقد بين أقوى استدلالات الامامة، وذلك من خلال مناظراته (ع) مع جمع من العلماء، وبمحضر المأمون. وكتب رسالة

(جوامع الشريعة) والتي تتضمّن جميع المطالب العقائدية الرئيسية والفقهِ الشيعي إلى فضل بن سهل. وبيّن حديث الامامة المعروف لعبد العزيز بن مسلم في مرو.

وأُنشِدت قصائد كثيرة في مدحه (ع) بمناسبة تنصيبه لولاية العهد، وكان من بينها قصيدتي دعبل، وأبي نؤاس، واللّتان تعدّان من أقوى القصائد العربية قاطبة. ومرّد هذا النجاح يعود للامام (ع). وحينما وصل خبر تنصيب علي بن موسى الرضا لولاية العهد في تلك السنة إلى المدينة المنورة وعلى وجه الاحتمال إلى كثير من الافاق الاسلامية، جرى ذكر فضائل أهل البيت على الألسن، أهل بيت النبي الذين شتموا علناً لمدة سبعين سنة على المنابر، وسنين الاضطهاد الأخرى التي لم يكن يجرأ فيها أحد بذكر فضائلهم على اللسان. والآن يذكرون في كلّ مكان بالعظمة والاحترام. فارتفعت معنوية أصحابهم، وقويت قلوبهم من هذه الحادثة. وعرفوه المغفلون والمنزلون، ومالوا إليه. و أحسّ المتحالفون بالضعف والانكسار. ولم يكن المحذّثون والحفاظ من الشيعة حتّى ذلك الوقت لديهم الجرأة بذكر المعارف إلاّ في الخلوات. أمّا الآن فقد جرت على الألسن في حلقات الدرس الكبيرة، والاجتماعات العامة.

٥ - حينما يختار المؤمنون عزل الامام عن الناس، ويعتبر هذا العزل في النهاية وسيلة لقطع الروابط المعنوية والعاطفية بين الامام والناس، فإنّ الامام يعمل على تقوية روابطه مع الناس في كلّ فرصة ممكنة. وعلى الرغم من أنّ المؤمن كان مخطّطاً لمسير رحلة الامام سلفاً من المدينة حتّى مرو، لئلا يسلك الطريق الذي يؤدّي إلى المدن المعروفة الموالية لأهل البيت مثل الكوفة وقم، إلاّ أنّ الامام انتهز كل فرصة لايجاد علاقات جديدة بينه و بين الناس خلال توجهه المكروه عليه إلى خراسان.

ففي الاهواز أظهر براهين الامامة. وفي البصرة أوجد محبة روحية مع الذين كانوا مبغضين له بالامس. وفي نيسابور ترك حديث سلسلة الذهب كذكرى إلى الأبد. إلى جانب معاجز وقضايا باهرة أخرى أيضاً. وخلال تنقله في هذه الهجرة الطويلة إغتتم فرصة هداية الناس. ففي مروالتي كانت محط رحاله لهذا السفر ومقر الخلافة، فكّ أطواق الحصار التي ضربها الجهاز الحكومي حوله لمنعه من الحضور في النوادي.

٦ - لم يكن سكوت رجالات التشيع مؤيداً من قبل الامام فحسب، وإنما تدلّ الشواهد على أنّ وضع الامام الجديد كان موجّباً لاطمئنانهم. أمّا الثائرون الذين قضوا الكثير من شطر حياتهم بين الجبال الشاهقة الوعرة المسالك، والمناطق النائية بمشقة وضنك، أصبحوا في حمى الامام عليّ بن موسى الرضا(ع)، وعادت اليهم مكانتهم من المجتمع وأصبحوا محل احترام وتقدير رجال الدولة في البلاد المختلفة. فنجد شاعراً متمرداً وهجاءً مثل دعبل... الذي لم يمدح أي خليفة أو وزير أو أمير قط، وكان أيضاً دائم التجوال والتنقل خوفاً من بطشهم، ولم يسلم فرد من أزام الخلافة مصنوعاً من لسانه الحاد، ولهذا السبب بالذات كان يطارد ويشرد عليّ الدوام من قبل أجهزة الخلافة، وظلّ سنين طويلة يحمل أعمدة مشنقته على كتفه، ويعبد المدن والمزارع هائماً هارباً، استطاع التوصل إلى إمامه الكريم ومقتداره، وأنشده أشهر وأبلغ قصائده التي تحوي شكوى النهضة العلوية ضد نظامي الخلافة الاموية والعباسية. وذاع شعره خلال مدة قصيدة في جميع أقطار العالم الاسلامي. بحيث أنه سمع في طريقه عند عودته من لقاء الامام قصيدته تلك من لسان رئيس قطاع الطرق.

و الآن نلقي نظرة أخرى على المجرى الكلي لساحة هذه الحرب الخفية التي ابتكرها المأمون وهياها.

وكان مردّها سحب الامام عليّ بن موسى (ع) إلى ذلك الميدان بالبواعث التي أشرنا إليها. ونوجز أدناه أوضاع السنة التي تلت إعلان ولاية العهد:

لقد منح المأمون من التقديس والحرية والتجليل للامام عليّ بن موسى (ع) الشيء الكثير. وجعله في اختيارات كاملة مع علم الجميع بأنّ ولي العهد هذا مع ما لديه من المقام الرفيع لا يتدخل في أيّ عمل من أعمال الدولة أو الحكومة، ولا يرتبط بكلّ شيء يمتّ بصلة إلى نظام الخلافة وذلك حسب رغبته. والكلّ يعلم بأنّه تقبّل ولاية العهد بذلك الشرط الذي أخذه على نفسه من عدم التدخل في شؤون الدولة. أن الامام عليه السلام يتحلّى بالفضل والتقوى والنسب الرفيع والمقام العلمي المنيع كما أشار إلى هذا بكامله المأمون في نص الدستور الصادر من قبله بولاية العهد، ونص عليه في مناسبات عديدة. وهو الآن موضع الاحترام حتّى في أعين أولئك القلّة من الناس الذين لم يعرفوا عن الامام غير اسمه الكريم، وكذا البعض الذين لم يعرفوه حق معرفته، وحتّى مجموعات من مبغضيه التقليديين على وجه الاحتمال. ويعتبر في نظر هؤلاء أنّه جدير للتعظيم والاجلال، لائق للخلافة، وأحقّ من الخليفة وأعظم سناً وعلماً وتقوى وقرابة مع النبي. ولم يكن المأمون باحضاره الامام عاجزاً من أن يصرف المعارضين الشيعة عنه، أو يميلهم إليه أو يكف أيديهم وألسنتهم الحادة عنه فحسب، بل أصبح حتّى عليّ بن موسى (ع) أساس الامان والاطمئنان وتقوية معنوياتهم أيضاً. ولم يمح من الأذهان اسم علي بن موسى (ع) في المدينة ومكّة وسائر الاقطار الاسلامية المهمة بتهمة الانكباب على الدنيا وحبّ الجاه والمنصب، بل ازداد قدسية ظاهرية وعزّة معنوية. وأصبحت ألسن المادحين طليقة، بعد عشرات السنين بفضل وبركة آباءه المظلومين المعصومين.

و خلاصة القول أنّ المأمون لم يكسب شيئاً من هذه المغامرة الكبيرة، بل العكس هو الصحيح، إذ فقد الشيء الكثير، وما زال الخسران يلاحقه في جميع الجوانب فيصبح صفرا ليدين.

كان المأمون عند ذلك قد أحسّ بالانكسار والخسران، فراح يعمل في جبران خطاه الفاحش، فاستعان بتلك الطريقة بعد انفاق رأس المال كله في نهاية الأمر لأجل المواجهة مع أعداد أنظمة الخلافة غير المهادين. وبعبارة أخرى أصبح متوسلاً بتلك الوسيلة التي اتبعها الاسلاف الظلمة والفجرة، يعني وسيلة الاستشهاد ومن البديهي أنّ قتل الامام الثامن بعد تسّمه هكذا مركزاً حساساً لم يكن بالامر الهين الميسور. وتدلّ الشواهد بأنّ المأمون قد أعدّ ممهّدات عديدة قبل أن يبتّ في قتل الامام. و كان يخيل إليه بأنّ **هذه** أيسر عمل وآخر علاج.

ومن جملة تلك التدابير الممهّدة بثّ الشائعات، وترويج الاقوال الكاذبة ونسبتها إلى الامام، وأشيع في (مرو) ذات مرة بأنّ عليّ بن موسى (ع) يحسب جميع الناس عبيداً له. و كان بالامكان حصر مروجي **هذه** الشائعات في عمال المأمون. و حينما أوصل أبو الصلت هذا الخبر إلى الامام قال: «إلهي إنك باري السموات والأرض، إنك شاهد بأنّي و كذا أيّ من آبائي لم نتفوّه بهذا الكلام قط، و هذا من تلك المصائب التي تصدر من أولئك إلينا». و كذلك إقامة مجالس المناظرة من جملة تلك التدابير أيضاً، إذ كانوا يعدّون أيّ شخص يعقدون عليه خيطاً من الامل بظلمته على الامام. و عند ما أفحم الامام شيوخ العقائد والمذاهب المختلفة في محافل المناظرة في شتى العلوم، ظهرت شهرته العلمية و حجّته القاطعة في كلّ مكان. فاستنفر المأمون كلّ خطيب و متكلم إلى مجلس المناظرة للمناظرة مع الامام. ولعلّ من الامكان أن يكون هناك شخصاً في هذا الجمع

قد أجاب على سؤال من أسئلة الامام. ومن الواضح كلما تستمر مجالس المناظرات تبرز قدرة الامام العلمية اكثر فأكثر، ويزداد المأمون تبعاً لذلك يأساً.

وبناءً على الروايات فإنه قد تعرّض الامام لمحاولة قتل من قبل خدمه وحبّابه مرّة أو مرتين. وألقي في السجن أيضاً مرّة في سرخس. ولكن هذه الجبل لم تنجع أيضاً إلاّ اللهم ترسيخ اعتقاد رجال الحاشية بمقام الامام المعنوي. فأصبح المأمون أكثر عجزاً وغيظاً.

ولم يجد في آخر الامر علاجاً غير ذلك، فقرّر أن يدسّ السمّ للامام بنفسه من دون أية واسطة. وفعلاً أقدم على ذلك. في شهر صفر عام مأتين و ثلاثة من الهجرة، يعني بعد سنتين تقريباً من ترحيله (ع) من المدينة إلى خراسان، وبعد سنة وبضعة أشهر من صدور دستور ولاية العهد باسمه (ع) فقد أقدم المأمون بنفسه على جريمة لا ينساها التاريخ ألا وهي جريمة قتل الامام. كان هذا عرضاً موجزاً لأحد الفصول المهمة من الحياة السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام التي دامت مدة مأتين وخمسين سنة. على أمل أن يهتم المحققون والمفكرون وأصحاب البحوث التاريخية للقرون الاسلامية الأولى بالدراسة والتفسير والتحقيق حول ذلك وبأقصى الجهد.

وتيمناً بذكرى ميلاد هذا الامام العظيم، وفي رحاب النور المعنوي المتشعشع من مرقد المقدس تفتتح الجامعة الاسلامية الرضوية اليوم. ومن الجدير تخصيص جانب من مساعيهم وجهودهم إلى دراسة الجانب السياسي من حياة الأئمة عليهم السلام ليكون درساً ودليلاً ومنازلاً للأجيال. ومن الأفضل أن يكون عملاً جماعياً شاملاً، مع الأخذ بعين الاعتبار العنصر النضالي الذي يعدّ المحور الأصلي للتاريخ السياسي في حياة الأئمة (ع)، ولأجل إنارة الطريق لجيل العالم الاسلامي المعاصر وللأجيال القادمة.

أما في مجال تأسيس هذه الجامعة الاسلامية في هذه البقعة المشرفة، وفي هذا اليوم العظيم مما تعقد عليها الآمال وأتلقاه بالفأل الجميل لهذا المشروع العظيم، وأشكر من أعماق قلبي سادن العتبة الرضوية المقدسة المحترم، الذي ملأ هذا الفراغ بادراكه الخلاق، وقام بها كما كانت تتطلبه همته العالية وأتمنى لطلاب الجامعة مستقبلاً زاهراً مملوءاً بالعلم والتقوى والفضيلة والزهد. وللأساتذة والمدراء التوفيق والسعي والجد والاجتهاد والابداع، واخير الكافة العاملين فيها... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

السيد علي خامنه اي

رئيس الجمهورية الاسلامية الايرانية

ثامن الحجج وعصمة الانبياء عليهم السلام

محمد المحمدى الجيلانى

بسم الله الرحمن الرحيم

أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُخْلِصِينَ وَلَا سِيَّأَ
عَلَى سَيِّدِهِمُ الصَّنْبِيعِ بِعَيْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ
الرَّجْسَ وَظَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً وَاللَّعْنَةَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ.

و بعد فقد دعاني شيخنا العلم المجاهد وكيل الحجة الزعيم الامام الخميني
مدظله العالی وتولية آستان قدس الحاج الشيخ عباس الواعظ الطبسي دامت
بركاته الى التشرف بالمؤتمر العالمی لثامن الحجج عليه السلام المنعقد في العشر
الايوسط من شهر ذيقعدة الحرام عام ١٤٠٤ في الهجرى القمرى على ها جرها
الصلوات بالمشهد الرضوي مشيراً الى بيدسلالة الاطيين سيد الاعلام المحقق الدكتور
السيد جواد المصطفوى دامت افاضاته بأن أهتئى مقالة في بعض الموضوعات
المرتبطة بذاك المؤتمر الخطير، فقمتم بالأمر بحول الله تعالى وقوته فعملت رسالة
في عصمة الرسل والانبيا عليهم السلام من كلّ شين، وان ما نسب اليهم من
النقص فرية و مین مقتبساً من نار آنتها من مناظرات اماننا الرضا عليه آلاف
التحية والثناء مع اهل المقالات والاهواء، فاشتملت الرسالة على مبحثين:
الاول في عصمتهم و الثاني في برائتهم مما قيل فيهم من الشين وقد صدرت كل
مبحثٍ بقبس منها ليكون لى مناراً أهتدى به ولا حول ولا قوة الا بالله.

«المبحث الاول يتم في فصول»

الفصل الاول روى في البحار عن العلل والعيون الصدوق قدس سره
 في علة الفضل عن الرضا عليه السلام : فان قال: فلم وجب عليهم
 معرفة الرسل والاقرار بهم والاذعان لهم بالطاعة؟ قيل: لانه لما لم يكن في
 خلقهم وقواهم ما يكملوا لمصالحهم وكان الصانع متعالياً عن أن يُرى وكان
 ضعفهم وعجزهم عن إدراكه ظاهراً، لم يكن بد من رسول بينه وبينهم معصوم
 يؤدي اليهم أمره ونهيه وأدبه، ويقضهم على ما يكون به احراز منافعهم ودفع
 مضارهم، اذ لم يكن في خلقهم ما يعرفون به ما يحتاجون اليه منافعهم ومضارهم
 فلولم يجب عليهم معرفته وطاعته لم يكن لهم في مجيئ الرسول منفعة ولا سد
 حاجة، ولكان يكون اتيانه عبثاً لغير منفعة ولاصلاح، وليس هذا من صفة
 «الحكيم الذي اتقن كل شيء» بحار الانوار ج ١١ من الطبعة الحديثة للخبر رقم ٤٠ في
 ص ٤٠.

و مصب هذا الخبر وان كان اثبات وجوب معرفة الانبياء والالتقياد لهم و
 لكنه كما ترى قد تصدى لبيان وجوب بعث النبي المعصوم على الله عزوجل، و
 ان النبوة والعصمة توأمان يرتضعان من ثدى البرهان الواحد الذي يكون الحد
 الاوسط فيه: «الحكيم الذي اتقن كل شيء» فالاسم الحكيم قد صار وسطاً
 لكل واحدة من الدعاوى المقامة في ذلك الخبر.

و بيان ذلك انه قد برهن في مباحث التوحيد ان الواجب تعالى بما انه غير
 محدود الذات فله كل كمال وجودي بمعنى ان حيثيته حيثية الوجود المنتزعة
 من الذات المتعالية بلا تقييد ولا تعليل فهو سبحانه وتعالى جامع الصفات
 الكمالية التي هي عين ذاته المقدسة، ومن تلك الصفات العليا واسمائه الحسنی
 انه عليم في مرتبة الذات بما عليه الموجودات من النظام الأتم والخير الأحكم

الصادر عنه عزوجل راضياً به، و يطلق عليه العلم العناني لعنانيته و اعتنائه تعالى بتمامية النظام و اتقان الخيرات كما ان عنایتك ايضاً هو اعتنائك بالفعل الصادر منك المرضي عندك على ان يوجد في غاية الخير و الكمال الممكن.

و من لوازم هذا العلم في مرحلة فعله تعالى وقوع الاشياء على اتم إحكام و اتقان لا يمكن الا تم منه و هذا هي صفة الحكمة و الاسم الحكيم له تعالى في الاسماء الفعلية لا الذاتية.

فن حكمته عزوجل ما نلمسه في هذا العالم المحسوس من ناموس تكميل الانواع و ايصال كل نوع منها الى ما يناسبه من الخير و الغاية، و ذلك بتسنين السنن العينية الوجودية الحاكمة في نظام الكون و كيان المادة فيتوجه بها كل نوع الى وجهة كماله و قبله غايته، « فَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مَوْجِبَةٌ ».

ولولذلك التسنين الوجودي و تلك الهداية التكوينية للزم العبث فان تغريز اى نوع من الانواع بغريزة كمالية و موهبة الامكان الاستعدادي مع فقد الجهاز و الشروط المؤدية الى فعليتها و بروز المستعد لها من اكمام الاستعدادات، يكون تغريزاً باطلاً و موهبة بتراء و ذلك ينافي الحكمة و العناية، و هذا هو القسر و الحرمان الدائم المستحيل على الله تعالى، كما برهن على امتناعه في الفلسفة الاعلى، فكل نوع من الانواع الحقيقية يستقبل منذ نشأته الى الكمال المقدر له و يسير مسير استكمالها في ظل تلك السنن الآخذة بناصية كل مستكمل، « إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » سورة هود الآية ٥٦.

فتأمل في الاشجار فانها لما كانت تحتاج دائماً الى الغذاء ولم يكن لها حركة ارادية تمشي بها في الارض لطلب الغذاء و سد خلتها، ولا لها افواه كافواه الحيوان، جعلت اصولها مركوزة في الارض لتمتص من ثدى الثرى فتؤديه الى الاغصان ثم الى الاوراق و الأثمار، و لِكُلِّ مِنْهَا جُزْءٌ مَقْسُومٌ وَ شَرِبٌ مَعْلُومٌ، لَا يُظْلِمُ وَلَا يُظَلَّمُ، حتى انك ترى الورقة الواحدة في اعلاها مع ما في تلك الورقة من العروق الممتدة المبثوثة فيها، فنها غلاظ قد امتدت طولاً و عرضاً و منها

دقاق متخللة بين تلك الغلاظ قد نسجت معها نسجاً يبهز الناظر، هذه الورقة تأخذ نصيبها مع هذا البعد الشاسع من ثدى الارض بوساطة تلك الاصول والاعضان والاجهزة ، و كل يؤدي امانته التي أوتمن عليها امثالاً لامر التكوين «وَقَدْ عَنَّتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ» طه الآية ١١١.

ثم تأمل في انواع الحيوان، كيف اكتسى الحيوان البيهيمى كسوة الشعر و الوبرو الصوف وغيرها و اكتست الطيور كساء الريش، وترى بعض الدواب قد كساه الله تعالى من الجلد ما هو في غاية الصلابة والقوة كالسحفاة، و بعضها من الريش ما هو كالأستة، و بعضها من الشعر ما هو كالسهام، كل ذلك بحسب حاجاتها في طريق الاستكمال الى الوقاية من الحرو البرد و العدو الذى يريد اذهاها، فتلك الملابس والاسلحة والآلات لا تفارقها، فالجواد المطلق قد «أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى»، سورة طه الآية ٥٠.

فن الضروري ان نوع الانسان و هو اكمل الانواع مشمول لناموس الأستكمال و سننه غير ان سنة التكميل جرت في حقه على شكل مخصوص و ذلك انه حيث كان ممتازاً عن سائر انواع الحيوان بالادراك الفكرى التام والسلاح العلمى الكامل، فهو مستكمل بتوسيط الادراكات الفكرية في جانبي الاعتقاد الحق والعمل الصالح المنتهين الى سعاده الحقيقية و هى ولاية الله تعالى.

فاما الادراكات الفكرية الواقعة في طريق الاعتقاد الحق فهى تصديقات برهانية، مأخوذة من متن الوجود، فالوجود العيني بماله من الشؤون والاحكام مبنى العقائد الحققة.

و اما الادراكات المتوسطة بينه وبين افعاله و اعماله فهى تصديقات وهمية اعتبارية لا واقع لها وراء الذهن و ظرف الاعتبار و هى السبب لانتشاء الارادة نحو الفعل بعد الازعان بكونه خيراً و كمالاً.

ثم من الضروري ايضاً ان هذا النوع لكثرة احتياجاته و اعماله المحتاج

اليها في تقويم حياته و ترميم معيشتة ونيل كماله - وهو عاجز عن سدها منفرداً فَإِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ ضَعِيفاً - اضطرالى الاجتماع و التعاون مع ابناء نوعه بان يعمل الكل للكل فينتفع كل من عمل الغير بما ينتفع ذاك الغير من عمله فيتسخر كلٌ لغيره بمقدار ما يسخره والى ذلك يلمح قوله تعالى: «نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا» سورة الزخرف الآية ٣٢.

وهذه الحياة المحمولة على كاهل الاجتماع و التعاون لا تستقيم الا بالقوانين المحددة لوظائف الكل و حقوقهم و ما لهم وما عليهم، و تلك القوانين هى قضايا كلية تقدر اعمال الافراد على اختلافها فهى اى تلك القوانين كالقوالب المفروغ فيها ووظائف الاشخاص و المسبوك فيها جميع معاملاتهم و روابطهم الاجتماعية. و حيث كانت الغاية الاخيرة لسير الانسان هو ولاية الله تعالى فلا مناص من توظيف ووظائف خشوع الجوارح و خضوع البدن، بعد تلقى المعارف الحقة و العقائد الصادقة من معرفة الله تعالى باسمائه الحسنى و صفاته العليا و ما تقتضيانه فى البدء و الرجوع، فان ذلك يوجب عروج الروح و توجه القلب الى جنباه، و تلك الوظائف هى المسماة بالاحكام العبادية.

فالانسان فى سيره الى سعاده، لامناص له من الاعتناق بتلك العلوم من القوانين الاجتماعية و الاحكام العبادية و المعارف الحقة المتعلقة بالبدء و المعاد، و تلك العلوم و المعارف هى الاوساط بينه و بين كماله الاخير و هى الاسباب المؤدية الى ولاية الله تعالى و لقائه، قبلاً للجهازات الغريزية و القوى الطبيعية الموهوبة لسائر الانواع المؤدية الى غاياتها، و من البديهي ان الامور الخارجية و الموجودات العينية لا تحتمل الخطأ و الغلط لان الخطأ و الغلط و الصدق و الكذب من شؤون الامور التصديقية و القضايا الفكرية من حيث الانطباق على الخارج و عدمه، فعلى هذا، لاجمال لتطرق الخطأ و الغلط فى صراط استكمال ذوات الغرائز و القوى الطبيعية، و اما صراط استكمال نوع الانسان فى معرض

الخطأ والغلط والضلال لما عرفت ان قوام استكمالها بالعلوم والمعارف وهى امور فكرية تصديقية قابلة لاحتمال الخطأ والغلط المتبعين للضلال عن الصراط المستقيم والحرمان عن الغاية، وذلك ينافى عنايته تعالى وحكمته فوجب فى حكمته تعالى ان يبعث النبيين مبشرين ومنذرين وينزل معهم الكتاب بالحق فى جانبى العلم والعمل، بحيث لا يتطرق فيه احتمال الخطأ والغلط والا لم يتم ناموس التكميل فى حق اشرف الانواع، وذلك يؤدى الى العبث الممتنع على الله تعالى، وليس هذا من صفة الحكيم الذى اتقن كل شيء، كما صرح به عيبة علم الله عزوجل مولانا الرضا عليه وعلى آبائه وبنائه المعصومين افضل الصلوات والثناء.

فتبين من ذلك ان وجوب بعثة الانبياء ووجوب عصمتهم صلوات الله عليهم توامان يرتضعان من لب البرهان الواحد فالبرهان على الاول هو البرهان بنفسه على الثانى، وهذا معنا كون الدين فطرياً اى مجموع معارف واحكام يرشد اليها النظر فى وجود الانسان وفطرته بما له من الارتباط بالمبدء والمعاد، فيجب ان تتلقى من طريق النبوة والوحى لامن غيرها لعدم التضمين فى غيرها على ما بسطنا القول فيه، فالصراط المستقيم الوحيد هو صراط النبوة المضمون عصمته بمقتضى العناية والحكمة فافهم واغتم.

ومنه تبين ايضاً ان النبوة هى علم وادراك فوق العلوم العقلية نظرية او عملية، وقد افصح عنه القرآن الكريم فى شأن خاتم النبيين عليه وعليهم السلام بقوله فى اول سورة الزخرف: «وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ، اِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، وَانَّهُ فى اُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لِعَلَىٰ حَكِيمٌ».

فانه ظاهر فى انه تعالى جعل الكتاب المبين الذى فيه جميع العلوم الجزئية ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فيه، مقرأً عربياً ليعقله الناس، والافانه فى ام الكتاب عندالله كان عالياً لاتناله العقول وحكيماً ذاوجود جمعى مصوناً عن التفريق والتفصيل، وانما يناله الانسان الاستثنائى الطاهر

الذات بعد استوائه على ذروة الافق الاعلى ثم بالدنو والتدلى حتى يتم دائرة الوجود نزولاً و صعوداً و يتمكن في ورائها فعندئذ «فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ» سورة النجم الآية ١٠، وهو التعليم المرموز المسمى بالوحي.

ثم ليعلم ان هذه احدى خواص النبوة و لها خواص اخرى و ما ذكرناه هو اظهر الخواص، فان هوى عالم الطبيعة و صورها منقادة للنبي عليه السلام خلعاً و لبساً باذن الله تعالى، كانقياد البدن وآلاته و قواه للنفس فيبدل عنصر الهواء الى الماء فيحدث طوفاً فيلتقى الماء على امر قد قدر، فيبرء الاكمه و الأبرص و يخلق من الطين طيراً و ينشق القمر باشارته الى غير ذلك من خرق العادة باذن الله و لاحول و لا قوة الا بالله.

و ينبغي التنبيه على ان ما سبق من البيان في وجوب ارسال النبي المعصوم و انه متمم ناموس الاستكمال في البشر انما هو مقتضى البرهان العقلي الذي كان الوسط فيه اسم الله الحكيم أرشدنا اليه مولينا الرضا عليه السلام على ما قررنا و اما القرآن فالآيات الدالة منه على المطلوب كثيرة جداً فمنها قوله تعالى: «رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا» سورة نساء الآية ١٦٥.

و هذا كما ترى يقرر بان من اقتضاء حكمته تعالى ارسال الرسل الى الناس لقطع احتجاجهم و اعتذارهم بمثل الجهل و الارتياب عند ارادة المواجهة و التعذيب، و انه سبحانه عزيز اى غالب لا يغلب في انفاذ ما اقتضته حكمته، و لا يخفى ان قطع الحجة عنهم انما يتم مع فرض عدم صدور اى ضلال و خطأ من هؤلاء الرسل عليهم السلام، و الا فللناس ان يعتذروا و يحتجوا عند محاسبة الله اياهم، بصدور ضلال ما من الرسل على عدم لياقتهم في تمامية الحجة، فالحجية و قاطعية العذر بارسالهم انما تتم مع انتفاء كل ما يصلح للاعتذار و الحجاج و اللجاج من قبل الناس، فاذا لامناص من عصمتهم عليهم السلام في اتمام الحجة و قطع العذر.

فع الإمامان والتدبر في هذه الآية، لا يبعد دعوى استفادة عصمتهم عليهم السلام منها مدى حياتهم منذ نشأتهم الإجتماعية وبلوغهم مستوى المسؤولية الى ارتحالهم الى جوار الله عزوجل، ويؤيده بل يدل عليه قوله تعالى: «وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ يَمِينِكُمْ إِذَا لَزْتُمْهُ الْمُبْتَطُونَ» سورة العنكبوت الآية ٤٩.

حيث عد الارتباب في الكتاب الذي جاء به المعهود بالتلاوة والكتابة واقعاً في محله فالمعروف بالقراءة والكتابة عند الناس اذا جاء بكتاب يدعى انه من عند الله عزوجل لو اتهم في دعواه هذه، بانه من اختلافه وتلقيقه من زبر الأولين وكتب الماضين، لوقع ذاك الاتهام في موقعه والارتباب في موضعه، ولعمرك هذا يدل دلالة واضحة على ان الرسل القائمين بامر استكمال البشر، مبرؤن في كل ما يصلح الارتباب في شأنهم و مبعدون عن كل نقص وشين، ولا ريب ان الانسان المعهود منه الخطاء والعصيان في مظنة الارتباب ومورد السؤال بحكم التعاهد فجعله تحت السؤال و مورد الارتباب واقع موقعه فلا يكون حجة قاطعة للعذر فبالمالك لا يصلح لان يكون اسوة للناس ومطاعاً على نحو الاطلاق في كل ما من شأنه ان يطاع فيه من الاقوال والافعال كما هو شأن الرسول من الله فانه تعالى يقول: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ» سورة النساء الآية ٦٣.

فجعل الرسول مطاعاً مع حذف متعلق الاطاعة ليذهب ذهن السامع كل مذهب ممكن في اطاعته ويقرب منه قوله عزوجل:

«لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» سورة الأحزاب الآية ٢١،

حيث حذف متعلق التأسى روماً للاطلاق والاتساع، فان تصاب فاقد الصلاح للأسوية المطلقة والمطاعية بلا قيد في صراط التكميل، لا يليق بالعزير الحكيم، فالحجة انما تتم مع انتفاء اى ريب ممكن في حقهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين.

«لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْتِي وَيَخْيِي مَنْ حَيَّ عَن بَيْتِي» سورة الأنفال

الآية ٤٢.

فلعلك قد تظننت ان محمداً قول الرضا عليه السلام:

«وَلَيْسَ هَذَا مِنْ صِفَةِ الْحَكِيمِ الَّذِي اتَّقَنَ كُلَّ شَيْءٍ» في البرهان

المذكور، هي الآية ١٦٥ من سورة النساء، التي فرغنا عن بحثها، فان الثقلين الخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وآله لن يفرقا حتى يردا عليه الحوض كما تواتر عن الفريقين انه صلى الله عليه وآله قال في خطبته بعد رجوعه من حجة الوداع بغدير خم من الجحفة: «فَانظُرُوا كَيْفَ تُخَلَّفُونِي فِي الثَّقَلَيْنِ - اى ان قال :- وَ اَنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ نَبَّأَنِي اَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَسَأَلْتُ ذَلِكَ لَهُمَا رَبِّي»، فالعترة وهم احد الثقلين لا يفترق عن الكتاب كما ان الكتاب وهو الثقل الآخر لا يفترق عنه.

الفصل الثاني: قد تبين من الفصل الماضي بالبرهان اللمى - وهو توسيط الحكمة - وان وجوب ارسال النبي المعصوم وانزال الكتب والموازن معهم، من اغصان ستة تكميل الانواع، وان ذلك يقتضي عصمتهم عليهم السلام من كل ما يندس قدس ساحتهم ويجعلهم في معرض التهمة والسؤال، وبعبارة اخرى، ان قضية البرهان المذكور، هو اتساع عصمتهم على حذو النظام الاتم الجارى في ستة التكميل وهداية كل نوع الى كماله وهذا كما ترى، يقتضي اتساع عصمتهم في شتى الجهات فيمتنع ان يكون النبي رجلاً تزدره عين الناس و تشمئز منه القلوب لما به من رعونة الاخلاق، او صغر النفس اودناء الهمة او الفظاظة و غلظة القلب او اتهام النسب او تشويه المنظر الى غيرها من المنقرات، فان هذا المهان المردول المنفور كيف يستطيع ان يكون مطاعاً مطلقاً في الاعمال و اسوة في مكارم الاخلاق واماماً يهدى الناس الى صراط الله العزيز الحميد، و الفطرة السليمة و القلوب المستقيمة تأبى ان تنقاد لمثله في الامور العرفية المتسامح فيها، فضلا عن المعارف الالهية والاحكام العبادية

والآداب والاخلاق الكريمة وتدبر فيها رواه الفريقان في ذيل قوله تعالى:
**«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا
 قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا»** سورة الاحزاب الآية ٦٩.

ففي صحيح القمي ره عن أبي بصير عن ابي عبدالله عليه السلام:
**«انَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا يَقُولُونَ: لَيْسَ لِمُوسَىٰ مَا لِلرِّجَالِ وَكَانَ
 مُوسَىٰ إِذَا أَرَادَ الْإِغْتِسَالَ ذَهَبَ إِلَىٰ مَوْضِعٍ لِإِبْرَاهِيمَ فِيهِ أَحَدٌ، فَكَانَ يَوْمًا
 يَغْتَسِلُ عَلَىٰ شَطِّ نَهْرٍ وَقَدْ وَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَىٰ صَخْرَةٍ فَأَمَرَ اللَّهُ الصَّخْرَةَ
 فَتَبَاعَدَتْ عَنْهُ حَتَّىٰ نَظَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَيْهِ فَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ كَمَا قَالُوا
 فَأَنْزَلَ اللَّهُ:**

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا» تفسير القمي ذيل الآية.

ونقل ابوالفداء ابن كثير في تفسيره عن البخارى و احمد وكذا الطبري في
 تفسيره رواية طويلة فيما أودى به موسى عليه السلام ففيها الشاهد المعروف
«تَوَوَّى حَجْرٌ تَوَوَّى حَجْرٌ» في حذف حرف النداء اذا كان المنادى اسم الجنس
 المعين فمن اراد الاطلاع عليها فليراجع الى تفسير ابى الفداء ج ٣ ص ٥٣٠ و
 تفسير الطبرى ذيل الآية.

وتبين منه ايضاً ان احكام الشريعة والسنن الدينية وان كانت اموراً
 وضعية اعتبارية لا واقعية لها الا في ظرف الاعتبار الا انها بما هي اوساط تقود
 بمعنتها الى كماله الحقيقى وسعادته الواقعية فتُسَرَّ نظاماً وجودياً وتغطى سيراً
 حثيثاً بالانسان الى وجهته وسعادته التى هى خير له وابقى، وان تولى عنها ولم
 يساعده التوفيق بالعمل والاعتناق بها فقد ظلم نفسه و سيصلى ناراً كبرى ثم
 لا يموت فيها ولا يحيى.

فتلك المواد الدينية باطنها فيه الرحمة والسير الحقيقى وان كان ظاهرها من
 قبله الوضع والاعتبار فتلها كمثل الرياضة التى يضعها المرئى الحكيم للصبي
 ليروض بذلك بدنه و يشخذه ذهنه فيستكمل بها جسماً و ذهناً، فالرياضة

الموضوعة في ظاهرها لعب في منظر الصبي واما من جانب الولي فهو عمل جدى يستبطن سيراً حقيقياً بالصبي الى كماله روحاً و جسماً ليس من اللعب في شيء، فالشريعة الالهية تجعل المقامات و السعادات الموجودة وراء هذه النشأة مترتبة على الاعتناق والعمل بتلك الاحكام و مرتبطة بها والربط الحقيقى بين الشيين لا يكاد يتحقق الا بالاتحاد و حيث ان المقامات و السعادات امورٌ حقيقية خارجية فالربط انما هو بينها و بين الحقايق التى تحت ستار هذه الامور الاعتبارية لانفسها فتدبر.

و تبين منه ايضاً ان التكليف الالهى ضرب على الانسان ضربة لازم لا يجوز ان يفارقه في حكمة الله تعالى مادام في النشأة الاولى و ان بلغ في اعلى ذروة الكمال بل هو به الصق من غيره، فان الكامل المتكامل في جانبي العلم و العمل بماله ملكات قوية في الجانبين فصدور الاعمال عبادة كانت او معاملة يكون منه اسهل واما غير الكامل فحاله ظاهر معلوم.

الفصل الثالث، يجب ان يعلم ان معنا وجوب كون النبي معصوماً ليس كونه عليه السلام مقهوراً على الصلوات والطاعة، و ممتنعاً عليه الخطاء والمعصية، بل ادخاله لعلمه و ارادته في افعاله فتكون افعاله خارجة عن اختياره، فان ذلك باطلٌ بالضرورة و هو صلوات الله عليه بشرٌ مثلنا و يستكمل من طريق ارادته و اختياره، بل حقيقة العصمة ليست الا العلم الراسخ، و تقريره اجمالاً ان الافعال الاختيارية الصادرة منا تختلف سهولة و صعوبة فمنها ما يصدر بسهولة اذا وافق خلقاً و منها ما يصدر بصعوبة اذا خالفه خلقٌ او لم يكن مصدره خلقاً من سنخه، والسبب الوحيد فيه هو قوة العلم وضعفه و رسوخه في نفس الفاعل و عدم استقراره فيها، فان الفاعل المختار لا ينقطع عن الفعل الذى بيده الا بانقطاع الارادة مع فرض وجود الشروط الاخر من صلاحية الآلة و قابلية المادة المتعلقة بفعله، و الارادة لا تسقط الا بعد سقوط العلم الذى كان مبدأ لها و العلم الذى هو المبدء، هو العلم بكون ذلك الفعل واجباً مطلقاً فاذا رسخ مثل

هذا العلم في مورد العبودية بامتثال الأوامر الإلهية والتجنب عن نواهيه بمعنى رسوخ العلم بوجوب الجرى على هذه الوتيرة لم يصدر عن مثل هذا الانسان الا الطاعة والانقياد. هذا وان الانبياء و الرسل صلوات الله عليهم هم الذين يبس الشيطان لعنه الله من اغوائهم قال عز وجل حكاية عنه حين رُجم وأنظر:

«قَالَ قَبِّعْتُكَ لِأُغْوِيَتَهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ»

سورة ص الآية ٨٢.

و هذا اعتراف منه بالعجز عن اغواء هؤلاء الذين اخلصهم الله لنفسه وادخلهم في ولايته فهم مستغرقون فيه عزوجل و فانون فيه فلا يرون ابليس و ذريته فلا تبلغهم وسوسته وليس لهم غاية فعلاً و اسماً او ذاتاً الا الله تبارك و تعالى و هذا هو الفناء الذي يرتفع به موضوع الوسوسة و هو الانانية و الغفلة عن ذكر الله تعالى و اليه يشير قوله صلى الله عليه و آله المحكى :

«إِنَّ شَيْطَانِي أَسْلَمَ عَلَيَّ يَدَيَّ وَ فِي رَاوِيَةٍ قَتَلْتُهُ» فان ذاته الخبيثة قائمة بالانانية التي تقابل الذات الانسانية النورية الفانية و هو السرفى عدم سجدته لآدم، و قد ورد في الخبر: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ قَالَ: أَنَا إِبْلِيسُ وَ أَنَّهُ إِنَّمَا اسْتَحَقَّ بِذَلِكَ اللَّعْنَ» كما ان اللعين هو اول من قاس. فله و لذريته و قبيله مبدئية للشرور و المعاصي، لان المعصية لا تتحقق الا بانانية من المأمور بالنسبة الى ذات الأمر بوجه ما، و الانانية كما عرفت خلاف الفناء الذي هو قوام الطاعة و الانقياد.

فالتخلص منه لعنة الله عليه (و هو منبع الانانية) لا يتحقق الا بالفناء، و الفناء التام ينتج العصمة و الوقوف على مجرى الفيوضات الجارية الى مادون مرتبة الفناء، فالخلصون الفانون في الحق لا تنالهم ايدى وسوسة ابليس و قبيله فلذلك اعترف بالعجز عن اغوائهم و الى ذلك يؤمى الحديث القدسي: «أَوْلِيَايَ تَحْتَ قِبَابِي، أَوْرِدَائِي».

فتلك القباب هي مجارى الفيوضات الجارية فتستمد منها الملائكة و

الشياطين و الأناسى و كل من فى الارض بل الارض و السماوات و ما فىهن ، فسالت اودية بقدرها ، و اذا كان الامر على هذا المنوال ، فياسه لعنة الله عليه من اغوائهم صلوات الله عليهم لتبؤهم تلك القباب فيقصر باع الرجيم عن نيلها ، ولولا ضيق المجال لاطلت الكلام ، ولكن فيما ذكرنا لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع و هو شهيد ، والله سبحانه هو الموفق والمستعان فالحمد لله .

«المبحث الثانى»

فى براءتهم مما نسب اليهم من الشين و هو أيضاًيم فى فصول

الفصل الاول: روى فى البحار عن امالى شيخنا الصدوق قده: «الهمداني عن على بن ابراهيم عن القاسم بن محمد البرمكى عن ابي الصلت الهروى ، قال: لَمَّا جَمَعَ الْمَأْمُونُ لِعَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَهْلَ الْمَقَالَاتِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَالذِّيَانَاتِ مِنَ الْيَهُودِ وَ النَّصَارَى وَ الْمَجُوسِ وَ الصَّابِئِينَ وَ سَائِرِ أَهْلِ الْمَقَالَاتِ فَلَمْ يَقْمِ أَحَدٌ إِلَّا وَ قَدْ الزَمَ حِجَّتَهُ كَانَهُ قَدْ أَلْقَمَ حِجْرًا ، فقام اليه على بن محمد بن الجهم فقال له: يا بن رسول الله اتقول بعصمة الانبياء؟ قال: بلى، قال: فا تعمل فى قول الله عزوجل: «وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى» و قوله عزوجل: «وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ» .

و قوله فى يوسف: «وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا» .

و قوله عزوجل فى داود: «وَوَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ» و قوله فى نبى محمد

صلى الله عليه و آله :

«وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ» ؟ .

فَقَالَ مَوْلَانَا الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَيَحَكَ يَا عَلِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَنْسِبْ إِلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ الْفَوَاحِشَ وَلَا تَتَأَوَّلْ كِتَابَ اللَّهِ بِرَأْيِكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ

يَقُولُ: «وَمَا يَتْلُمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» أما قوله عزوجل في آدم عليه السلام: «وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى» فان الله عزوجل خلق آدم في حجة في ارضه و خليفه في بلاده، لم يخلقه للجنة، و كانت المعصية من آدم في الجنة لا في الارض لتتم مقادير أمر الله عزوجل، فلما أهبط الى الارض وجعل حجة و خليفه عصم بقوله عزوجل: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ». و اما قوله عزوجل: «وَذَا التَّوْنِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ» انما ظن ان الله عزوجل لا يضيق عليه رزقه الا تسمع قول الله عزوجل: «وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ»؟ اى ضيق عليه، ولو ظن ان الله لا يقدر عليه لكان قد كفر.

و اما قوله عزوجل في يوسف: «وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا» فانما همت بالمعصية و هم يوسف بقتلها ان اجبرته لعظم ما داخله، فصرف الله عنه قتلها و الفاحشة، و هو قوله: «كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ» يعنى القتل والفحشاء يعنى الزنا.

و اما داود فما يقول من قبلكم فيه؟ فقال على بن الجهم: يقولون: ان داود كان في محرابه يصلى اذ تصور له ابليس على صورة طير احسن مايكون من الطيور، فقطع صلاته و قام ليأخذ الطير فخرج الى الدار، فخرج في اثره، فطار الطير الى السطح فصعد في طلبه فسقط الطير في دار اوريا بن حنان، فاطلع داود في اثر الطير فاذا بامرأة اوريا تغتسل، فلما نظر اليها هواها، و كان اوريا قد اخرجها في بعض غزواته، فكتب الى صاحبه ان قدم اوريا امام الحرب، فقدم، فظفر اوريا بالمشركين، فصعب ذلك على داود، فكتب الثانية ان قدمه امام التابوت فقتل اوريا رحمة الله و تزوج داود بامرأته، فضرب الرضا عليه السلام بيده على جبهته، و قال: انا الله و انا اليه راجعون، لقد نسبتم نبياً من انبياء الله الى التهاون بصلاته حتى خرج في اثر الطير، ثم بالفاحشة، ثم بالقتل فقال: يا بن رسول الله فما كانت خطيئته؟ فقال: و يحك ان داود انما ظن ان ما خلق الله

عزوجل خلقا هو اعلم منه، فبعث الله عزوجل اليه الملكين فتسورا المحراب فقالا: «خَضْمَانِ بَعِي بَعْضُنَا عَلَيَّ بَعْضُ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِظْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ، إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ» فعجل داود على المدعى عليه، فقال: «لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجْتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ» فلم يسأل المدعى البينة على ذلك، ولم يقبل على المدعى عليه فيقول: ما تقول؟ فكان هذا خطيئة حكمه، لاما ذهبتم اليه، الا تسمع قول الله عزوجل يقول: «يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ» الى آخر الآية، فقلت: يابن رسول الله فاقصته مع أوريا؟ فقال الرضا عليه السلام ان المرأة في ايام داود كانت اذا مات بعلها او قتل لا تتزوج بعده ابدأ، واول من اباح الله عزوجل له ان يتزوج بامرأة قتل بعلها، داود فذلك الذي شق على اوريا.

واما محمد نبيه صلى الله عليه وآله وقول الله عزوجل له:

«وَتَخَفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ»

فان الله عزوجل عرف نبيه اسماء ازواجه في دار الدنيا و اسماء ازواجه في الآخرة، وانهن امهات المؤمنين، واحد من سمى له زينب بنت جحش وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة، فاخفى صلى الله عليه وآله اسمها ولم يبده لكيلا يقول احد من المنافقين: انه قال في امرأة في بيت رجل: انها احد ازواجه من امهات المؤمنين، و خشى قول المنافقين، قال الله عزوجل: «وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ» في نفسك، وان الله عزوجل ما تولى تزويج احد من خلقه الا تزويج حواء من آدم، وزينب من رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة من علي عليه السلام قال: فبكى على بن الجهم وقال: يابن رسول الله، انا تائب الى الله عزوجل ان انطق في انبياء الله عزوجل بعد يومى هذا الا بما ذكرته، ج ١١ ص ٧٢ رقم الخبر.

اقول: ان كل سعادة بمعناها الواقعي استسعد بها العالم انما كانت بواسطة

الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين، فلولاهم لم يكن هذا النوع ليهتدى الى كماله، فهولاء العظام، هم مصابيح الهدى و الموازين القسط فعلى اقوالهم و اعمالهم و اخلاقهم توزن الاقوال الحقة والاعمال الصالحة والاخلاق المرضية و كلمهم متحدة في ذات الحق وصفاته و افعاله، و في الحشر و النشر و نعيم الجنة و عذاب الجحيم بطريق الخلود و التأبيد، و في نفي عبادة غير الله و اجتناب الطاغوت، و نفي الندو الشريك عنه تعالى، و منع الناس ان يتخذ بعضهم بعضاً ارباباً من دون الله و في الاجهار بان انفسهم انما هي بشر مثلهم الا انه يوحى اليهم.

ولاريب في ان تلك الرسل مع اشتراكهم في اصل النبوة و الرسالة، قد فضل الله بعضهم على بعض كما قال الله تعالى:

«تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ» سورة البقرة آية ٢٥٣ و قال عز

اسمه:

«وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ» الاسراء آية ٥٥ و افضلهم هو

خاتمهم نبينا محمد صلى الله عليه و آله و عليهم اجمعين، الذى هو اكثرهم اتباعاً يوم القيمة و هو اول شافع مشفع و اول من يقرع باب الجنة فيفتح له و هو حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فن دونه و هو صاحب المقام المحمود و هو القائل: نحن الآخرون، و نحن السابقون يوم القيامة، و انى قائل قولاً و لافخر، انا حبيب الله و انا قائد المرسلين و لافخر، و انا خاتم النبيين و لافخر، و انا اول الناس خروجاً اذا بعثوا و انا قائدهم اذا وفدوا و انا خطيبهم اذا انصتوا و انا مستشفعهم اذا حسبوا و انا مبشرهم اذا ايسوا الكرامة و المفاتيح يومئذ بيدي و لواء الحمد يومئذ بيدي و انا اكرم ولد آدم على ربي، و اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين و خطيبهم و صاحب شفاعتهم غير فخر، و كنت نبياً و آدم ابى بين الماء و الطين، و قد جعل الله عزوجل ملته صراطاً مستقيماً فامر باتباعها بلا قيد و جعل ماسواها سبلاً نهى عن اتباعها فقال:

«وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ

سَبِيلِهِ» سورة الأنعام آية ١٥٣ الى غيرها من الآيات والروايات في شأنه صلى الله عليه وآله.

و كيف كان، فلا يرتاب سليم الفطرة عن رجس الآفات و سقم العاهات في انهم صلوات الله عليهم مطهرون عن كل عيب و شين و انه يتمتع في عنايته الازلية ان يختار للرسالة والامامة رجلاً تزدريه الاعين و تستحقره النفوس، و ترتاب فيه القلوب لما به من مهانة النفس و رعونة الخلق و معهودية الفسق و الجنفس و الجفاء و الله سبحانه اعلم حيث يجعل رسالته و يختار ما كان لهم الخيرة.

و اما المنزوغ بنزغة الشيطان، المرور الذوق، فرما يتذوق حَلَى اعمالهم و آدابهم عليهم السلام فيجده بمقتضى ذوقه الصفراوى مريراً فيستبشعه و ينسب الشين اليهم «والعياذ بالله» و هو لا يدري ان اصل تلك المرارة والبشاعة ادراكه المثوف ولو عرف المسكين و كان ذانصة لعلم ان المنسوب اليه الشين هو نفسه، لا غير.

و من أجل ذلك قد تصدى الائمة اهل البيت عليهم السلام لدفع تلك الشبهات و تبعهم علماء الاسلام و لاسيا اصحابنا الإمامية رضى الله تعالى عنهم اجمعين، فلعل اول من صتف في هذا الباب هو مولانا ذوالمجددين الشريف المرتضى علم الهدى قدس سره و اجزل تشريفه، و قد سمي هذا الاثر الشريف بتتزيه الانبياء، جزاه الله عنهم احسن الجزاء، فقلده في ذلك بعض اعلام القوم.

الفصل الثاني: فالحرى اذا عطف عنان البحث على دفع ما تمسك به المبطلون من الآيات على نسبته النقص و الشين الى ساحة هؤلاء الصفوة صلوات الله عليهم اجمعين، و نعوذ بالله من المجونة و الحماقة، و تقتصر فيه على الآيات المتمسك بها في نسبته الشين الى خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله وسلم اتباعاً لما علمنا امامنا الرضا عليه السلام في الحديث المزبور من طريق التحليل

وتبيين المغالطة، وتلك الآيات على طوائف اربع:
 الطائفة الأولى، هي الآيات المناسبة للذنب الى رسول الله صلى الله عليه و
 آله.

الطائفة الثانية، هي الآيات الظاهرة في العتاب والاعتراض عليه صلى
 الله عليه وآله.

الطائفة الثالثة، هي الآيات الموهمة للشين على سبيل خطاب العين.
 الطائفة الرابعة، الآيات المفتري عليها في نسبة الشين اليه صلى الله عليه وآله.
 اما الطائفة الاولى، فهي ثلاث آيات احديها قوله تعالى في سورة الغافر
 الآية ٥٥: «فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ». و
 ثانيها في سورة محمد قوله عزوجل «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ
 لِذَنْبِكَ» الآية ١٩.

وثالثها قوله تقدست اسمائه في سورة الفتح: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا
 لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ».

قال الراغب في المفردات: «الذَّنْبُ في الاصل الاخذ بذنب الشيء،
 يقال: ذَنَّبْتُهُ: أَصَبْتُ ذَنْبَهُ، ويستعمل في كل فعل يُسْتَوْخَمُ عقباه اعتباراً بذنب
 الشيء ولهذا يسمى الذنب تبعاً اعتباراً لما يحصل من عاقبته» انتهى من كلامه
 ما يرتبط بالمقام.

وحاصله ان الذَّنْبُ يستعمل في كل فعل له عاقبة غير مرضية لما يترتب
 عليه من النكال و الجزاء وضعاً او تكويناً، فباعبار ذنابة الجزاء سمي الفعل
 ذَنْباً.

ثم لا يخفى على البصير ان الذنب بمعناه المذكور يمكن ان يقع باعتبارات
 مختلفة و ظروف متفاوتة، فله في كل واحد منها محاسبة غير ما للآخر، وذلك
 مثل الظرف الاجتماعي والاخلاقي وغيرهما فيكون للذنب حسب الظروف
 والاعتبارات اقسام واليك اجمالها:

فمنها الذنب القانوني، وذلك ان الانسان بما ان بقائه يتوقف على العيشة الاجتماعية، و التعاون مع أبناء نوعه فلامنص له من قوانين و ضعية تعيش افراده في حمايتها كما سبق منا وحيث ان تلك القوانين مصبها الافعال الاختيارية، فلوسع كل انسان ان يخالفها، فهذه النقيصة الملموسة في هيكل القوانين اوجبت وضع القوانين الجزائية ليتم بذلك نقصانها.

ثم من البيّن انه لامنص من المماثلة بين الذنب و جزائه و ان جزاء سيئة سيئة مثلها ولوتقريباً، ولازم ذلك عود الجزاء الى نفس المتمرّد عن القانون بمثل ما عمل به فرما يجزى بالتوبيخ و الذمّ و ربما بالسجن و الضرب مع ما لها من المراتب و ربما ينكلّ به من القطع و القتل و قد يعاقب بالعقوبة المالية.

فالذنب في ظرف القوانين الموضوعة هو التمرّد عنها فتتسبب الذنوب حسب القوانين الموضوعة و لكل ذنب قانوني لا بد له في مستوى الاجتماع من جزاء قانوني يماثله.

ومنها الذنب الاخلاقي، فان كرائم الاخلاق مثل الصداقة والسخاوة و العدالة و ما الى ذلك مع ما لكل واحدة منها من الاغصان والاثمار و ان كانت اوصافاً نفسانية لاضامن لإجرائها في ظرف العمل لكونها ملكات غير اختيارية الاّ أنّها حيث تتحقق بتكرار العمل بالاحكام المناسبة لكل منها فتكون اختيارية باختيارية مقدماتها و هي تكرير العمل، فهناك أوامر عقلية متعلقة بتلك الفضائل ونواه عقلية رادعة عن مقابلاتها من الرذائل، و حقيقة امر العقل بالفضائل هو ادراكه التلازم بين الاعمال الواجبة المؤدية الى تلك الفضائل و بين نفس تلك الفضائل و بهذا القياس تعرف حقيقة نهى العقل الرادع عن الرذائل و بالجملة يحكم العقل بذنب من تمرّد عن هذين البعث و الزجر و يعدّ المتمرّد مذنباً في حوزة القوانين الاخلاقية و يقرر له نوعاً من المواخذة المشاكلة لذنبه هذا؟.

ومنها الذنب الأدبي، فان الهياة الصالحة الطارية على العمل المشروع ديناً

او خلقا او اجتماعاً المسماة بالأدب تختلف حسب اختلاف معرفة العاملين، فالعامي البدوي ربما يأتي بمشروعه على هيئة هي حسنة في ظرف معرفته وبيئته و لكن نفس هذا العمل المأتي على تلك الهيئة في حوزة من هو الطف معرفة لا تعد من الاعمال المكسوة بكساء الادب بحيث لو اتي هو نفس العمل بمثل الهيئة لعد مذنباً سيئ الادب في حوزته ومستوى عشرته فلننسم هذا الذنب ذنباً أدبياً، ومن البين ان للذنب الادبي عرضاً عريضاً حسب اختلاف درجات المعرفة والعادات والرسوم وبهذا التقرير يتبين معناها اشهر من:

«أَنَّ حَسَنَاتِ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ».

و بالطبع يكون لمثل هذا الذنب والجرم جزاء مما ثله ايضاً كثافة ولطافة و لا يكاد يعرف حد بعض من تلك المجازات الا الاوحدى اللطيف الادراك .

ومنها الذنب الحبيى اى الذنب الناشى فى ظرف الحب «و هو انجذاب النفس الى الجميل بما هو جميل» فان المحب اذا اتاه فى الغرام يرى ادنى غفلة قلبية عن محبوه ذنباً عظيماً و ان اهتم بعمل الجوارح بتمام اركانه و ليس ذلك الا انه يرى ان قيمة اعماله فى سبيل الحب على قدر توجه سره وانجذاب قلبه الى محبوه و اذا انقطع عنه بغفلة قلبية فقد اعرض عن المحبوب و انقطع عن ذكره فيغان على قلبه، حتى ان الاشتغال بضروريات الحيات من الاكل والشرب و نحوهما عنده فى هذا الظرف يعد ذنباً فيستغفر الله تعالى منه مرات كما روى عن اشرف الممكنات (صلى الله عليه و آله): «وَاِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَيَّ قَلْبِي وَ اَتِي لَاسْتَغْفِرُ اللّٰهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً» فان اصل الفعل و ان كان ضرورياً و لكن كل واحد واحد بالاختيار فالاشتغال به اشتغال بغير المحبوب اختياراً و هو من الذنب باعتبار ماله من الذنابة غير المرضية وهي الغفلة و الحرمان عن اللقاء ولو اناً ما و اى عذاب للمحب اشد من عذاب الفراق؟ و قال المتيّم بحب الله تعالى: «هَبْنِي صَبْرْتُ عَلَيَّ عَذَابِكَ فَكَيْفَ اَصْبِرُ عَلَيَّ فِرَاقِكَ؟» و كيف لا؟ فان المحب التائه المغمرم لم يكن ليرى غير المحبوب و لادين له الا

المحجوب ولا مطلوب له غير المطلوب، فلا يقع همه على الجنة ونعيمها، ولا يخاف من النار وهيبها فلا يعبد الله عزوجل لاطمعاً ولاخوفاً بل يعبده حباً له وهو المحجوب لذاته و كل ما يحبه انما يحبه لاجله ولنعم ما قيل:

ما الحب الا شعلة قد احترقت كل السورى الا الحبيب الباقى
قد هزنى قتل السوى صنمى فانظر الى ما بعدلا ما الباقى
بشراك يا صاح قد احترق السورى لم يسبق غير الهنا الخلاقى

و كيف كان فعلى المعنى الاخير ينبغى ان تحمل الايتان الاوليان من الآي الثلاث المناسبة للذنب الىه صلى الله عليه وآله، وعليه يحمل ايضاً ما ورد فى الادعية والمناجات الماثورة عنه وعن آل بيته المعصومين عليه وعليهم الصلوات والسلام من الاعتراف بالذنوب والمعاصى و التوبة والاستغفار عنها، وكذا الآيات المناسبة للذنب والظلم الى سائر الانبياء عليهم السلام.

ومنها الذنب بزعم الخصم وهو المراد فى الآية الثالثة من الآي المذكورة وهو قوله تعالى: «لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ».

و توضيحه: ان وقوع ذلك الفتح المبين «و هو صلح الحديبية» كما ترى مرتبظ بغفران ذنبه المتقدم والمتأخر ارتباط ذى الغاية بغايته ولا تكاد تجد معنى معقولا لهذا الارتباط، فنفس هذا اصدق شاهد على ان المراد منه ليس هو الذنب المعهود و انه ليس المراد بالغفران هو المعنى المتعارف منه ايضاً بل المراد من الذنب هنا «مع حفظ معناه اللغوى و هو الفعل الذى يستوخم عقباة» هو ما عمله النبي صلى الله عليه وآله فى مدى دعوته قبل الفتح والهجرة وبعدها من الحروب و المغازى التى يستوخم عقباها فى مزعمة مشركى الحجاز، فانهم كانوا يرون انه صلى الله عليه وآله قد وضع على اصنامهم قلم البطلان، فاسقطها

هر چه جز معشوق باق جمله سوخت
در نگر ز آن پس كه بعد لا چه ماند
شاد باش اى معشوق شركت سوز، رفت

۱- عشق آن شعله بود چون برفروخت
نیغ لا در قنل غیر حق برآند
ماند الا الله باق جمله رفت

عمّالها من الاعتبار في عين الناس و سفه احلامهم في عبادتها، واحتج عليهم بالحجج البالغة القاطعة، فخضعت له القلوب السليمة و انقادت لطاعته الفطر المستقيمة، فلما لم ينجح في صناديدهم حجة البيان والقرآن قام فيهم بحجة السيف والسنان، فقتل كبراءهم واستأصلهم، فكل ذلك مما تقدم على الهجرة وما تأخر عنها كان ذنباً بزعمهم اى ذنب؟! و اما عدّ القرآن الشريف تلك المجاهدات ذنباً فيزعم الخصم او من باب المشاكلة.

و بالجمله كانوا يترصدون عليه و يترصبون به الدوائر و لكن الله تبارك و تعالى قلب عليهم مزعمتهم فادار عليهم دائرة السوء بالفتح المبين وهو الصلح المنتهى الى فتح مكة فذهب الله بشوكتهم و اخذ نارفتهم التي كلما ارادوا ان يوقدوها للانتقام اطفأها الله، فغفر بذلك ما كانوا يزعمونه ذنباً عليه صلى الله عليه و آله، و نظيره ما حكاه الله تعالى من قول موسى عليه السلام:

«وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ» الشعراء ١٤.

فإن الله عزوجل بهذا الفتح على النبي صلى الله عليه و آله بأن هدم قواعد الشرك فخر عليهم سقفه و زالت شوكتهم فانمحت تلك الذنوب المزعومة لهم على النبي صلى الله عليه و آله مما تقدم و ما تأخر بمحو أسسهم و استيصال شأفتهم و تجذذ آلهتهم.

هكذا فسره مولينا الرضا عليه آلاف التحية و الثناء حين سأله المأمون عن

الذنب المذكور مع ان الانبياء صلوات الله عليهم معصومون؟.

قال عليه السلام في جوابه: «لم يكن احدٌ عند مشركي مكة اعظم ذنباً من رسول الله صلى الله عليه و آله لانهم كانوا يعبدون من دون الله ثلثمائة و ستين صنماً فلما جاءهم بالدعوة الى كلمة الاخلاص كبر ذلك عليهم و عظم و قالوا « أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إلهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ... يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلاَّ اخْتِلَاقٌ » فلما فتح الله تعالى على نبيه صلى الله عليه و آله مكة - الى ان قال عليه السلام: - فصار ذنبه عندهم في ذلك

مغفوراً فقال المأمون: «لله درك يا اباالحسن» كذا في عيون اخبار الرضا عليه السلام.

الطائفة الثانية، هي الآيات الظاهرة في كسوة العتاب والاعتراض عليه صلوات الله وسلامه عليه ولكن المقصود منه الملائمة والمدح في تلك الكسوة رؤماً للتأكيد.

فنها قوله تعالى: «عَفَى اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ» التوبة ٤٣، حيث نزل بعد اذنه صلى الله عليه وآله لمن استأذنه في التخلف عن الخروج الى تبوك، من المنافقين الذين لوخرجوا في المسلمين مازادوهم الاخبالاً، ولا وضعوا خلاصهم بيغونهم الفتنة ولقد ابتغوا الفتنة من قبل، وقلبو للنبي الامور حتى ظهر امر الله وهم كارهون.

فأذن النبي لهم بالعودة كان سترأ على نفاقهم رحمة لهم، فانهم كانوا يظهرهم بافواهم الاستيذان منه صلى الله عليه وآله لعدم الخروج الى الجهاد ولكن يُضمرون في قلوبهم خلافه، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما انه المبعوث رحمة للعالمين، كان يستر عليهم نفاقهم بالاذن لهم بالعودة ولم يكن ليكشف عن سوء سريرتهم من الخيال و بغى الفتنة و تليب الامور للنبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فإذنه لهم بالعودة وعدم الخروج الى الغزوة كان سترأ عليهم من تكرير ظهور سوء آتهم في مشهد الجهاد وخصفاً لما مضى من خرقهم الخرقاء، فالعتاب والاعتراض على مثل هذا الستر ووقع ذاك الخرق من لطيف المدح وتأكيده بما يشبه الذم.

فكأنة عزوجل يقول: «ما زلت ايها الانسان العفو الستار في كنف عفو الله تعالى باذنك هذه لهم بالعودة سترأ على نفاقهم وسوسيرتهم بما من الله عليك من صفة العفو والرحمة التي زينك الله تعالى بها ما زين بمثلها احداً من العالمين» فياله من عتاب ما الطف في المدح! و ياله من بيان ما احلاه في اللطف! ولكن المرور الذوق - يجده أجاجاً ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من

نور.

ومنها قوله سبحانه: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ» التحريم. فانه كما قيل نزل بعد ما حرم النبي صلى الله عليه وآله على نفسه باليمين، الخلوة بمارية او شرب العسل ابتغاء المراضة ازواجه وطيب خواطرهن، فهو صلوات الله و سلامه عليه بما آتاه الله من رحمته الواسعة قد افتدى بطيب عيشه عن طيب قلوبهن وضحى بملته الهنيء المرىء في سبيل وقاية مهناً عيشهن فكان يؤثر على نفسه و ان كان به مشقة و نعم ما قيل بالفارسيه: «رنج خود و راحت ياران طليیدن» وهذا البيان عبارةً بليغة عن الاشارة بايثاره صلى الله عليه وآله في جلباب العتاب ليكون أكد في ثنائه و اوقع في النفوس لما تجده في جلباب العتاب من مدح المعاتب و ثنائه فيتبدل العتاب الى فصل الخطاب و الى مثل ذلك في تأكيد المدح بتعبير يشبه الذم، يروم قوله صلى الله عليه وآله: «أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيْتَهُ أَنِّي مِنْ قَرْنَيْهِ» و انما الفرق بينها ان قوام قوله صلى الله عليه وآله في تأكيد المدح باداة الإستثناء الموهمة للذم في المقام و ان قوام التأكيد في قوله عزوجل هو العتاب المستبطن مدحه بفصل الخطاب و ان شئت قلت: ان المدح قد أكد في كلامه صلى الله عليه وآله و آله عرضاً، و في قوله تعالى طولاً و بطناً فياله خلافة ما اعذبها وتأخذاً للقلوب ما اقدره؟.

ومنها ما كشف عنه القناع ثامن الحجج عليه السلام من قوله تعالى:
 «وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قُضِيَ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرّاً زَوْجَانِهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرّاً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً» الاحزاب ٣٨.

اقول: قول الامام عليه السلام: «خشى الناس» في تفسير: «تخشى»

الناس» يتضح بالتقرير الآتي وهو: ان وجه نزول الآية يلوح من نفسها حيث انه تعالى اراد نسخ ما كان عليه الجاهلية من حرمة نكاح زوج الدعى، وقد كان زيد بن حارثة دعى رسول الله صلى الله عليه وآله وقد زوجه ابنة عمته زينب بنت جحش، واوحى الله تعالى اليه انه سيأتيه طالباً منه طلاق زوجته هذه فلما حضره زيد عازماً على طلاقها خاطبه رسول الله آمراً له بامسك زوجته مراعاة لتقوى الله عزوجل، وهو صلى الله عليه وآله يُخفى فى نفسه الشريفة ما أوحى الله عزوجل اليه من مآل امر هذه المرأة وانها ستدخل فى حوزة أمهات المؤمنين وبذلك ينسخ عادة الجاهلية، وانما كان اخفائه مآل الامر الموحى اليه خشيةً من الناس وكرهه ان يقعوا فى الفتنة وفيما لايرضى من القول، فيستحقوا به الغضب من ربهم فيسقطوا فى ورطة الهلاك فكانت الخشية اشفاقاً منه صلى الله عليه وآله على هؤلاء المنافقين ورحمةً لهم فلم تكن الخشية منه خشيةً على نفسه كما يدل عليه قوله تعالى بعد آية: «الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ، وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا» الاحزاب ٣٩.

فهذه الآية كما ترى تعلن على رؤس الاشهاد على شريطة قصر الافراد و قطع الشركة الدالة على مرجوحية الخشية من غير الله تعالى بان سفرائه والرسول صلوات الله عليهم لا يخشون احداً الا الله عزوجل، لما استيقنوا من ان المحاسب الوحيد الكافي هو الله عزوجل، وانه لا حول الا حوله ولا قوة الاقوته، فكانت الخشية هذه مترشحة من بحر رحمته الزخار، وكيف لا! و هو صلى الله عليه وآله كما قال: «انما انا رحمة مهداة» فألت الخشية الى الخشية فى الله تعالى، فعليه، يكون لفظ «احق» منسلخاً عن معنى التفضيل نظير لفظ «احق» فى قوله تعالى: «وَبُعُوْلَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرِدَّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ» البقرة ٢٢٨، والايلزم تجوز خشيتهم من غير الله تعالى وذلك ينافى القصر المصرح به فى الآية.

فتلك الآية تسوق سياق الآيتين السابقتين عليها من ان الغرض المسوق له الكلام هو الاجهار بكونه رحمةً مُهداةً من الله الى الناس، وانه عزيز عليه ما يَغْتُون وحرىص عليهم فكانها تشير بمغزاها الى قوله سبحانه: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ» التوبة ١٢٨.

الطائفة الثالثة، الخطابات الموهمة للشين على سبيل خطاب العين المراد منه غيره وبالتعبير الوارد عن لسان العصمة: «على سبيل اياك اعني واسمعي يا جارة» كما رواه العياشي في تفسيره عن ابي عبدالله عليه السلام انه قال: «نزل القرآن باياك اعني واسمعي يا جارة» ج ١ ص ١٠ ونقله المحدث الكاشاني قدس سره في المقدمة الرابعة من تفسيره الصافي. وهذه الطائفة من الآيات كثيرة جداً كقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ» الاحزاب، فان الخطاب كما ترى خطاب شخص النبي الاكرم، ولكن المراد منه المؤمنون، وحاشا نبي الاسلام من طاعة الكافرين والمنافقين.

ومنها قوله عزوجل: «فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ» يونس ٩٤، وقوله سبحانه: «الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» البقرة ١٤٧، ومثله الآية ٦٠ من سورة آل

(١) قال في جمع الامثال: اول من قال ذلك سهل بن مالك حين نزل عند خروجه الى النعمان برحل حارثة بن

لأم الطائي فوقع في نفسه من اخته شيء فجلس بفناء الحياء يوماً وهي تسمع وهو يقول:

يا اخت خير البدو والحضارة كيف ترين في فتي فزاره

اصبح يهوى حرة معطارة اياك اعني واسمعي يا جاره

فاجابه:

اني اقول يلفتي فزاره لا ابغى الزوج ولا الدعارة

ولا فراق اهل هذي الجارة فارحل الى اهلك باستخارة

يضرب لمن يتكلم بكلام ويريد به شيئاً غيره ج ١ ص ٤٩ رقم المثل ١٨٧.

عمران ويقرب منه الآية ١١٤ من سورة الانعام و ١٧ من سورة هود الى غيرها ما يسوق هذا المساق.

ومن هذا الباب قوله تعالى: «لَيْسَ أَسْرَكَتَ لِي خَبَطَنَّ عَمَلِكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» سورة الزمر ٦٥، وقوله تعالى: «وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَ هُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ» سورة البقرة ١٤٥، وقوله تعالى: «وَإِنَّمَا يَنْزِعُ عَنْكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ» الاعراف ٢٠٠ و سورة فصلت ٣٦، وقوله تعالى: «وَإِنَّمَا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» سورة الانعام ٦٨، وفى سورة النساء الآية ١٤٠ ما هو كالصريح فى ان المراد منه المؤمنون: «وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا أَوْ يُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ» الى غيرها من الآيات وهى كثيرة جداً.

وعد من هذا الباب ايضاً قوله تعالى: «عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ» التوبة ٤٣، كما فى كتاب «البرهان فى علوم القرآن» للزركشى قال فيه قال ابن فورك: معناه: وسع الله عنك على وجه الدعاء و«لم اذنت» تغليظ على المنافقين وهوى الحقيقة عتاب راجع اليهم وان كان فى الظاهر للنبي صلى الله عليه وآله كقوله: «فَإِنْ كُنْتَ فِي سَكِّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ» ج ٢ ص ٢٤٣ ولكن الحق ما سبق من انه من الطائفة الثانية الظاهرة فى العتاب المقصود منه الملاطفة والاشارة بالمدح والايثار.

ومنه ايضاً قوله تعالى: «عَبَسَ وَتَوَلَّى» وقوله تعالى: «وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ - الى قوله - وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ» وقوله: «مَا كَانَ لِئِبْنِي أَنْ تَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنَجِّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» الانفال ٦٧، بل ظاهر العتاب بقريته «تريدون» يواجه اهل بدر مستقيماً، فقوله: «مَا كَانَ لِئِبْنِي» فى مقام بيان سنة الله

الجارية فى الانبياء على نبينا وآله وعليهم الصلوات والسلام، من أنهم اذا حاربوا اعداء الله وظفروا بهم ينكلونهم ويبيدونهم بالقتل ليعتبر به من ورائهم فينتهوا عن محاربة الله ورسوله وما كان من سنتهم اخذ الاسرى بقصد الفداء والمعاضة فان ذلك يستتبع الانجماد والأثخان فى الارض والركود بدين الله الا بعد بسط دولة الحق واستيلاء كلمة الله عزوجل كما افصح عنه القرآن فى هذا الظرف بقوله: «فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَنْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَمَا مَنَّا بَعْدُ وَمَا فِدَاءٌ» سورة محمد ٤، وذلك بعد استيلاء امر الاسلام وانتشاره فى الحجاز وما والاها.

الطائفة الرابعة، الآيات المفترى عليها فى نسبة الشين الى رسول الله صلى الله عليه وآله وليس لنفس الآيات دلالة عليه بوجه بل استندفى دلالتها بالاخبار الدخيلة الموضوعه فى شأن نزولها.

فمنها، قوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» سورة الحج ٥٢.

وتوضيح معنى الآية الشريفة حسب ما يقتضيه محاوره العرب وعرفهم فى حوزة ابلاغ رسالات الله المشفوعة بالعقبات الكأداء الشيطانية، ان كل نبي ورسول بما من الله تعالى عليه من الهدؤ واليقين والحرص على هدى الناس مازال فى الليل والنهار قائماً بأمر الدعوة واخراج الناس من الظلمات الى النور فاذا تمنى وقدر فى تهية العوامل والاسباب السائقة الى دين الحق والصراط المستقيم، قعد لهم الشيطان سَوَى الصراط باللقاءات المضلة فى هذا التمنى والتقدير فيغوي بها الناس ويسير بهم سيراً حثيثاً الى شفا جرفها ربل الى شفا حفر النار، ولكن الله غالب على امره فينسخ ما يلقي الشيطان ثم يحكم آياته والله عليم حكيم، وله تعالى فى ذلك التمنى

وهذا الإلقاء حكمة بالغة وهي سنة الأبناء والفتنة وهو قوله عز وجل .

«لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ، وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» سورة الحج ٥٢ و ٥٤.

وهذا المعنى كإدان يستضاء من نفس الآية ولولم يمسهها بيان، ولكن روى بعض مفسري القوم هناك روايات ظاهرة الوضع والاختلاق تنم عن عداها واضعها لصاحب الرسالة، اول اقل عن حُمقِهِ.

ومضمون اكثرها: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا قَرَأَ سُورَةَ النَّجْمِ وَقَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ، أَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَيَّ لِسَانِهِ: تِلْكَ الْعَرَانِيقُ الْعُلَىٰ وَأَنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَىٰ فَلَمَّا تَمَّتْ يَلَاوَةُ السُّورَةِ، سَجَدَ وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ لَمَّا سَمِعُوهُ مِنْ ثَنَائِهِ عَلَيَّ أَصْنَامِهِمْ».

وفى بعضها: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَتَمَتَّى أَنْ لَوْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ شَيْءٌ يُفَارِبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ» وفى رواية اخرى: أَنْ لَا يَنْزَلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ يُنْفِرُهُمْ عَنْهُ، وَأَنَّ جَبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَ فَعَرَضَ عَلَيْهِ السُّورَةَ فَلَمَّا بَلَغَ الْكَلِمَتَيْنِ قَالَ: مَا جِئْتُكَ بِهَا تَبِينٍ فَحَزَنَ لِذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَسْلِيَةً لَهُ:

«وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا بِآيَةٍ» وقوله: «وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ، الْآيَةُ» ج ٤ من تفسير الدر المنثور للسيوطى وج ١٧ من تفسير الطبرى.

وخرافية تلك الفرية الشائنة لا تخفى على المسلم البصير فلا يحتاج تفنيدها الى بيان، ومع ذلك قد تصدى لتفنيدها جمع من اعلام القوم فمنهم

الفقيه الشهير ابو بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي في كتابه احكام القرآن، قال بعد نقل الروايات: ماملخصه:

«تأملوا الى قول الرواة الذين هم بجهلهم اعداء على الاسلام، لا يخفى على وعليكم ان هذا كفر فكيف يخفى على الرسول؟! ثم لم يكف هذا حتى قالوا: ان جبريل لما عاد اليه بعد ذلك ليعارضه فيما القى اليه من الوحي كررها عليه جاهلها بها - تعالى الله عن ذلك - فحينئذ انكرها عليه جبرئيل وقال له: ما جئتك بهذه، فحزن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لذلك و انزل عليه: «وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ» فيالله و للمتعلمين و للعالمين من شيخ فاسد وسوس هامد، لا يعلم ان هذه الآية نافية لما زعموا، مبطله لما رووا و تقولوا و ذلك ان قول العربي: كاد يكون كذا، معناه: قارب و لم يكن، فأخبر الله في هذه الآية انهم قاربوا ان يفتنوه عن الذي اوحى اليه و لم تكن فتنة، و قد اخبر الله تعالى بعد هذه الآية بقوله:

«وَلَوْلَا أَنْ تَبَتْنَاكَ لَآقَدَ كَذَبَتْ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا» عن انه سبحانه قد ثبته و قرر التوحيد و المعرفة في قلبه و ضرب عليه سراق العصمة و آواه في كنف الحرمة، فهذه الآية نص في عصمته من كل ما نسب اليه.

و اما القول بانه صلى الله عليه وآله مازال مهموماً حتى نزلت عليه: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ...» فكان النبي صلى الله عليه وآله يعز عليه ان ينال الشيطان منه شيئاً و ان قل تأثيره - الى ان نسب تلك الروايات الكثيرة الى البطلان - فقال: «كلها باطله لا اصل لها» ج ٣ من احكام القرآن.

و قال القسطلاني - بعد ما خرف القصة -: «قد طعن فيها غير واحد من الائمة حتى قال ابن اسحاق و قد سئل عنها: هي من وضع الزنادقة، و قال البيهقي: هي غير ثابتة نقلاً و رواها مطعونون» ج ٧ الارشاد الساري. في

شرح صحيح البخارى ص ٢٣٣.

ويقرب منه ما ذكره بدر الدين ابو محمد العيني فى عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى ج ١٩ ص ٦٦ وعن الحافظ ابن كثير فى تفسيره: ان طرقها كلها مرسله ولم ارها من وجه صحيح.

وقال ابن حزم الظاهري الاندلسي: هذا الحديث كذب بحت موضوع، لانه لم يصح قط من طريق النقل، ج ٤ من كتاب الفصل فى الملل والنحل ص ٢٣.

قال القاضى عياض: ان هذا حديث لم يخرج احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، واما اولع به وبعثه المفسرون و المؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح و سقيم، و صدق القاضى بكر بن العلاء المالكي حيث قال: لقد بلى الناس ببعض اهل الاهواء و التفسير و تعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته و اضطراب رواياته و انقطاع اسناده و اختلاف كلماته فقائل يقول: انه فى الصلاة و آخر يقول: قالها فى نادى قومه و آخر يقول: ان الشيطان قالها على لسانه و ان النبي صلى الله عليه و آله لما عرضها على جبريل، قال: ما هكذا اقرأتك، و آخر يقول: قالها و قد اصابته سنه، و آخر يقول: بل حدث نفسه فسها، و آخر يقول: بل اعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله عليه و آله قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه و آله ذلك قال: و الله ما هكذا نزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة، و من حكيت عنه هذه الحكاية من المفسرين و التابعين لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب و اكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية - الى ان قال - و قد اجعت الامة على عصمته صلى الله عليه و آله و نزاهته عن مثل هذه الرذيلة، اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله و هو كفر، او ان يتسور عليه الشيطان و يُشبهه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه و يعتقد النبي صلى الله عليه و آله ان من القرآن ما ليس منه حتى ينهبه جبريل عليه السلام و ذلك كله

ممتنع في حقه او يقول صلى الله عليه وآله ذلك من قبل نفسه عمداً وذلك كفر، او سهواً وهو معصوم من هذا كله، او يتقول على الله وقد قال تعالى: «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ الْآيَةَ» الحاقة الآية ٤٤ .

ووجه ثاني، وهو استحالة هذه القصة نظراً و عرفاً وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الالتيام، متناقض الاقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التأليف والنظم، ولما كان صلى الله عليه وآله ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن - يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه.

ووجه ثالث انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندى المشركين وضعفة القلوب من المسلمين نفورهم لاول وهلة وتخليط العدو عليه صلى الله عليه وآله لاقبل فتنه ولم يحك احد في هذه القصة شيئاً سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس والجن هذه الرواية على بعض مغفلى المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين.

ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القصة ان فيها نزلت: «وان كادوا ليفتنونك» الآيتين، وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي روه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا الآية. ثم ذكر مثل مانقلناه عن ابن العربي في احكام القرآن من استفادة العصمة منها ثم اطال الكلام في ذلك فاجاد» ج ٢ من كتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن اللطائف المربوطة بالمقام مارواه الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام من مناظرات المأمون العباسي مع أعلام القوم بمحضره عليه الصلاة والسلام حيث قال مخاطباً لبعض هؤلاء الأعلام: وليست هذه الروايات باعجب من روايتكم: ان النبي صلى الله عليه وآله قال: دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَفَقَ نَعْلَيْنِ، فَإِذَا بِلَالٌ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ سَبَقَنِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا

قالت الشيعة: علي خير من ابي بكر فقلتم: عبد ابي بكر خير من الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لِأَنَّ السَّابِقَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَسْبُوقِ وَكَمَارِوَيْتُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَفَرُّ مِنْ ظِلِّ (حَسَن) عُمَرَ وَالْقِيَّ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَآلِهِنَّ الْغُرَانِيقُ الْعُلَى، فَفَرَّ مِنْ عُمَرَ، وَآلَقَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَآلِهِ بَرَعِيمِكُمْ الْكُفْرَ؟: عيون اخبار الرضا ج ٢ ص ١٨٨.

الفصل الثالث، وفي بعض مدونات القوم اخبارٌ مدسوسةٌ واهيةٌ ناسبةٌ للشين الى انبياء الله تعالى عموماً ولى سيدنا رسول الله صلوات الله عليه وعليهم خصوصاً وسمعت بعضاً منها، و لعل اوقع نموذجاً ما حكاه الزمخشري في ذيل قوله تعالى: «وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ» في تفسير الكشاف، من ان المراد به ان يوسف عليه السلام حل الهميان و جلس منها مجلس الجامع و انه حل تكة سراويله و قعد بين شعبها الاربع و هى مستلقية على قفاها و فُسر البرهان بانه سمع صوتاً: اياك و اياها، فلم يكثر له، فسمعه ثانياً فلم يعمل به فسمع ثالثاً: اَعْرِضْ عَنْهَا فَلَمْ يَنْجِعْ فِيهِ حَتَّى مَثَلْ لَهُ يَعْقُوبُ عَاصِياً عَلَى أَمَلْتِهِ، وَقِيلَ: ضَرْبٌ بِيَدِهِ فِي صَدْرِهِ فَخَرَجَتْ شَهْوَتُهُ مِنْ أُنَامِلِهِ، وَقِيلَ: بَدَتْ كَفَّ فِيمَا بَيْنَهَا، لَيْسَ لَهَا عَضُدٌ وَلَا مَعْصَمٌ مَكْتُوبٌ فِيهَا:

«وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ» فلم ينصرف ثم رأى فيها: «وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا» - الى ان قال -: وقيل: رأى تمثال العزيز، وهذا ونحوه مما يورده اهل الحشو و الجبر الذين دينهم بهت الله تعالى و انبيائه ... فاخزى الله اولئك في ايرادهم ما يؤدى الى ان يكون انزال الله السورة التي هى احسن القصص في القرآن العرنى المبين ليقضى بنبي من انبياء الله، في القعود بين كذا، و في ان ينهه ربه بثلاث كرات و بالتوبيخ العظيم ... و هو جاثم في مرضه ... ولو ان اوقع الزناة و اشطروهم و احدقهم حدقة و اصلبهم وجهاً لقي بادنى ما لقي به لما بقى له عرق ينبض و لاعضو يتحرك . فياله من

مذاهب ما افحشه ومن ضلال ما ابينه؟ انتهى كلامه ملخصاً ج ٢ ص ٤٥٤ - ٤٥٦.

و كيف كان، فن الامور المريبة، مارووه في صحاح القوم، انه صلى الله عليه وآله - وهو الذي قال عزوجل فيه: «سَتَقْرِيكَ فَلَا تَنْسِي» - سَهَا فَسَلَّمَ عَلِي رَكْعَتَيْنِ فَقَامَ ذُو الْيَدَيْنِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقَصَّرْتَ الصَّلَاةَ أَمْ نَسِيتَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ - وفي بعض الروايات: ما قَصَّرْتُ وَمَا نَسِيتُ، وفي صحيح مسلم ج ٢ ص ٨٧ بسنده عن ابي هريرة: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صَلَّى بِالنَّاسِ صَلَاةَ الْعَصْرِ رَكْعَتَيْنِ وَدَخَلَ حُجْرَتَهُ ثُمَّ خَرَجَ لِبَعْضِ حَوَائِجِهِ فَذَكَرَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَاتَمَّهَا».

فالقصة كما تراها تم عن غباوة واضعها في اعمال الشنآن و دس الشين على نبي الاسلام فانها بما اشتملت عليه من ركافة النسبة تنبوء طباع اهل البصيرة عن الاصغاء اليها، فاية نسبة ابلغ في الشنآن الابترودس الشين من هذه القصة الحمقاء؟.

فان مختلقها الغبي عن جلالة قدر النبي صلى الله عليه وآله: فكر وقدرفي دس الشين في حريم الرسالة كى يجعلها مورداً لارتباب المبطلين فاخترق هذه الفرية الدالة على اعراض النبي صلى الله عليه وآله عن ذكر ربه واستهانتة بالصلاة - وهو القائل: قره عيني في الصلاة - حتى دخل الحجره فكث فيها ماشاء ثم خرج لبعض حوائجه فذكره بعض اصحابه بنقصان صلاته فاتمها مع هذا الاستدبار ولا اقل مع تحقق الفصل الطويل و الفعل الكثير الماحى لصورة الصلاة، الناقض لقوامها؟.

فالمختلق قد عاضد الشيطان في الالقاء على امنية الرسالة و لكن المولى سبحانه وليها و هو يتولى الصالحين قد اشرب القصة بخرقه فصارت حمقاء نطقت عن غباوة المختلق فجعلته مفضوحاً فنسخ ما القاها واحكم آياته، فكروا

وما مكروا الا بانفسهم وما يشعرون.

ومن المأسوف عليه ان الشيخ الصدوق وشيخه ابن الوليد رحمهما الله تعالى مالا الى القول باسهاء النبي صلى الله عليه وآله غروراً ببعض الروايات وغفلة عن جهة صدورها تقية.

قال ره: في احكام السهومن كتاب صلاة الفقيه: «ان الغلاة والمفوضة لعنهم الله ينكرون سهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم، يقولون: لوجاز ان يسهو عليه السلام في الصلاة جازان يسهو في التبليغ لان الصلاة عليه فريضة كما ان التبليغ عليه فريضة، وهذا لا يلزمنا، وذلك لان جميع الاحوال المشتركة يقع على النبي صلى الله عليه وآله فيها ما يقع على غيره، وهو متعبد بالصلاة كغيره ممن ليس بنبي، وليس كل من سواه بنبي كهو، فالحالة التي اختص بها هي النبوة والتبليغ من شرائطها ولا يجوز ان يقع عليه في التبليغ ما يقع عليه في الصلاة، لانها عبادة مخصوصة والصلاة عبادة مشتركة وبها تثبت له العبودية واثبات النوم له عن خدمة ربه عزوجل من غير ارادة له وقصد منه اليه نفى الربوبية عنه، لان الذي لا تأخذه سنة ولا نوم هو الله الحى القيوم، وليس سهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم كسهونا، لان سهوه من الله عزوجل وانما اسهوا ليعلم انه بشر مخلوق فلا يتخذ رباً معبوداً دونه و ليعلم الناس بسهوه حكم السهومتى سهواً، وسهونا عن الشيطان وليس للشيطان على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والائمة صلوات الله عليهم سلطاناً انما سلطانه على الذين يتولونه و الذين هم به مشركون وعلى من تبعه من الغاوين.

ويقول الدافعون لسهو النبي صلى الله عليه وآله: انه لم يكن في الصحابة من يقال له ذواليدنين و انه لا اصل للرجل ولا للخبر و كذبوا لان الرجل معروف و هو ابو محمد عمير بن عبد عمرو المعروف بذى اليدنين و قد نقل عنه المخالف و المؤلف و قد اخرجت عنه اخباراً في كتاب وصف قتال القاسطين بصفين.

و كان شيخنا محمد بن الحسن بن احمد بن الوليد رحمه الله يقول: اول درجة في الغلوفى السهو عن النبي صلى الله عليه وآله ولو جاز ان ترد الاخبار الواردة في هذا المعنى لجاز ان نرد جميع الاخبار و في ردها ابطال الدين و الشريعة، و انا احتسب الاجر في تصنيف كتاب منفرد في اثبات سهو النبي صلى الله عليه وآله و الرد على منكريه ان شاء الله تعالى» من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٢٣٤.

و شدد النكير عليه من جاء بعده من اساطين المذهب و في مقدمهم شيخنا المفيد قدس سره و قال في مقاله المحكى عنه: «انه تعرض لما لا يحسنه ولا هو من صناعته ولا يهتدى الى معرفته - الى ان قال: - لوجاز ان يسهو النبي صلى الله عليه وآله و هو في صلاته و هو قدوة فيها، حتى يسلم قبل تمامها و ينصرف عنها قبل كمالها و يشهد الناس ذلك فيه و يحيطوا به علماً من جهة، لجاز ان يسهو في الصيام حتى يأكل و يشرب نهراً في شهر رمضان بين اصحابه وهم يشاهدونه و يستدركون عليه الغلط و لجاز ان يجامع النساء في شهر رمضان نهراً و لم يؤمن عليه في مثل ذلك الى وطىء ذوات المحارم ساهياً و لم ينكر ان يسهو عن تحريم الخمر فيشرها ناسياً، و العلة في جواز ذلك كله انها عبادة مشتركة بينه و بين امته كما كانت الصلاة عبادة مشتركة حسب اعتلال الرجل - الى ان قال: - و ان شيعياً يعتمد على هذا الحديث في الحكم على النبي صلى الله عليه وآله بالغلط و النقص و ارتفاع العصمة عنه، لناقص العقل ضعيف الرأى، قريب الى ذوى الآفات المسقطه عنهم التكليف و هو حسبنا و نعم الوكيل».

و منهم السيد المحقق الداماد قدس سره في محكى رواشحه: «مسلك الصدوق في قوله: «و كان شيخنا يقول: اول درجة الغلوفى السهو عن النبي صلى الله عليه وآله» بعيد عن مشرب الصحة بل الصحيح عندي على مشرب العقل و مذهب البرهان ان اول درجة في انكار حق النبوة اسناد السهو الى النبي صلى الله عليه وآله و آله فيما هونبي و لامغلاة في اثبات العصمة عن السهو فيما التبليغه و تكيله البعثة اذهذه الملكة لنفس النبي صلى الله عليه وآله و آله انما هو

بإذن الله وعصمته انتهى».

ومنهم شيخنا البهائي قدس سره حيث قال في قوله المحكى عنه: «الحمد لله على عدم تصنيفه تعريضاً به على قول الصدوق ره: وانا احتسب الاجر في تصنيف الخ».

اقول: ان الروايات في طريقنا المشيرة الى هذه القصة كثيرة مذكور جملها في الباب الثالث من ابواب الخلل الواقع في الصلاة من كتاب الوسائل: فيها ما في صحيح جميل قال: «سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ رَجُلٍ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ قَامَ، قَالَ: يَسْتَقْبِلُ، قُلْتُ: فَمَا يَرَوِي النَّاسُ فَذَكَرَ حَدِيثَ ذِي الشِّمَالَيْنِ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَنْ «نَمْ ظ» يَبْرُخَ مِنْ مَكَانِهِ وَلَوْ بَرَّخَ اسْتَقْبَلَ» الخبر ٧.

ومنها مرواه عن سيف بن عميرة عن ابى بكر الحضرمي قال: صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي الْمَغْرَبَ فَلَمَّا أَنْ صَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ، سَلَّمْتُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا صَلَّيْتَ رَكَعَتَيْنِ فَأَعَدْتُ، فَأَخْبَرْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: «لَعَلَّكَ أَعَدْتِ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَضَحِكَ ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا كَانَ يُجْزِيكَ أَنْ تَقُومَ فَتَرْكَعَ رَكَعَةً أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَهَا فَسَلَّمَ فِي رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ ذِي الشِّمَالَيْنِ فَقَالَ: ثُمَّ قَامَ فَأَصَافَ إِلَيْهَا رَكَعَتَيْنِ» الخبر ٤؛ ويقرب منها: الاخبار ١٠ و ١١ و ١٥ و ١٦ و ١٧ من الباب المذكور.

قال صاحب الوسائل بعد نقل الخبر الرابع: «ذكر السهو في هذا الحديث و امثاله محمول على التقية في الرواية كما أشار: اليه الشيخ وغيره لكثرة الادلة العقلية و الثقيلة على استحالة السهو عليه مطلقاً و قد حققنا ذلك في رسالة مفردة و ذكرنا لذلك محامل متعددة.

و في الخبر الثالث عشر من الباب، المروى عن زرارة قال: «سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَلْ سَجَدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَجْدَتِي

السَّهْوُ قَطُّ؟ قَالَ: لَا، وَلَا يَسْجُدُ هُمَا فَقِيهٌ».

قال صاحب الوسائل في ذيله: قال الشيخ: الذي أفتي به ما تضمنه هذا الخبر، فاما الأخبار التي قدمناها من انه سهى فسجد، فهي موافقة للعامة، واما ذكرناها لان ما تضمنه من الاحكام معمول بها».

اقول: قوله قده: «لان ما تضمنه من الاحكام معمول بها» لاينافي كونها موافقة للعامة صادرة عن تقية، وذلك لان التقية انما وقعت في التعليل وتطبيق فعل النبي صلى الله عليه وآله بزعم القوم على المورد ومثل ذلك في الاخبار المروية عن الائمة اهل البيت عليهم السلام غير نادر، ومن هذا القبيل، التعليل الواقع في صحيح البنزطى عن ابى الحسن عليه السلام:

«فِي الرَّجُلِ يُسْتَكْرَهُ عَلَى الْيَمِينِ فَحَلَفَ بِالْظَّلَاقِ وَالْإِعْتَاقِ وَصَدَقَهُ مَا يَمْلِكُ أَيْلَازُهُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: رُفِعَ عَنِّي مَا أُكْرَهُ، عَلَيْهِ وَمَا لَمْ يُطِيقُوا وَمَا أَخْطَأُوا الْخَبْرُ» فان الحلف بالامور المذكورة وان كان باطلا عندنا مع الاختيار ايضاً. و لكن الامام عليه السلام علل البطلان في حال الاكراه بتطبيق حديث الرفع عليه تقيةً.

والفرق بأن التعليل والتطبيق في خبر البرنظي من قبيل تطبيق الحق على الباطل وفيما نحن فيه من قبيل التعليل والاستشهاد بالباطل على الحق غير ضائر فيما نحن بصده من وقوع التقية في التعليل والتطبيق.

ومما ذكرنا تعرف سقوط قول بعض المعاصرين المعتنق بمذهب الصدوق، رداً على جهة صدور تلك الروايات و كونها موافقة للعامة حيث قال: فيه اولاً انه لو كان تضمنها لسهوه صلى الله عليه وآله تقية، لوردت بخصوصيات رواياتهم، و ثانياً انه اعترف المفيد في تعليقاته على اعتقادات الصدوق بان ما يصدر عن تقية لا ينتشر انتشار الاخبار الحقة ولم يروها الاجلاء والفقهاء من اصحاب الائمة عليهم السلام وقد عرفت ان رواة هذه الاخبار من اجلة فقهاء

اصحاب الصادق عليه السلام... الخ.

لان ما ذكره هذا القائل من امارات اخبار التقية على فرض تسليمه، انما يكون في الاخبار المتضمنة للاحكام الفرعية الموافقة للعامّة، واما المتضمنة للتعليل والتطبيق، فلا.

وقد رأيت شيخ الطائفة - وهو خريت هذا الفن - كيف جمع بين كون تلك الاخبار صادرة عن تقية وبين كون ما تضمنته من الاحكام معمولاً بها، أعاذنا الله تعالى بلطفه الخفي من الزلات والعثرات.

ثم انى اظن انك جد عليم بانه لايجوز تعارض الدليل الظني مع القطعي منه وانا قد اقننا البرهان على وجوب عصمة النبي عن كل ما يشينه ويجعله معرضاً للارتياب ومورداً للسؤال وهو المستفاد من كتاب الله تعالى حسب ما بيناه، و قد حقق في محله ان القطعي من الدليل مطلقاً مقدّم على الظني منه مطلقاً، فان الظن لايرفع اليقين، فالظني المعارض للقطعي سمعياً كان او عقلياً، مأوّل ان امكن والا فطروّح كما قال شيخنا الاعظم قده في مبحث القطع من الفرائد: «والذى يقتضيه النظر وفاقاً لاكثر اهل النظر انه كلما حصل القطع من دليل عقلي، فلا يجوز ان يعارضه دليل نقلي، وان وجدنا ما ظاهره المعارضة فلا بد من تأويله ان لم يمكن طرحه» فعليه كل ما يعارض الأدلة القاطعة على العصمة فلا مناص من تأويله ان لم يمكن طرحه.

تكملة

تعارض الدليلين سواء كانا سمعيين او عقليين او احدهما عقلياً والآخر سمعياً، لايتخلوا اما ان يكونا قطعيين او يكونا ظنيين او احدهما قطعياً والآخر ظنياً.

اما الفرض الاول وهو التعارض بين القطعيين فحال للزوم المناقضة واما الفرض الثاني فالراجع منها يقدم ومع فقد الرجحان فقد قيل بتقديم

المنقول على المعقول لان ما ندرکه من كلامه تعالى ورسوله بغلبة الظن أولى بالتابع واقرب الى سكون النفس مما ندرکه بغلبة الظن من النظريات العقلية التي يكثر فيها الخطاء. واما الفرض الثالث فلاريب في تقديم القطعى على الظنى مطلقاً ومما رتبين ان الوجه في تقديم القطعى انما هو لكونه قطعياً لالكونه عقلياً او سمعياً وبعبارة اخرى، عماد التقديم فيا تعارض القطعى مع غيره، هو قطعية الدليل لاعقليته او سمعيته وان كان الحاكم بالتقديم هو العقل، فافهم. وهذا غير قادح في كون العقل اصلاً بالنسبة الى النقل حتى يقال: القدح في اصل الشىء قدح فيه، فان العقل الذى هو الاصل للنقل والسمع ولولاه لم يثبت شىء من السمعيات الراجعة الى المعارف انما يعنى به قوة النفس التي بها يحصل اليقين بالمقدمات الكلية الضرورية لاعن قياس وفكر وتلك المقدمات هى مبادئ الامور النظرية وبها يحتج ولوعلى اثبات شىء لنفسه فالمراد باصالة العقل للنقل هى هذه القوة بما لها تلك المقدمات الضرورية باقسامها فهذا العقل هو الحاكم على سبيل البت الضرورى بتقديم القطعى من الدليل كيف كان على غيره.

وأمّ المقدمات الضرورية في باب التصديقات، قولنا: النفى والاثبات لا يجتمعان في شىء، ولا يخلو عنها شىء، فانه يمتنع اقامة البرهان عليه الآعلى وجه دائر، فان كل ما يفرض دليلاً عليه، فلا بد وان يدعن بان كونه دليلاً عليه لا يجتمع مع عدم كونه دليلاً عليه اذ مع جواز الاجتماع لم يكن ما فرض دليلاً على امتناع الاجتماع دليلاً عليه ومع امتناع الاجتماع يكون البيان دورياً، وهذه القضية في باب القضايا التصديقية هى ام القضايا وجميع القضايا حتى الاوليات منها مثل قولنا: «الكل اعظم من الجزء» متقومة بها فان معنى هذا القول، ان زيادة الكل على جزئه حيث كانت ثابتة موجودة فليست بمعدومة لامتناع اجتماع النفى والاثبات في شىء وارتفاعها عنه، فعنى أمومتها بالنسبة الى غيرها من القضايا ان كل قضية تصديقية فهى كانها هذه القضية

المنصبغة بصبغة خاصة، كما علمت في مثل قولنا: «الكل اعظم من الجزء» حيث انصبغت فيه بامتناع اجتماع النفي والاثبات للاعظمية في الموضوع المفروض، فهي اولية التصديق بنفسها والمنازع لها مكابر لا يستحق المكاملة، لانه امام يتصور أجزائها او يكون معانداً لجوجاً، أو يكون غيباً تساوت عنده الاقيسة المنتجة للنتائج المتناقضة ولم يكن عنده قوة التميز بينها، فان كان من القسم الاول فعلاجه تفهيم الاجزاء، و ان كان من القسم الثاني فيعالج بما يعالج به السوفسطائي، و ان كان من القسم الثالث فعلاجه المزاولة بالتعليميات والمباشرة للميزانيات، فان من جد وجد ومن قرع باباً وليج وليج.

ومما ذكرنا في معنا كون العقل اصلاً بالقياس الى النقل، تبين انه لا يعقل من الشرع صدور المنع عن الاعتماد على العقل الموصوف، كيف؟! وهو هدم لاساسه ونقض من بعد قوة انكاثاً والعقل المذكور قد انتج الاعتناق بالشرعية لزاماً فكيف هي تعقمة وفي عقمة عقمها؟!.

وهاهي تنادى باعلى صوتها بالاعتناق به لزاماً فان قوله تعالى: «فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ» سورة الحشر الآية ٥٩، نداءً صريحاً الى وجوب اعمال القياس العقلي لان الاعتبار هو العبور من طريق المعلوم الى اقتناص المجهول وهذا هو القياس بالحمل الشايخ، ومن البين ان هذا النحو من القياس المندوب اليه شرعاً لا بد وان يكون من اتم انواع الاعتبار والقياس و اتم انواعه هو المسمى بالبرهان، والقرآن الكريم مشحونٌ بالامر باعمال العقل والفكر، والتدبر والنظر وناهيك قوله عزوجل: «أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ» الاعراف الآية ١٨٥، فتأمل في معنى النظر والنظر في ملكوت السماوات والارض، ثم تدبر ورتب امرأ ذبّرامٍ، ثم تفكر الى ما ذا يؤل الامر، فان القرآن يهدي للتي هي اقوم.

وقد امتازت الشيعة الامامية في الاستمسك بعروة العقل في اصول المعارف الحقة وذلك بما من الله تعالى عليهم من الاعتناق بالموّدة في القرني

فاتخذوهم الى رهم سبيلا فتعلموا منهم عليهم السلام الاحتجاجات العقلية ولاسيا من اميرهم مولينا سيد الموحدين الذي به استضاءت الفلسفة الآهية في ابعادها وكشفت عن حقيقة توحيد الذات والصفات والافعال وذلك فضل الله تعالى ومنه على هذه الطائفة والله ذو الفضل العظيم.

وما ربما يقال: ان هذا النوع من النظر بدعة حيث لم يكن في الصدر الاول، فشطط من القول لمادريت من سيرة سيد الاوصياء واولاده المعصومين عليهم السلام من الاحتجاجات العقلية في المعارف الحقة ولاسيا في اليد والاسماء والصفات، فهاؤم اقرؤوا نهج البلاغة و اصول الكافي و توار الصدوق وغيرها كى تستيقنوا و تدخلوا في عيشة راضية، في جنة عالية قطور دانية، ثم ان من تولى هذا القول الفاسدة، ما يضيق عن بيانها نطاق المجال فان القائل لا بد وان يلتزم ببدعة القواعد الممهدة لاستنباط الاحكام حيث لم تكن في الصدر الاول؟؟.

واوضح منه قول القائل: بان هذه الطريقة من النظر من طرق الاجانب في الاستدلال لانه من الحمية الجاهلية فيجب تنبيه هذا الغبي بان الحياة البشرية ومعيشتها اجتماعية تعاونية فكل فرد منهم خادم و مستخدم، فالتناس للناس من بدو و حاضرة بعض لبعض وان لم يشعروا حَدمَ فيمتنع ان يقوم واحد منهم بجميع ما يحتاج اليه من الآلات والادوات في البعد المادى والادبى والمعنوى فكما ذرأ الله تعالى كثيراً من الانس يتعبون انفسهم في الاختراع والاكتشاف و الصنعة لرغبة العيش وليسوا على شىء من المعارف الحقة بل لم يشموا ربحها فاولئك كالانعام تحمل اثقال الجامعة بل هم أضلّ، كذلك ذرأ الله تعالى الاوحدين منهم يتعبون انفسهم في صنعة السلم الى ذروة المعارف الحقة، فهؤلاء هم قواد الخير فشكر الله تعالى مساعيم الجميله فانهم رحمهم الله اعوان الانبياء صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين. فا أغشى قول الرجل حين سُئل عن قوله تعالى «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»: الاستواء غير مجهول، و الكيف غير

معقول، والايان به واجب، والسؤال بدعة؟..

وقد سئل عن هذه المسألة اثمتنا المعصومون فاجابوا بالحكمة المحكية في روايات حتى عقدها باباً في اصول الكافي و توحيد الصدوق فيها ما اجاب به مولينا ابوالحسن الرضا عليه آلاف التحية و الثناء اباقره المحدث حين سأله بقوله: أفتُتبرَّ ان الله محمول؟ فقال: «كل محمول مفعول به مضاف الى غيره محتاج، والمحمول اسم نقص، انتهى»

الفصل الرابع ان من نكبات الهوى واتباع ما تشابه الناشى من الزيف و البغى، انه وقعت في مسألة عصمة الانبياء صلوات الله عليهم في مواضع اربعة: الاول ما يتعلق باعتقادهم، و اجمعت الأمة على انهم عليهم السلام معصومون عن الكفر و البدعة الا الفضيلية من ازارقة الخوارج، فانهم يجوزون الكفر على الانبياء عليهم السلام لانه يجوز عندهم صدور المعصية عنهم و كل معصية فهي عندهم كفر. الثاني ما يتعلق بالشرايع والاحكام، فانهم اجمعوا على انه لا يجوز عليهم التحريف والخيانة في هذا الباب لا بالعمد ولا بالسهو و الا لم يبق الاعتماد على شئ من الشرايع. الثالث ما يتعلق بالفتوى و اجمعوا على انه لا يجوز تعمد الخطاء و اما على سبيل السهو فقد اختلفوا فيه، الرابع ما يتعلق بافعالهم و قد اختلفوا فيه على اقوال منها قول الحشوية و هو جواز اقدامهم عليهم السلام على الصغائر والكبائر. و منها قول اكثر المعتزلة و هو انه لا يجوز عليهم الكبائر و يجوز عليهم الصغائر غير المنفرة كسرقة جثة او لقمة. و منها قول ابى على الجبائى، انه لا يجوز ان يأتوا بصغيرة و لا كبيرة على جهة العمد لكن يجوز على سبيل الخطاء في التأويل او السهو. و منها قول ابى اسحق النظام و من تبعه انه لا يجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة لا بالعمد ولا على وجه الخطاء في التأويل، و اما على جهة السهو والنسيان فجايز، ثم انهم يعاتبون على ذلك لما ان علومهم اكمل فكان الواجب عليهم المبالغة في التحفظ. و منها قول

اصحابنا الا امامية و هو انه لا يجوز عليهم الصغيرة ولا الكبيرة لا عمداً ولا سهواً و نسياناً ولا على سبيل الخطاء في التأويل و اما الامهات الذي مال اليه الشيخ الصدوق و شيخه ابن الوليد رحمهما الله فسيأتي تفصيل الكلام فيه في المبحث الثاني، واما ما في كتاب المواقف وغيره، من ان الشيعة تجوز جدور الكفر عنهم عليهم السلام تقية فهو فرية بلا مرية.

ثم انهم اختلفوا ايضاً في وقت وجوب هذه العصمة على ثلثة اقوال: الاول من اوان ولادتهم الى آخر العمر و هو قول الشيعة. الثاني من حين بلوغهم و لا يجوز عليهم الكفر و الكبيرة قبل النبوة و عليه كثير في المعتزلة. الثالث ان هذه العصمة انما تجب في زمان النبوة و اما قبلها فهي غير واجبة و هو قول اكثر الا شاعرة و منهم الفخر الرازي. هذا

و لكن المسلك القرآني المبرهن عليه في معرفة الانبياء صلوات الله عليهم و شئونهم على ما عرفت في سالف البحث لا يبق موضوعاً لهذا الاختلاف فان تلك الاراء جلها في هذه المسئلة مدقور مدار الانسان الواقع في حوزة سلطان الشيطان على الاغواء و الوسوسة، فالموضوع الوجد لهذا الاختلاف هو الانسان الكائن في معرض سلطانه و استيلائه، و لكن سلطانه و استيلائه على الاغواء و الاضلال انما ينشأ من اتباع الناس و توليهم اياه و تسليطه على انفسهم و استجابتهم لدعوته كما اعلن به الكتاب الكريم في قوله: «انما سلطانه على الذين يتولونه و الذين هم به مشركون» سورة النحل الآية ١٠٠ و قوله: «ان عبادي ليس لك عليهم من سلطان الا من اتبعك في العناوين» الحجر الآية ٤٢ و قوله حكاية عن كلامه الجامع الذي يلقيه يوم القيامة بعد قضاء الامر الى الظالمين:

«وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق و وعدتكم فاخلفتكم و كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم

فاستجبتُم لي ٥٥» سورة ابراهيم الآية ٢٢.

واما الانبياء صلوات الله عليهم فقد تبين انهم هم المخلصون الذين اعترف الشيطان لعنه الله بالعجز واليأس عن اغوائهم وسوستهم فهو بمعزل عن الرجاء في اتباعهم وتوليهم اياه او استجابتهم لدعوته، وكيف لا؟ فان من اخلصهم الله تعالى واستخصهم لنفسه، يرتفع الحجاب بينه عز وجل وبينهم تحقيقاً لو صف الاخلاص وحيث ان لاحجاب الآ الخلق كما روى عن مولينا الكاظم عليه السلام: «لاحجاب بينه وبين خلقه الآ خلقه» فهؤلاء الصفوة لا يرون الآ الحق، فاين ابليس حتى يتولى ويتبع ويستجاب دعوته؟

ثم ان جميع ما مر من البيان والبرهان في مسئلة عصمة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم جار في حق الاوصياء والائمة عليهم السلام بوحدة المناط، فان الامامة هي منزلة الانبياء كما صرح به مولينا الرضا عليه السلام فيما رواه امام المحدثين شيخنا الكليني قدس سره في الكافي الشريف عن عبدالعزيز بن مسلم انه قال:

«كنا مع الرضا عليه السلام بمرور فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا فا داروا امر الامامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيدي عليه السلام فاعلمته خوض الناس فيه، فتبسم عليه السلام ثم قال: يا عبدالعزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم، ان الله عز وجل لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله حتى اكمل له الدين وانزل عليه القرآن، فيه تبيان كل شيء بين فيه الحلال والحرام والحدود والاحكام وجميع ما يحتاج اليه الناس كمالاً، فقال عز وجل: «ما فرطنا في الكتاب من شيء» وانزل في حجة الوداع وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله: «اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً» و امر الامامة من تمام الدين ولم يمض صلى الله عليه وآله حتى بين لامته معالم دينهم و اوضح لهم

سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحق - الى ان قال عليه السلام - ان الامامة خص الله عز وجل بها ابراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبةً ثالثة، وفضيلة شرفه بها واستناد بها ذكره فقال: «أتى جاعلك للناس اماماً» فقال الخليل عليه السلام سروراً بها: «ومن ذريتي» قال الله تبارك وتعالى: «لا ينال عهدى الظالمين» فابطلت هذه الآية امامة كل ظالم الى يوم القيامة و صارت في الصفوة... «ان الامامة هي منزلة الانبياء وارث الاوصياء، ان الامامة خلافة الله وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله ومقام امير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السلام... الامام، المطهر من الذنوب والمبرأ عن العيوب، المخصوص بالعلم...» اصول الكافي ج ١ ص ١٩٨-٢٠٠. فان قوله عليه السلام: «ان الامامة خص الله بها ابراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة» ينطق صريحاً عن موهبة الامامة له من الله تعالى بعد ما كان نبياً وخليلاً بما لهما من الصفات اللازمة، منها العصمة فتأهله لهذا المقام الارفع كان مسبوقاً بذين وقوله عليه السلام: «ان الامامة هي منزلة الانبياء - الى قوله - المطهر من الذنوب» يدك دلالة ظاهرة على وجوب العصمة في الامام كوجوبها في النبي عليه السلام.

وللتفصيل مقام آخر

هنا تمت الرسالة بتوفيق الله في عشية يوم الخميس الحادى والعشرين

من شهر رمضان المبارك سنة ١٤٠٤ الهجرية

بيد العبد محمد بن جعفر المحمدى الجيلاني عنى عنه وعن والده

في طهران عاصمة الجمهورية الاسلامية

والحمد لله اولاً وآخراً

أعلى بن موسى الرضا عليهما السلام والفلسفه الألهية

عبدالله الجوادى الأملى

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على جميع الانبياء والمرسلين والأئمة الهداة المهديين سيما خاتم الانبياء وخاتم الاوصياء عليها آلاف التحية والثناء.
وبعد فيقول العبد المفتاق الى ربه الجواد عبدالله الجوادى الطبرى الآمل
هذه وجيزة حول الفلسفة الالهية عند سيدنا ومولينا ثامن الحجج على بن موسى
الرضا(ع)، الذى آتاه الله الحكمة و فصل الخطاب كما آتاه الله آباءه
السبعة(ع) و ابنائه الاربعة(ع) حيث انهم(ع) احد الثقلين الذين ورثهما
رسول الله فى امته لا يضلون ما ان تمسكوا بها ولن يفترقا حتى يردا عليه
الحوض، حرّرتها للمؤتمر العالمى المنعقد بمناسبة ذكرى ميلاده(ع) - ١١ ذى
القعدة الحرام عام ١٤٠٤ - فى جوار روضته المنورة التى هى من رياض جنة
اللقاء التى أمر الناس بالمبادرة اليها لانه(ع) فى محتد الرضوان بحيث لا يرضى
احد عن احد ولا يناك عبدٌ رضا مولاة ولا يناله ايضاً رضا مولاة ولا يصل احدٌ
الى مقام الرضاء إلا ببركة مقامه السامى وإسمه الراضى سواء فى ذلك رضوان
الجنة وغيره من اولى الرضاء، أَللّهُم أرض عتّا و ارضنا لك بمولينا الرضا عليه
السلام و نَظَّمْتُهَا فى دَوْحَةٍ و رياض.

اما الدوحة فهى لبيان معنى الفلسفة الالهية و ضرورتها واما الرياض فهى
لبيان ما صدر عن ولى الرضوان مولينا الرضا(ع) فيها أَنَا اقول مُفَوَّضاً اليه تعالى
ثقة به تعالى و متوكلا عليه تعالى.

ذُوحَة في بيان ان الفلسفة الالهية ماهى

لاريب في ثبوت اصل الواقعية وانّ هناك حقائق خارجية ليست باعتبارنا ولا جدوى باعتبارنا فيها وانّ انكارها رأساً سفسطاً لايعالج بالبرهان بل ان كان هناك دواء ناجح فهو آخر الدواء اى الكى ولاريب ايضاً في ان العلم بتلك الحقائق العينية ليس بديهياً لا يُخْتَلَف فيه والّا لما اختلف فيها الآراء بان ينتهى رأى احد الى اثبات ما انتهى الى نفيه رأى احدٍ آخر بحيث يكون الرأيان متناقضين او يكون لانسان واحد رأيان في طرفى النقيض في حالتين من احوال حياته العلمية ونحو ذلك و مغزى هذا التهافت في الرأى هو بان يزعم انسان كون شىء معين موجوداً عينياً حقّاً ثابتاً و يزعمه انسان آخر موهوماً خرافياً لاثاره في العين اصلاً.

فما هى العين التّصاخة عند احدٍ سرابٌ جافٌ عند آخر و ما هو السّراب الجافٌ عند احدٍ عين خرارة عند آخر فهذا يؤمن بما يكفر ذلك و ذلك يدين بما يُلحد فيه هذا واذ ليس للانسان ان يثُرُك الحقائق سدئى لانه موجود حتى لا بدوان يعيش بها ومعها كما انه ليس له ان ينالها ويتصرف فيها كيف شاء اذ لا بد له و أنّ يتعرفها كماهى و قد تبين أنّ نيلها ليس بديهياً سهلاً بل يكون العلم بها نظرياً صعباً فلا بدوان يكون هناك ميزان يوزن به الحق و يمتاز به عن الباطل حتى يتبين به رشد الحقيقة عن غى الخرافة و ذلك الميزان الباحث عن الحق الموجود المميزاته عن الباطل المعدوم هو العلم المُسمّى بالفلسفة لانها تبحث عن احوال الموجود بما هو موجود حيث انها تبحث عن احكام الموجود و آثاره البيّنة ولوازمه الضرورية فائى شىء تحقق فيه حكم من تلك الاحكام و اثر من تلك الآثار و لازم من تلك اللوازم يحكم بانه موجود حق و اى شىء لم يتحقق فيه ذلك يحكم بانه معدوم باطل فتجزّ بهذا البيان الموجز أنّ الفلسفة ماهى و انها ضرورية لمن اراد ان يتعرف الحقائق و يُميّزها عن الاباطيل و يؤمن بتلك و

يكفر بهذه، لان سبيل الحقيقة يحيل زبداً باطلاً ولا يمكن الفوز بماء الحقيقة و النجاة عن زبد الباطل الأبعرفة ما هو الحق و كذا ما هو احكامه و آثاره ولوازمه البينة وميزه عما هو الباطل المشوب به شوب الزيد بالماء ثم انه لا بدوان يكون ذلك الميزان حقاً صرفاً لا يشوبه الباطل اصلاً والآن لما كان ميزاناً بل أصبح موزوناً بميزان آخر معصوم عن الزلل لا يعتربه الضلال اصلاً وهذا الميزان هو العلم البديهي الاولي او ما ينتهي اليه المصوّر بصورة بديهية لا يتطرقتها الخفاء و الجهل بحيث لا ترى في شيء من ذلك عوجاً ولا أمتاً فأتى فيلسوف متفكر جعله نُصب عينه وأمامه قاده الى الحق واتى مغالط مشاغب جعله وراء ظهره و نبذهُ خَلْفَهُ ساقه الى الباطل فبادى الفلسفة علوم أولية حقة مصورة بصورة حقة منتجة و هدفها السامى هو صيرورة الانسان عالماً عقلياً مضاهياً للعالم العيني مُنزهاً عن لوث الخيال مُقدساً عن دَرَنِ الوهم مطهراً عن رجس الشرك و مبرأً عن رجز اى تعلق يكون غير التعلق بالله الذى هو الحق و ما سواه هو الباطل، و ذلك الفيلسوف الكامل هو الامام حسب ما عرفه الفارابى^١ و سائر الفلاسفة الالهيين أمتته و حواريه و صحبه و تلاميذه لان ذلك الفيلسوف الكامل هو العالم الربانى و هولاء المتفكرين فى الفلسفة الالهية هم المتعلمون على سبيل النجاة كما ان من ليس عالماً ولا متعلماً ولا محباً و تابعاً له عُثاء و هَمَج.

الروضة الاولى

فى ما عن على بن موسى الرضا (ع) فى فضل العقل و الدعوة اليه
ان القرآن الكريم يهتف بان غاية وجود الانسان هى العبادة^٢ فالانسان

(١) رسالة تحصيل السعادة ص ٤٣.

(٢) سورة الذاريات ٥٦.

العابد هو البالغ غاية خلقته والإنسان الجاحد المتعنت هو المُتَّبِت الذي لاظهاراً
ابقى ولا ارضاً قطع، إلا أن للعبادة درجات اسناها هو التفكير في مبدء الحقائق
وسببها الموجد اياها المدبرها حيث قال مولينا الرضا(ع):

لَيْسَ الْعِبَادَةُ كَثْرَةَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ إِنَّمَا الْعِبَادَةُ التَّفَكُّرُ فِي أَمْرِ اللَّهِ
عَزَّوَجَلَّ^١ لان التفكير في امر المعبود هو الذي يستتبع العبادة العملية له و ليس

العملُ التابع كالعلم المتبوع لانه الاصل و العمل فرعه ولانه الشجرة الطوبى و
العبادة البدنية ثمرها حيث قال (ع).. «إِنَّ الْعِلْمَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَهْلِ
وَضِيَاءُ الْأَبْصَارِ مِنَ الظُّلْمَةِ وَقُوَّةُ الْأَبْدَانِ مِنَ الضَّعْفِ يَبْلُغُ بِالْعَبْدِ مَنَازِلَ
الْأَخْيَارِ وَمَجَالِسِ الْأَبْرَارِ وَالذَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الذِّكْرُ فِيهِ
يَعْدِلُ بِالصِّيَامِ وَمُدَارَسَتُهُ بِالْقِيَامِ، بِهِ يُطَاعُ الرَّبُّ وَيُعْبَدُ، وَبِهِ تَوْصَلُ
الْأَرْحَامُ وَيَعْرِفُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ، الْعِلْمُ أَمَامُ الْعَمَلِ وَالْعَمَلُ تَابِعُهُ يُلْهِمُ
بِهِ السُّعْدَاءُ وَيَحْرِمُهُ الْأَشْقِيَاءُ فَطُوبَى لِمَنْ لَمْ يَحْرِمَهُ اللَّهُ مِنْهُ حَظَّهُ»^٢.

وذلك لان اصل المرء لُبّه والعلم هو الموجب لان يصير الانسان لبيباً فاصل
الانسان هو العلم الذي لا بدوان يصل اليه فهو اى العلم كما قاله (ع) ضالة
المؤمن^٣ و تلك الضالة انما هى فى رياض الولاية فعلى المؤمن ان يرتع فيها حتى
يجد ضالته حيث قال (ع) «رحم الله امرء أخيا امرنا فقلت له (ع) كيف يجيبى
امرکم قال يتعلم علومنا و يعلمها الناس فانّ الناس لو علموا محاسن كلامنا
لا تبعونا»^٤ الحديث و المراد من العلم البالغ هذا الشأ و القاصى هو العلم
بالله و اسمائه الحسنى و ملائكته و كتبه و رسله و انه هو الاول و الآخر و الظاهر و

(١) مسند الامام (ع) ج ١ ص ٣.

(٢) مسند الامام (ع) ج ١ ص ٧.

(٣) مسند الامام (ع) ج ١ ص ٦.

(٤) المصدر السابق ص ٨ و ج ٢ ص ٨٦.

الباطن وان له الحكم و ان اليه المصير و ما خلا ذلك فضلٌ لان العلم انما هو آية محكمة او فريضة عادلة او سنة قائمة^١ كما ان المراد من احياء امرهم (ع) هو دراية ما ألقى الينامن الاصول المفاضة منهم^٢ ثم التفرغ على تلك الاصول بما لا يزيد عليها ولا ينقص منها لا مجرد رواية ما صدر منهم ونقل الفاظه من موطن الى موطن حيث قال (ع).

«كُونُوا ذُرَاةً وَلَا تَكُونُوا رُؤَاةً حَدِيثٌ تَعْرِفُونَ فِقْهَهُ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ تَرْوُونَهُ»^٣.

ثم ان التفكير في امر الله تعالى الذي جعله مولينا الرضا (ع) اصل العبادة و مغزاها انما يتم بمعرفة آياته النفسية و غيرها عداما للاوحدى من اوليائه الذين يعرفونه تعالى به تعالى و يعرفون غيره به لانهم يعرفونه بغيره اذ ليس لغيره من الظهور ما ليس له حتى يكون ذلك الغير هو المظهر له ولهذا المقال مقام آخر والمهم هنا هو بيان ان طريق معرفة النفس أوصل حيث قال (ع).

«مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَيْحَ وَمَنْ غَفَلَ عَنْهَا خَسِرَ إِلَى أَنْ قَالَ وَأَفْضَلُ الْعَقْلِ مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ»^٤ لان معرفة النفس ذاتا و صفة و فعلا مرقاة الى معرفة الرب كك، فالتفكر في امر الله بمعرفة آياته النفسية افضل من التفكير فيه بمعرفة غيرها و التعبُّدُ بذلك افضل من التعبُّد بهذا.

ثم ان المعيار الوحيد في المعارف هو ما تقدم من العلم الاوّل الضرورى أو ما ينتهى اليه و ذلك انما يعرف بالعقل لا الحس و التجربة او النقل و الرواية فالمعرفة الحقّة تدور مدار العقل القراح المزرّة عن شغب الجدال و دسّ الخيال حيث قال (ع) في جواب ابن السكيت لما سئل: ما الحجة على الخلق اليوم؟

(١) كافي باب صفة العلم و فضله.

(٢) مسند الامام ج ١ ص ١٥ - ج ٢ ص ٨٦ و ٨٧.

(٤) مسند الامام (ع) ج ١ ص ٣٠٢ و ٣٠٤.

العقل يعرف به الصادق على الله فيصدقه والكاذب على الله فيكذبه فقال :
ابن السكيت: هذا والله الجواب لان معرفة النبي الصادق على الله و
المتنبئ الكاذب عليه لا تحصل الا بمعرفة الله و اسمائه الحسنی من الربوبية و
الهداية وغير ذلك ولا تحصل تلك المعرفة الا بالعقل القراح و البرهان المحض
لان الحس لا ينال من لا تدركه الابصار و هو يدرك الابصار و هو اللطيف
الخير.

ثم ان التفكير قد يصحبه الظن والوهم وقد ينتهي الى ذروة اليقين ولا اعتداد
بالظن في المعارف الالهية لانه لا يُغنى من الحق شيئاً اذ يصاحبه الجهل و هو
مانع عن اليقين المعبر في العقائد لان للعقيدة مبادئ خاصة تجب بها و تمتنع
دونها و لذا لا يتطرقها الاكراه ولا يصل اليها يدالتعبد بالظن ولا يحكم عليها شئ
عدا اليقين الذي لا يحصل الا بالبرهان العقلي فالعقل هو الميزان الذي يدور
مداره اليقين فالترغيب اليه هو تخصيص على العقل قال (ع) ..

«وَالْيَقِينُ فَوْقَ التَّقْوَى بِدَرَجَةٍ وَمَا قَسَمَ فِي النَّاسِ شَيْءٌ اَقْلُ مِنْ

الْيَقِينِ»^٢ و السر في قلة اليقين واهله هو ان منطق اكثر الناس هو الاحساس و
من الواضح ان الحس لا ينال الغيب كما ان المعارف الغيبية لا تنال المتقيد
بالاحساس فلعله لذا قال (ع) .. لَمْ يُعْطَ بَنُو آدَمَ اَفْضَلَ مِنَ الْيَقِينِ^٣ فن كان
على يقين فهو على بينة من ربه ولا نعمة آجل منه كما ان من لا يكون على يقين
فهو في تيه الريب يتردد فيشغله اتي شئ عن الله تعالى اذ لم يتفكر في امره تعالى
و لم يتيقن فلذا قال (ع) في جواب من سئله عن السفلة: مَنْ كَانَ لَهُ شَيْءٌ يُلْهِمُهُ
عَنِ اللَّهِ^٤.

(١) كافي ج ١ باب العقل و الجهل صفحہ ٢٥

(٢) مسند الامام (ع) ج ١ ص ٢٥٨ .

(٣) مسند الامام (ع) ج ١ ص ٢٨٤ .

(٤) مسند الامام (ع) ج ١ ص ٢٨٥ .

فتبين مما تقدم:

اولاً: ان غاية خلقه الانسان هو التفكير في امر الله عزوجل وان المتفكر هو الذى بلغ غايته دون المعرض عن التفكير فيه الذى لم يُرِدْ إِلَّا الحياة الدنيا ذلك مَبْلَغُهُ من العلم فهو الانسان الباطل المنقطع عن مُناه المحروم عن غايته.

وثانياً: ان غاية التفكير هو العلم بالله و اسمائه الحسنى الذى هو ضالة المؤمن الذى يُنشدها فن لا يُنشد العلم بالفحص عنه و الاقبال اليه و العثور عليه المبتهج به لا يكون مؤمناً.

وثالثاً: ان الميزان الوحيد للتفكر و العلم هو العقل الذى لا يخضع إلا تجاه الحق ولا ينقاد إلا له اذ لا يطمئن إلا باليقين دون الظن الذى يرتضيه الوهم ويختاره الخيال. فن ذلك كله يظهر سر ما افاده (ع) نقلاً عن رسول الله (ص) **صَدِيقُ كُلِّ امْرِئٍ عَقْلُهُ وَ عَدُوُّهُ جَهْلُهُ**^١ و كذا يظهر سر ما افاده في بيان قوله تعالى .. **وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ اَعْمَى فَهُوَ فِي الْاٰخِرَةِ اَعْمَى وَاَصْلُ سَبِيْلًا** = بقوله (ع) **يَعْنِي اَعْمَى عَنِ الْحَقَائِقِ الْمَوْجُوْدَةِ**^٢.

الروضته الثانية

في ما عن مولينا الرضا (ع) من الاستدلال بالمبادئ العقلية لاريب في لزوم استناد الموجود بالغير الى الموجود بالذات سواء في ذلك الموجود العيني والموجود العلمى لانه ايضاً نحو من العَيْنِ و الخارج فما لا يكون معلوماً بذاته لا بد وان يستند الى ما هو معلوم بذاته الذى يضطر العقل الى التصديق به و هو الضرورى الاولى من المعلوم الذى يُسمى مبدء تصديقياً في المسائل العقلية نحو ان الضدين لا يجتمعان و ان النقيضين لا يجتمعان و انها

(١) مستند الامام (ع) ج ١ ص ٣ باب العقل من كتاب العقل والعلم

(٢) توحيد الصدوق ص ٤٣٥ .

لا يرتفعان وان القضية الاصلية اذا كانت صادقة يكون عكس نقيضها ايضاً صادقاً وغير ذلك من المبادئ العقلية للمعارف اليقينية، وقد استدل مولينا (ع) بذلك في احتجاجاته الساطعة، نحو قوله (ع) في امتناع رؤيته تعالى بان المعرفة الحاصلة برؤية العين اما ان تكون ايماناً اوليست بايمان فان كانت ايماناً فالمعرفة الحاصلة بالاكتساب الدالة على انه تعالى مجرد لا تدركه الابصار ليست بايمان لانها ضده^١ - يعني ان الضدين لا يجتمعان - و المراد من الضدهما ما ينطبق على النقيض لانه في المقام امر عديم في قبال الامر الوجودي اذ المعرفة الحسية انه يُدرك بالابصار والمعرفة الكسبية انه لا يدرك بها، ونحو قوله (ع) في حدوث الارادة و انها ليست قديمة... أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ مَا لَمْ يَزَلْ لَا يَكُونُ مَفْعُولًا وَ حَدِيثًا وَقَدِيمًا فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ^٢ حيث افاد (ع) بان الحدوث والقدم لا يجتمعان لان المنفصلة القائلة بانّ الموجود اما حادث و اما قديم - منفصلة حقيقية مؤلفة من طرفي النقيض نظير قولنا العدد اما زوج و اما فرد - فلذا يمتنع صدقهما في الجمع و كذبهما في الرفع لان المتناقضين لا يجتمعان ولا يرتفعان.

ونحو قوله (ع) في ان الارادة ليست هي عين الذات عند قول سليمان المروزي: انّ الارادة ليست هو ولا غيره: يا جاهل اذا قلت ليست هو فقد جعلتها غيره و اذا قلت هي غيره فقد جعلتها هو^٣ = حيث افاد (ع) بان العينية و الغيرية نقيضان لا يرتفعان لان الموجود اذا لم يكن عين شيء يكون غيره لاحالة و اذا لم يكن غيره يكون عينه لاحالة فسألتهما معاً عبارة عن رفع طرفي النقيض و ذلك كجمعها محال، و لقد اجاد مولينا الصادق (ع) بقوله.. اذلم يكن بين الاثبات و النفي منزلة - كتاب التوحيد ص ٢٤٦.

(١) مسند الامام (ع) ج ١ ص ١٧ بتوضيح ما.

(٢) توحيد الصدوق ص ٤٥٠.

(٣) توحيد الصدوق ص ٤٥٣.

و نحو قوله (ع) في نفى ازلية الارادة و انها حادثة: فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا لَمْ يَكُنْ
أَزَلِيًّا كَانَ مُحَدَّثًا وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مُحَدَّثًا كَانَ أَزَلِيًّا^١ = حيث افاد بان الازلية و
الحدوث نقيضان لا يرتفعان كما انها لا يجتمعان حسب ما اشير اليه آنفاً.

و نحو قوله (ع) في ان الارادة هي غير العلم و ليست عينه عند قول
سليمان: ارادته تعالى علمه = يَا جَاهِلُ فَإِذَا عَلِمَ الشَّيْءَ فَقَدْ أَرَادَهُ، قَالَ سُلَيْمَانُ
أَجَلٌ، قَالَ (ع) فَإِذَا لَمْ يُرِدْهُ لَمْ يَعْلَمْهُ، قَالَ سُلَيْمَانُ أَجَلٌ^٢... حيث افاد(ع) بان
القضية الاولى التي يعبر عنها بالاصل في المنطق اذا كانت صادقة يكون عكس
نقيضها ايضاً صادقاً لانه لازم لها. ثم استدل(ع) بعد ذلك بانه لما كان علمه
بشيء موجوداً سواء اراده اولم يرده فيحكم بان ارادته ليست عين علمه كما في
محله.

و نحو قوله (ع) في عدم امكان الاكتناه بذاته تعالى وانه لا ماهية له:
كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ = حيث افاد(ع) بان مالا يكون مصنوعاً
لشيء اصلاً بل هو صانع جميع الاشياء لا يكون معروفاً بنفسه اى بذاته و ماهيته
اذ لا ماهية له وراء الوجود المحض الذي لا يدركه العقل بالكنه اذ لاصوره له
تحكيه ولا مثال له يحاذه لانه ليس كمثلته شيء.

و نحو قوله (ع) في سلب احتياجه تعالى الى الغير وعدم اعتماده تعالى عليه:
كُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُودٌ = حيث افاد اصل العلية بان الموجود اذا لم يكن
وجوده عين ذاته كان قائماً بغيره و متحققاً فيه و معتمداً عليه اى معلولاً و
عكس نقيضه هو بان مالا يكون معلولاً فهو ليس قائماً في سواه و معتمداً عليه بل
هو القائم بذاته الغنى عن غيره.

فتبين مما تقدم اولاً ان التفكير المتمدوب اليه هو الاستدلال بالمعلوم الاولى

(١) توحيد الصدوق ص ٤٤٥.

(٢) توحيد ص ٤٥١.

الضروري على النظرى حتى يُورثَ اليقين به .
 وثانياً أنّ الاعتماد على المبدء التصديقي المقبول لغير واحدٍ من الناس عيٌّ و
 وهنُّ في الاستدلال مالم ينته الى ما هو اليقيني بذاته .
 وثالثاً ان السيرة العلمية لمولينا الرضا (ع) هو الاستناد الى المبادئ
 التصديقية العامة والخاصة عند اقامة البرهان على اصل كلي من المعارف
 الالهية .

ورابعاً كما ان المبدء البديهي التصديقي كان مورداً لاستدلاله العقلي
 كك صوغه في سلك الاسلوب المنطقي من القياس الإستثنائي وغيره يكون
 مرضياً عنده (ع) و متداولاً لديه^١ .

• • •

الروضة الثالثة

في ما عن مولينا الرضا (ع) في التوحيد

ان البحث الهام في الفلسفة الالهية هو ما يدور حول وجود الحق سبحانه و
 وحدته الاطلاقية وعينية صفاته الذاتية و... وليس لاهل التفريط من الجهل
 ان يتهاون عن الخوض في معرفة الله سبحانه اعتذاراً بأنه مسلك وعمر و بحر عميق و
 حمى ممنوع لانه موجب للتعطيل، كما انه ليس لاهل الافراط منه ان يتهور في ذلك
 ويتمتى ما ليس في سعة الامكان من الاكتناه بذاته تعالى بل اللازم هو السلوك
 على الطريقة الوسطى من العدل لان اليمين و الشمال مضلّة والوسطى هي
 الجادة و حيث انّ آل محمد (ص) كما قال مولينا الرضا (ع) هُمُ النَّظُّ
 الْأَوْسَطُ لَا يُدْرِكُهُمُ الْعَالِي وَلَا يُسْبِقُهُمُ التَّالِي أيلزم الرجوع اليهم في كيفية
 البحث حول هذه المعارف الالهية قال مولى الموحدين امير المؤمنين على بن

(١) توحيد الصدوق ص ٤٢٣ .

(٢) توحيد الصدوق ص ١١٤ .

ايطالب عليه افضل صلوات المصلين... لم يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ وَلَمْ يَحْجِبْهَا عَنْ وَاَجِبَ مَعْرِفَتِهِ فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ اَعْلَامُ الْوُجُودِ عَلَى اِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُودِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْمَشْبُهُونَ بِهِ وَالْجَاحِدُونَ لَهُ عُلُوًّا كَبِيرًا^١ حيث افاد(ع) انّ الاكتناه بتحديد صفته التي هي عين ذاته الغير المتناهية محال لا يُطْلَعُ عَلَيْهِ وَاِنَّ اَصْلَ مَعْرِفَتِهِ بَدُونَ الْاِكْتِنَاهِ وَاجِبٌ لَمْ يُحْجَبْ عَنْهُ فَالذِي حَجَبَ عَنِ الْمُمْكِنِ فَلَا تَجِبُ مَعْرِفَتُهُ وَالذِي تَجِبُ مَعْرِفَتُهُ عَلَيْهِ غَيْرٌ مَحْجُوبٌ وَكَيْفَ يَكُونُ مَحْجُوبًا وَاَعْلَامُ الْوُجُودِ تَشْهَدُ لَهُ - ولذا قال مولينا جعفر بن محمد الصادق(ع) لما قال السائل: فَاِنَّا لَمْ نَحِذْ مَوْهُومًا اِلَّا مَخْلُوقًا - لَوْ كَانَ ذَلِكَ كَمَا تَقُولُ لَكَانَ التَّوْحِيدُ عَنَّا مَرْتَفِعًا لِاَنَّا لَمْ نُكَلِّفْ اَنْ نَعْتَقِدَ غَيْرَ مَوْهُومٍ وَ لَكِنَّا نَقُولُ كُلُّ مَوْهُومٍ بِالْحَوَاسِّ مُدْرِكٌ فَا تَحِدُهُ الْحَوَاسُّ وَ تُمَثِّلُهُ فَهُوَ مَخْلُوقٌ وَلَا بَدَّ مِنْ اِثْبَاتِ صَانِعِ الْاَشْيَاءِ خَارِجٍ عَنِ الْجِهَتَيْنِ الْمَذْمُومَتَيْنِ اِحْدِيهِمَا النَّقْيُ اِذْ كَانَ النَّقْيُ هُوَ الْاِبْتِطَالُ وَالْعَدَمُ وَ الْجِهَةُ الثَّانِيَةَ التَّشْبِيهُ اِذْ كَانَ التَّشْبِيهُ مِنْ صِفَةِ الْمَخْلُوقِ الظَّاهِرِ التَّرْكِيبِ وَ التَّأْلِيفِ فَلَمْ يَكُنْ بَدْمِنْ اِثْبَاتِ الصَّانِعِ لَوْجُودِ الْمُصْنُوعِينَ...^٢ فلذا يجب التحرّز عن التنزيه الصرف كما يجب التنزه عن التشبيه المحض للزوم الإلتقاء عن حدّي التعطيل و التشبيه. وذلك و ان لم يكن ميسوراً لمن لا يريد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغه من العلم اذلا يؤمن بما عدا الشهادة و الحس اصلاً و لكنه مقدور لمن لا يريد الا الحق ولا يهوى الا اياه ذلك لمن خشى ربه، كما قال مولينا الرضا(ع) عند سؤال عمران: في اى شىء هو تعالى وهل يحيط به شىء وهل يتحول من شىء الى شىء او به حاجة الى شىء - أُخْبِرُكَ يَا عِمْرَانُ فَاَعْقِلْ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ فَإِنَّهُ مِنْ اَعْمَاضِ مَا يَرِدُ عَلَى الْمَخْلُوقِينَ فِي مَسْأَلِهِمْ وَ لَيْسَ يَفْهَمُهُ الْمُتَفَاوُتُ عَقْلُهُ الْعَازِبُ عِلْمُهُ وَلَا يَعْجِزُ عَنْ فَهْمِهِ اُولُوا الْعَقْلِ الْمُتَصِفُونَ...^٣

(١) نهج البلاغه صبحى صالح ص ٨٨.

(٢) توحيد ص ٤٣٩.

(٣) توحيد الصدوق ص ٢٤٦ - ٢٤٥.

فن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد يمكن ان يعرفه تعالى بمقدار تجب معرفته او تمكن اذ للمعرفة درجات حسب درجات العارفين به لان ادناها كما افاد (ع) هو الإقرار بأنه لا إله غيره ولا شبه له ولا نظير وأنه قديم مثبت موجود غير فقيد وأنه ليس كمثل شئ^١ و فوق هذه المرتبة هو ما يستفاد من سورة الاخلاص النازلة لاقوام متعمقين^٢ حيث سئل مولينا الرضا(ع) عن التوحيد فقال كل من قرأ قل هو الله أحد و آمن بها فقد عرف التوحيد قلت كيف يقرأها قال كما يقرأ الناس و زاد فيه كذلك الله ربّي كذلك الله ربّي كذلك الله ربّي^٣ لان في هذه السورة اشارة الى الهوية المطلقة والالهوية والاحدية و الصمدية البحتة و لعل تثليث قوله(ع) كذلك الله ربى على وزان التثليث في القول بانه لا اله الا الله وحده وحده ناظر الى مراتب التوحيد من التوحيد الذاتي و الوصفي و الفعلي لفناء جميع الذوات في ذاته تعالى و فناء جميع الاوصاف في وصفه تعالى و فناء جميع الافعال في فعله تعالى لان كل شىء هالك الا وجهه و اينما تولوا فثم وجه الله حتى في نفس التولية والايين... لان الاطلاق الذاتي لا يشد عن شىء ولا يشد عنه شىء و مثل هذه المعرفة والتعريف لا يتيسر الاخواص اوليائه الذين يعرفون الله بالله و ليس لغيرهم ان يصفوه تعالى و ذلك لان الله سبحانه نزه ذاته عما يصفه به غيره الا ما يصفه به عباده المحلصون - بالفتح - حيث قال تعالى .. سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ^٤ فليس لاحد ان يصفه تعالى الا عباده الذين اخلصهم لنفسه فصاروا محلصين لله فح لا يعرفون شيئاً الا ما عرفهم الله اياه و لا ينطقون بشىء الا ما انطقهم الله به و هكذا. و من أظهر مصاديق ذلك مولينا الرضا(ع) فله ان يصف

(١) توحيد الصدوق ص ٢٨٣.

(٢) مسند الرضا(ع) ج ١ ص ٤.

(٣) مسند الامام(ع) ج ١ ص ٤٢.

(٤) الصافات آية ١٦٠.

الله سبحانه وعلينا ان نُلقَى اليه السمع ونشهد ما يقول فيما يلي من المعارف الالهية في ان الله تعالى موجود وانه تعالى واحد لاشريك له ذاتا وصفة و ان صفاته الذاتية عين ذاته وان صفاته الفعلية متنزعة عن فعله وغير ذلك في طى فصول.

الفصل الاول

في البرهان على ان الله سبحانه موجود وانه موجد للعالم.

انّ البحث عن وجود الواجب تعالى وعن وجود الخالق بحث فلسفي صراح لا يجدي فيه الاّ الدليل العقلي القراح المبنى على علوم متعارفة بيّنة بذاتها سواء فيها العاكف المتعمق والبادى العارى عن التعمق لان المعلوم الاوّل البيّن بذاته مما تناله ايدي الخواص والعوام شرعاً سواء حيث انه دخل على مولينا الرضا(ع) رجل فقال له يابن رسول الله ما الدليل على حدوث العالم قال(ع) **أَنْتَ لَمْ تَكُنْ ثُمَّ كُنْتَ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ لَمْ تُكُونَ نَفْسَكَ وَلَا كَوْنَكَ مِنْ هُوَ مِثْلَكَ**^١ وتقريبه بان الانسان موجود وليس وجوده عين ذاته اذ لو كان عين ذاته لما كان معدوماً للزوم الجمع بين طرفي النقيض كما انه يلزم ان لا يصير معدوماً لذلك ايضاً و حيث انه كغيره من الحوادث محضوف بالعدمين فيستيقن بان وجوده ليس عين ذاته، و كل مالم يكن ثم كان فوجوده قائم بغيره و كل قائم بغيره ومعتمد على غيره فهو معلول حسب ما تقدّم عن مولينا (ع) حيث قال.. **كُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ**^٢ و ذلك لبطلان الصدفة والاتفاق بان يوجد الممكن بلاعلة او يعدم كك فعلته اما ان يكون نفسه او شيئاً آخر مثله او موجوداً آخر لا يماثله شيء ولا يماثل شيئاً بل ليس كمثله شيء فعلى الاوّل يدور الامر على نفسه ويلزم ان يتقدم الشيء على نفسه المستلزم لان يكون الشيء موجوداً حال عدمه وهو الجمع بين طرفي النقيض الممتنع ضرورة وبامتناعه يمتنع الدور لانه ليس محالاً بالذات بل هو محال بالغير المنتهى الى المحال بالذات وهو الجمع

(١) توحيد الصدوق ص ٢٩٣.

(٢) توحيد ص ٣٥.

بين التقيضين و على الثاني فالكلام فى ذلك المثل هو الكلام فى هذا المثل
 المماثل له فى الاحكام لان حكم الامثال بماهى امثال فيما يجوز و فيما لايجوز
 واحده كما قال اميرالمؤمنين(ع).. **فَانَّ الْمِثْلُ دَلِيلٌ عَلَى شِبْهِهِ** فح لابدوان
 يكون لمثله ايضاً علة توجده فتلك العلة اما هى المثل الاول المعلول فيدور الامر
 على نفسه اوهى المثل الآخر بلانتهاء فيتسلسل العلل الغير المتناهية الموجودة
 بالفعل و مع الغض عن ذلك كله يبقى السؤال عن العلة الذاتية لما لا يكون
 وجوده عين ذاته بحاله باقياً فتحصل ان وجود الحادث آية وجود الواجب القديم
 بل السموات والارض آيات بينات لمدير ازلى حكيم، حيث افاد مولينا
 الرضا(ع): انى لما نظرت الى جسدى و لم يمكتنى فيه زيادة ولا نقصان فى
 العرض والطول و دفع المكاره فيه و جرّ المنفعة اليه علمت ان لهذا البنيان بانياً
 فاقتررت به مع ماارى من دوران الفلك بقدرته و انشاء السحاب و تصريف
 الرياح و مجرى الشمس والقمر و النجوم و غير ذلك من الآيات العجيبات
 المبيّنات علمت ان لهذا مقدراً^٢ و منشئاً^٣ لان الموجود الذى لا يكون وجوده عين
 ذاته فهو آية بينة لموجود ازلى يكون وجوده عين ذاته بل عينه الوجود فلايناله
 الوهم فضلاً عن الحسّ فالمفكر المادى يزعم بان الوجود مساوق للمادة و ان
 كل موجود مادى و انّ ما لا يكون مادياً فليس بموجود، و اما المتفكر الالهى فيرى
 بانّ الوجود على قسمين احدهما مادى يناله الحسّ فهو من عالم الشهادة والاخر
 مجرد لايناله الحسّ فهو من عالم الغيب و ان كان محيطاً بعالم الشهادة، فالمادى
 يقول لو كان الله تعالى موجوداً لادركه الحسّ وحيث انه ليس بمحسوس فليس
 بموجود لان الميزان الوحيد فى الفلسفة المادية هو الحسّ او ما يستند اليه و هو
 التجربة واما الفيلسوف الالهى فيقول لابدوان يكون للحادث مبدء ازلى قديم
 مصون عن الحسّ اذ لو كان محسوساً لما كان وجوده عين ذاته لاحتياجه الى اين و

(١) نهج البلاغة صبحى صالح ص ٢١٥.

(٢) توحيد الصدوق ص ٢٩٣.

متى وكم وكيف وغير ذلك حتى يناله الحس و كل ما كان محتاجاً فليس
 ببداء ازلى كما افاده مولينا(ع) حيث قال السائل اوجدنى كيف هو اين
 هو فقال (ع) **وَيْلَكَ إِنَّ الَّذِي ذَهَبَتْ إِلَيْهِ غَلَطٌ هُوَ أَيْنَ الْأَيْنِ بِلاَ أَيْنٍ وَ
 كَيْفَ الْكَيْفِ بِلاَ كَيْفٍ فَلَا يَعْرِفُ بِالْكَيفِ فَوْفِيهِ وَلَا بِأَيْنُوْتِهِ وَلَا يُدْرِكُ
 بِحَاسَّةٍ وَلَا يُقَاسُ بِشَيْءٍ** فقال الرجل فاذاً انه لا شىء اذ لم يُدرك بحاسة من
 الحواس فقال (ع) **وَيْلَكَ لَمَّا عَجَزَتْ حَوَاسِكَ عَنْ إِدْرَاكِهِ أَنْكَرْتَ رَبُّوْبِيْتَهُ
 وَخَنُّ إِذَا عَجَزَتْ حَوَاسِنَا عَنْ إِدْرَاكِهِ أَيَقْتًا أَنَّهُ رَبَّنَا خِلَافَ الْأَشْيَاءِ.. ١.**
 ثم ان الامام(ع) كالقرآن يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة و
 كذا يجادل بالتى هى احسن فقد تقدم منه(ع) الدعوة الى الله على بصيرة وحكمة
 واما دعوته اليه بالموعظة الحسنة فبان وعظ رجلاً مادياً بان قال(ع) **أَيُّهَا الرَّجُلُ أَرَأَيْتَ
 إِنْ كَانَ الْقَوْلُ قَوْلِكُمْ وَ لَيْسَ هُوَ كَمَا تَقُولُونَ أَلَسْنَا وَإِيَّاكُمْ شَرْعاً سَوَاءً وَلَا يَصُرُّنَا
 مَا صَلَّيْنَا وَ صُمْنَا وَزَكَّيْنَا وَ أَقْرَبْنَا - فَسَكَتَ - ٢** وإن يكن القول قولنا وهو كما
 نقول أَلَسْتُمْ قَدْ هَلَكْتُمْ وَ نَجَّوْنَا= حيث انه دعوة الى الله تعالى على بصيرة بالموعظة
 الحسنة المستعملة فى الحكمة العملية لا النظرية و ذلك لان وجوب دفع الضرر
 المحتمل امر اعتبارى لا جدوى له فى البحث عن الحقائق العينية.
 نعم لما كان الروح الانسانى فى وحدته كل القوى لوتأثر قواه العلمية عن
 امر لتأثر قواه العملية عنه و بالعكس الأمن أمانت بعض قواه و غطاءه بُمناه
 وارسله فى هواه حتى ادركه زدها فصار اعمى عن الحقائق الموجودة كما تقدم عن
 مولينا(ع) و حيث ان العقل العملى الذى به يعبد الرحمن و يكتسب الجنان
 اتعظ و اشتاق الى بارئه الفاطر اياه يتعرف عقله النظرى و يتكامل و يحيى
 حياة طيبة وهذا هو ما افاده مولينا (ع) عند سؤال الرجل المادى.. **فَلِمَ
 احْتَجَبَ؟** بقوله (ع) **إِنَّ الْأَحْتِجَابَ عَنِ الْخَلْقِ لِكثْرَةِ ذُنُوبِهِمْ فَأَمَّا هُوَ**

فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي آثَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَ لِهَذَا الْمَقَالِ مَقَامَ آخِرِ لَعْلِهِ يَأْتِي
بِمَن تَعَالَى .

فَتَبَيَّنَ مِمَّا تَقَدَّمَ أَوَّلًا أَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ حَادِثٌ فَلَهُ مَبْدَأٌ أَزَلَى قَدِيمٌ وَإِنَّ كُلَّ
مَوْجُودٍ لَا يَكُونُ وَجُودَهُ عَيْنَ ذَاتِهِ فَهُوَ مَحْتَاجٌ إِلَى مَوْجُودٍ يَكُونُ وَجُودَهُ عَيْنَ ذَاتِهِ وَ
هَذَا هُوَ بَرَاهَانُ الْحَادِثِ وَ بَرَاهَانُ الْإِمْكَانِ الدَّارِجِ فِي الْفَلَسَفَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَ ثَانِيًا أَنَّ
الْمَوْجُودَ الَّذِي لَا يَكُونُ وَجُودَهُ عَيْنَ ذَاتِهِ فَلَنْ يُوجَدَ صَدْفَةً بَلْ هُوَ مَعْلُولٌ لِعَلَّتَهُ
الْقِيَمَةُ عَلَيْهِ وَ هَذَا هُوَ النِّظَامُ الْعَلِيِّ السَّارِي فِي الْحَقَائِقِ الْعَيْنِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ .

وَ ثَالِثًا أَنَّ الْمَوْجُودَ عَلَى قَسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا مَادِي مَشْهُودٌ بِالْحَسِّ وَالْآخَرُ مَجْرَدٌ
غَائِبٌ مُدْرِكٌ بِالْعَقْلِ .

وَ رَابِعًا أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ مَوْجُودٌ مُطْلَقٌ لَا يَعْزَبُ عَنْ شَيْءٍ وَلَا يَعْزَبُ عَنْهُ شَيْءٌ
لِأَنَّهُ نَوْرٌ بَحْتٌ بِلاظْلَامٍ وَ أَمَّا الْحِجَابُ عَنْهُ هُوَ ذُنُوبُ الْخَلْقِ وَ أَنَّ الْمُطَهَّرَ مِنْ
رَجَسِ الذَّنْبِ يَرَاهُ بِحَقِيقَةِ قَلْبِهِ السَّلِيمِ وَ يَشَاهِدُهُ بِبَاطِنِ سِرِّهِ الطَّاهِرِ عَنْ دَرَنِ
رُؤْيَةِ الْغَيْرِ كَمَا قَالِ امِيرُ الْبَيَانِ فِي بَيَانِهِ الْإِمْرَعَلِي كُلِّ بَيَانٍ .. وَ بَلَّكَ يَا ذِغْلِبُ لَمْ

تَرَهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْإِبْصَارِ وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ .. وَ قَدْ قَالَ قَبْلَ
ذَلِكَ يَا ذِغْلِبُ مَا كُنْتُ أَعْبُدُ رَبًّا لَمْ أَرَهُ ١ وَ كَمَا قَالَ مَوْلَانَا الرِّضَا (ع) قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ (ص) لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ بَلَغَ بِي جَبْرَائِيلُ مَكَانًا لَمْ يَطَّأَهُ
جَبْرَائِيلُ قَطًّا فَكَشَفَ لِي فَأَرَانِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ نُورٍ عَظَمَتِهِ مَا أَحَبُّ ٢ وَ
أَجَابَ أَبُو الْحَسَنِ (ع) قَوْلَ السَّائِلِ هَلْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ (ص) رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
بِقَوْلِهِ (ع) نَعَمْ بِقَلْبِهِ رَأَاهُ أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ، أَيْ
لَمْ يَرَهُ بِالْبَصْرِ وَلَكِنْ رَأَاهُ بِالْفُؤَادِ ٣ .

(١) توحيد الصدوق ص ٢٥٢ .

(٢) توحيد الصدوق ص ٣٠٨ .

(٣) توحيد ص ١٠٨ .

(٤) توحيد الصدوق ص ١١٦ .

الفصل الثاني

في البرهان على ان الله سبحانه واحد لا شريك له
ان التوحيد المبحوث عنه في الفلسفة الالهية على درجات منها ما يرجع الى وحدة الموجود الواجب وانه لا واجب سواه و منها ما يرجع الى وحدة الموجود الخالق و انه لاخالق عداه و منها ما يرجع الى وحدة الموجود الرب و انه لا رب سواه، و اما التوحيد العبادى الذى يرجع الى وحدة المعبود وانه يجب ان يُعبَد هو وحده دون غيره لا بالاستقلال ولا بالشركة فيبحث عنه في الحكمة العملية الباحثة عن كيفية العبادة كما ان التوحيد الوجودى الذى يرجع الى وحدة الموجود وانه لا شريك له في اصل الوجود فهو ايضاً خارج من المقام يبحث عنه في العرفان.

وحيث ان توحيد الله سبحانه مثل اصل وجوده له مراتب حسب درجات عقول الناس الذين هم معادن كمعادن الذهب والفضة وقد امر معاشر الانبياء و كذا اوصيائهم ان يكلموا الناس على قدر عقولهم فلذا ترى مولينا الرضا(ع) قد يستدل لتوحيد الخالق بدليل ساذج يتلقاه البسيط بالقبول و قد يستدل له ببرهان عميق فلسفى يخضع لديه ارباب العقول فن القسم الأول انه لما قال رجل من الثنوية ان صانع العالم اثنان فما الدليل على انه واحد؟ فقال الرضا(ع) قَوْلِكَ اِنَّهُ اِثْنَانِ دَلِيلٌ عَلَى اَنَّهُ وَاَحَدٌ لِاَنَّكَ لَمْ تَدْعِ الثَّانِيَّ اِلَّا بَعْدَ اِبْتِائِكَ الْوَاحِدِ فَالْوَاحِدُ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ وَاكْثَرُ مِنْ وَاَحِدٍ مُخْتَلَفٌ فِيهِ^١ حيث انه اكتفى بان الموحد قائل بالخالق الواحد، والثنوى ايضاً يقبل الواحد الا انه يدعى الهاً آخر فعليه ان يستدل على الثنوية لاعلى الموحد ان يقيم البرهان على الوحدة المتفق عليها ولكن الحق ان الموحد يدعى الحصر وانه لا اله الا الله فعليه ان يبرهن على مدعاه وهو الحصر المؤلف من اثبات الله سبحانه ونفى ما عداه كما ان الثنوى ايضاً مأخوذ بقوله تعالى هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

فالمقام من قبيل التداعى لا الدعوى والانكار الا انه كاف لمن لم يؤت الحكمة و لم يرزق الفطنة النقاة وان لم يكف لمن اوتى الحكمة ورزق الذكاء البانغ .

ومن القسم الثانى وهو اكثر ما روى عن مولينا الرضا(ع) انه قال (ع) =
أَوَّلُ عِبَادَةِ اللَّهِ مَعْرِفَتُهُ وَأَصْلُ مَعْرِفَةِ اللَّهِ جَلَّ اسْمُهُ تَوْجِيدُهُ وَنِظَامُ تَوْجِيدِهِ نَبِيُّ التَّحْدِيدِ عَنْهُ لِشَهَادَةِ الْعُقُولِ أَنَّ كُلَّ مَحْدُودٍ مَخْلُوقٌ وَشَهَادَةِ كُلِّ مَخْلُوقٍ أَنَّ لَهُ خَالِقًا لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ الْمُمْتَنِعُ مِنَ الْحَدَثِ هُوَ الْقَدِيمُ فِي الْأَزْلِ ^١ = ان امتن البراهين على توحيد الله سبحانه هو انه موجود مطلق غير مقيد بشيء ولا نهاية لوجوده فحينئذ لا مجال لفرض اله آخر لانه فرض محال لا انه فرض للمحال اذ ادراك الموجود المطلق الغير المتناهى لا يدع مجالاً لفرض واجب آخر حيث ان غير المتناهى قد ملأ الوجود كله فايضا تولوا وجوه عقولكم فثم وجه الواجب الواحد الغير المحدود فاين المجال لفرض غيره وهذا الاصل اعنى كون الواجب موجوداً صرفاً غير محدود بحدٍ وغير متناهٍ الى نهاية هو الاساس لغير واحد من المعارف المستفادة من العترة الطاهرة(ع).

و الدليل عليه ايضاً هو انه لو كان محدوداً لكان مخلوقاً لان كل محدود فله حد لا يتعداه وليس واجداً لما وراء حده فله حادٌ يعين حده الخاص فكل محدود فهو مخلوق و كل مخلوق فله خالق لا يكون مثله محتاجاً الى خالق لان وجوده عين ذاته فلا يحتاج الى غيره كما ان الحادث يحتاج الى قديم لا يكون مثله فبدء الحادث هو الممتنع من الحدوث وهو القديم فى الازل فهذا التحليل يمكن ان يستدل لوحدة الخالق بنفس وجوده الغير المتناهى لان اطلاق الوجود وعدم تناهيه ليس وصفاً زائداً وامراً خارجاً عن اصل الوجود بل ليس الا تأكده و شدة نوريته فلا يكون وصفاً زائداً فح يكون اطلاقه وعدم تناهيه الذى هو عبارة عن اصل وجوده و متن حقيقته دليلاً على وحدته وهذا هو الحرقى بان يستفاد من قوله تعالى «**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**» اى الوهيته يشهد بوحده لان

الالهية المطلقة الغير المتناهية تكون شاهدة بانه لاشريك له تعالى ولا مجال لفرضه اصلاً.

فهو تعالى دليل نفسه في التوحيد كما انه كك في اصل الثبوت ببرهان الصديقين لان الوجود الحق الذي لا يشوبه شيء فهو واجب بذاته وجوباً ازلياً كما في محله وحيث انه صرف الوجود و صرف الشيء لا يتكرر فالواجب الخالق لا يثبتي ولا يتكرر و حيث انه بسيط محض و البسيط المحض لا يفقد شيئاً والآصار مركباً من وجدان شيء و فقدان شيء آخر وهذا هو شرّ التراكيب كما قيل لعدم رجوعه الى البساطة اصلاً فلما جال ح لفرض الواجب الثاني والالزم ان يكون كل واحد منها واجداً لنفسه وفاقداً لشقيقه فيصير مركباً لا بسيطاً.

فتحصل ان الواجب الخالق لبساطته البحتة و صرافته الاطلاقية لا يفرض له شريك اصلاً. و الى بساطته المحضة اشار مولينا الرضا (ع) عند بيان انه تعالى واحد لا يُشبه شيئاً ولا يشبه شيء في دفع زعم التشابه بينه تعالى وبين غيره في الوحدة حيث قال السائل.. و الله واحد والانسان واحد أليس قد تشابهت الوحدة؟ فقال (ع) وَالْإِنْسَانُ لَيْسَ وَاحِدًا لِأَنَّ أَعْضَاءَهُ مُخْتَلَفَةٌ وَالْوَانَةُ مُخْتَلَفَةٌ كَثِيرَةٌ غَيْرُ وَاحِدَةٍ.. وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَاحِدٌ لِأَوْاحِدٍ غَيْرُهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَلَا تَقَاوُتَ وَلَا زِيَادَةَ وَلَا نُقْصَانَ^١.. و الى وحدته الاطلاقية المنزهة عن الكمية اشار (ع) في قوله: لَا يَتَغَيَّرُ اللَّهُ بِتَغَايُرِ الْخَلْقِ وَلَا يَتَحَدَّدُ بِتَحَدُّدِ الْخُدُودِ وَاحِدٌ لِأَيْتَأَمَّلِ عَدَدٌ^٢.. و الى صرافته الوجودية اشار (ع) في قوله.. مَوْجُودٌ لِأَعْنِ عَدَمٍ^٣.. اذ لو كان له مادة او ماهية سابقة على وجوده بان يكون وجوده مسبوقاً بعدم زمانى او ذاتى لما كان وجوداً صرفاً بل كان مشوباً بعدم الزمانى او الذاتى بل و ان لم يكن له مادة ولاماهية كما يقال في بعض المجردات التامة النورية الا انه لو كان وجوب وجوده وجوباً ذاتياً لا ازلياً

(١) مستند الامام الرضا (ع) ج ١ ص ٤٠.

(٢١) امالي المفيد ص ٢٥٥.

لكان مسبوقةً بعدم عند التحليل و لما كان وجوداً صرفاً فالقول المطلق بانه تعالى موجود لاعن عدم انما يتم عند صرافته الوجودية لاغير فعه لاجمال لفرض التعدد فضلاً عن امكانه لان وجوده تعالى كما انه سابق على كل وقت و زمان كك سابق على اى عدم مادى او ماهوى متصور كما افاد مولينا(ع) سَبَقَ الْأَوْقَاتِ كَوْنُهُ وَالْعَدَمُ وَجُودُهُ^١.

و حيث انه موجود صرف لايتصور هناك شىء ثان، يصح القول بانه تعالى كان ولا شىء معه كما انه هو الآن كك اذ لاجمال لشىء آخر مع الوجود الصرف فى رتبته و ان كان تعالى مع كل شىء - وهو معكم اينما كنتم - لان المعية انما يتصور بين شيئين بالقياس الى امر ثالث مشترك فيه و بدونه لا يكون للمعية بين شيئين معنى كما لا يكون لتقدم احدهما على الآخر ايضاً معنى لان الشيئين اذا لم يشتركا فى امر كانا اجنبيين ولا يتصور بينهما نسبة من النسب اصلاً و هذا هو سر ما قال مولينا(ع): **أَمَّا الْوَاحِدُ فَلَمْ يَزَلْ وَاحِدًا كَأَنَّهَا لِأَشْيَاءٍ مَعَهُ بِالْأَحْدُودِ وَلَا أَعْرَاضٍ وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ ثُمَّ خَلَقَ خَلْقًا مُبْتَدِعًا**..^٢ و ليس معنى قوله (ع) ثم خلق، انه تحول عما كان عليه من نفي المعية الى اثباتها بان يكون الخلق ح معه اذ المعية بين شيئين كما تقدم يستدعى امراً ثالثاً هو الملك المشترك بينهما على السوية و اى ثالث مفروض فهو فعله و خلقه تعالى لان الوجوب الازلى منحصر فيه تعالى فكل ما عداه فهو فيضه فلا يكون امراً مبائناً عنه حتى يشترك فيه المبدء الفياض و فعله.

و حيث انه موجود بسيط و واحد محض يصح القول بان فيضه الصادر منه امر واحد بسيط مطلق داخل فى الاشياء لا بالممازجة و خارج عنها لا بالمباينة من دون ان يراد من الفيض الواحد، الفعل الواحد العددى لان العدد و غيره من الكميات و هكذا سائر الاعراض انما تقع فى المراتب النازلة او الوسطى من

(١) امالى المفيد ص ٢٥٦.

(٢) توحيد الصدوق ص ٤٣٠.

مراتب ذلك الفيض الواحد بالوحدة الاطلاقية فلا مجال للوحدة العددية بـ نسبة الى فيضه العميم ولطفه المطلق المعبر عنه بوجه الله والفيض المنبسط وهذا هو المراد من القاعدة الفلسفية الناطقة بأن الواحد لا يصدر عنه الا واحداً.

ولعله الى هذا يشير مولينا الرضا(ع) في بيان ان علمه تعالى ليس حصولياً و انه يعلم ما يعلم بذاته لا بكيف نفساني و ضمير.. أَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْوَاحِدَ لَيْسَ يُوَصَّفُ بِضَمِيرٍ وَ لَيْسَ يُقَالُ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ فِعْلٍ وَ عَمَلٍ وَ صُنْعٍ وَ لَيْسَ يُتَوَهَّمُ مِنْهُ مَذَاهِبٌ وَ تَحْزِينَةٌ كَمَذَاهِبِ الْخُلُقِيِّينَ وَ تَحْزِينَتِهِمْ فَاعْقِلْ ذَلِكَ وَ ابْنِ عَلَيْهِ مَا عَلِمْتَ صَوَاباً وَ قد تقدم ان بساطة الواجب تعالى و صرافته الوجودية و وحدته الاطلاقية باب يفتح منه الف باب فلذا قال مولينا(ع).. فَاعْقِلْ ذَلِكَ وَ ابْنِ عَلَيْهِ مَا عَلِمْتَ صَوَاباً وَ هذامنه (ع) حَتَّى الى الاجتهاد في المعارف و تحضيض على التدبر فيها و ترغيب الى الفلسفة الالهية الباحثة عنها. فتبين مما تقدم اولاً ان كل محدود فهو مخلوق و ان ما ليس بمخلوق فهو ليس بمحدود الى حد فلانهاية لوجوده.

وثانياً ان الخالق واحد لا شريك له لان المطلق الغير المتناهي قد ملك الوجود كله فلا مجال لغيره اذ الثاني المفروض لا بد وان يكون له من الوجود سهم ولا سهم لغير المطلق المذكور منه اصلاً فهو الخالق مطلقاً كما قال سبحانه الله خالق كل شيء فمن صدق عليه اسم الشيء فهو مخلوق لله تعالى و مشمول لسعة رحمته و خلقتة.

وثالثاً ان الواجب واحد لا ثاني له لان الخالقية وصف من اوصافه الفعلية فعدم تناهي هذا الوصف انما هو لاطلاق الذات الموصوفة به و عدم تناهيها البته فاطلاقها الذاتي يشهد لوحده ضرورة.

ورابعاً ان وحدته الاطلاقية مبدء لفيض واحد منبسط على جميع الاشياء من صدر العرش الى ساقية الفرش داخل ذلك الفيض المنبسط في الاشياء

المستفيضة لابان يمتزج الفيض و المستفيض و ينصغ بصبغته و خارج عنها
لابالمزيلة بان يزول الفيض و يبقى المستفيض كما ان النفس الواحد داخل في
الحروف والكلمات لابالمازجة و خارج عنها لابالمباينة.

و تحقيق كون المراد من الفيض الواحد هو ما ذكر على ذمة قاعدة - الواحد
لا يصدر عنه الا الواحد - المبحوث عنها في الفلسفة الالهية و مشاهدة كون المراد
من الداخل في الاشياء لابالمازجة هو الفيض المطلق المنبسط لالهوية الذاتية
التي لا اسم لها ولا رسم «و يُحَذِرُكُمْ اللهُ نَفْسَهُ»^١ في مرآة العرفان و الجمع بينها
في مآدبة الحكمة المتعالية المتلقاة من لدن اهل بيت آتاهم الله الحكم والكتاب
الذين قال اولهم وهو على بن ابيطالب (ع) و آخرهم وهو المهدي المنتظر (ع)
فَاِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا وَ الْخَلْقُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا^٢ كَيْفَ لَا وَهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَ مَوْتُ
الْجَهْلِ^٣ وَ هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ وَ جَأْأَمْرِهِ وَ عَيْبُهُ عِلْمِهِ وَ مَوْتُهُ حُكْمُهُ وَ كُھُوفُ
كُتُبِهِ وَ جِبَالُ دِينِهِ بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ وَ أَذْهَبَ اِرْتِعَادَ فَرَائِصِهِ^٤.

و خامساً ان الرب و هو الموجود المدبر للاشياء واحد لاشريك له لان
الربوبية لا تنفك عن الخلقه اما لانها عبارة عن خلق الاوصاف و ايجاد الروابط
الخاصة بين الموجودات و ليست امراً و راء الخلقه فالدليل الذي يدل على توحيد
الخالق فهو بعينه دال على توحيد الرب و اما لانها اي الربوبية انما تصح
للخالق لا غير لان التدبير و التربية و ما الى ذلك من الشؤون الوجودية انما يتمشى
ممن اوجدها و علم بمبدئها و منتهائها و ما ينفع لها و ما يضرها لان تدبير الاشياء
العينية لا يمكن الا من طريق عللها الخارجية و ذوات الاسباب لا تعرف الا
باسبابها فالم يعلم تلك الاسباب لا يمكن معرفة تلك الاشياء فلا مجال (ح)

(١) آل عمران آية ٢٨

(٢) نهج البلاغة . صفحہ ٣٨٦

(٣) نهج البلاغة ص ٣٥٧ .

(٤) نهج البلاغة صبحی صالح ص ٤٧ .

لتدبيرها ولا يتيسر ذلك الالمسبب الاسباب العالم بحقائقها بحيث لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فهو الرب لا غير «قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون» سورة انعام آية ٩١ =

الفصل الثالث

في البرهان على ان صفات الله عين ذاته و ان الصفات الزائدة مسلوبة عنه تعالى

ان الوصف اما كمال وجودى و اما نقص عدمى و الثانى وصف سلبي للكمال المطلق و هو الله تعالى لان الوجود المحض لا يتصف بشيء من النقص والاعدام و اما الاول فهو ان كان كمالاً محدوداً فحده نقص مسلوب عن الكمال البحت و ان كان مطلقاً غير محدود فهو وصف ثبوتى لله تعالى الا انه عين الموصوف وجوداً و ان كان غيره مفهوماً والسر هو ما تقدم فى بيان الوحدة الاطلاقية من ان الكمال الوجودى المطلق لا يشذ عن كمال ولا يشذ عنه كمال فجميع الاوصاف الكمالية المطلقة هى من اوصاف الله سبحانه بان تكون عينه لازائدة عليه و الى ذلك يرجع ما افاده مولينا (ع) حيث قال (ع): لَمْ يَزَلِ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلِيماً قَادِراً حَيّاً سَمِيعاً بَصِيراً قِيلَ لَهُ يَا بَنَ رَسُولِ اللهِ اِنْ قَوْمًا يَقُولُونَ اِنَّهُ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يَزَلْ عَالِماً بَعْلِماً وَ قَادِراً بِقُدْرَةٍ وَ حَيّاً بِحَيَاةٍ وَ قَدِيماً بِقَدَمٍ وَ سَمِيعاً بِسَمْعٍ وَ بَصِيراً بِبَصَرٍ فَقَالَ (ع) مَنْ قَالَ ذَلِكَ وَ دَانَ بِهِ فَقَدْ اتَّخَذَ مَعَ اللهِ اِلَهَةً اُخْرَى وَ لَيْسَ مِنْ وِلَايَتِنَا عَلَى شَيْءٍ ثُمَّ قَالَ (ع) لَمْ يَزَلِ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلِيماً قَادِراً حَيّاً قَدِيماً سَمِيعاً بَصِيراً لِذَاتِهِ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ وَ الْمُشْتَبِهُونَ عَلَوًّا كَبِيْرًا (ع) و وصف الله سبحانه باوصاف كمالية وجودية هى عين ذاته لازائدة عليه كما فى غيره تعالى من ذوى الاوصاف الزائدة

على ذواتهم اذ لو كانت صفاته تعالى زائدة على ذاته لكانت مثله قديمة ازلية و لصارت آلهة اخرى مع الله الواحد القهار و يلزم من وجودها العدم رأساً لان التعدد انما يتصور في الامور المحدودة اذ غير المحدود لا ثاني له كما مرّ وقد تبين ان كل محدود مخلوق وله خالق ليس بمخلوق فح يلزم ان يكون ذلك الموصوف المحدود و تلك الصفات المحدودة مخلوقة ولها خالق فما فرض الهاً فاصبح مألوهاً مخلوقاً.

و كما ان اصل ذاته تعالى دليل على ذاته و ذاته دليل على وحدته فعند ثبوت شريك له تزول وحدته و بزوال وحدته تزول ذاته فما كان واجباً لصار ممكناً و ما كان خالقاً لاصبح مخلوقاً فعليه يلزم ان لا تكون صفاته الكمالية زائدة على ذاته تعالى بل عينه لشهادة الصفة الزائدة على الذات انها غير الموصوف و شهادة الموصوف المزيّد عليه انه غير الصفة الزائدة فاذا كانا متغايرين يكونان محدودين لان كل متغاير فله حدّ لا يتعداه و كل محدود مخلوق كما تبين و هذا بخلاف الصفة الكمالية التي تكون هي عين ذات الموصوف لشهادة كل واحد من الوصف والموصوف بالعينية لان الوصف ح عين الموصوف كما ان الموصوف عين الوصف و من المعلوم ان كل شى يشهد لنفسه لان ثبوت الشىء لنفسه ضرورى و كذا اثباته له اولى و الى ذلك يرجع ما افاده مولينا الرضا(ع) حيث قال(ع): **أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ وَ كَمَالُ المَعْرِفَةِ تَوْجِيدُهُ وَ كَمَالُ التَّوْجِيدِ نَقْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ المَوْصُوفِ وَ شَهَادَةُ المَوْصُوفِ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ وَ شَهَادَتُهُمَا جَمِيعاً عَلَى أَنْفُسِهِمَا بِالبَيِّنَةِ المُمْتَنِعِ مِنْهَا الأَزَلُ فَمَنْ وَصَفَ اللهُ فَقَدْ حَدَّهُ وَ مَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ وَ مَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ** الى ان قال **وَ كَذَلِكَ يُوصَفُ رَبُّنَا وَ هُوَ فَوْقَ مَا يَصِفُهُ الوَاصِفُونَ** اذ المراد من الصفات المنفية هي الزائدة منها على الذات لانها التي تشهد على المغايرة كشهادة الموصوف بها عليها وشهادتها جميعاً على البينونة الممتنع منها الازل اذ

ليس الموجود الازلي الآ واحداً مطلقاً غير محدود فلا غير هناك حتى يتباين معه
اذلا مجال للغير في تجاه الموجود الغير المتناهي كما تقدم.

و اما الصفات الكمالية التي تكون هي عين الذات فكمال التوحيد هو
اثباتها لها لان الذات الفاقدة لها تكون محدودة لخروجها عن تلك الذات
ولاشيء من المحدود بواجب ولا خالق قَمَنُ وصفه تعالى بصفة كمالية هي عين
ذاته فقد وحده و مَن وحده فقد نزّهه عن العدد و من قَدَّسه عن العدد فقد
اثبت ازله و كذلك يوصف الله سبحانه.

فتبين مما تقدم اولاً ان الامور العدمية مسلوبة عن الله تعالى سلب النقص
عن الكمال المحض فتكون من الصفات السلبية.

وثانياً ان الامور الوجودية اذا كانت كمالات للموجود بما انه موجود لا بما
انه مادي او ماهوى مثلاً و أخذت مطلقاً بلا نهاية فهي ثابتة له تعالى ثبوت
الكمال للكمال الصرف فتكون من الصفات الثبوتية.

وثالثاً ان تلك الاوصاف الكمالية الغير المتناهية تكون عين الذات لازائدة
عليها و كمال التوحيد هو نفي الصفات الزائدة و اثبات الصفات العينية.

ورابعاً انه ليس لاحد توصيفه تعالى الا بما وصفه مولينا الرضا (ع) وغيره
من عباد الله المخلصين - بالفتح - فلذا قال (ع) قَمَنُ وَصَفَ اللهُ فَقَدْ حَدَّهُ.. و
قال كَذَلِكَ يُوصَفُ رَبُّنَا وَهُوَ فَوْقَ مَا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ - بان منع من
التوصيف بانه تحديد ثم وصفه بتوصيف يكون توحيداً لتحديداً ثم قال و كذلك
يوصف ربنا... و السرقي ذلك هو انه (ع) كان من عباده المخلصين الذين لهم
ان يصفوا الله بما لا يوجب التعطيل ولا التشبيه ولا غير ذلك من المحاذير فليس
لاحد ان يصفه تعالى بوصف زائد لانه تحديد وإلحاد فلذا قال (ع) لَا يَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ خَلْقَ الْأَشْيَاءِ بِالْقُدْرَةِ لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بِالْقُدْرَةِ فَكَأَنَّكَ
قَدْ جَعَلْتَ الْقُدْرَةَ شَيْئاً غَيْرَهُ وَجَعَلْتَهَا آلَةً لَهَا خَلَقَ الْأَشْيَاءَ وَهَذَا شِرْكٌ^١

وهكذا في غير القدرة كالعلم والحياة لان هذه الاوصاف الكمالية الغير المتناهية هي عين الذات الواجبة فانه لما قال يونس بن عبد الرحمن لمولينا الرضا (ع) رَوَّيْنَا اَنْ اَللّٰهُ عِلْمٌ لَّا جَهْلَ فِيْهِ حَيَاةٌ لَّا مَوْتَ فِيْهِ نُوْرٌ لَّا ظِلْمَةَ فِيْهِ، قَالَ (ع) كَذَلِكَ هُوَ فَكَمَالِ التَّوْحِيدِ هُوَ اَثْبَاتِ الصِّفَاتِ الَّوْجُوْدِيَةِ الْغَيْرِ الْمُنْتَاهِيَةِ الَّتِي تَكُوْنُ هِيَ عَيْنِ الذَّاتِ الْمَوْصُوْفَةِ بِحَيْثُ لَا تَغَايِرَ بَيْنَهَا اِلَّا فِي الْمَفْهُومِ دُوْنَ الْمَصْدَقِ وَدُوْنَ حَيْثِيَةِ الصَّدَقِ اَيْضًا.

وخامساً ان الصفات الكمالية الوجودية كما انها تكون عين الذات ككل تكون كل واحدة منها عين الاخرى لا مجردان الامور المتحدة مع الموجود البسيط متحدة معاً بل لجريان اصل دليل العينية والاتحاد فيها ايضاً لان كل واحدة منها كمال وجودي بسيط غير متناه اذ العلم مثلاً وجود مجرد حاضر غير محدود وكذا القدرة والحياة و..، ومن المعلوم انه اذا كان كمال وجودي بسيط غير متناه فلا يتصور في قبالة كمال وجودي آخر مبائن عنه الا في المفهوم فقط فح نفس عدم تناهي الصفات اقوى شاهد على اتحاد بعضها مع بعض وعينيتهما معاً.

وسادساً ان ولاية اهل بيت الحكمة (ع) الَّذِينَ فِيهِمْ كَرَامَةُ الْقُرْآنِ وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ اِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا وَاِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسَبِّحُوا^٢ هي التوحيد الكامل و هو نقي الصفات الزائدة واثبات الصفات التي تكون هي عين ذاته سبحانه حيث افاد مولينا الرضا (ع) بعد اثبات الصفات الكمالية الازلية اِنَّ مَنْ وَصَفَهُ تَعَالَى بِاَوْصَافٍ زَائِدَةٍ عَلٰى ذَاتِهِ وَدَانَ بِهٖ فَقَدْ اَتَّخَذَ مَعَ اللّٰهِ اٰلِهَةً اٰخَرٰى وَ لَيْسَ مِنْ وَاٰتِنَا عَلٰى شَيْءٍ^٣ والسبب في ذلك هو ان ولاية الموحد المخلص هي العصمة بالتوحيد الكامل فن اعتصم به وصار موحداً فهو ولي لهم (ع) ومن لم يبال في ذلك و اقتصر على دعوى الولاية ولم يبذل جهده فيما صدر عن كنوز

(١) التوحيد ص ١٣٨.

(٢) نهج البلاغة صبحي صالح ص ٢١٥.

(٣) توحيد الصدوق ص ١٤٠.

الرحمن ولم يستمع الى ما نطقوا به فلعلّ دعواه ليس مشفوعاً بالبرهان ولعله الى ذلك ايضاً يشير ما عن مولينا الرضا(ع) في حديثه المعروف... **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي**، فلما مرّت الراحلة نادى(ع) **بِشُرُوطِهَا وَأَنَا مِنْ شُرُوطِهَا** لان معنى كون الاعتقاد بامامته(ع) شرطاً من شروط تلك الكلمة الطيبة الحصينة هو ادراك معارفه(ع) والاعتقاد بها والالتزام بما افاده وامره ونهاه والامتناء به(ع) في جميع الشؤون الحيوية لان هذا هو التولى الكامل في جناحى العلم والعمل اللذين بهما يطير الانسان وبذلك يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه.

الفصل الرابع

في البرهان على أنّ صفات الفعل خارجة عن ذات الله سبحانه ومنتزعة عن مقام الفعل

كل وصف وجودى هو كمال للموجود بما انه موجود وليس في نفسه نقصاً ولا في اسناده الى الكمال المحض اى الحق سبحانه نقصٌ ولكنه محدود وله مقابل آخر مثله في المحدودية فهو من الاوصاف الفعلية لله سبحانه وذلك كالاحياء والاماتة والرضاء والسخط والعدواة والمحبة والارادة والكرهه ونحو ذلك.

ومعنى كون شىء وصفاً للفعل لالذات هو انه ينتزع من مقام الفعل ويوجد بوجوده وينعدم بانعدامه من دون ان يتصف به الذات وينتزع من مقامه والالزم الجمع بين طرفى النقيض وهوان يكون موجود واحد بما انه واحد بسيط محدوداً وليس بمحدود، موجوداً وليس بموجود، لان الوصف المحدود اذا كان عين الذات الغير المحدود يلزم المحذور الاول ولان الوصف المحدود اذا كان

موجوداً تارة ومعدوماً أخرى وهو مع ذلك عين الذات يلزم المحذور الثاني .
 وإلى ذلك يرجع ما افاده مولينا الرضا (ع) في حدوث الإرادة وانها من
 صفة الفعل لا الذات حيث قال (ع) لسليمان المروزي سَلَّ عَمَّا بَدَا لَكَ قَالَ: مَا
 تَقُولُ فِي مَنْ جَعَلَ الْإِرَادَةَ إِسْمًا وَصِفَةً مِثْلَ حَيٍّ وَسَمِيعٍ وَبَصِيرٍ وَقَدِيرٍ؟
 قَالَ الرضا (ع) إِنَّمَا قُلْتُمْ حَدَّثْتِ الْأَشْيَاءَ وَاخْتَلَفْتِ لِأَنَّهُ شَاءَ وَأَرَادَ وَمِثْلُ تَقُولُوا
 حَدَّثْتِ وَاخْتَلَفْتِ لِأَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ بِمِثْلِ سَمِيعٍ
 وَلَا بَصِيرٍ وَلَا قَدِيرٍ والمراد من قوله (ع) إِنَّمَا قُلْتُمْ ... ولم تقولوا هو
 بيان التعليل وان علة حدوث الشئ ومسبوقيته بالعدم هي مسبوقية
 الإرادة كك .

كما ان علة اختلاف الاشياء الحادثة هي اختلاف الإرادة بخلاف السمع
 والبصر لعدم حدوثها اذ لم يكونا مسبوقين بالعدم ولعدم اختلافهما لانه تعالى
 كان في الازل سميعاً اذلا مسموع بلا اختلاف وكان بصيراً كذلك بلا تفاوت
 ثم قال سليمان المروزي فَإِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ مُرَبِّدًا قَالَ (ع) يَا سُلَيْمَانَ فَإِرَادَتُهُ
 غَيْرُهُ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ (ع) فَقَدْ أَثْبَتَ مَعَهُ شَيْئًا غَيْرَهُ لَمْ يَزَلْ قَالَ سُلَيْمَانُ مَا
 أَثْبَتَ قَالَ الرضا (ع) أَهْيَ مُحَدَّثَةٌ قَالَ سُلَيْمَانُ لِأَمَاهِي مُحَدَّثَةٌ فَصَاحَ بِهِ
 الْمُأْمُونُ وَقَالَ ... عَلَيْكَ بِالْإِنْصَافِ أَمَا تَرَى مَنْ حَوْلَكَ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ ...
 فاعاد عليه المسئلة فقال هِيَ مُحَدَّثَةٌ يَا سُلَيْمَانَ فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَزَلِيًّا
 كَانَ مُحَدَّثًا وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مُحَدَّثًا كَانَ أَزَلِيًّا...^٢ وحيث ان الإزلية والحدوث
 نقيضان وهما لا يرتفعان. اذا في ارتفاعهما اجتماعهما كما تفظن به الشيخ الرئيس ابن
 سينا^٣ وقد اولى الامتناع ولذا صاح به المؤمن وقال .. عَلَيْكَ بِالْإِنْصَافِ ..
 فلا بد من تحقق احدهما فإما الازلية واما الحدوث اما الاول فممتنع لان الإرادة
 انما هي علة تحقق المراد فإما يكون أزلياً وهو ذات الحق سبحانه يستحيل ان

٢١١) توحيد الصدوق ص ٤٤٥ .

٣) الهيات شفا .

يتعلق به الارادة وما يمكن ان يتعلق به الارادة وهو الفعل الخارجى يستحيل ان يكون ازلياً وحيث انه لو كانت الارادة ازلية للزم احد المحذورين وهو تعلق الارادة بذات ازلية او ازلية موجود حادث وكلاهما محال فازلية الارادة ممتنعة و عند امتناعها يتعين كونها محدثة والا ارتفع النقيضان فلا تكون هي ح صفة للذات الازلية كما تقدم وهكذا غيرها من الصفات الفعلية.

نعم لجميع الاوصاف الفعلية اصل تنشأه منه وذلك الاصل وصف ازلى عين ذات الموصوف كالقدرة التى اليها ترجع جميع الافعال الخارجية التى توجد بقول - كن - كما افاده مولينا الرضا (ع) حيث قال .. وَ كُنْ = مِنْهُ صُنْعٌ وَ مَا يَكُونُ بِهِ الْمَصْنُوعُ^١ فوزان كن فيكون هووزان اليجاد والوجود بلاصوت يقرع او نداء يسمع وبلا لفظ ولا نطق بلسان^٢.

ثم ان الكمال الوجودى لما كان كاصل الوجود مقولاً بالتشكيك فيمكن ان يكون له مراتب بعضها وصف ذاتى ازلى وبعضها وصف فعلى حادث وذلك كالعلم فانه حقيقة ذات مراتب بعضها عين الذات وهو علم الذات بذاته و بغيره علماً بسيطاً فى الازل و بعضها عين الفعل وهو العلم التفصيلى المتكثراً بالفعل وكالارادة فانه ايضاً حقيقة ذات مراتب بعضها وهو الابهاج الذاتى المصون عن اى تغير المتحد مع العلم بالنظام الاصلح مصداقاً المتغاير معه مفهوماً = لان مفهوى الابهاج و العلم متغايران = عين الذات و بعضها وهو اليجاد الخارجى المسبوق بالعلم و القدرة عين الفعل و تفصيله فى محله.

ثم انه قد يكون لجميع تلك المراتب التى بعضها عين الذات و بعضها خارج عنه و وصف لفعله اسم واحد و ذلك كالعلم و قد لا يكون لها معنى فارد و ذلك كالقدرة و الاحياء لان الاحياء مرتبة نازلة من القدرة التى هى عين الذات و القدرة هى المرتبة العالية منها الا ان لكل واحد منها اسماً يختص به.

(١) توحيد الصدوق ص ٤٣٦.

(٢) مسند الامام الرضا (ع) ج ١ ص ٢١.

فتبين مما تقدم اولاً ان كل كمال وجودى بما انه كمال للموجود بما هو موجود من غير ان يكون للمادة او الماهية دخالة فيه فهو ان كان ازلياً بسيطاً غير متناه فهو صفة الذات المحكومة بحكمها من الضرورة الازلية وان كان حادثاً محدوداً فهو صفة الفعل المحكومة بحكمه من الفقر الذاتي و الضرورة بالغير من غير ان تسنح للذات الواجبة كما قال مولينا الرضا (ع)...

كُلُّ مَا فِي الْخَلْقِ مِنْ اَثَرٍ غَيْرِ مَوْجُودٍ فِي خَالِقِهِ وَكُلُّ مَا اَمْكَنَ فِيهِ مُتَمَنِّعٌ مِنْ صَانِعِهِ لَا تَجْرِي عَلَيْهِ الْحَرَكَةُ وَالسُّكُونُ وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ اَجْرَاهُ اَوْ يَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ اِبْتَدَاهُ اِذَا لَتَفَاوَتْ ذَاتُهُ وَلَا تَمْتَنَعُ مِنَ الْاَزَلِ مَعْنَاهُ وَلَمَّا كَانَ لِلْبَارِئِ مَعْنَى غَيْرِ الْمُبْرَأِ!

وثانياً ان الكمال الوجودى الذى له مراتب بعضها بسيط ازلى وبعضها حادث فيما لايزال تكون مرتبته الازلية عين الذات الواجبة و مرتبته الحادثة عين الفعل الممكن وذلك كالعلم.

وثالثاً ان الارادة المعهودة فى الكتاب و السنة هى صفة الفعل و أنّ أسمى مراتبها التى هى المتحدة مع العلم بالنظام الاصلح مصداقاً المتغايرة معه مفهوماً هى صفة الذات^٢ ولا مقابل لهذه المرتبة الذاتية.

ورابعاً ان صفات الفعل مع كثرتها ترجع الى فيض واحد متطور باطوار خاصة و ذلك هو ما مرّ من مولينا الرضا (ع) فى قوله .. إِنَّ الْوَاحِدَ.. لَيْسَ يُقَالُ لَهُ اَكْثَرُ مِنْ فِعْلٍ وَعَمَلٍ وَصُنْعٍ^٣ فليس له ضمير و قصد زائد مع الفعل كما فى الانسان المخلوق بل انما امره واحد وهو = كن = اى الصنع و انما التعدد فى المصنوع كما ان - كن - اى اليجاد امر بسيط له ثبات و انما التركيب و التغير فى الموجود المعبر عنه ب - يكون..

(١) امالى المفيد ص ٢٥٧.

(٢) ... شاء ان لا يكون شىء الا يعلم و اراد مثل ذلك توحيد الصدوق ص ٣٣٩.

(٣) توحيد الصدوق ص ٤٣٢.

الفصل الخامس

في البرهان على القضاء والقدر وانه لا يوجد شئ في العالم الا بقضائه تعالى

ان مقتضى التوحيد الربوبى و اطلاق التدبير الغير المتناهى هو انه لا يوجد شئ الا بتدبيره تعالى اذ لو كان خارجاً عن ربوبيته تعالى للزم ان يكون هو نفسه رباً مستقلاً او تحت ربوبية رب مستقل آخر

و يصادم ذلك كله برهان التوحيد الربوبى و انّ الشرك فى الربوبية يقتضى الالحاد فيها و نفيها رأساً للزوم التناهى فى كل واحد من الارباب المتفرقين و لا شئ من الموجود المتناهى برتب مستقل كما تقدم فرجع اى شرك الى الانكار المحض ثم ان النصوص الواردة فى القضاء و القدر على طوائف الاولى ما يدل على لزوم الرضا بقضاء الله تعالى و انه من حقيقة الايمان و يستفاد منها الترغيب فى البحث عنه و العلم به اذا الايمان بشئ يتفرع على معرفته و تتفاوت درجات ذلك الايمان بدرجات هذه المعرفة وجوداً و عدماً و كذا اجمالاً و تفصيلاً، حيث انه روى مولينا الرضا عليه السلام عن آبائه الطاهرين عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

انه قال الله جلّ جلاله: مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِيْ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِقَدْرِىْ فَلْيَتَمَسَّ الْهَامَّ غَيْرِىْ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي كُلِّ قَضَاءٍ اللَّهِ خَيْرَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ^١.

و بهذا المضمون نصوص أخر^٢ لسنا بصدد بيانها اذ البحث انما هو عن خصوص ما عن مولينا الرضا عليه السلام اما بكونه ناقلاً او كونه هو المنقول عنه وهذا الاخير هو المهم فى هذه الرسالة

(١) توحيد الصدوق ص ٣٧١.

(٢) رواية ١٢ و ١٣ و ٢٧ باب القضاء و القدر من كتاب التوحيد.

الثانية ما يدل على صعوبة هذا البحث وكون مسيره وعيراً لا يمس كرامته الا الاوحدى لانه جلّ جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد حيث انه جاء رجلاً الى أمير المؤمنين عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر قال عليه السلام بحر عميق فلا تلجه قال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر قال طريق مظلّم فلا تسلكه قال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر قال سرّ الله فلا تكلفه قال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر فقال أمير المؤمنين عليه السلام أما إذا آتيت فإني سأثلك الخ^١ =

وليس شئ من هذه النواهي مؤلّوياً بل ذلك كله ارشاد الى كونه ثقيلاً لو انزل على جبل لتهافت ولرأيته خاشعاً متصدعاً وانه من الامور الصعبة المستصعبة التي لا يحتملها الا ملك مقرب او نبي مرسل او عبد امتحن الله قلبه للثقوى- و مدينة حصينة وهي الصدور المشروحة بالولاية التي هي حصن حصين من دخله امن من العذاب، والدليل على انه يمكن للاوحدى من اولى العقل ان يصل الى معنى القدر بحسب وسعه.

هو ما افاده امير المؤمنين عليه السلام لذلك السائل المُصرّب بعد الاحتجاب عنه بانه بحر عميق وطريق مظلّم وسرّ الله بان قال عليه السلام أخبرني أكانت رَحْمَةُ اللهِ لِلْعِبَادِ قَبْلَ أَعْمَالِ الْعِبَادِ أَمْ كَانَتْ أَعْمَالُ الْعِبَادِ قَبْلَ رَحْمَةِ اللهِ قَالَ السَّائِلُ بَلْ كَانَتْ رَحْمَةُ اللهِ لِلْعِبَادِ قَبْلَ أَعْمَالِ الْعِبَادِ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْمُوا فَسَلِمُوا عَلَى أَخِيكُمْ...^٢.

لان من عَرَفَ رحمة الله سبحانه وانها وسعت كل شئ وانها تقدمت جميع الاشياء الخاصة الخارجية التي منها اعمال العباد حسب ما يتضح لك في البحث عن الجبر والتفويض وعَرَفَ انّ الرحمة المطلقة لا يقابلها شئ من الغضب اذ لا مقابل للمطلق كما تقدم و ان التي يقابلها الغضب انما هي رحمة خاصة لا

يصعب عليه غوص ذلك البحر و ان كان عميقاً و لا طى تلك الطريق و ان كانت مظلمة و لا الاطلاع على ذلك السر لان من عرف الله بوسعه و عرف رحمته المطلقة فهو محرم لسر الله عزوجل و يشهد له ما قال موسى بن عمران عليه السلام يارب رَضِيْتُ بِمَا قَضَيْتَ تُمِيتُ الْكَبِيرَ وَ تُبْقِي الصَّغِيرَ فَقَالَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ يَا مُوسَى أَمَا تَرْضَانِي لَهُمْ زَارِقاً وَ كَفَيْلاً قَالَ بَلَى يَا رَبِّ فَنِعْمَ الْوَكِيلُ أَنْتَ وَ نِعْمَ الْكَفِيلُ^١.

الثالثة ما يدل على المنع عن الخوض فيه منعاً بالغاً دالاً على ان الذى اطلع اليه فقد نازع الله في سلطانه حيث قال اميرالمؤمنين عليه السلام.

الا ان القدر سر من سر الله و ستر من ستر الله و حرز من حرز الله مرفوع في حجاب الله مطوى عن خلق الله محتوم بخاتم الله سابق في علم الله وضع الله العباد عن علمه و رفعه فوق شهاداتهم و مبلغ عقولهم لانهم لا ينالونه بحقيقة الربانية و لا بقدرة الصمدانية و لا بعظمة النورانية و لا بعزة الوجدانية لانه بحر زاخر خالص لله تعالى عمقه ما بين السماء و الارض عرضه ما بين المشرق و المغرب اسود كالليل الدامس كثير الحيات و الحياتان يعلومرة و يسفل اخرى في قعره شمس تضى لا ينبغى ان يطلع اليها الا الله الواحد الفرد فن تطلع اليها فقد ضاد الله عزوجل في حكمه و نازعه في سلطانه و كشف عن ستره و سره و باء بغضب من الله و ماواه جهنم و بشس المصير^٢

و هذه الطائفة من النصوص ان لم تحمل على منع خصوص القاصرين عن الخوض في معرفة سر القدر فهي محمولة على المنع عن التخرص في عرفانه و تمنى معرفة سر كل شئ شئ خاص نحو الفحص عن سر موت هذا العالم المتورع و دوام حيات ذلك الجاهل المهتك و سر فقر هذا الحكيم المتآله و غناء ذلك الغيبى المتصلب في المادية وكذا

(١) توحيد الصدوق ص ٣٧٤.

(٢) توحيد الصدوق ص ٣٨٣.

البحث عن سرّ أن الله سبحانه يهب لهذا الرجل ذكوراً و لذلك الرجل اناثاً و لذلك الرجل ذكورا و اناثاً و يجعل الرجل الرابع عقيماً و كذا التدبر في سر اضطهاد اولياء الله تعالى و ترفه اعدائه و تنعمهم و سرّ انخدار السيول على اماكن المحرومين الذين يدعون ربهم بالغداة و العشى و يريدون وجهه مع ان الذين يستكبرون في الارض بغيرالحق يتخذون الجبال بيوتاً فارهين و يتخذون مصانع لعلهم يخلدون و ما الى ذلك من الاسرار الجزئية التي لا يمكن البرهان عليها لان البرهان انما يجرى في المعارف الكلية لا الموارد الجزئية و هذا نظير ما دارين موسى و ذلك العبد الصالح الذي علّم من لدى الله علماً من الحوار حيث ان موسى مع ما تقدم منه في الطائفة الثانية من النصوص لما قال .

يَا رَبِّ تَمِيْتُ الْكَبِيرَ وَ تَبَقِيَ الصَّغِيرَ الْخِ قَدْ تَعَرَّضَ فِي غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْمَوَارِدِ لِلسُّؤَالِ عَنْ سِرِّ قَتْلِ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ وَ عَيْبِ سَفِينَةِ كَانَتْ لِمَسَاكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ وَ بِنَاءِ جِدَارٍ يَرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ بِلَا أَجْرٍ وَقَالَ لَهُ ذَلِكَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا.

- و انت لو تدبرت في غير واحد من الحوادث التي تقع في العالم لَوَجَدْتَهَا نظير ما فعله العبد الصالح باذن الله و العلم الاجمالي بان من العباد من لا يصلحه الا الفقر و لو اغناه الله هلك ... غير كاف لارضاء من اراد ان يعرف سرّ قدر كل واقعة شخصية لان هذا التدبر كلما كان امعن فهو لمزيد التحير المذموم لا غير حتى قيل

هذا الذي ترك الاوهام حائرة و صير العالم النحرير زنديقاً
الا ان يبلغ العارف حداً لا يعنيه التجسس و التحسس و لا يستهويه الغضب عند مشاهدة المنكر كما تعتريه الرحمة و اذا امر بالمعروف امر برفق ناصح لا بعنف مُعَيَّرٍ و اذا جسم المعروف فرجما غار عليه من غير اهله^١

ولكنه حدّ لا يفهمه الحديث ولا تشرحه العبارة ولا يكشف المقال عنه غير الخيال ومن أحب ان يتعرفه فليتدرج الى ان يصير من اهل المشاهدة دون المشافهة ومن الواصلين للعين دون السامعين للاثر^١ كما حصل لذلك العبد الصالح ومن فوّه ولذا لم يؤثر عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ لَشَيْءٍ لَمْ يَقَعْ يَا لَيْتَهُ وَقَعَ أَوْ لَشَيْءٍ وَقَعَ لَيْتَهُ لَمْ يَقَعْ لا للعلم الاجمالي بان هئذسة التقدير مسبوقة بقضاء الرحمة وان النظام الكياني تابع للنظام الرباني حسب ما تقدم بل لشهود الصلاح في كل ما وقع ولذا لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لشيء قد مضى لو كان غيره^٢ لانه صلى الله عليه وآله كان اعلم الناس بالله واعلم الناس بالله ارضاهم بقضاء الله تعالى^٣

الرابعة ما يدل على ان القضاء النازل الى عالم المادة والحركة ومنه ما يتعلق بافعال العباد فهو قابل للتغير والتبديل بخلاف ما كان في مخزن الغيب و لم ينتزل الى مجرى الشهادة لانه مصون عن كل تحول

وذلك لصيانة عالم الغيب عن الحركة الحاكمة على عالم الشهادة والشاهد عليه هو ما رواه مولينا الرضاء عليه السلام عن اميرالمؤمنين عليه السلام... لَعَلَّكَ تَظُنُّ قَضَاءً حَتْمًا وَقَدْرًا لِأَزْمًا^٤ الى آخر ما يأتي في الجبر والتفويض - لظهوره في ان القضاء المتحقق في عالم الحركة هو ما بلغ حدّ الاقتضاء لا العلية التامة التي يمتنع ان ينفك العلول وهو المقضى عنها ويمكن ان يستفاد صلوح هذا القسم من القضاء وهو النازل الى موطن الشهادة والحركة للتغير من قوله تعالى:

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ^٥.

(١) الفصل العشرون من النمط التاسع.

(٢) وافى باب الرضاء بالقضاء.

(٣) وافى باب الرضاء بقضاء الله.

(٤) توحيد الصدوق ص ٣٨٠.

(٥) سورة الانعام آية ٢.

لدلالته على ان الاجل المقضى انما هو في قبال الاجل المسمى عنده ومن
المعلوم ان الاجل المسمى لا يتغير بل اذا جاء أجل احد لا يستأخر ساعة ولا
يستقدم لانه منعت بكونه عند الله^١ ومن الاصول القرآنية هو ان ما عندكم
ينفذ ما عند الله باق اى لا ينفد ولا يزول بل هو ثابت دائماً فالاجل المقضى
الواقع في قبالة فهو قابل للنفاذ والزوال فيدل على ان بعض القضاء وهو النازل
إلى عالم الحركة قابل للتغير.

الخامسة ما يدل على ان الرضاء بقضاء الله قد يقتضى الاتقاء عن العدو و
التحرس عن الخطر وقد لا يقتضيه لان لكل مورد حكماً خاصاً يعرفه العالم بسر
القدر ويغفل عنه الجاهل به حيث انه قيل لمولينا الرضا عليه السلام أنك تتكلم
بهذا الكلام والسيف يقطر دماً فقال عليه السلام إِنَّ لِلَّهِ وَاِدِيًا مِنْ ذَهَبٍ حَمَاهُ
بِأَضْعَفِ خَلْقِهِ التَّمَلُّ فَلَوْرَامَهُ الْبُخَائِيُّ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ^٢ مع انه (ع) كان يتحرس
في بعض الموارد ونظيره ما وقع لامير المؤمنين عليه السلام من انه كان قديتق
العدو ويتحرس منه وقد لا يتق نحو ما روى من انه عليه السلام عَدَلُ مِنْ
عِنْدِ حَائِطٍ مَائِلٍ إِلَى حَائِطٍ آخَرَ فَقِيلَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَفَرُّ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ
فَقَالَ أَفَرُّ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^٣.

لدلالته على انه عليه السلام فر من القضاء واتق منه وهو ايضاً شاهد على
ان من القضاء ما يقبل التغير وليس بقضاء حتم كما تقدم ونحو ما روى انه
دخل الحسين (الحسن) بن على على معاويه فقال له ما حل اباك على ان قتل
اهل البصرة ثم دار عشياً في طرقهم في ثوبين فقال عليه السلام حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ
علمه ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وان ما اخطأه لم يكن ليصيبه قال صدقت و
قيل لامير المؤمنين عليه السلام لما اراد قتال الخوارج لو احترزت يا امير المؤمنين

(١) الميزان ج ٧ ص ٥٠٧.

(٢) واقى باب اليقين.

(٣) توحيد الصدوق ص ٣٦٩.

فقال عليه السلام =

أَتَى يَوْمِي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرُ يَوْمٌ لَمْ يُقَدَّرْ أَمْ يَوْمٌ قُدِرَ
يَوْمٌ مَا قُدِرَ لَّا أَخْشَى الرَّدَى وَإِذَا قُدِرَ لَمْ يُغْنِ الْحَدْرُ

نعم ان هناك يوماً قدّر فيه انه لو تحرس الانسان واتقى لسلم و نجواً
ادركه العطب فاذا كان الانسان عارفاً بسرّ القدر يعرف ذلك اليوم ايضاً
فيتحرس فيه باذن الله و ينجو من العطب باذنه

كما روى انه عليه السلام جلس الى حائط مائل يقضى بين الناس فقال
بعضهم لا تقعد تحت هذا الحائط فانه مُعَوَّرُ فقال امير المؤمنين عليه السلام حرس
امرئ اجله فلما قام سقط الحائط وكان امير المؤمنين عليه السلام مما
يفعل هذا و اشباهه وهذا اليقين^٢ اى هذا هو العمل بمقتضى اليقين فى كل
مورد حيث انه قد يقتضى الاتقاء وقد يقتضى الاسترسال و ترك التحفظ
حيث قال عليه السلام لما قيل له الأخرسك، حرس كل امرئ اجله^٣

وهكذا قال عليه السلام ايضاً لما قال رجل من اصحابه يوم صفي
إِحْتَرَسَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَغْتَالَ لَكَ هَذَا الْمَلْعُونُ فَقَالَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ لَنْ قُلْتُ ذَلِكَ إِنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ عَلَى دِينِهِ وَإِنَّهُ لَا شَقَى الْقَاسِطِينَ وَالْعَنُ
الْخَارِجِينَ عَلَى الْأُمَّةِ الْمُهْتَدِينَ وَلَكِنْ كَفَى بِالْأَجَلِ حَارِساً لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ
النَّاسِ إِلَّا وَمَعَهُ مَلَائِكَةٌ حَفِظَةٌ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَنْ يَتَرَدَّى فِي بَرٍّ أَوْ يَقَعَ عَلَيْهِ
حَائِطٌ أَوْ يُصِيبَهُ سُوءٌ فَإِذَا حَانَ أَجَلُهُ خَلَوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يُصِيبُهُ وَكَذَلِكَ أَنَا
إِذَا حَانَ أَجَلِي أَنْبَعْتُ أَشْقَاهَا فَخَضِبْ هَذِهِ مِنْ هَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِحْيَتِهِ وَرَأْسِهِ
- عَهْدًا مَعْهُدًا وَوَعْدًا غَيْرَ مَكْدُوبٍ أَوْ قَرِيبٍ مِنْهُ إِيضًا رَوَايَةٌ أُخْرَى^٥

(١) توحيد الصدوق ص ٣٧٥

(٢) وافي باب اليقين.

(٣) توحيد الصدوق ص ٣٧٩

(٤) توحيد الصدوق ص ٣٦٨

(٥) توحيد الصدوق ص ٣٧٩

ولعل منشأ الاختلاف في التحذّر تارة وتركه تارة اخرى هو ما تقدم من العلم بخصوصية كل موردٍ موردٍ او هو اختلاف حالهم من شدة القرب و الحضور تارة و عدمها تارة اخرى.

فتبيّن مما تقدم اولاً انه لا يوجد شئ في الخارج الا بقضاء الله تعالى وقدره و انه لا شريك له تعالى في ربوبيته لانه رب العالمين لا رب سواه.

و ثانياً ان الايمان بقضائه تعالى و الرضا بذلك واجب و انه لا يحصل الا بمعرفته و ان اعلم الناس بالله ارضاهم بقضائه.

و ثالثاً ان الخوض في سرّ القدر الذي هو طريق مظلم و بحر عميق لا يتيسر الا للاولوحدي من الناس.

و رابعاً ان الذي هو من المخلصين يسهل له طى تلك الطريق المظلم و خوض ذلك البحر اللجّي لانه من الذين يتيسر لهم وصف الله سبحانه حيث قال تعالى **سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ** **الْأَعْبَادَ اللَّهُ الْمُخْلِصِينَ**^١ فلهم ان يصفوا القضاء و القدر ايضاً لانهم العالمون بذلك حقيقة و في سيرتهم ما يشهد على اطلاعهم بذلك باذن الله سبحانه.

و خامساً ان القضاء على قسمين احدهما ما هو الواقع في عالم الغيب فيكون مصوناً عن التغيّر و ثانيها ما هو الواقع في عالم الشهادة المحكوم بالتغيّر فيتغيّر هو ايضاً و منه ما يتغيّر بالدعا و الصدقة و نحو ذلك.

الفصل السادس

في الجبر والتفويض وضرورة الامر بين الامرين

ان مدار البحث عن الجبر و التفويض هو خصوص ما يصدر عن الانسان بما انه موجود متفكر مختار فما يصدر عن بدنه بما انه جسم طبيعي كمشغل الحيز او عنه بما انه جسم نام كتموه و حركة قلبه و نبضه و... خارج عن الكلام بل

المبحوث عنه هو الفعل الصادر عنه بالعلم و التروى و نحو ذلك و ليس المراد من صحابة العلم هو مجرد حصول العلم باصل الفعل و ان لم يكن له تأثير في صدوره لان شغل الفراغ الخالي و كذا النمو ما يصدر عن الانسان و هو يعلم به حيث انه عالم بفعله الطبيعي و النباقي الا انه ليس لعلمه تأثير في صدور ذلك اصلاً نظير ما يعلم الانسان صدور فعل معين عن فاعل اجنبي معين بحيث لا اثر لذلك العلم في صدوره البتة

و منه يتضح انه لو اخرج انسان من دار بعنف بحيث حمله حامل و اخرجه منها فقتل هذا الفعل ليس فعلاً منسوباً اليه حتى يقال انه خرج منها جبراً لانه لم يفعل هناك شيئاً بل هو مورد الفعل لانه مبدئه فوزانه هو وزان ثيابه المتلبس بها حين الاخراج بعنف في ذلك الخروج القسرى كما انه لو اخرج بالتهديد بان قيل له ان لم تخرج من هذه الدار لنهدمها عليك فخرج تحفظاً من الهدم فهو بمنزلة ما لو خرج بطوع نفسه لبعض الدواعى العقلائية لان لكل واحد من هذين الصنفين مبادئ مترتبة بلا ميز جوهري بينهما فيها انما الميز بلحاظ بعض الآثار الفقهية و السنن الاجتماعية التي لا مساس لها بالبحث الفلسفي الصراح حول الحقائق الخارجية

ثم ان البحث عن الجبر و التفويض و ان لم يكن بصعوبة البحث عن القضاء و القدر لان الجبر ليس نقيضاً للتفويض حتى اذا انتفى احد هما ثبت الاخر بل بينهما منزلة ثالثة او سع مما بين السماء و الارض كما افاده مولينا الباقر عليه السلام و الصادق عليه السلام^١ فويل لمن ضاقت عليه هذه المنزلة بما رَحِبَتْ الا انه امر نظري عزيز المنال و ليس بضروري سهل التناول و لا يصل الى مغزاه الا من كان له قلب او القى السمع و هو شهيد و لذا لما قال صاحب كشف الغطاء قدس سره و هو من اساطين الفقه

الاسلامى فى تعداد الاعيان النجسة... القسم الثانى ما يترتب عليه الكفر بطريق الاستلزام كانكار الضروريات الاسلامية و المتواترات عن سيد البرية كالقول بالجبر و التفويض^١ = ناقش فيه صاحب الجواهر قدس سره بانه ليس بطلانه ضرورياً لموافقته لكثير من ظواهر الكتاب و السنة و لتعارض ادلة العقل فى ثبوت الاختيار للعبد و عدمه مع صعوبة ادراك ما ورد عن العترة الطاهرة عليهم السلام من الامر بين الامرين بل قيل ان ما ذكر فى بيانه يرجع الى التجبير او التفويض^٢ =

و اجد منه ما افاده صاحب مصباح الفقيه قدس سره من ان الاظهر هو القول بطهارة المجترة كما يويده مضافاً الى اطلاق الاخبار الواردة فى تحديد الاسلام ان اكثر المخالفين من المجترة بل قيل ان غيرهم قد انقرض فى بعض الازمنة لميل السلاطين الى هذا المذهب و اعراضهم عن مذهب المعتزلة و اظهر من ذلك القول بطهارة المفوضة... فما عن كاشف الغطاء من انه عدّ من انكار الضرورى القول بالجبر و التفويض فى غاية الضعف كيف و عامة الناس لا يمكنهم تصور الامر بين الامرين... فانه من غوامض العلوم بل من الاسرار التى لا يصل الى حقيقتها الا الواحدى من الناس الذى هداه الله الى ذلك الا ترى انك اذا امعنت النظر لوجدت اكثر من تصدى من اصحابنا لابطال المذهبين، لم يقدر على التخطى عن مرتبة التفويض و ان انكره باللسان حيث زعم ان منشأ عدم استقلال العبد فى افعاله كونها صادرة منه بواسطة ان الله تعالى اقدره عليها و هيأ له اسبابها مع انه لا يظن باحد ممن يقول بالتفويض انكار ذلك^٣

و الغرض من نقل هذه العبارة عدا الاشارة الى صعوبة هذا الامر و كونه نظرياً غامضاً لا ضرورياً هو التفتن لنكتة اساسية لها مساس بحكومة الطغاة

(١) كشف الغطاء ص ١٧٣ .

(٢) جواهر الكلام ج ٦ ص ٥٤ .

(٣) كتاب الطهارة ص ٥٧٠ .

اللثام حيث انهم رأوا ان مزعمة الجبر عامل مهم لتوجيه طغيانهم و تحميل الضيم على المستضعفين الذين لا يجدون حيلة و ليعلم انه لا اختصاص لهذا البحث بما اذا كان الجابر هو الله سبحانه تعالى بل المبحوث عنه انما هو امتناع الجبر و التفويض سواء كان الجابر هو الله او غيره كما انه لا تفاوت بين كون المفوض اليه هو الانسان او غيره اذ تفويض الربوبية و الاستقلال ممتنع فوزان الجبر في الفعل الارادى للانسان هو وزان الزهية للخمسة يعنى انه ممتنع بحسب النظر كما ان وزان التفويض هو ايضاً ذلك و السر في ذلك كله هو ان تفويض الامر الى موجود يقتضى استقلال ذلك الموجود و هذا يمتنع في الموجود الممكن سواء كان انساناً او غيره كما انه يقتضى ان لا يكون الله سبحانه بالنسبة الى ذلك المفوض اليه رباً و هذا تقييد لربوبيته سواء كان ذلك المفوض اليه انساناً او غيره و هكذا في الجبر لانه يقتضى ان لا يكون الانسان موجوداً متفكراً مختاراً سواء كان الجابر هو الله او غيره

نعم ان الذى اوجب الاختصاص هو الجزاء بالجنة او النار مع كونها بيد الله الحكيم العدل اذ لو كان الانسان مجبوراً في افعاله لما كان لتعذيبه مجال لانه ظلم كما ان الاحسان اليه جزاف ثم ان الانسان بالقياس الى فعله المنسوب اليه اما ان يكون مستقلاً في اليجاد بحيث لا اثر لشيء آخر في فعله او لا يكون مستقلاً كك و على الثانى اما ان يكون له اثر في ايجاده و ان كان لغيره من المبادئ ايضاً اثر فيه اولا اثر له في فعله اصلاً و الاول هو التفويض و الثالث هو الجبر و الثانى هو الامر بين الامرين كما يظهر

و المراد من الجبر هنا ما هو المقابل للتفويض لا الجبر العلى المقابل للاولوية اذ الجبر العلى الناطق به قاعدة- الشى ما لم يجب لم يوجد = هو الوجوب السابق على تحقق اى شى لا يكون وجوده عين ذاته فهو نعت للشى مجال متعلقه لا مجال نفسه لان معنى الوجوب السابق هو تحقق العلة التامة بنصائها و يقابله القول بتحقق الشى بدون الضرورة السابقة لكفاية الاولوية و

حيث ان الجبر العلى المقابل للاولوية هو غير الجبر المقابل للتفويض ترى الحكماء القائلين بالجبر العلى منكرين للجبر المقابل له اى للتفويض، و الاشاعرة المنكرين للجبر العلى ذاهبين اليه اى الى الجبر المقابل للتفويض و ذلك لان نسبة الموجود الى علته التامة بالضرورة و الى علته الفاعلة فقط بالامكان فعليه تكون نسبة الفعل الخارجى الصادر من الانسان الى علته التامة المؤلفة من الانسان وغيره بالضرورة المعبر عنها بالجبر العلى و تكون نسبته الى الانسان وحده بالامكان المعبر عنه بالاختيار لاستواء طرفى الفعل اليه و لتساوى الارادة و الكراهة بالنسبة اليه

ثم ان العلل الخارجية و العوامل القسرية لا توجب ازيد من ان يرتكب الانسان ما يسد به خلته و يرفع به حاجته من تحصيل المعاش و ما يتوقف عليه و قد خلق له ما يعيش به مباحاً كما ان له ان يتخطى عمّا ابيح له الى ما حذر عليه فهو دائماً واقف بين نجدى الخير و الشر و الاباحة و التحريم و العوامل الخارجية انما تضطره الى اصل الفعل من الاكل و الشرب و اللبس و غير ذلك لا الى طرف معين منه و هو الحرام و القبيح منه فان اضطرتّه اليه ارتفع التكليف لانه قال صلى الله عليه وآله **رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي تَسَهُّةٌ .. وَمَا اضْطَرُّوا إِلَيْهِ** و الذى ينبغى التنبه له هو دوران الامر على القول بالجبر بين كون اسناد الفعل الى الفاعل مجازاً عقلياً لانه اسناد الى غير ما هو له و بين استلزامه للتفويض المقابل له

بيانه بان الفاعل بناء على الجبر اما ان يكون مورداً للفعل فقط لا مصدراً له اصلاً اذ الفاعل الحقيقى المباشر له هو الله سبحانه و ليس للانسان اثر الا انه محلّ لتحقيق الفعل و هذا هو المحذور الاول فح لاجبر فى الفاعلية اذ الفاعل الحقيقى مختار و الذى لا اختيار له فليس بفاعل حقيقى حتى تكون فاعليته بالجبر و اما ان يكون مصدراً للفعل حقيقة الا ان صدور ذلك الفعل عنه مخالف لمقتضى ذاته فهو مجبور على فعل ما يخالف مقتضاه و مكره عليه و هذا هو المحذور

الثاني حيث انه يلزم ان يكون لذلك الفاعل ذات مستقل و له اقتضاء بالاستقلال و ارادة وراء ما يريده المجبر الخارج عنه القاهر عليه و ان كان ذلك الاقتضاء و تلك الارادة مقهورين للفاعل المسيطر عليه اذ لو لم يكن هناك اقتضاء و ارادة وراء ما يقتضيه الجابر و يريده القاهر لما كان للجبر و الاكراه معنى كما انه اذا كان هناك اقتضاء و ارادة تجاه اقتضاء الجابر و ارادة القاهر فلا بد و ان يكون هناك ذات مستقلة وراء ذات الجابر اذ الاقتضاء و الارادة انما هما من اوصاف الذات فلو لم يكن هناك ذات اصلا او كانت ولكنها لم تكن مستقلة عن ذات الجابر و القاهر لما كان له اقتضاء و ارادة في قبال اقتضاء الجابر و ارادته فح يلزم على القول بالجبر محذور التفويض في الجملة ايضاً لا بالجملة و هذا بخلاف المنزلة بين منزلتي الجبر و التفويض فضلاً عن التوحيد الافرعالى كما يتبين

ثم ان غير واحد من اهل الكلام و ان جعلوا مناط الحاجة الى العلة هو الحدوث و لازمه استغناء الشئ بقاء عن السبب الا انّ الفعل الصادر عنه و الاثر المترتب عليه موجود حادث و لكل حادث سبب يختص به فهما محتاجان الى سبب لوجود مناط الحاجة فيهما اى في الفعل و الاثر و ان لم يكن ذلك السبب موجوداً في الذات بقاء و لذلك ترى الاشاعرة القائلة بان مناط الحاجة هو الحدوث ذاهبين الى الجبر

و التحقيق هو ان فعل الانسان كاصل وجود نفسه حيث ان له امرين احدهما ما يكون منسوباً الى الله سبحانه و الاخر ما لا يكون منسوباً اليه بل يقف هناك و يستند الى خصوص ذلك الموقف لان لوجود الانسان مهية منتزعة عنه صادقة عليه و ذلك الوجود كما انه منسوب الى الانسان حيث يقال انه وجود الانسان كك منسوب الى الله سبحانه حيث يقال انه ايجاد الهى اذ لا فرق بين الوجود و اليجاد الا باعتبار الاستناد لا غير و اما تلك المهية فهى منسوبة الى الانسان فقط بلا ارتباط لها الى الله سبحانه فهكذا في الفعل

الصادر من الانسان له وجود يصح اسناده الى الله تعالى و عنوان خاص من
الاطاعة و العصيان لا يتعدى عن موقفه و لا يصح اسناده اليه تعالى
تمثيل لو انشأت في نفسك انساناً عادلاً و آخر ظالماً فاقتلا و صار العادل
مضطهداً و الظالم قاهراً لما كنت قاتلاً و لا مقتولاً و لما اتصفت بغير ذلك من
صفات تلك الصور المنشأة في النفس بل كنت موجداً فقط فاجعل نفسك التي
هي المراقبة لمعرفة ربك ذاتاً و صفةً و فعلاً، ميزاناً و آية لمعرفة الافعال الصادرة
عن الله سبحانه حتى يتبين لك ان جميع الاشياء و الافعال الخارجية من عند الله
الموجد لها و الحسنة من تلك الامور هي من الله كما انها من عند الله و اما السيئة
فهي و ان كانت من عند الله وجوداً الا انها ليست منه تعالى بل من العبد
العاصي

و الفرق بين كون شئ من شئ و من عنده رافع للتنافي المترائى بين آتى
سورة النسل لان المراد من كونه من عند الله هو ان وجود ذلك الشئ = ان كان
وجودياً = مفاض من عند الله تعالى و اما اذا كان حسنة اى كان له كمالات
وجودية فهي ايضاً من الله كما ان اصل وجود ذلك الشئ كان من عند الله و اما
اذا كان سيئة اى فاقداً لبعض الكمالات الوجودية فهي من هذه الحيثية
الناقصة ليست من الله بل تكون من العبد

ويمكن استفادة المطالب المارة وغيرها من الاصل الكلى الذى يفتح منه
الف باب الذى افاده مولينا الرضا عليه السلام لما ذكر عنده الجبر و التفويض
فانه عليه السلام قال:

أَلَا أُعْطِيكُمْ فِي هَذَا أَصْلًا لَا تَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلَا تُخَاصِمُونَ عَلَيْهِ أَحَدًا
إِلَّا كَسَرَتْ ثَمُوهُ قُلْنَا إِنْ رَأَيْتَ ذَلِكَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يُطْعَ بِإِكْرَاهٍ وَلَمْ
يُعْصَ بِغَلْبَةٍ وَلَمْ يُهْمَلِ الْعِبَادَ فِي مُلْكِهِ هُوَ الْمَالِكُ لِمَا مَلَكَهُمْ وَالْقَادِرُ عَلَى مَا

أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ فَإِنْ ائْتَمَرُوا بِطَاعَتِهِ لَمْ يَكُنْ اللهُ عَنْهَا صَادِقاً وَلَا مِنْهَا مَانِعاً
وَأِنْ ائْتَمَرُوا بِعِصْيَانِهِ فَشَاءَ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَلِكَ فَعَلَّ وَإِنْ لَمْ يَحُلْ وَ
فَعَلَّوهُ فَلَيْسَ هُوَ الَّذِي أَدْخَلَهُمْ فِيهِ ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ يَضْبُطْ حُدُودَ
هَذَا الْكَلَامِ فَقَدْ خَصَمَ مَنْ خَالَفَهُ!

و الذي يصلح لان يكون ضابطاً لحدود هذا الكلام الذي لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه امور.

احدها ان قوله عليه السلام - لَمْ يُطْعَ بِاِكْرَاهٍ - ناظر الى نقي الجبر لان المطيع
مختار في اطاعته بلا اكراه وكذا العاصي مختار في عصيانه بلا اجبار وذلك لانه
لو اجبر الله سبحانه احداً على الطاعة و آخر على العصيان ثم جرى الاول بالجته
و الثاني بالنار لما كان حكماً و لا عادلاً اذ ترجيح احدهما بالاكراه على الطاعة
دون العصيان و الاخر بالاكراه على العصيان دون الطاعة جزاف مناف
للحكمة كما ان الجزاء بالجنة لمن يكون مجبوراً على الطاعة بلا رغبة جزاف آخر و
التعذيب بالنار لمن يكون مجبوراً على العصيان بلا رغبة اليه ظلم و كل ذلك
كان سيئة عند ربك مكروهاً لانه تعالى حكيم قدوس عن الجزاف و عادل
سبوح عن الظلم كما افاده مولينا الرضا عليه السلام لما قيل له عليه السلام..
فَأَجْبَرَهُمْ عَلَى الْمَعْصِيَةِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، اللهُ أَعْدَلُ وَأَحْكَمُ مِنْ ذَلِكَ ٢
على وزان ما افاده مولينا الصادق عليه السلام: اللهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يُجْبَرَ عَبْدٌ
عَلَى فِعْلٍ ثُمَّ يُعَذِّبَهُ عَلَيْهِ ٣.

بل كان المطيع اولى بالتعذيب من العاصي و هو اولى بالاحسان من المطيع
لان المطيع كان راغباً الى العصيان فأجبر على الطاعة و العاصي كان راغباً الى
الطاعة فاجبر على العصيان كما نقل مولينا الرضا عليه السلام عن آبائه

(١) توحيد الصدوق ص ٣٦١.

(٢) توحيد الصدوق ص ٣٦٣.

(٣) التوحيد ص ٣٦١.

عليهم السلام انه دخل رجل من اهل العراق على امير المؤمنين عليه السلام فقال:
 اَخْبِرْنَا عَنْ خُرُوجِنَا إِلَى اَهْلِ الشَّامِ اَبْقِضَاءٍ مِنَ اللّٰهِ وَقَدَرٍ؟ فَقَالَ لَهُ
 اَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اَجَلٌ يَا شَيْخُ فَوَاللّٰهِ مَا عَلَوْتُمْ تَلَعَةً وَلَا هَبَطْتُمْ بَطْنَ
 وَاِدِ اِلَّا بِقِضَاءٍ مِنَ اللّٰهِ وَقَدَرٍ.

فَقَالَ الشَّيْخُ عِنْدَ اللّٰهِ اَحْتَسِبُ عَنَائِي يَا اَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ مَهَلًا يَا شَيْخُ
 لَعَلَّكَ تَظُنُّ قِضَاءً حَتْمًا وَقَدْرًا لِاِزْمًا لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَ
 الْعِقَابُ وَالْاَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالزَّجْرُ وَالسَّقَطُ مَعْنَى الْوَعِيدِ وَالْوَعِيدُ
 وَلَمْ يَكُنْ عَلَى مُسَى لِاِثْمَةٍ وَلَا لِمُخْسِنٍ مَخْمَدَةٌ. وَلَكَانَ
 الْمُخْسِنُ اَوْلَى بِاللَّائِمَةِ مِنَ الْمُدْنِبِ وَالْمُدْنِبُ اَوْلَى بِالْاِحْسَانِ مِنَ
 الْمُخْسِنِ تِلْكَ مَقَالَةُ عَبْدِ الْاَوْثَانِ وَحُصَاةِ الرَّحْمَنِ وَقَدْرِيَّةُ هَذِهِ الْاُمَّةِ وَ
 مَجْبُوسِيهَا يَا شَيْخُ اِنَّ اللّٰهَ عَزَّوَجَلَّ كَلَّفَ خَيْرًا وَنَهَى تَخْذِيرًا وَاعْطَى عَلَى
 الْقَبِيلِ كَثِيرًا وَلَمْ يُعْصِ مَغْلُوبًا وَلَمْ يُطْعِ مُكْرَهًا وَلَمْ يَخْلُقِ السَّمَاوَاتِ وَالْاَرْضَ
 وَمَا بَيْنَهُمَا بِاطِلَالٍ ذَلِكَ ظَنَّ الْاَلْبَيْنِ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ...^١.

حيث افاد عليه السلام انه لو كان الجبر حقاً والقضاء حتماً والقدر لازماً لا
 يمكن التخلف عنه.. لكان المحسن اولى باللوم لانه اشتاق الى العصيان فاكره
 على الطاعة و لكان المذنب اولى بالاحسان لانه اشتاق الى الطاعة فاكره على
 العصيان وفي هذا اشارة الى ما تقدم من ان الجبر مستلزم للتفويض في الجملة
 حيث انه يدل على ان للمجبور ذاتاً مستقلة لها اقتضاء و ارادة غير ما لله سبحانه
 من ذات و اقتضاء و ارادة الا انه مقهور له تعالى لان معنا قوله عليه السلام و
 لَكَانَ الْمُخْسِنُ اَوْلَى بِاللَّائِمَةِ مِنَ الْمُدْنِبِ.. هو ذلك تدبر،

و كما ان الجبر ينافي بحكمة الله سبحانه و عدله كك ينافي كرمه اذ الكرم
 لا يجبر احداً على معصيته ولا يعذبه عليها كما افاده مولينا الصادق عليه السلام.

... اللَّهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُكَلِّفَ النَّاسَ مَا لَا يُطِيقُونَهُ...^١ وان كان

التفويض ايضاً منافياً لكرامته تعالى كما سيجى .

والحاصل ان الحدود الوسطى للبرهان على امتناع الجبر هي الحكمة و
العدالة والكرامة ونحوها^٢ من الاسماء الحسنى لله تعالى فالجبر يمتنع عن الله وان
لم يمتنع عليه تعالى اذ لا يحكم عليه شئ اصلاً اذ لو حكم عليه تعالى شئ لكان
ذلك الحاكم خارجاً عن سلطانه و لكان واجباً اعلى منه و مؤثراً فيه بنحو من
العلية الفاعلية او الغائية وهذا مستحيل لانه لا يسئل عن شئ وهم يسئلون
فتحصّل ان قول مولينا الرضا عليه السلام .. لم يُطْعَ بِأَكْرَاهٍ ناظر الى طرد
الجبر على الطاعة كما ان قوله عليه السلام في ذيل تلك الرواية .. فَلَيْسَ
هُوَ الَّذِي أَدْخَلَهُمْ فِيهِ .. ناظر ايضاً الى طرد الجبر على المعصية

فتدل على ان المطيع مختار في اطاعته وان العاصى مختار في عصيانه

ثانها انّ قوله عليه السلام = ولم يُعَصَّ بِالْغَلْبَةِ= ناظر الى نفي التفويض
بجيث يكون العاصى مستقلاً في عصيانه شاء الله او كره تكويناً و يصير غالباً
على ارادته تعالى لان العاصى فقير وجوداً و وصفاً و فعلاً فلا يكون معجزاً
في الارض ولا في السماء لان الله تعالى يأخذه في قلبه فاهو بمعجز و غالب على
القدرة المطلقة التي لا تُحَدّ و لذا قال مولينا الصادق عليه السلام .

مَا مِنْ قَبْضٍ وَلَا بَسْطٍ إِلَّا وَ اللَّهِ فِيهِ مَشِيَّةٌ وَقَضَاءٌ وَابْتِلَاءٌ^٣ و قال
ايضاً... مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بَعَثَ مَشِيَّةَ اللَّهِ فَقَدْ أَخْرَجَ اللَّهَ مِنْ سُلْطَانِهِ
وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَعَاصِيَ بَعَثَ قُوَّةَ اللَّهِ فَقَدْ كَذَّبَ عَلَى اللَّهِ...^٤

و السرّ في ذلك هو ان التفويض مستلزم لصيرورة الله العزيز القدير ذليلاً

(١) التوحيد ص ٣٦٠

(٢) التوحيد ص ٣٦٠ حيث جعل فيه الرحمة حدّاً وسطاً .

(٣) توحيد الصدوق ص ٣٥٤ .

(٤) توحيد ص ٣٥٩ .

عاجزاً لان خروجه عن السلطنة على الموجود في الخارج مناف لعزته التامة و
لذا قال مولينا الرضا عليه السلام لَمَّا قِيلَ لَهُ:
اللَّهُ فَوْضَ الْأَمْرِ إِلَى الْعِبَادِ = اللَّهُ أَعَزُّ مِنْ ذَلِكَ =^١ وهكذا مناف لقدرته
المطلقة ولذا قال مولينا الصادق عليه السلام لَمَّا قِيلَ لَهُ... ففَوْضَ إِلَيْهِمْ = اللَّهُ
أَقْدَرُ عَلَيْهِمْ مِنْ ذَلِكَ = و منشأ توهم التفويض هو الافراط في توصيف الله
سبحانه بالعدل و التجاوز عن حده الى ان انتهى الى سلب السلطنة عنه كما
افاده مولينا الصادق عليه السلام... إِنَّ الْقَدْرَةَ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهُمْ
الَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَصِفُوا اللَّهَ بَعْدَ لَهُ فَأَخْرَجُوهُ مِنْ سُلْطَانِهِ...^٢ ولذا قال امير
المؤمنين عليه السلام في الحديث المتقدم... فَوَاللَّهِ مَا عَلَوْهُمْ تَلَعَةً وَلَا هَبَطَتْهُمْ
بَطْنًا وَادٍ إِلَّا بِقَضَاءٍ مِنَ اللَّهِ وَقَدَرٍ... الا انه ليس قضاء لازماً حتى يستلزم
الجبر.

و الحاصل ان الحدود الوسطى للبرهان على امتناع التفويض هي العزة و
القدرة و السلطنة و المالكية و نحوها من الاسماء الحسنی لله تعالى ولذا افاد مولينا
الرضا(ع) في الحديث المبحوث عنه.. وَلَمْ يَهْمِلِ الْعِبَادَ فِي مُلْكِهِ هُوَ الْمَالِكُ لِمَا
مَلَكَهُمْ وَ الْقَادِرُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ = الدال على افتقار الممكن في ذاته
ووصفه حدوثاً و بقاءً الى الله تعالى و هو تعالى مالك مطلق و قادر مهيمن على
خلقه و ما ملكه و اقدره عليه.

و حيث ان كل برهان فانما ينتج بمقدار حده الاوسط فيمكن ان يستنتج
منه بلحاظ بعض حدوده الوسطى الدال على اطلاق ربوبيته و عدم تناهي
تدبيره ان التفويض باى معنى كان و باى قسم من اقسامه ممتنع سواء كان
التفويض الذى زعمه اليهود من ان يدالله مغلولة او الذى زعمه النصارى يجعله
سبحانه ثالث ثلثة و في عرض الموجود الامكاني الذى يعدمه و يدخل تحت

(١) توحيد ص ٣٦٢.

(٢) توحيد ص ٣٨٢.

العدا والتفويض الذي زعمته الغلاة في الأئمة عليهم السلام او الذي ذهب اليه المعتزلة في خصوص افعال الانسان و يستفاد هذا من حديث يونس بن عبد الرحمن قال قال لي ابوالحسن الرضا عليه السلام يا يونس لا تقل بقول القدرية فان القدرية لم يقولوا بقول اهل الجنة ولا بقول اهل النار ولا بقول ابليس فان اهل الجنة قالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وقال اهل النار ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين وقال ابليس رب بما اغويتني فقلت والله ما اقول بقولهم ولا لي بقول لا يكون الا بما شاء الله وازاد وقدر وقضى فقال يا يونس ليس هكذا لا يكون الا ما شاء الله وازاده وقدر وقضى يا يونس تعلم ما المشية قلت لا قال هي الذكر الاول فتعلم ما الازادة قلت لا قال هي العزيمة على ما يشاء فتعلم ما القدر قلت لا قال هي الهندسة ووضع الحدود من البقاء والبقاء قال ثم قال والقضاء هو الإبرام وإقامة العين قال فاستاذنته ان اقتل رأسه وقلت فتحت لي شيئاً كنت عنه في غفلة^١ والمراد من القدرية هم المفوضة القائلة بان الانسان بعد ما خلق يكون مستقلاً عن القضاء والقدر ولا يحكم عليه شئ وهذا في البطلان على حد بين لا يتفوه احد من المؤمن والكافر.

اما اهل الجنة فيسندون هدايتهم الى الله سبحانه واما اهل النار فيعترفون بانهم مغلوبون للشقوة الحاكمة عليهم فليسوا مستقلين لا يحكم عليهم شئ ومن المعلوم ان تلك الشقوة الغالبة ليست صدفة و اتفاقاً بل كانت قضاء وقدرًا جارياً على نهج الحكمة البالغة واما ابليس فقد اسند الاغواء الى الله سبحانه تعالى وان لم يتأدب في هذا الاسناد الموهوم انه اغواء بدوى مع انه كان اغواء جزائياً كما في محله

و اما المراد من قوله عليه السلام لَيْسَ هَكَذَا - لَا يَكُونُ إِلَّا مَا شَاءَ الْخ
 فلعله لدفع توهم الجبر ايضاً بعد ابطال القدر اذا محتمل ان يكون قول يونس:
 لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَا شَاءَ الْخ هو ان الفاعل المباشر الذى لا اثر لغيره هو الله سبحانه
 فدفع هذا التوهم ايضاً بتفسير كل واحد من المشيئة وغيرها، يجعلها مبادئ أول
 سابقة على الاشياء التى هى المبادئ القريبة للآثار

ر اما الهندسة فقال صاحب القاموس: و المهندس مقدر مجارى القُتَى
 حيث تُخْفَرُ و الاسم الهندسة مشتق من الهنداز معرب آب انداز فابدلت الزاى
 سيناً لانه ليس لهم دال بعده زاى انتهى و فى بعض شروح الكافى ان الهندسة
 معرب هندازه بلغة الفرس القديم و يقال لها فى فرس زماننا اندازه^١ انتهى و بهذا

المعنى ورد عن مولينا الرضا عليه السلام حيث قال عليه السلام
 أفعالُ العبادِ مخلوقةٌ فقلتُ لهُ يابنُ رسولِ اللهِ و ما معنى مخلوقةٌ قال مُقدرةٌ^٢
 اى خَلْقُ تَقْدِيرٍ لِأَخْلُقِ تَكْوِينٍ^٣ حتى يستلزم الجبر

و ثالثها ان قوله عليه السلام - وَإِنْ أَتَمَرَ الْعِبَادُ بِطَاعَتِهِ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ عَنْهَا
 صَادِقًا الْخ- ناظر الى المنزلة الوسطى بين هاويتى الجبر و التفويض لانها ليسا
 نقيضين حتى يمتنع ارتفاعهما و يلزم ان يثبت احدهما عند زوال الاخر كما
 انهما ليسا ضدّين لا ثالث لهما حتى لا يرتفع احدهما الا بوجود الاخر بل هما
 امران وجوديان احدهما فى غاية الافراط و الاخر فى نهاية التفريط و بينهما منزلة
 أَوْسَعُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ ؟

فلذا لما افاد عليه السلام امتناع كلا طرفى الافراط و التفريط اراد ان يبين
 ما هو الحق من الاختيار المصون عن الجبر، و المنزه عن التفويض فقال
 عليه السلام ان اتمم العبد بطاعة الله كان بارادته واختياره بلا اكراه كما انه

(١) شرح صدر المتالبيين

(٢) مسند الامام ج ١ صص ٣٤ و ٤٦.

(٤) توحيد الصدوق ص ٣٦٠.

يكون في قبضة قدرته تعالى بحيث لا يتحول الآ في سعة قدرته ولا يقوم ولا يقعد الا بجوله وقوته فله تعالى ان يصده ويمنعه عن تلك الطاعة التي ارادها كما له تعالى ان لا يصده عنها بل يوقفه عليها.

وان تمرّد العبد عن طاعة الله تعالى وارتطم في معصيته كان ايضاً بارادته واختاره بلا اكراه كما انه يكون في حيطة سلطانه تعالى ان شاء حال بينه وبين ما يهوى اليه من العصيان وان لم يشأ لم يحل بينه وبين ما يهواه لانه تعالى يحول بين المرء وقلبه.

فان شاء ان يهديه يشرح صدره للاسلام ويرسل رحمته اليه وان لم يشأ يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء ويمسك رحمته وحيث ان العالم من الذرة الى الدرة تحت حيظته تعالى بل ذلك كله من جنوده التي لا يعلم عددها الا هو فليس لاحد ولا لشيء ان لا يثتمر بامر التكويني فضلاً عن ان يقدر على صد ارادته تعالى ومنع نفوذها في شيء آخر كما قال تعالى: **مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**! وفي ذلك اشارة الى ان الهداية امر وجودي وهو فتح باب الرحمة وان الإضلال امر عدمي وهو عدم فتح ذلك الباب وهو المعبر عنه بالإمسك وان ذلك الفتح وهذا الإمساك انما هو بيد الله العزيز الذي لا يحكم عليه شيء ولا يهرب من قضائه احد لانه عزيز لا ينفذ فيه شيء وان ذلك كله على نهج الحكمة البالغة المصونة عن تطرق اتي جزاف لانه تعالى وان كان يهدي من يشاء ويضل من يشاء الا انه يهدي الناس جميعاً بالهداية البدوية ويهدي من اناب اليه بهداية ثانوية جزاءً وما يضل الا الفاسقين مجازةً.

ومعنى الاضلال هو عدم الحيلولة بينه وبين ما يهواه من المعصية كما افاده مولينا الرضا عليه السلام بقوله.

... وَإِنْ لَمْ يَحُلْ وَفَعَلُوهُ فَلَيْسَ هُوَ الَّذِي أَدْخَلَهُمْ فِيهِ. و ذلك لان الانسان المتفكر المختار مبدء قريب للفعل الوجودى ثم المبادئ العالية المنتهية الى مبدء المبادئ علل وسطية منتهية الى مسبب الاسباب لصدور ذلك الفعل الوجودى لان المبادئ العالية وان كانت عللاً لصدور ذلك الفعل الوجودى الا انها تكون اسباباً له بطريق مبادئه التى منها تروى الانسان و ارادته و انتخابه لاحد طرفى الممكن وهذا هو المنزلة الوسطى بين منزلتى الافراط و التفريط على مسلك الفلسفة المتعالية.

و اما على مشرب التوحيد الافرغالى المترتب على تفسير العلية بالتشأن فلا يبحث هناك عن العلة القريبة و المتوسطة و البعيدة اذ ليس هناك الا فيض واحد دان ذلك الفيض فى علوه و عال فى دنوه.

و حيث ان العصيان و غيره من النقص و الشر و الفساد امور عدمية لا تكون داخله فى مجرى الفيض و مرساه فحينئذ يكون الكمال الوجودى من الصدر الى الساقه امراً منبسطاً لا ترى فيه عوجاً و لا امتاً و الى هذا اشار مولينا الرضا عليه السلام.

فِي حَدِيثٍ... قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ يَا بَنَ آدَمَ اَنَا اَوَّلِي بِحَسَنَاتِكَ مِنْكَ وَاَنْتَ اَوَّلِي بِسَيِّئَاتِكَ مِنِّْي عَمِلْتَ الْمُعَاصِيَ بِقُوَّتِي الَّتِي جَعَلْتُهَا فِيكَ!

لان المراد من هذه الاولوية هو التعيين و الحتم لا الترجيح نظير قوله تعالى
وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ٢.

حيث ان المراد منها هو التعيين و دليل هذا التعيين هو ان الحسنه كمال وجودى منسوب الى مظهر الكمال و الرحمة و لكنه فى الحقيقة انما هو للفيض الظاهر فى ذلك المظهر الخاص و اما السيئة فهى نقص و فقدان عند التحليل لانه وان كانت وجودية لبعض القوى الحيوانية كالشهوية او الغضبية الا انها

(١) توحيد الصدوق ص ٣٦٣.

(٢) سورة الانفال آية ٧٥

بالقياس الى القوة العاقلة نقص وفقدان فلذا تكون سيئة مكروهة عند الله .
فالسّيئة من حيث هي سيئة لا تحتاج الى المبدء بالذات لانها نقص لا
يستند الا الى الناقص و هو المُسئى الفاقد لما يعبد به الرحمن و يكتسب به
الجنان .

فتحصل ان الحسنة لكونها كمالاً وجودياً لا بد و ان يستند الى الكامل
بالذات و السيئة لكونها نقص كمال وفقدان جمال لا بد و ان يستند الى الفاقد
للكمال و هو الانسان العاصى المتحوّل في حيلة قدرته تعالى بلا تفويض لان
استحالة التفويض على مشرب التوحيد الافعالى اظهر لوضوح امتناع تفويض
الامر الخارجى الى صورة مرآتية لا حقيقة لها عدا حكاية ذى الصورة كما ان
امتناع الجبر على هذا المشرب ايضاً أبين لان الاكراه انما يتصور فيما يكون هناك
شئ موجود له اقتضاء و ارادة .

و اما الصورة المرآتية التي لا واقعية لها عدا الارائة و الحكاية فلا مجال
لفرض اكراهها وجبرها كما انها لا مجال ايضاً لتفسير المنزلة بين المنزلتين على
منهج الحكماء من توجيه العلة القريبة و المتوسطة و البعيدة اذ لا علية للصورة
المرآتية اصلاً حتى يبحث عن كونها قريبة اولاً .

و لذلك يظهر امر آخر و هو ان عدالتوحيد الافعالى في سياق اقوال الاشاعرة
المجبرة و المعتزلة المفوضة و الحكماء الامامية القائلة بالامر بين الامرين غير
منسجم لان الانسان و غيره من الممكنات على المباني الثلاث الاول موجود
خارجى حقيقة و ان كان وجوده ضعيفاً فقيراً او فقراً و ربطاً محضاً لا ذات له
الا الربط الى الواجب الغتى المحض الا انه على المشرب الرابع و هو التوحيد
الافعالى المبحوث عنه في العرفان النظرى المشهود في العرفان العملى لا وجود له
الاجازاً بحيث يكون اسناد الوجود اليه اسناداً الى غير ما هو له نظير اسناد
الجريان الى الميزاب في قول من يقول جرى الميزاب لان الموجود الامكانى على
هذا المشرب صورة مرآتية لا وجود لها في الخارج و هي مع ذلك تحكى ذا الصورة

حكاية صادقة فح يصير معنى نفى الجبر والتفويض عن تلك الصورة و اثبات المنزلة الوسطى بين طرفي الافراط والتفريط من باب السالبة بانتفاء الموضوع في الاولين و من باب المجاز في الاسناد في الثالث.

لان القول بان تلك الصورة الحاكية التي لا وجود لها في الخارج ليست مجبورة ولا مفوضاً اليها قضية سالبة بانتفاء موضوعها والقول بان تلك الصورة التي لا وجود لها في العين مختارة في فعلها قضية يكون اسناد محمولها الى موضوعها مجازاً عقلياً و اسناده الى الفاعل الحقيقي الموجود بالذات رفيع الدرجات ذى العرش حقيقي لان جميع الاشياء العينية درجات فاعلية ذلك الفاعل الحقيقي السبوح عن الحلول في الخلق القدوس عن الاتحاد معه حيث افاد ولى الحكمة و العرفان مولينا الرضا عليه السلام بعد سوال عمران - **أَلَا تُخْبِرُنِي يَا سَيِّدِي أَهْوَى فِي الْخَلْقِ أَمْ الْخَلْقُ فِيهِ - جَلَّ يَا عِمْرَانُ عَنْ ذَلِكَ لَيْسَ هُوَ فِي الْخَلْقِ وَلَا الْخَلْقُ فِيهِ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ وَسَأْ عَلِمْتُكَ مَا تَعْرِفُهُ بِهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ أَخْبِرْنِي عَنِ الْمِرَاةِ أَنْتَ فِيهَا أَمْ هِيَ فِيكَ فَإِنْ كَانَ لَيْسَ وَاجِدُ مِنْكُمْ فِي صَاحِبِهِ فَبِأَيِّ شَيْءٍ اسْتَدَلَّتْ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ إِلَى أَنْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهَذَا أَمْثَالُ كَثِيرَةٌ غَيْرُ هَذَا لَا يَجِدُ الْجَاهِلُ فِيهَا مَقَالاً وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى^١.**

و ذلك لان الصورة المرآتية وان تحكى الشخص ذالصورة الا ان الحكاية ليست بنحو حلول احد هما في الاخر ولا بنحو الاتحاد معه كما انها ليست بمنزلة ثانية ما يراه الاحول حيث انها كذب و زور و خطأ و غرور كالسراب بخلاف الصورة المرآتية التي هي صدق و صواب مع انها ليست بموجودة في الخارج فاقض العجب من صنعه تعالى و منه استفاد عين القضاة ما قاله: من انّ من نظّر في المرآة نظراً شافياً و لم ينحل له كثير من المشكلات فليس يستحق ان يعدّ في زمرة العقلاء الى ان قال^٢ ولو لم يكن من منافع الحديد سوى المرآة

(١) توحيد الصدوق ص ٤٣٤.

(٢) الفصل الثالث والاربعون من زبدة الحقائق.

لكان يكفي ذلك شاهداً على صدق قوله تعالى
 وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ۗ ثُمَّ إِنَّهُ لَأَجَبٌ رَّا
 بعض ما تقدم من قول مولينا الرضا عليه السلام لما قيل له عليه السلام يا بن
 رسول الله روى لنا عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال إِنَّهُ لَأَجَبٌ رَّا
 لَا تَقْوِيضَ بَلْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ فَمَا مَعْنَاهُ: - مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ أَفْعَالَنَا ثُمَّ
 يُعَذِّبُنَا عَلَيْهَا فَقَدْ قَالَ بِالْجَبْرِ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ قَوَّضَ أَمْرَ الْخَلْقِ وَ
 الرِّزْقِ إِلَى حُجَجِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَقَدْ قَالَ بِالتَّقْوِيضِ وَالْقَائِلُ بِالْجَبْرِ كَافِرٌ
 وَالْقَائِلُ بِالتَّقْوِيضِ مُشْرِكٌ فَقُلْتُ لَهُ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ فَمَا أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ
 فَقَالَ وَجُودُ السَّبِيلِ إِلَى آتِيَانِ مَا أَمْرًا بِهِ وَتَرْكُ مَا نُهِوا عَنْهُ فَقُلْتُ لَهُ فَهَلْ
 لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ مَشِيئَةٌ وَإِرَادَةٌ فِي ذَلِكَ فَقَالَ فَأَمَّا الطَّاعَاتُ فإِرَادَةُ اللَّهِ وَمَشِيئَتُهُ
 فِيهَا الْأَمْرُ بِهَا وَالرِّضَا هَا وَالْمَعَاوَنَةُ عَلَيْهَا وَإِرَادَتُهُ وَمَشِيئَتُهُ فِي الْمَعْصِيَةِ الْنَهْيُ
 عَنْهَا وَالسَّخَطُ هَا وَالْحَيْدَلَانُ عَلَيْهَا قُلْتُ لِلَّهِ فِيهَا الْقَضَاءُ قَالَ نَعَمْ مَا مِنْ
 فِعْلٍ يَفْعَلُهُ الْعِبَادُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ إِلَّا وَلِلَّهِ فِيهِ قَضَاءٌ قُلْتُ مَا مَعْنَى هَذَا
 الْقَضَاءِ قَالَ الْحُكْمُ عَلَيْهِمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَهُ عَلَى أَفْعَالِهِمْ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ٢.

والمراد من التفويض هنا هو ما زعمته الغلاة والمحدور المشترك بين انحاء
 التفويض هو لزوم استقلال الموجود الممكن ولزوم محدودية الموجود الواجب
 والمراد من كفر القائل بالجبر هو كفر من تنبهه مفسدة الجبر والتزم بلوازمه
 الفاسدة وكذا المراد من شرك القائل بالتفويض واما بدون ذلك فحيث ان
 المسئلة نظرية عميقة كما تقدم فلا يوجب مجرد القول بذلك نظراً كفوياً ولا
 شركاً الا بحسب الآخرة و يقرب منه مع تفاوت ما افاده مولينا الرضا
 عليه السلام.

(١) سورة الحديد آية ٢٥.

(٢) مستند الامام الرضا (ع) ج ١ ص ٣٧.

مَنْ قَالَ بِالْجَبْرِ فَلَا تَعْطُوهُ مِنَ الزَّكْوَةِ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُ شَهَادَةً إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى لَا يَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَا يُحْمَلُهَا فَوْقَ طَاقَتِهَا وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ
نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى^١

و المراد من وجود السبيل هو تحقق الاستطاعة و الاختيار الى اطاعة الامر و
النهي التشريعيين .

و المراد من الفرق بين الطاعة و المعصية هو ان في الاولى ارادتين التشريعية
و التكوينية و في الثانية كراهة تشريعية و ارادة تكوينية اذ ما من فعل الا والله
تعالى فيه قضاء و هو امر تكويني توضيحه مامر

فتبين مما تقدم اولاً ان موضوع البحث عن الجبر و التفويض هو الفعل
الارادي الذي يتروى الانسان فيه و يصدر عنه بما انه موجود متفكر لا الفعل
الطبيعي او النباتي

وثانياً ان مسألة الجبر و التفويض نظرية غامضة لا ضرورية قلما يتفق ان
ينجو المتفكر فيها من احد طرفيها و لا يبتلى بطرفها الآخر

و ثالثاً ان مذهب الجبر كان عاملاً هاماً لتوجيه طغيان الطغاة اللئام و لذا
كان القائل به مقبولاً عند بعض سلاطين الجور

ورابعاً ان الجبر ممتنع سواء كان الجابر هو الله او غيره و ان التفويض محال
سواء كان المفوض اليه هو الانسان او غيره

و خامساً ان الجبر و التفويض ليسا نقيضين حتى يمتنع ارتفاعهما
كاجتماعهما و لا ضدين لا ثالث لهما حتى اذا ارتفع احدهما ثبت الاخر
بالضرورة بل يمكن ارتفاعهما معاً لان بينها منزلة اوسع مما بين السماء و الارض
و سادساً ان الجبر المقابل للتفويض هو غير الجبر العلى المقابل للاولوية

و سابعاً ان الجبر مستلزم للتفويض فيما اذا كان المجبور فاعلاً بالحقيقة لا

بالمجاز بان يكون مورد الفعل
وثامناً ان القول بكون مناط الحاجة الى العلة هو الحدوث لا يستلزم القول
بالتفويض
وتاسعاً ان فعل الانسان كاصل وجوده له جهتان باحديهما يسند الى الله
سبحانه دون الاخرى
وعاشراً ان الاقوال في هذه العويصة اربعة: الاول الجبر والثاني التفويض
والثالث كون الانسان بما له ارادة و اختيار فاعلاً قريباً و المبادئ العالية
المنتهية الى الله سبحانه فواعل متوسط و بعيدة و الرابع كون الانسان وائى موجود
آخر درجة من درجات فاعليته سبحانه اذ لا فاعل الا من هو رب العالمين فالمعنى
الثالث هو تفسير المنزلة بين المنزلتين على نهج الفلسفة و الرابع هو تفسيرها على
مشرب العرفان و ان يبحث عنها احياناً في الحكمة المتعالية
واحد عشر ان الحدود الوسطى للبرهان على امتناع الجبر هي الحكمة و
العدالة و الكرامة و الرحمة و نحوها من الاسماء الحسنى لله سبحانه
وثاني عشر ان القضاء على قسمين احدهما مصون عن التحول و الاخر
محكوم به
وثالث عشر ان الحدود الوسطى للبرهان على استحالة التفويض هي
العزة و الكرامة و القدرة و السلطنة و المالكية و نحوها من الاسماء الحسنى لله
سبحانه
ورابع عشر ان قضاء الله و قدره نافذ على كل شىء و انه ما من شىء الا و
الله فيه مشيئة و قضاء^١

و خامس عشر ان التفويض بائى مكتب من المكاتب المعهودة منه ممتنع
و سادس عشر ان الله سبحانه اولى بحسنات العبد من نفسه و ان العبد

(١) قال مولينا الرضا (ع) في تفسير كونه تعالى قاهراً.. على ان جميع ما خلق ملتبس به الذل لفاعله.. مسند

اولى بسيئاته من الله سبحانه.

الروضة الرابعة

في ما عن علي بن موسى الرضا عليهما السلام في النبوة وفيها فصلان
 الفصل الاول في ضرورة النبوه و قد تقدم في التوحيد الربوبي ان الله
 سبحانه رب العالمين وانه لا رب سواه فلا يمكن ان يترك شئ سدى ولا يمكن
 ان يدبره موجود غير الله تعالى و من ذلك الانسان الذي يحتاج الى من يدبره، و
 تدبير كل موجود بحسبه فان كان هناك موجودٌ يعيش بالتفكر والاختيار فلا بد
 من تدبيره بالمعرفة والتزكية فلا بد للانسان ممن يعرفه ويزكيه ولا يمكن ان
 يقتصر بما اوتي من العلم القليل في ذلك لان له مساساً بكثير من الاشياء
 السماوية والارضية و هو جاهل بحقيقة جلّها و يشهد له تضارب الآراء في
 معرفتها و على فرض علمه بها يجعل ذلك العلم ذريعة الى استخدام غيره و تحميل
 الضيم عليه كما هو المشهود من تكالب الجوامع الذين لم يستضيئوا بنور الوحي و
 لم يلجأوا الى ركن النبوة فهم بعد في امر مريب لانظام له

و الى ذلك يشير قوله تعالى رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ
 عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا^١ اذ لو كان العقل
 الانساني بما اوتي من العلم الطفيف كافياً في الاهتداء الى النظام المعقول المنزه
 عن الجور و الفساد لتمت حجة الله على الناس و لما كان لهم على الله حجة و لما
 احتيج الى الرسل المبشرين و المنذرين و هكذا قوله تعالى وَ مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ
 حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا^٢ و قوله تعالى وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَا هُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا
 رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِّن قَبْلِ أَنْ نَذَلَ وَ نَحْزَى^٣ و قوله
 تعالى إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (سورة رعد آية ٧) و غير ذلك من

(١) النساء آية ١٦٥.

(٢) اسراء آية ١٥

(٣) طه آية ١٣٤.

النصوص القرآنية الهاتفة بان العقل سراج لاصراط وانه نفسه لوخلى وفطرته
 السليمة يدعوا الى النبوة ويدرك ضرورتها كما افاد مولينا الرضا عليه السلام في
 قوله: فَإِنَّ قَالَ قَائِلٌ: لِمَ أَمَرَ الْخَلْقَ بِالْإِقْرَارِ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ وَبِحُجْجِهِ وَبِمَا جَاءَ مِنْ
 عِنْدَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ؟ قِيلَ: لِعِلَلٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا أَنَّ مَنْ لَمْ يُقِرَّ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يَجْتَنِبْ
 مَعَاصِيَهُ وَلَمْ يَنْتَهَ عَنِ ارْتِكَابِ الْكِبَايِرِ وَلَمْ يُرَاقِبْ أَحَدًا فِيمَا يَشْتَهِي وَيَسْتَلِدُّ
 عَنِ الْفَسَادِ وَالظُّلْمِ وَإِذَا فَعَلَ النَّاسُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ وَارْتَكَبَ كُلُّ إِنْسَانٍ
 مَا يَشْتَهِي وَيَهْوَاهُ مِنْ غَيْرِ مُرَاقَبَةٍ لِأَحَدٍ كَانَ فِي ذَلِكَ فَسَادُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ وَ
 نُوبٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَعَصَبُوا الْفُرُوجَ وَالْأَمْوَالَ وَآبَا حَوَا الدِّمَاءِ
 وَالنِّسَاءِ وَقَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنْ غَيْرِ حَقٍّ وَلَا جُزْمٍ فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ خَرَابُ
 الدُّنْيَا وَهَلَاكُ الْخَلْقِ وَفَسَادُ الْحَزْبِ وَالنَّسْلِ. وَمِنْهَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ حَكِيمٌ
 وَلَا يَكُونُ الْحَكِيمُ وَلَا يُوصَفُ بِالْحِكْمَةِ إِلَّا الَّذِي يَحْظَرُ الْفَسَادَ وَيَأْمُرُ
 بِالصَّلَاحِ وَيَنْزِعُ عَنِ الظُّلْمِ وَيَنْهَى عَنِ الْقَوَاحِشِ وَلَا يَكُونُ خَطَرُ
 الْفَسَادِ وَالْأَمْرِ بِالصَّلَاحِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْقَوَاحِشِ إِلَّا بَعْدَ الْإِقْرَارِ بِاللَّهِ
 عَزَّوَجَلَّ وَمَعْرِفَةِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَلَوْ تَرِكَ النَّاسُ بغيرِ إقْرَارِ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَلَا
 مَعْرِفَتِهِ لَمْ يَنْبُتْ أَمْرٌ بِصَلَاحٍ وَلَا نَهْيٌ عَنِ فَسَادٍ إِذْ لَا أَمْرَ وَلَا نَاهِيَّ. وَمِنْهَا
 إِنَّا وَجَدْنَا الْخَلْقَ قَدْ يُفْسِدُونَ بِأُمُورٍ بَاطِنَةٍ مَسْتُورَةٍ عَنِ الْخَلْقِ فَلَوْلَا الْإِقْرَارُ
 بِاللَّهِ وَخَشْيَتُهُ بِالْغَيْبِ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ إِذَا خَلَا بِشَهْوَتِهِ وَإِرَادَتِهِ يُرَاقِبُ أَحَدًا
 فِي تَرْكِ مَعْصِيَتِهِ وَأَنْهَاكِ حُرْمَتِهِ وَارْتِكَابِ كِبِيرَةٍ إِذَا كَانَ فَعَلَهُ ذَلِكَ مَسْتُورًا
 عَنِ الْخَلْقِ غَيْرِ مُرَاقِبٍ لِأَحَدٍ فَكَانَ يَكُونُ فِي ذَلِكَ خِلَافُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ
 فَلَمْ يَكُنْ قِيَامُ الْخَلْقِ وَصَلَاحُهُمْ إِلَّا بِالْإِقْرَارِ مِنْهُمْ بِعَلِيمٍ خَيْرٍ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ
 أَخْفَى أَمْرِ بِالصَّلَاحِ نَاهٍ عَنِ الْفَسَادِ وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ لِيَكُونَ فِي ذَلِكَ
 أَنْزِجَاؤُهُمْ عَمَّا يَخْلُونَ بِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْفَسَادِ

مؤيد بمثل قوله تعالى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ وبمثل قوله سبحانه وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ومن السيرة العملية المصونة عن اية زلة تجاه تلك السيرة العلمية المعصومة عن اى خطأ لانه مزكى بمثل قوله تعالى اِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ اذ لو لم يكن معصوماً فى شى من عقليه النظرى والعملى لما كان رحمة للعالمين وقدوة لهم و الى ذلك اشار مولينا الرضا عليه السلام فَاِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَلِمَ وَجِبَ عَلَيْهِمْ مَعْرِفَةُ الرَّسُولِ وَالْاِقْرَارُ بِهِمُ وَالْاِذْعَانُ لَهُمُ بِالطَّاعَةِ قَبْلَ لِانَّهُ لَمَّا اَنْ لَمْ يَكُنْ فِي خَلْقِهِمْ وَقَوَاهُمْ مَا يَكْتُلُونَ بِهِ مَصَالِحَهُمْ وَكَانَ الصَّانِعُ مُتَعَالِيًا عَنْ اَنْ يَرَىٰ وَكَانَ ضَعْفُهُمْ وَعَجْزُهُمْ عَنْ اِدْرَاكِهِ ظَاهِرًا لَمْ يَكُنْ بَدَلَهُمْ مِنْ رَسُولٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مَعْصُومٌ يُؤَدِّي اِلَيْهِمْ اَمْرَهُ وَنَهْيَهُ وَادْبَهُ وَيَقْفَهُمْ عَلَىٰ مَا يَكُونُ بِهِ اِحْرَارٌ مَنَافِعِهِمْ وَمَضَارِيهِمْ فَلَوْلَمْ يَجِبَ عَلَيْهِمْ مَعْرِفَتُهُ وَطَاعَتُهُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي حُجَّتِ الرَّسُولِ مَنَفَعَةٌ وَلَا سَدٌّ حَاجَةٍ وَ لَكَانَ يَكُونُ اِتِّبَانُهُ عَبَثًا لِغَيْرِ مَنَفَعَةٍ وَلَا صَلَاحٍ وَلَيْسَ هَذَا مِنْ صِفَةِ الْحَكِيمِ الَّذِي اتَّقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ١

حيث انه عليه السلام وصف الرسول بالعصمة المطلقة الشاملة لجميع مراحل الرسالة وشؤونها وهذا هو البرهان على اصل النبوة وضرورتها من دون خصيصة لرسول معين ولا فى مكان محدود او عصر مشخص كما افاده مولينا الصادق عليه السلام بعد اقامة الدليل على ذلك بقوله... ثُمَّ تَبَّتْ ذَلِكَ فِي كُلِّ دَهْرٍ وَرَمَانٍ مِمَّا آتَتْ بِهِ الرَّسُولُ وَالْاَنْبِيَاءُ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ لِكَيْلَا تَخْلُو اَرْضُ اللَّهِ مِنْ حُجَّةٍ يَكُونُ مَعَهُ عِلْمٌ يَدُلُّ عَلَىٰ صِدْقِ مَقَالَتِهِ وَجَوَازِ عَدَالَتِهِ ٢ لان النبوة الخاصة حيث انها وصف شخصى خارجى لا يمكن البرهان الفلسفى عليها لعدم جريانه فى الموجودات الجزئية اذ لا يؤلف الامن مقدمات ضرورية ذاتية كلية دائمة

(١) مسند الامام ج ١ ص ٥٠.

(٢) كافى باب الاضطرار الى الحقبة حديث ١.

ثم ان استيفاء المقال في النبوة والعصمة والاعجاز وضرورة ذلك كله و
انه لا بد من انسان الهى سائى للناس ما يهديهم الى كما لهم السامى ولا بد وان
يكون معصوماً عن اتى نقص ضار في الرسالة والهداية ولا بد وان يكون له
معجزة تدل على صدق دعواه وبيان ان المعجزة لا تباين النظام العلى وان بين
الاعجاز وصدق الدعوى ربطاً ضرورياً وانه لا يمكن ان يظهر بيد المتنبى
الكاذب وانه لا يصير مغلوباً لاحيد وغير ذلك من فروع هذا المبحث على ذمة
رسالة اخرى كافلة لها فلنطو الكلام في ذلك بمنه تعالى

الفصل الثاني

في طرق اثبات النبوة لمن يدعيها

ان البحث عن النبوة انما يتم في بيان انها - اى النبوة - ماهى؟ وانها هل هى؟ وانها كيف يمكن ان يصير الانسان نبياً؟ وانها كيف يمكن اثباتها والعلم بتحققها خارجاً؟ وغير ذلك مما هو المبحوث عنه في باب النبوة.

ولسنا الآن بصدد استيفاء المقال فيه وقد اشير الى تعريفها والى ضرورتها تارة من ناحية العلة الفاعلية وهو كون الله سبحانه تعالى حكماً اتقن كل شئ حسبما افاده مولينا الرضا عليه السلام^١ و اخرى من ناحية العلة الغائية وهو رجوع الانسان الى الله سبحانه و بقاءه هناك ابداً. حيث ان ضرورة المعاد والمهدف الغائى توجب ضرورة الطريق الموصلة اليه وهى الشريعة التى لا بد لها من شارع سماوى فمن اعترف بتلك الغاية لا بد وان يعترف بالصرط المستقيم المنتهى اليها ومن انكرها فله انكار الطريق ايضاً كما هو المأثور عن منكرى النبوة القائلين بانه **إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا** ولقد تصدى ببحث معرفة النفس من الفلسفة الالهية لبيان ان النفس الانسانية كيف تتكامل بعناية الهية حتى تصل الى مقام النبوة.

والذى يهمنى الآن هو الكلام في امرين احدهما انه بماذا يثبت للنبي انه

صار نبياً وان ما أوتيته هو النبوة وان الذي آتاه آياها هو الله سبحانه او ملك من ملائكته باذنه وانه لا يكون من دعابات قواه الخيالية والوهمية ولا من وساوس الحفائس الذي يوسوس في صدور الناس و ان الذي تمثل له لا يكون شيطاناً وما الى ذلك من فروع الضلال وصور الغي. وثانيها انه بماذا ثبت للناس المرسل اليهم ان دعوى مدعى النبوة والرسالة حق لا ريب فيه وانه نبى سماوى لا متنبى ارضى وانه مُخبر عن الله سبحانه فيما يقول وليس بمفتر عليه ولا مقول.

والجامع بين هذين الامرين هو بيان طريق اثبات النبوة والعلم بها سواء في ذلك الرسول والمرسل اليه اذ يجب على الكل ان يؤمنوا بذلك فكما ان الناس المرسل اليهم مكلفون بان يؤمنوا بان ما جاء به ذلك المدعى حق لامرية فيه كك يجب على نفس المدعى ان يؤمن بما انزل عليه ومن المعلوم ان الايمان بشيء يتوقف على العلم بانه جاء من عند الله فقط لان الانسان الموحد لا يعبد الا اياه ولا يطيع احداً سواه اذ لله الدين واصباً وله الدين خالصاً وحيث ان درجات الايمان بشيء بجزء درجات العلم به فاقوى الناس ايماناً بالنبوة هو اعرفهم بها كما ان اجهد الناس بها هو اشدهم انكاراً لها فاتضح بذلك ضرورة البحث عن طريق اثباتها وهو في مايلي:

الامر الاول في انه كيف يعلم النبي انه صار نبياً

كما ان بعض العلوم الحصولية اولى بذاته لا يتطرقه الشك اصلاً فهو غنى عن اقامة الدليل عليه لانه الدليل الاساسى والبرهان المبدئى على غيره اذ ليس لغيره من الظهور ما ليس له حتى يكون ذلك الغير هو المظهر له كك بعض العلوم الحضورية مشهود بذاته لا تتطرقه الشبهة ابداً فهو غنى عن شهوده بغيره اذ ليس لذلك الغير من الشهادة ما ليس له حتى يكون هو الشاهد عليه في العلوم

الشهودية ما هو المشهود الاقوى المصون عن الحجاب ولا يمكن الاستشهاد له لغنائه عنه كما لا يمكن الاستدلال المفهومى عليه في منطقة الشهود اذ لا مجال للعلم الحصول في حوزة العلم الحضورى اذ لا تصور هناك ولا تصديق فلا دليل له ولا برهان عليه مادام الشهود شهوداً وان يمكن الاستدلال عليه بعد ترجمته بالعلم الحصول وُئبسه بلباس المفهوم الذهني نعم هو بنفسه حجاب نورى لا يشاهده الا الواحدى من الانسان المتكامل الذى يخرق بصر قلبه حجب النور و يصل الى معدن النبوة و يصير روجه متصفاً بها متحداً معها فح لا ريب هناك حتى يزول بشهود آخر.

والسرّ في ذلك هو ان الشك انما يتطرق فيما يكون للباطل هنالك مجال اذا الفرد المشكوك انما يردّد امره بين الحق والباطل الذي يشبهه معه فاذا لم يكن للباطل طريق الى موطن خاص اصلاً وكان جميع ما هناك حقاً لا شريك له ولا شبيه له فأتى موجود هناك يكون حقاً و اتى شهود هناك يكون شهوداً الهياً كما انه لو فرض موطن لا يكون للحق هناك مجال لانه باطل كله فأتى موجود هناك يكون باطلاً سراباً ولا وجه للريب اصلاً اذ الشك انما هو دوران علمى بين ذا وذاك فالمشكوك شىء يدور امره بين الحق والباطل، فاذا انحصر ما يوجد في موطن خاص في الحق كما في الفرض الاول او في الباطل كما في الفرض الثانى فلا مجال للشك فيه اصلاً، اذ لا ثانى حتى يدور الأمر بين الأول وبينه.

وحيث ان موطن النبوة وحى خاص ربانى له تجرّد عقلى لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه اصلاً فلا مجال للبطلان هنالك الذى لا ولاية فيه الا للحق المحض ولا يمسّ كرامته يد الخيال والوهم من داخل ولا يد الشيطان المغوى من خارج اذ الوهم محجوب عن شهود العقل المجرد فلا يمكن تشيطنه كما ان الشيطان مرجوم هناك فلا يمكن ان يستمع شيئاً ويسترق لان هناك شهباً راصدة فمن اراد ان يستمع يجد له شهاباً رصداً ولذا اعترف الشيطان ببعجزه عن اغواء المخلصين من عباده فاذا كان هناك مقام مكنون لا يمسّه الا المطهرون فلا

بجال فيه للوث الباطل رأساً فعه لا يتطرق اليه الشك اصلاً فاذا لم يكن هناك للشك مجال فلا حاجة فيه الى البرهان اذ لاجهل حتى يرتفع به ولاشك حتى يزول بالدليل فوجوده هو بعينه اثباته فمن ناله فقد تيقن به لان الله سبحانه وهب له كمال الانقطاع اليه فلا يرى الآلحق الناشى من الله تعالى اذ المفيض لا يضل ولا ينسى والمستفيض معصوم بعصمة لانفصام لها فلا يفرض هناك الشك لان ذلك المقام هو بنفسه ميزان يوزن به الأشياء، فلا يحتاج الى ميزان آخر، فاذا بلغ الانسان الكامل خدأ خاصاً يوحى اليه يصير هو بنفسه متحداً مع ذلك المقام المحمود فتح لا مجال للشك لان ثبوت الشى لنفسه وشهوده اياها بين لامرية فيه اذ ليست النبوة وصفاً اعتبارياً يدور امره مدار الاعتبار كسائر المناصب الاجتماعية ولا حالاً طارئاً يسنح تارة ويفيب اخرى بل هو وجود تكوئى تتحد معه النفس النبوية وتصير هي بعينها اياه فعه تكون على بينة من ربه بلا حجاب. ويؤيد ذلك كله ما روى عن مولينا الصادق عليه السلام: من **أَنَّ الرَّسُولَ هُوَ الَّذِي يَظْهَرُ لَهُ الْمَلِكُ فَيَكَلِّمُهُ وَالنَّبِيُّ هُوَ الَّذِي يَرَى فِي مَنَامِهِ وَرُبَّمَا اجْتَمَعَتِ النَّبُوَّةُ وَالرَّسَالَةُ لِوَاحِدٍ إِلَى أَنْ قَالَ السَّائِلُ قُلْتُ لَهُ كَيْفَ يَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي رَأَى فِي النَّوْمِ حَقٌّ وَأَنَّهُ مِنَ الْمَلِكِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُوقَفُ لِذَلِكَ حَتَّى يَعْرِفَهُ...^١**

ولعل سر اختصاص السؤال بالنوم هو تنبه السائل بان اليقظة مصنونة عن الشك واما المحتمل تطرقه حال النوم فاجيب بانه واليقظة سواء لان النبى يقظان دائماً اذ النبوة نفسها يقظة كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله **إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ نَنَامُ عِيُونُنَا وَلَا نَنَامُ قُلُوبُنَا وَنَرَى مِنْ خَلْفِنَا كَمَا نَرَى مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا^٢** وحيث ان اليقظان مصون عن الغفلة وسبات العقل المميتر واما النائم فليس كك فلذا سئل عن ما يرى فى النوم.

(١) الكافي ج ١ كذب - حجة - ب - نفرق بين الرسول والنبى باب ٣ حديث ٤ ص ١٧٧.

(٢) بحار ج ١١ ص ٥٥.

والجواب بانه يوفق له اى يحصل له ما يفرق به بين الحق والباطل وقد
عذالقرآن التقوى ميزاناً للفرق بينها حيث قال سبحانه **إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ**
فُرْقَاناً فكيف بمن هو اتقى الناس واقدرهم على الفرقان.

و بالجمله **النَّاسُ نِيَامٌ إِذَا مَا تُوتُوا** انتبهوا واما الانبياء عليهم السلام فهم
يقظان دائما لا تأخذ قلوبهم سنة ولا نوم وان كان ابدانهم وعيونهم تنام وهكذا
يؤيد ما تقدم من صيانة مقام النبوة عن الشك ما روى عن مولينا الصادق
عليه السلام ان السائل قال **كَيْفَ عَلِمْتَ الرَّسُلُ أَنَّهَا رُسُلٌ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ**
كُشِفَ عَنْهَا الْغِطَاءُ^٢ اذ كشف الغطاء عبارة عن رفع اى حجاب نورى وغيره
فعه لا مجال للشك فح لا احتياج الى البرهان الحصى ولا الى الشهود
الحضورى حتى يكون ذلك دليلاً عليه او هذا شاهداً له اذ لا حجاب حتى يرتفع
بالدليل ولا غطاء حتى يكشف بالشاهد ولا غبار عليه حتى يثور بالنفخة وليس
ببعيد حتى يقترب بالدليل وليس بغائب حتى يحضر بالشاهد ولذا لا يكذب
الفواد ما رأى ولا يزيغ البصر ولا يطفى اذ لا يحول بين النبى ونبوته شىء
فكما ان النبوة نفسها لا تشك انها نبوة كك النبى لا يشك حينئذ فى صيرورته
نبياً وكما ان الملك لا يشك فى ان الذى يلقى اليه هو وحي الهى لا هاجس
نفسانى ولا خاطر شيطانى لان ذلك المقام السامى فوق ان يتدنس بشىء من
الهاجس النفسانية او الخواطر الشيطانية اذ العالى لا نظره الى السافل والسافل لا
مطمح له فى العالى ولذا يفعلون ما يؤمرون بلا احتياج الى الدليل او الشاهد
فكك النبى الذى لا يكون اقل منه درجة لولم يكن افضل منه كيف والنبوة
نوراهى يسعى بين يدى النبى ويمينه بل الولاية كك ايضاً ولعله لذا قال مولينا
اميرالمؤمنين عليه السلام **مَا شَكَّكَتْ فِي الْحَقِّ مُدُّ أَرْبَتُهُ لَمْ يُوجَسْ مُوسَى**
عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْفَةً عَلَى نَفْسِهِ بَلْ أَشَقَّ مِنْ غَلْبَةِ الْجُهَالِ وَدَوْلِ الضَّلَالِ.^٣

(١) انزال آية ٢٩

(٢) بخارج ١١ ص ٥٦.

(٣) نهج البلاغة صحى صالح ص ٥١.

اذ اراءة الحق لا تكون الا من الله سبحانه اذ الحق من ربك وليس من غيره اصلاً فيصير من تلقاه من الله سبحانه متحققاً بنفس ذلك الحق المفاض عليه فيدور معه حيثما دار ولا ينظر الا اليه فيكون نظره حقاً واما سر آيخاس موسى الخوف في نفسه كما قال سبحانه فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى فهو ليس لانه عليه السلام قد شك ثم خاف بل كان على بينة من ربه متيقناً بان ما اتي به معجزة الهية وان ما اتوا به سحرٌ سَحَرُوا بِهِ آعَيْنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ ولكنه عليه السلام خاف من جهل الناس حيث انه لو اشتبه الامر عليهم ولم يقدروا على الميزين الحق والباطل غلب هناك دولة الضلال وظهر دولة الجهالة و يؤيد هذا التفسير الذي ظاهره اتق و باطنه عميق قوله تعالى: قُلْنَا لَأَخْفَىٰ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ وَالْأَلْوَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدًا سَاجِرًا وَلَا يَفْلِحُ السَّاجِرُ حَيْثُ أَتَىٰ قَالَتِ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ لظهوره في ان الخوف كان من غلبة الجهل على العقل والضلال على الهداية لاعلى نفسه لان ضيائه عليه السلام فيه اليقين و دليله سمت الهدى الساعى بين يمينه و يديه يدور هو معه حيثما دار. و بذلك يظهر سر ما دارج في السنة الانبياء والاولياء عليهم السلام مَا كَذِبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ لان معناه هو ان الوحي الالهى الذى يتلقاه النبي والولى حق لا باطل فيه اذ ليس هناك نقص فى الفاعل ولا عيب فى القابل ولا كذب هنالك اصلاً لا كذب خبرى ولا كذب مخبرى لان المخبر هو اصدق القائلين اذ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا وَالْمَسْمُوعُ هُوَ صَدِيقٌ لَا يَحُومُ حَوْلَهُ شَائِبَةُ الْكُذْبِ لانه يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ حَتَّى لَا تَسْتَضِيءَ مِنَ الشَّمْسِ فِي الْغَدَاةِ وَلَا غَرْبِيَّةٍ حَتَّى لَا تَسْتَبِيرَ مِنْهَا فِي الْأَصَالِ بَلْ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نَوْرًا عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

فتبين مما تقدم:

أولاً ان المشهود العيني كالمفهوم الذهني قد يكون أولى الشهود غنياً عن الاستشهاد.

وثانياً ان النبوة نفسها نور بين يدي النبي الذي تكون كلتا يديه يمينا. وثالثاً ان الباطل لا يتطرق الى التجرد العقلي اذ ليس للشيطان ازيد من التجرد الوهمي.

ورابعاً ان الشك لا يسنح فيما لا مجال للبطلان هناك اصلاً اذ ليس فيه ما يشبه الحق.

وخامساً ان النبوة وجودها اثباتها فهي الشاهدة على نفسها بدون الحاجة الى شاهد خارجي.

وسادساً ان الكلام الالهي مادام يكون كلاماً الهيا من حفظ الربط اليه سبحانه يكون مصنوعاً عن تطرق الوهم واستراق الشيطان سواء كان وحياً بلا واسطة او من وراء حجاب او بارسال الرسول الذي يوحى ذلك الرسول ما يشاء باذنه.

اذ في جميع هذه المراحل يكون الكلام منسوباً اليه سبحانه بنسبة خارجية قاطعة لتطرق اى دسّ وسنوح اى تحريف ولا تفاوت بين هذه الاقسام في اصل الصيانة عن تطرق الباطل و في النزاهة عن الشك وان كان بينها ميزق في درجة الوجود شدة وضعفاً.

وسابعاً ان حديث «ورقة بن نوفل» وما يضاهاها مما يدل على عدم تبين وحى النبوة لرسول الله صلى الله عليه وآله وانه لم يكن على يقين من ان ما التى اليه و شاهده هو الملك النازل بالوحى حتى اطمئن بقول «ورقة بن نوفل» او غيره افك محتلق لقيام ضرورة العقل على خلافه.

وثامناً ان القول بان الانبياء والاولياء بمعجزاتهم وكراماتهم حجج الله على خلقه و شهادته عليهم. ولكن البراهين العقلية والانوار الالهية حجج الله على

ذواتهم و بواطنهم كما قال تعالى. «وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ» الخ لا بد وان يرجع الى ما تقدم من ان العلم الحسولي والبرهان العقلي لا يتعدى حد النفس ولا يبلغ مرحلة العقل المحض وان المشهود العيني قبل ان يترجم عنه بالمفهوم الحسولي وجود خارجي لا يمكن البرهان المفهومي عليه وانه بنفسه بيّنة الهية غنية عن الاستشهاد عليه كما انه مستغن عن الاستدلال عليه نعم هو بذاته حجة الله على النبي بما انه انسان مكلف كغيره من آحاد المكلفين ولا يتوقف ذلك على ان يكون المشهود معجزة بالمعنى المعهود منها بحيث يتحدى النبي به ويعجز الناس عن الاتيان بمثله كقلب العصاء حية بل يمكن ان لا يكون ما شاهده النبي بادي الامر معجزة اصطلاحية وهو مع ذلك كان على يقين من ربه نحو ما شاهده رسول الله صلى الله عليه وآله في بدو امره من عدة آيات من سورة العلق حيث انها ليست معجزة يتحدى بها اذ لم يتحدّ بغير السورة وهو صلى الله عليه وآله مع ذلك كان على بيّنة من ربه بانّ هذا كلام الله بلا ريب.

والسرّ في هذا هو ما تقدم من انّ نفس الوحي الالهي وان كان آية واحدة فهو في مقام مكنون لا يمتسه الا المطهرون ولا يتطرق اليه البطلان اصلاً فلا يحوم حوله الشك ابداً لانه لا ينظر هنالك الا بنور الله الذي هو نور لا ظلام فيه .
و تاسعاً انّ الولي يمكن ان يعرف ولايته لله تعالى و انّ لحاظ نفسه بعين الاستصغار لا ينافي شهود ولايته كما انه ليس من شرطها وفاء العاقبة حتى يناقش بعدم اتضاحها بل المدار الوحيد فيها هو معرفة الله واليوم الآخر شهوداً مع المواظبة على الطاعات وفعل العبادات والاجتناب عن المعاصي واللذات والاعراض عن الدنيا و ما فيها...^٢

(١) شرح اصول الكافي لصدر التآهين (قده) ص ٤٣٨.

(٢) مفاتيح الغيب ص ٦١٨.

الامر الثاني: في انه كيف يعرف الناس النبي المرسل اليهم؟

قد تقدم البرهان العقلي على ضرورة النبوة وانه لا بد للناس من نبي معصوم يسن لهم ما يهديهم الى صراط مستقيم ويخرجهم من ظلمات الجهل والجور الى نور العقل والعدل وانه لا بد وان يكون ذلك السان انساناً يباشرهم و يباشرونه ليصير اسوة لهم وليأتسوا به فلا محالة يكون معروفاً عندهم كما تقدم عن مولينا الرضا عليه السلام ما يدل على لزوم معرفة الرسول والاقرار به.

فدار الكلام هنا هو كيفية معرفة الرسول بعد وجوبها وامكانها اذ لو لم تكن معرفته ممكنة لما وجبت.

ثم ان طريق المعرفة إما الشهود العرفاني وإما البرهان العقلي وإما الدليل النقلى المراد به النقل المتواتر او الواحد المحضوف بالقرائن القطعية، والمهم من هذه الطرق هو البرهان العقلي اذ النقل وان كان قطعياً لا يجدى الا في النبوة الخاصة لا العامة اذ لانبيى مفروغ عنه حتى ينقل عنه لان البحث هنا في اثبات اصل النبوة لانبوة شخص معين قد سبقه نبي آخر مثله.

و اما الشهود العرفاني فهو وان كان ميسوراً للاوحدى من الناس الا انه معسور لكافتهم اذ قلما يتفق في الامة من يشاهد ما يشاهده النبي وينكشف له نبوته بحيث لا يحتاج بعده الى دليل آخر عقلى او نقلى، مضافا الى ان الميزان في تمييز الكشف الصحيح عن غيره لغير المعصوم هو العقل كما ان معيار اعتبار النقل القطعي هو العقل لان حجية المتواتر كحجية المجرب بالعقل وليست المتواترات وكذا المجربات قضايا اولية في عرض الأوليات العقلية بل هي في

طولها فتنتهى اليها اى الى الاوليات العقلية فالعقل هو المعيار الوحيد في المعرفة ولعله لذا قال مولينا الرضا(ع) في جواب ابن السكيت: فما حجة الله على الخلق اليوم؟ **الْعَقْلُ يُعْرَفُ بِهِ الصَّادِقُ عَلَى اللَّهِ فَيُصَدِّقُهُ وَالْكَاذِبُ عَلَى اللَّهِ فَيَكْذِبُهُ** فيلزم البحث عن كيفية معرفة النبي بالعقل وذلك اما بقيام البرهان العقلي على صدقه مستقيماً من دون الوسطة او بقيامه على صدقه مع الوسطة و بيانه بان للنبي امرين: احدهما الدعوة والآخر الدعوى اما الدعوة فحيث انه يدعوا الى الله الواحد الخالق البارئ المصور الذى ترجع اليه الامور والى ملائكته و انبيائه و رسله والى اليوم الآخر من الجنة والنار وغيرهما من مواقف القيامة وهذه هى الدعوة.

و اما الدعوى فحيث انه يدعى النبوة وانه يوحى اليه دون غيره وانه يشاهد الملك النازل بالوحى وانه رسول يبلغ رسالات ربه من الاحكام والسنن والعقل انما يعرف صحة الدعوة وصدق الاخبار عن الاصول العينية والمعارف الكلية بالبرهان فان وافقته يحكم بصحتها وصدق الخبر عنها وان خالفته يحكم بطلانها و كذب الخبر عنها وبهذا يمتاز النبي الصادق عن الله عن المتنبى الكاذب المفترى عليه سبحانه كما افاده مولينا عليه السلام والشاهد على هذا القسم من المعرفة العقلية هو الحوار العقلي الدارج بين الانبياء والامم واقامة البرهان على صحة الدعوة و مطالبة البرهان العقلي من الملحددين وغيرهم من عبدة الاوثان ومنكرى المعاد و غير ذلك مما يرجع الى اصول الدين او امهات الاخلاق الفاضلة كالعدل والاحسان والتواضع ونحوها.

والذى ينبغى التنبه له هو ان صحة الدعوة وصدق الخبر فيما يرجع الى الاصول لا يستلزم صحة الادعاء وصدق الخبر فيما يرجع الى نبوته و سائر ما يتفرع عنها من القوانين والاحكام التعمدية لان العقاب في هذا القسم المحث عنه انما يعرف الخبر الصادق عن الخبر الكاذب ولا ماساس لذلك بالخبر اصلاً لانه يبحث عن طرفى القضية من الربط الخاص بين محمولها وموضوعها من دون

ارتباط لها الى الخارج عنها وفي هذا المورد ما يقال «انظر الى ما قال ولا تنظر الى من قال» لان المدار في هذا القسم هو خصوص القول مع الغض عن قائله كائناً من كان لانه وان يكشف عن سوء سريره ان كان باطلاً وهو قد تعمد هذا القول الباطل الا انه لا يكشف عن نبوته ان كان حقاً وهو قد جاء به اذ لا تلازم بينها فكما ان كلمة الحق في الحكمة العملية لا تكشف عن حسن نية قائلها اذ يمكن ان تكون حقة يراد بها الباطل كك كلمة الحق في الحكمة النظرية لا تكشف عن قداسة عقل قائلها وعصمته وانه تلقاها من لدن حكيم عليم اذ يمكن ان تكون حقة استرقها هو من موطنها وتلجج بها صدرها فنطق بها وهو لا يعرفها حق المعرفة و اراد ان يصطاد بها الناس.

فالمهم هنا هو البرهان العقلي المحض ولا سهم فيه للمعجزة الا التأييد فن تعقل دعوته وشاهد اعجازه فهو من المؤمنين حقاً الذين لا يحركهم العواصف ومن لم يتعقل دعوته ولم يبرهن على صحتها بل اكتفى فيها بمجرد الاعجاز فهو على شفا جرف الجهالة والارتداد ولذلك ترى غير واحد من اتباع موسى عليه السلام - الذين لم يتعقلوا قوله رَبُّنَا الَّذِي اَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى وغير ذلك من الاقوال البرهانية واكتفوا في قبول دعوته الى التوحيد بمجرد قلب العصاحية تسعى - صاروا من اتباع السامري و ارتدوا عن التوحيد بمجرد انه اخرج لهم عجلاً جسداً له خوار وذلك لان منطقهم الاحساس لا العقل ولذا قالوا لموسى عليه السلام لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً وَقَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا آيَةً كَمَا هُمْ آيَةٌ اذ لم يعقلوا ان الله سبحانه لا تدركه الاوهام فضلاً عن الابصار وهو تعالى يعلم خائنة الاعين فضلاً عن انه يدرك الابصار لانه لطيف خبير ولم يعقلوا ان ستة الوثنيين بتراء لانه مُتَّبِعٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ كما تقدم في بيان اميرالبيان عليه السلام.

فن تم نصاب البرهان العقلي عنده على المعارف الالهية و آمن بها فهو معتمد على العقل و مستظهر بالوحي و جامع بين الحجتين الظاهرة والباطنة

ومن لم تقم عنده حجة العقل فهو معتمد على ظاهر الوحي و مستظهر بالحس و فاقد للحجة الباطنة. و بين ان فاقد البرهان العقلي لا يجد شيئاً يعتمد عليه كما ان واجد البرهان العقلي لا يفقد شيئاً يستظهر به لان العقل سراج وهاج يهدي العاقل الى ما جاء به الوحي.

فتحصّل ان البرهان العقلي وان كان كافياً في اثبات الامر الاول وهو صدق الخبر عن المعارف و صحة الدعوة اليها و لكنه وحده غير كاف لاثبات الامر الثاني وهو صدق الخبر عن النبوة و صحة دعوى الرسالة لعدم قيامه على الشخص الخارجي و لعدم التلازم بين صدق الخبر و صدق الخبر في غير هذا الخبر الذي قام البرهان على صدقه. فلا يمكن اثبات نبوة شخص معين بمجرد البرهان العقلي القائم على صحة دعوته الى المعارف النظرية و الحكم العملية، فينحصر طريق معرفة نبوته في الشهود العرفاني او مشاهدة المعجزة.

اما الشهود العرفاني: فقد تقدم انه وان كان ممكناً لمن رزق التقوى الخالص حيث انه يرزق الفرقان حينئذ لقوله تعالى **إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا** فبنور الاتقاء يتضح ان ذلك الشخص الخارجي نبي ارسله الله للناس لان الذي اتقاه حق تقاته لا نفتح له الف باب فلا يقع في ضيق الجهالة و ضنك الحيرة اصلاً لقوله تعالى **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** رزقاً معنوياً او مادياً و يسبغ عليه نعمه ظاهرة و باطنة و لعل ايمان على بن ابي طالب عليه السلام برسول الله و هكذا ايمان لوط عليه السلام بابراهيم عليه السلام و ايمان يحيى عليه السلام بعيسى عليه السلام من هذا القبيل و يقرب منه ايمان بعض الخواص من الصحابة الا ان ذلك في غاية القلة لصعوبة طريقه الوعرة و عقبته الكؤودة فالطريقة المعهودة لتشخيص النبوة الخاصة هـ مشاهدة المعجزة عند انضمامها بمقدمة عقلية دالة على التلازم بين صحة الدعوى والا تيان بالمعجزة المصحوبة بالتحدي.

فتمام المقال حينئذ في جهتين: احديهما، في ان المعجزة ماهي، و اخرهما،

في التلازم العقلي بين الاتيان بالمعجزة و صحة دعوى الرسالة وانه يمتنع ظهورها من غير الرسول و انه يستحيل ان لا يلزم الرسالة و لا يكشف عن صدق دعواها اذ المفروض امتناع ظهورها عن غيره كل ذلك باليقين لا الظن لانه لا يُغنى من الحق في الاصول شيئاً فاذا كان ذلك باليقين فمن اعترف فقد حى بالبينة ومن انكر فقد هلك بالبينة.

فتبين مما تقدم اولاً ان معرفة النبي ممكنة بل واجبة وثانياً ان طريق المعرفة اما شهود عرفاني او برهان عقلي او نقل قطعي منتهى الى العقل وثالثاً ان للنبي امرين: احدهما الدعوة الى المعارف و ثانيها دعوى الرسالة و رابعاً ان صحة الدعوة يمكن ان تعرف بالشهود او البرهان ولكن لا تلازم عقلي بين صحتها و صحة دعوى الرسالة فلا بد لاثباتها من دليل آخر وخامساً ان صحة الدعوى ايضاً يمكن ان تعرف بتينك الطريقين الشهود او البرهان الا ان الشهود العرفاني عزيز المنال سيما في معرفة نبوة شخص خاص، والمهم هو البرهان العقلي و ذلك بمشاهدة المعجزة و سادساً ان معرفة المعجزة و تشخيصها عن غيرها من الصنائع البديعة والفنون الغريبة انما هو بالعقل وان دلالتها على نبوة من اتى بها ايضاً بالبرهان العقلي كما سيأتى و سابعاً ان الاكتفاء في تصديق النبي بدعوته و دعواه بمجرد مشاهدة المعجزة بدون الاستدلال العقلي على دعوته غير سديد لانه عرضة للزوال و ثامناً ان تمام البحث رهين جهتين: احديهما ما يبحث عن معنى الاعجاز و اخريها ما يبحث عن الربط الضروري بينه و بين النبوة

الجهة الاولى: في ان المعجزة ماهي؟

ان المعجزة هي آية خارجة عن العادة و خارقة لها لم يعهد مثلها ولا يعادها شىء فضلاً عن ان يغلب عليها فهي وان كانت غير معهودة الا انها لا تكون غير معقولة بان لا تكون لها علة موجبة او كانت لها علة كك الا انه لا ربط ضرورى بينها و بين علتها لان كل موجود لا يكون وجوده عين ذاته فهو معلول

كما تقدم عن مولينا الرضا عليه السلام فلا يعقل ان يوجد شيء لا يكون وجوده عين ذاته بلاعلة وحيث ان اصل العلية مستفاد من العقل لا الحس لانه كما قال «ابن سينا» لا يؤدي الآ الى الموافاة وليس اذا توافى شيآن وجب ان يكون احدهما سبباً للآخر والاقناع الذي يقع للنفس لكثرة ما يورده الحس والتجربة فغير متأكد^١ فاذا وجد شيء عند شيء لم يكن صدوره عنه معهوداً او منع صدوره عن شيء لم يكن انفكاكه عنه معهوداً يكون ذلك خرقاً للعادة لا للعلية لانها امر عقلي لا ينقضه الحس كما ان امتناع الترجيح بدون المرجح امر عقلي لا يناقضه الحس من اختيار الهارب احدى الطريقتين بلا مرجح اذ البرهان العقلي قائم في ذلك كله بامتناع صدور المعلول بدون علّة اصلاً او عن غير علته، فجميع مالا يكون وجوده عين ذاته لا بد وان يستند الى علته المنتهية الى موجود يكون وجوده عين ذاته وهو الله سبحانه الخالق لكل شيء.

ثم ان الموجود الخارج عن العادة الخارق لها اما امر علمي يخضع تجاهه العلماء والخواص او امر عملي يتلقاه العوام بالقبول اكثر مما يتلقونه في الامر العلمي، وعلى اى حال اما ان يكون له طريق فكري قابل للتعليم والتعلم وله مباد خاصة حصولية يدركها الذهن ويحللها او يركبها ويستنتج منها شيئاً خارقاً للعادة اولاً، والاو هو ما يُعَدّ من العلوم الغريبة كالسحر والطلسم والشعبدة وما الى ذلك مما له طريق فكري دراسي يُدرّس الناس بعضهم بعضاً وكل يعمل على شاكلته والثاني هو ما يُعَدّ من العلوم اللدنية التي تكون مباديها نفوساً زكية اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ولا طريق اليها للفكر الدراسي بل هو كشف وراثي يورثه اولياء الله بعضهم بعضاً ويتفرع عليه انه لا يعارض بالمثل ولا يغلب بالاقوى منه عندالتحدى لانه باذن الواحد القهار وان كان كل موجود في الخارج فهو باذن منه الا ان المعجزة تصدر من الله الذي يكون

بمنزلة العبد في قرب النوافل حيث انه سبحانه يصير عينه و سماعه و يده و... فلا يفرض ان يوجد لفعله مثل فضلاً عن ضدّ قاهر عليه كَتَبَ اللهُ لَاغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي^١ اِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ^٢ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ^٣ و صدور مثل هذا الامر عن وليّ الله باذنه انما يكون للهداية الى الفلاح لان الله سبحانه وكذا اوليائه المقربين اليه لا يريدون الاحق بخلاف غيره من الامور المعجبة الصادرة عن ارباب الفنون الغريبة لانها وان كانت شبيهة بالمعجزة في المبدء المادى والصورى الا انها لا تشبهها في المبدء الفاعلى والغائى لان المبدء الفاعلى في الاعجاز هو النفس الزكية المتقرّبة الى الله سبحانه بالنوافل التى يكون الله الذى هو دان في علّوه وعال في دنّوه بصرها و سماعها و يدها و... ولان المبدء الغائى فيه هو الفلاح المنتهى الى لقاء الله تعالى، واما السحر ونحوه من العلوم الغريبة فبدايتها الفاعلية هي نفوس شريرة غالباً ومبداها الغائية هي زهرة الحياة الدنيا من التفريق بين المرء وزوجه والقاء الفتنة والصدّ عن سبيل الله و... فهي متشابهات لا بد وان تردّ الى المعاجز التى هي آيات محكمات هنّ ام الكتاب التكوينى الذى ما فرط الله فيه من شىء، فبذلك اتضح تعريف المعجزة بمبداها الاربعة المادية والصورية والفاعلية والغائية وهذا هو امتن التعاريف اذبه يوئد ما تقدم من اجاث التّبوة ويُصحح ما يأتى منها.

ثم ان تفصيل الامر في خوارق العادات و تقسيمها الى المعجزة والكرامة والمعونة والاهانة وبيان ان الاول للنبيّ والثانى للولىّ والثالث للمؤمن العامى والرابع للمنتبى كما نقل في مسيلمة الكذاب و... موكول الى محله. ^٤ فتبين مما تقدم

اولاً ان المعجزة آية خارقة للعادة لا لنظام العلية وانها غير معهودة لا انها غير

(٢) آل عمران ١٦٠.

(١) سورة المجادلة الآية ٢١.

(٤) مفاتيح الغيب ص ٦١٨.

(٣) سورة يوسف ٢١.

معقولة.

وثانياً ان العلية ليست محسوسة حتى يستدل عليها بالحس او يناقضها الحس
او التجربة.

وثالثاً ان المعجزة العلمية عند الخواص آثر وان المعجزة العملية عند العوام
انفع.

ورابعاً ان المعجزة لا طريق فكري اليها بخلاف غيرها من خوارق العادة
كالسحر وغيره من العلوم الغريبة.

وخامساً ان المعجزة تفارق غيرها باقترانها بدعوى الرسالة مع التحدى
وطلب المبارز.

وسادساً ان المعجزة تفترق عن غيرها من حيث المبدء الفاعلى والغائى وان
كانت تشترك مع غيرها فى الجملة من حيث المبدء المادى والصورى كقلب
العصا حية تسعى المشترك ظاهراً بين ما فعله كلم الله وما اتى به السحرة
فسحروا عين الناس واسترهبوهم و يخيل اليهم من سحرهم ان تلك الحبال
والعصى تسعى.

وسابعاً ان المعجزة لا يماثلها شئ فضلاً عن ان يظهر عليها شئ بخلاف
غيرها من الخوارق.

وثامناً ان المعجزة هى الآيه المحكمة التى لا بد ان ترجع اليها المتشابهات
رأساً.

الجهة الثانية: فى التلازم العقلى بين المعجزة وصحة دعوى الرسالة

كما ان كل موجود خارجى فهو بهويته العينية آية الربوبية بحيث لا يمكن
ان يوجد بنفسه او يصدر عن غير الله رب العالمين كك كل موجود خارجى
خارق للعادة تكون معجزة فهو آية النبوة بحيث لا يمكن ان يوجد بنفسه او يصدر
عن غير النبى وان كان ما يصدر عنه فهو كغيره من الموجودات الامكانية مخلوق

لله رب العالمين ولنعم ما عبّر عن المعجزة بالآية اى آية النبوة وعلامة الرسالة لانها تدل بهويتها العينية على ان من جاء بها نبى ارسله الله للناس وليست دلالتها عليها كدلالة الامارات الجعلية والعلامم الاعتبارية.

و بيانه بانّ ماصحّ على الفرد لما فيه من الطبيعة البشرية تصحّ على اصل الطبيعة ايضاً وكل ما صحّ على الطبيعة البشرية صحّ على جميع الافراد المندرجة تحت تلك الطبيعة بما هي ولا يختص بفرد دون غيره فان صحّ امرٌ ما على الفرد المعين دون غيره فهو آية عقلية على ان صحة صدور ذلك منه لخصيصة تختص به لا لاصل الطبيعة السارية فيه وفي غيره من الافراد.

و حيث ان تلك الخاصة توجد فيه دون غيره فذلك الامر انما يصح منه دون غيره لان المسبب يدور مع السبب حيثما دار ولما كانت المعجزة صادرة من شخص خاص بعينه دون غيره ممن سبقه زماناً او قارنه كك بحيث لم يعهد مثلها عن احدٍ ممن ليس بنبيّ اذ لو كان لبان لانّ المفروض انه خارج عن العادة خارق لها ولان الدواعى متوفرة على ضبطها فهذا الانحصار آية عقلية على ان صدورها من فرد خاص ليس لانه بشرياً كل ويمشى في الاسواق حتى يقال له ان انت الّآ بشر مثلنا بل لخصيصة تختص به وهى انه يوحى اليه دون غيره ولا يمكن ان تكون تلك الخاصة هى نبوغه الفكرى ورشده العقلى لما تقدم من ان المعجزة ليست امراً فكرياً يمكن تحصيله بالتعقل ولما اشير اليه من امكان صدورها عن فرد آخر مثله في النبوغ الفكرى مع انه يمتنع صدورها عن فرد آخر ليس بنبيّ مضافاً الى انّ الناس انما يؤمنون بالانبياء عليهم السلام بالمعجزة ولذا تجهزت النبوة بها وخضع الناس لديها و صدّقها القرآن بحيث يدل دلالة واضحة على ان المعجزة آية عقلية على النبوة وان بينها تلازماً عقلياً فلو كانت صادرة من غير النبيّ بان يكون الآتى بها رجلاً نابغاً لا يعهد مثله في النبوغ فلذا جاء بما لم يعهد مثله للزم ان لا تكون معجزة اذ المصادر من المنتبى الشرير امر صناعى له طريق فكرى كما تقدم ولكان منافياً

لحكمة الله الذي اتقن كل شىء حيث انه كيف يمكن أن يأذن ان يخضع الموجود الخارجى لمتنبٍ ضالّ مصلّ يخرج الناس من النور الى الظلمات، و يصادمه اصل البرهان الذي اقامه مولينا الرضا عليه السلام على ضرورة النبوة اذ لا طريق الى معرفتها حينئذٍ لان الامر في مقام معرفتها قد انحصر ظاهراً في المعجزة وقد فرض صدورهما عن آفك اثمٍ فلا تختص بمن لا يضلّ ولا يفوى ولا ينطق عن الهوى فلا تكون آية عقلية للنبوة وهذا باطل عقلاً كما تقرّر من التلازم العقلي بينها و نقلاً كما يستفاد من غير موضع من القرآن بان الربط الضرورى بينها امر مفروغ عنه .

فالمعجزة آية عقلية على نبوة من اتى بها لمن لم يعرفها بنفسها حسبما تقدمه من ان معرفة النبىّ الذى هو خليفة الله يمكن ان تكون على وزان معرفة المستخلف عنه فكما ان معرفة الله سبحانه تقع على وجوه بعضها اعرف من بعض نحو معرفته تعالى به تعالى بدون الافتقار الى الوسطة و ذلك منهج الصديقين في التوحيد و نحو معرفته تعالى بمعرفة النفس التي هي المراقبة الى معرفته تعالى و ذلك منهج من يسلك في نفسه ليصل الى بارئه و نحو معرفته تعالى بمعرفة الموجودات الآفاقية التي هي آيات الهيّة و ذلك منهج من يسلك في غيره لينتهى الى بارئه تعالى كك معرفة النبي صلى الله عليه وآله تقع على وجوه بعضها اتقن من بعض نحو معرفة نبوته بنفس النبوة بان يشاهد العارف ما شاهده النبي و يسمع ما يسمعه الا انه ليس بنبيّ كما قال امير المؤمنين على بر ابيطالب ...

وَلَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جَاوِرًا فِي كُلِّ سَنَةٍ بَحْرًا فَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي
وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَهُ وَاحِدٌ يَوْمئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ
خَلِيجَةٍ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ وَأَشْمُ رِيحَ النَّبُوءَةِ وَلَقَدْ سَمِعْتُ
رَبِّي الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ
مَا هَذِهِ الرَّتَّةُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ آبَسَ مِنْ عِبَادَتِهِ
إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيِّ وَلِكِنَّكَ لَوَظِيرٌ وَإِنَّكَ

لَعَلِّي خَيْرٌ هَذِهِ هِيَ طَرِيقَةُ الصِّدِّيقِينَ فِي مَعْرِفَةِ النَّبُوَّةِ وَيَتْلُوهَا طَرِيقَةً مِنْ يَعْرِفُهَا بِمُشَاهَدَةِ الْأَعْجَازِ فِي نَفْسِهِ بَانَ يَتَصَرَّفُ النَّبِيُّ الْمَأْدُونُ مِنَ اللَّهِ فِي نَفْسِهِ بَانَ يَرْفَعُ حِجَابَهُ وَيَكْشِفُ غَطَائِهِ حَتَّى يَسْمَعَ تَسْبِيحَ الْحِجَارَةِ أَوْ يَتَصَرَّفُ فِيهَا بِالْأَحْيَاءِ بَعْدَ مَوْتِهَا وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنَ آيَاتِ النَّفْسِيَّةِ. وَيَتْلُوهَا طَرِيقَةً مِنْ يَعْرِفُهَا بِمُشَاهَدَةِ الْأَعْجَازِ فِي مَوْجُودٍ خَارِجِيٍّ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي جَرْمِ سَمَاوِيٍّ كَالْقَمَرِ أَوْ أَرْضِيٍّ كَالْبَحْرِ وَالنَّارِ وَالرِّيَّاحِ ... حَسْبَمَا وَرَدَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى إِفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ وَقَوْلِهِ تَعَالَى فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا وَقَوْلِهِ تَعَالَى عُدُّوْهَا شَهْرًا وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ وَقَوْلِهِ تَعَالَى يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْلِهِ تَعَالَى فَحَسِّنَّا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا قَالَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ مُخَاطِبًا لِلشَّجَرَةِ يَا آتِنَا الشَّجَرَةَ إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعَلَّمِينَ أُنْبِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَانْقَلِعِي بِعُرْوَتِكَ حَتَّى تَقْفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ = قَوْلَ الَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لِأَنْقَلَعَتْ بِعُرْوَتِهَا وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيُّ شَدِيدٍ وَقَصِفَتْ كَقَصْفِ أَجْنَحَةِ الطَّيْرِ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُرْفِقَةً وَأَلْقَتْ بَعْضَ نَهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبَعْضَ أَعْصَانِهَا عَلَى مَنْكَبِي وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا - عُلوًّا وَاسْتِكْبَارًا - فَرَزْنَا فَلْيَاتِكَ نِصْفُهَا وَتَبْقَى نِصْفُهَا فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَاشْتَدَّ دَوِيُّهَا فَكَادَتْ تَلْتَقُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالُوا - كُفْرًا وَعُتُوًّا - فَرَزْنَا هَذَا النَّيِّصُ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ فَأَمَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقُلْتُ أَنَا = لِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ = إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَوَّلُ مَنْ أَقْرَبَانَ الشَّجَرَةَ فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصَدِّيقًا بِنُبُوَّتِكَ وَإِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ^٢ وَلَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهَا وَإِلَى غَيْرِهَا

(١) الخطبة القاصعة من نهج البلاغة صبحي صالح ص ٣٠٠

(٢) الخطبة القاصعة من نهج البلاغة صبحي صالح ص ٣٠١

من المعاجز، شرف الدين «ابوعبدالله محمد بن سعيد» في قصيدته المسماة بـ
(الكواكب الدرية في مدح خير البرية) المعروفة بـ (قصيدة البردة)

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة	تمشى اليه على ساق بلا قدم
كانها سَطَرَتْ سَطْرًا لما كتبت	فروعها من بديع الخط في اللّقم
مثل الغمامة انى سار سائرة	تقيه حرّ وطيس للهجير حمي
وما حوى الغار من خير ومن كرم	وكلّ طرف من الكفار عنه عمى
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على	خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة	من الدروع وعن عال من الأظم
ما سامنى الدهر ضيماً واستجرت به	الآ ونلت جواراً منه لم يُضَم
ولا التمس غنى الدارين من يده	الآ استلمت الندى من خير مستلم
لا تنكر الوحى من رؤياه ان له	قلباً اذانامت العينان لم تنم
تبارك الله ما وحى بمكتسب	ولا نبيّ على غيب بمتهم
كم ابرأت وصبأ باللمس راحته	واطلقت أرباً من ربقة اللّم
وأحييت السنّة الشهباء دعوته	حتى حكّت غرّة في الأعصر الذّم
بعارض جاد اوخلتّ يطاح بها	سيباً من اليمّ او سيلاً من العرم

و بالجمله ان المعجزة تلازم النبوة عقلاً وتكشف عنها والاستدلال بها عليها
برهان عقلى مورث لليقين بعد التنبه بما مر في تفسير المعجزة وفي بيان التلازم
العقلى بينها وبين النبوة عارفاً بامتناع صدورهما عن غير النبي سواء كان في
الحال او طرفيه من الماضى والغابر القادم. والذى يدل على ما تقدم ويشرحه
وافياً هو ما افاده مولينا الرضا عليه السلام في سرّ تنوع المعجزة وان لكل نبيّ
اعجازاً خاصاً حيث قال «ابن السكيت» له عليه السلام لماذا بعث الله عزوجل
موسى بن عمران بالعصا وبيده البيضاء وآلة السحر وبعث عيسى بالطب وبعث

محمدًا صلى الله عليه وآله بالكلام والخطب فقال له ابو الحسن عليه السلام إِنَّ
 اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا بَعَثَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ الْأَغْلَبَ عَلَى أَهْلِ
 عَصْرِهِ السِّحْرُ فَاتَاهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي وَسْعِ الْقَوْمِ مِثْلُهُ وَ
 بِمَا أَبْطَلَ بِهِ سِحْرَهُمْ وَأَثَبَتْ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ. وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعَثَ
 عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَقْتٍ ظَهَرَتْ فِيهِ الزَّمَانَاتُ وَاحْتَجَّ النَّاسُ إِلَى
 الطِّبِّ فَاتَاهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ بِمَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مِثْلُهُ وَبِمَا أَحْيَاهُمْ
 الْمَوْتَى وَأَبْرَأَهُمُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَثَبَتْ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ وَإِنَّ اللَّهَ
 تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا فِي بَقِيَّةِ كَانِ الْأَغْلَبَ عَلَى أَهْلِ عَصْرِهِ الْخَطْبُ
 وَالْكَلَامُ. وَأَظْنُهُ قَالَ وَالسَّعْرُ. فَاتَاهُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَمَوَاعِظِهِ
 وَأَحْكَامِهِ مَا أَبْطَلَ بِهِ قَوْلَهُمْ وَأَثَبَتْ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ «ابْنُ
 السِّكِّيتِ» تَاللهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ الْيَوْمَ قَطُّ ١ وذلك لان خرق العادة قد يكون
 بصناعة بديعة لن يعهد مثلها سابقاً ولكنها تشيع وتتكامل لاحقاً الى ان تصل
 الى سنامها السامى ، ومثل هذا الامر البديع يصير مبتدلاً عند جهاذة الفن وان
 كان عزيز المتال لغيرهم من الاوساط وقد يكون خرق العادة بمعجزة الهية تشرق
 من مغرب الصنائع الراقية وتذهب ببائها وتصيح عليها صيحة واحدة بهتافها
 الغيبي - ادخل في مساكنكم لا يحطمتكم سليمان وجنوده - بحيث يتبين بها
 الرشد من الغي لانها لا يشبهها شىء من تلك الصنائع الراقية وان كانت تشبهه
 بادى الامر على من ليس خريت الصناعة ولا تماثلها هي اذ ليس كمثلها في
 خوارق العادات شىء فاذا تم نصاب صناعة وبلغت ذروة كمالها فحينئذ لو
 ظهرت آية النبوة بيد النبي امكن لمهرة تلك الصناعة معرفتها وانها ليست من سوق
 الطبيعة ومدرسة الفكر بل هي من مواهب ماوراء الطبيعة وموارث الغيب
 ولا يمكن لهم ان يتجاهلوا عن معرفتها ويتعاموا عن رؤيتها اذ لا يصعب تمييز

اوج الثريا عن حفيظ الثرى ولا يعسر تشخيص الشمس عن السها او الحرباء
ويشهد له قوله تعالى: قال لهم موسى اَلْقُوا مَا اَنْتُمْ مُلْقُونَ فَالْقُوا جِبَاهَهُمْ وَ
عَصِيَّتَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ اِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ فَالْتَقَى مُوسَى عَصَاهُ فَاِذَا هِيَ
تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَالْتَقَى السَّحَرَةُ سَاحِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ
مُوسَى وَهَارُونَ^١ لانهم كانوا مهرة فن السحر وعلموا ان ما جاء وابه سحر ولا
يفلح الساحر حيث اتى وان ما جاء به موسى آية عقلية على نبوته فآمنوا به وان
كانت الطغاة الذين آثروا الحياة الدنيا على الآخرة جحدوا بها و استيقنتها
انفسهم وهلكوا عن بيته كما ان هؤلاء المؤمنين على بصيرة نجوا وحيوا عن بيته
والغرض هو ان المعجزة آية عقلية على النبوة فيلزم ان تكون دلالتها محكمة لا شبهة
فيها و ذلك انما يتم اذا امكن الاستدلال بها عليها وهذا يتوقف على ان يكون
المستدل عالماً بحقيقة ما يحتمل ان يكون ما جاء به مدعى النبوة من ذلك القبيل
وهذا يتفرع على بلوغ تلك الصناعة غايتها القصوى حتى تتم دلالة تلك المعجزة
على انها آية النبوة وليست مما نسجته يدالصناعة البشرية والآ لا توا بمثله مع توفر
الدواعى عندالتحدى على المبارزة فاذا لم يأتوا ولن يأتوا بمثله يقطع بانها آية الهية
على صدق من ادعى رسالته، ويؤيده ما رواه ابو بصير قال قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَيِّ عِلَّةٍ اَعْطَى اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ وَأَعْطَاكُمْ الْمُعْجِزَةَ
فَقَالَ لِيَكُونَ دَلِيلًا عَلَى صِدْقِي مَنْ آتَى بِهِ وَالْمُعْجِزَةَ عَلَامَةً لِلَّهِ لَا يُعْطِيهَا إِلَّا
أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ وَحُجَجَهُ لِيَعْرِفَ بِهِ صِدْقِي الصَّادِقِي مِنْ كَذِبِ الْكَاذِبِ^٢.

لان تمامية دلالة المعجزة على صدق مدعى النبوة انما تتم بما تقدم من
المبادئ المستفادة من بيان مولينا الرضا عليه السلام فحينئذ يتحقق ان الاتيان
بآية يعجز عن مثلها مقام مكنون لا يتمسه الا المطهرون كما ان اصل النبوة يكون
كذلك و كما ان الله سبحانه اعلم حيث يجعل رسالته كك هو تعالى اعلم

حيث يظهر الاعجاز و يأذن بالاتيان بآية اذ ما كان لِرَسُولٍ اَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ اِلَّا يَأْذِنُ اللهُ لِكُلِّ اَجَلٍ كِتَابًا^١ فهما متلازمان ثبوتاً و اثباتاً لن يفترقا مادام التكليف باقياً فلاجمال للشبهات التي اورد «الرازي» غير واحد منها في (البراهين)^٢ واجاب عنها بمبانيه المرضية لديه ولقد صدق مولينا الرضا عليه السلام بهذا التلازم العقلي واعترف به واستدل بذلك على النبوة العامة المبحوث عنها حيث قال عليه السلام لرأس الجالوت مَا الْحُجَّةُ عَلَيَّ اَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَبَّتَ نُبُوَّتَهُ قَالَ الْيَهُودِيُّ اِنَّهُ جَاءَ بِمَا لَمْ يَجِيءْ بِهِ اَحَدٌ مِنَ الْاَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ قَالَ لَهُ مِثْلُ مَاذَا؟ قَالَ مِثْلُ فَلَقِيَ الْبَحْرَ وَ قَلْبِهِ الْعَصَاحِيَّةُ تَسْعَى وَ ضَرَبَهُ الْحَجَرُ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ الْعُيُونُ وَاخْرَاجِهِ يَدُهُ بَيْضَاءٌ لِلتَّائِبِينَ وَ عَلَامَاتٍ لَا يَقْدِرُ الْخَلْقُ عَلَيَّ مِثْلِهَا قَالَ لَهُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ صَدَقْتَ اِذَا كَانَتْ حُجَّتَهُ عَلَيَّ نُبُوَّتِهِ اِنَّهُ جَاءَ بِمَا لَا يَقْدِرُ الْخَلْقُ عَلَيَّ مِنْهُ اَفَلَيْسَ كُلُّ مَنْ ادَّعَى اَنَّهُ نَبِيٌّ ثُمَّ جَاءَ بِمَا لَا يَقْدِرُ الْخَلْقُ عَلَيَّ مِنْهُ وَجَبَ عَلَيْكُمْ تَصْدِيقُهُ^٣ وقد تقدم ما يصلح لان يكون شرحاً لهذا التلازم العقلي الذي صححه مولينا الرضا عليه السلام فراجع.

فبتين مما تقدم اولاً ان المعجزة آية عقلية على النبوة و ملازمة لها و ثانياً انها لم يعهد مثلها عن غير النبي سابقاً ولن يعهد عن غيره لاحقاً و ثالثاً ان القرآن قد امضى ما عليه فطرة الناس من جعل المعجزة شاهدة على صحة دعوى الرسالة و رابعاً ان المعجزة هي الطريقة الوحيدة لمعرفة النبي ان لم يعرف بطريق استدواخصر وهو معرفته شهوداً و خامساً انها قد تكون بتصرف النبي في نفس العارف و قد تكون بتصرفه في موجود خارجي آخر و سادساً انها تتوع حسب رقى العلوم والصنائع لتسهل معرفتها وان جهابذة الفنون الراقية اعرف

(١) سورة الرعد ٣٨.

(٢) ج ٢ ص ٤٥-١.

(٣) توحيد الصدوق ص ٤٢٩.

بتلك المعجزة المناسبة لفنونهم من غيرهم وان غيرهم يرجعون اليهم رجوع الجاهل الى العليم الخبير و سابعاً ان المعجزة كاصل النبوة مقام مكنون لا يمتسه الا المطهرون فالله اعلم حيث يأذن بها كما انه سبحانه اعلم حيث يجعل رسالته و ثامناً ان المعجزة اذا كانت امراً مادياً متعلقاً بالمادة نحواً من التعلق بان كان فيها كالصورة او عليها كالعرض او معها كالنفس المتحدة مع البدن فلا بد له من سبب قريب مادي وان كان له سبب بعيد غير مادي حسب ما تقدم فلا يمكن ان يحدث موجود مادي بدون سبب مادي. نعم قد يمكن معرفة ذلك السبب المادي وقد لا تمكن واليه يرجع ما افاده بعض مشائخنا (قده) من انه قد يكون للمعجزة سبب طبيعي وقد لا يكون وهذا نحو احياء الموتى او انبات الشجر و تنميته واثماره سريعاً في دقائق يسيرة^١ لا انه قد لا يكون لها سبب طبيعي اصلاً اذ كل حادث مادي فهو مسبوق بمادة حاملة لاستعداده ومدة خاصة تكون وعاء لتحقيقه فكيف يمكن ان يوجد حادث مادي بلا سبب طبيعي اصلاً و يرتبط بعالم الغيب بلا واسطة مع فرض حدوثه الزماني.

بلغ بحمده تعالى ليلة التروية ثامن ذى الحجة الحرام عام = ١٤٠٤ =
 ١٢ شهر ربيع الاول ١٣٦٣ في عش آل محمد صلى الله عليه وآله قم المحمية
 وانا العبد - عبدالله الجوادى الآمل

ولاية العهد بين الإمام والمأمون

السيد جواد الشهرستاني

بسم الله الرحمن الرحيم

استغلّ العباسيون -تمهيدا للتوصل الى الحكم- سمعة العلويين العريضة الواسعة في الاظهار بالدعوة لهم عامة و للرضا من آل محمد خاصة، لما يملكه البيت العلوى من قاعدة شعبية مترامية الاطراف وتأثير خاص على الافئدة، و احترام و تقدير كبيرين عند عامة الناس.

فتقرّبهم الى الشعب باسم آل بيت «أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَ طَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً» كان يعطيهم زخما معنويا عاليا، و ارتباطا وثيقا بينهم و بين القاعدة الشعبية. لتكسيبهم منعة و قوة، و تجعلهم في منأى و مأمن من طمع الطامعين، و من امثلة ذلك تلقيبهم لابي سلمة الخلال أول وزير في الدولة العباسية بوزير آل محمد. و ابي مسلم الخراساني بأمين أو أمير آل محمد (١) من أجل الحفاظ على تغطية دعوتهم لآل بيت العصمة، و لتبقى قوة ببقائهم.

و استغلوا العداة المتأصل و المتوارث عن الاءاء في خلفاء بنى امية الجائرين ضد أئمة الخير صلوات الله عليهم أجمعين لتبهيج الرأى العام ضد طواغيت العصر و فراغنة الزمان. فاتخذوا السواد شعارا لهم ليعبروا عما اصاب آل البيت من الاموين.

و بما انهم فى بداية الطريق، فانهم بأمس الحاجة لاستمالة المعصومين اليهم

والاستعانة بهم لتثبيت أركان دولتهم .
 وعند ما استتب الامر لهم، بالتربع على سدة الحكم وكرسى الخلافة
 رأوا ان فسخ المجال أمام الائمة لنشر معارف آل محمد يعنى القضاء عليهم
 سياسياً و معنوياً و بالتالي عملياً .
 فالائمة صلوات الله و سلامه عليهم لم يدعنوا لأى حكومة جائرة فى يوم من
 الايام، لبعدها عن المنهج الاسلامى الاصيل فى الحكم، وانحرافها عن أبسط
 قواعد العدل الانسانى .

و الامة تسير على خطاهم و تهتدى بهداهم و تقفوا آثارهم و لا تغرب عنهم قيد
 شعرة .

و بدأت السلطة الحاكمة بمعارضتهم و الحد من انتشار المذهب الجعفرى - و
 من وراء الكواليس ابتداء - و وضع العيون لرصد تحرك الشيعة و قادتهم برفع
 التقارير المفصلة اليهم .

فالسفاح عند تسنمه لمنصب الخلافة بدأ بوضع الجواسيس على بنى الحسن
 حيث قال لبعض اعوانه حين خرج و فد من ابناء الحسن من عنده (قم
 بانزالهم، و لا تأل فى الطافهم، و كلما خلوت معهم فاطهر الميل اليهم، و
 التحامل علينا، و على ناحيتنا، و انهم احق بالامر منا، واحص لنا ما يقولون، و
 ما يكون منهم فى سيرهم و مقدمهم) .

بيد أنهم بدأوا بالتشديد على الائمة، بعد ذلك - شيئاً فشيئاً، و التنكيل بهم و
 من يواليهم و يؤيدهم و يتشيع لهم .

فحملوا الناس على العدا لآل محمد، و حاولوا قلع بذرة الحب التى غرسها
 النبى الاكرم فى قلوب شيعته و مواليه، و سقاها من غديره فى الغدير، (يُرِيدُونَ
لِيُظْفِقُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ .)

و سلطوا على الامة فئة لم تفقه للرافة و الرحمة سبيلا يستمتعون بصلاحيات

كاملة و حماية مطلقة من الخلفاء .

فعبثوا و عاثوا في البلاد فسادا، و استهانوا بمقدرات الناس و مقدساتهم و كلما ازدادوا اجراما و تعنتا ابتعدوا عن الله اكثر فاكثر، فاستاء الناس منهم و ثاروا ضدّهم .

و قد اطلق هؤلاء الحكام الحرية التامة لأيدى الاجرام و الانحراف الفكري و الاخلاقي و الاجتماعي و العقائدي تعيث فسادا في المجتمع الاسلامي حتى وصل الحد بالمنصور أن لا يردع الراوندية القائلين بالوهيته و لا ينهاهم و لا يردعهم عن مقالتهم تلك ، و عند ما سأله أحد المسلمين عن ذلك قال له: (يدخلهم الله النار في طاعتنا، و يعتلهم، أحب اليّ من أن يدخلهم الجنة بمعصيتنا)^١

و أما شيعة عليّ و دعاة الاصلاح من آل البيت فكانوا يقبعون في زوايا السجون أو خبايا الدور المظلمة بعيدين عن الانظار، بعد أن حرّمهم من كل ما يتمتع به غيرهم من سعة العيش و حرية الفكر و اظهار العقائد و اقامة الشعائر الدينية .

و كان من تعنت الحكام و جبروتهم اللامتناهي أن ربوا ثلة ممن يدعون العلم لتصحيح انحرافاتهم و تأييد خطواتهم و تمشية مآرهم بوضع احاديث و روايات على لسان النبي الامي التي من شأنها القضاء على روحية النقد لدى الامة، و من تلك الاحاديث ان الخارج على الخليفة مارق و يجب محاربتة و ان الخليفة نائب الرسول الاعظم على الناس و خليفة الله على الارض و ماشاكلها من الالقاب المستنبطة من الروايات الموضوعة المضحكة .

و اصبحت سهام التهم و الافتراء ترتشق بلا هوادة الى كل من يقف

المجانِب على وآله الغر الميامين.

فلق المعارضون لتعسف الحكام و ظلمهم و تحريفهم للحقائق تعنتا لا يوصف، و واجهوا صعاباً جمّة بالوقوف إمامهم بما يبار ذلك السيل الجارف من الانحراف و التحريف.

و ابتكر الخلفاء حيلاً كثيرة لاخراج الشيعة عن جماعة المسلمين و الطعن فيهم و فصلهم عن المجتمع الام، فان من يذكر علياً و آله بخير رموه بالرفض . أتهموه بالزندقة. و لذا يقول الشلعي:

ذا في مجلس ذكروا علياً و سبطيه و فاطمة الزكية
يقال تجاوزوا يا قوم عنه فهذا من حديث الرافضية
برئت الى المهيمن من اناس يرون الرفض حب الفاطمية

و قطعوا لسان ابن قرايا لانه كان يمدح آل محمد (ص) و ينشد الاشعار فيهم، و ثارت العامة في بغداد، و قدم للقاضي، فحكم عليه بقطع لسانه استناداً الى مادة الحظ من كرامة الصحابة بمدحه علياً و تفضيله عليهم^١.

فرت الادوار المتعاقبة، و الشيعة يلاقون من مرارة التعذيب الروحي و ضنك العيش ما يحز في النفس، فاشتبكوا فيها مع الطغاة لئني يشنوهم عن سيرهم المتعجرف، فكان الصراع على أشده بين الحق و الباطل بين الهدى و الضلال بين الاسلام و الجاهلية كل ذلك لاجل نصرة دين رسول المصطفى.

فرج المئات منهم في السجون القاتمة الرهيبة التي لا يرجى النجاة منها، و تفننوا في تعذيبهم و قتلهم و إبادةهم.

حتى قال الشاعر:

تا لله ما فعلت امية فيهم معشار ما فعلت بنو العباس

وقال ابو عطاء افلح بن يسار السندي المتوفي سنة ١٨٠ هجرية:
يا ليت جور بني مروان دام لنا وليت عدل بني العباس في النار
وقال احمد بن أبي نعيم الذي نفاه المأمون بسبب هذا البيت الى السند:
ما احسب الجور ينقضى و على الناس امير من آل عباس هذا وكانت
اساليب الإبادة مختلفة بين الأمراء والخلفاء.
يقول الخوارزمي في رسائله عن السفاح «و سلط عليهم - اى على
العلويين .. ابا مجرم لا ابا مسلم، يقتلهم تحت كل حجر ومدرو يطلبهم في كل
سهل وجبل».

وقال الطبرى: ان المنصور خلف في خزانته الاف الرؤوس العلوية لولده
المهدي لتكون درساً و عبرة له.

علماً بأن المنصور لم يكن قد ورث العداوة من آبائه - ولو كان ذلك في الباطن - بل
انه كان حتى الامس القريب من خلص اتباع العلويين ضد الأمويين يدعوهم و
يحرص الناس لموازرتهم وكان يأمر اتباعه بذكر فضائل علي وأحقيته بالخلافة، ولكن
الملك عقيم، فانه ما إن وصل إلى كرسي الخلافة حتى أعد العدة لمجابهة الامام و
التنكيل به والقضاء عليه، لان وجود الامام يشكل خطراً عظيماً ضد دولته الفتية. و
كيف لا يكون كذلك؟، فالامام ينبوع العلم و غدير المعرفة يقصده القاصدون
للارتشاف من نير علومه واقتناء لآلئ بحره اللجي، والاكتراء من عبيق يمه الصافي و
معارفه الجمّة التي تضيء الدرب بنورها الوهاج لكل العالمين فينتهجون بهجه و يقتفون
آثاره (و كان في المنصور جبروت و ظلم) فقابل الامام الصادق بكل جفاء و
غلظة و تشدد، فلقى الامام منه محناً و مصائب لم يلق بعضها من حكام الجور في
الدولة الاموية، و قد حاول الفتك بالامام مراراً متعددة.

حتى قال مرة مخاطباً الامام. «لا تقتلك ، ولا تقتلن اهلك ، حتى لا أبوء على الارض منكم قامة سوط».

كما وضيق المنصور على العلويين و طاردهم و آذاهم و اذاقهم أنواع العذاب فأثقل البعض منهم بالحديد، و ضربهم بالسياط حتى إمتزجت دماؤهم بلحمهم.^١

ولذا سمي المنصور نفسه بالمنصور لانتصاره على العلويين. و نكل المهدي و الهادي بالشيعة عامة و الطالبين خاصة، و قطعوا أرزاقهم و عطاياهم، و لم تكن واقعة فح المشهورة الا بسبب الاضطهاد الذي لحق بالعلويين.

و اما الرشيد فقد أقسم على إستئصال الشيعة بقوله «حتام اصبر على آل بني أبي طالب، و الله لا تقتلهم، و لا تقتلن شيعتهم و لأفعلن و أفعلن».

الخلافة وذو الالهواء الفاسدة

لنتراجع قليلاً الى الوراء، و لنمعن النظر في صفحات التاريخ و نتدبر فيها، و نستعرض استعراضاً عاجلاً أهم الاحداث التي جرت بعد رسول الله من غضب الخلافة من قبل الشيخين و اجبار الامام علي بن أبي طالب عليه السلام ذلك البطل الهمام بان يكون جليس الدار يرى بأمر عينيه المصائب الكبرى التي تحل بالامة الاسلامية، على يد شر ذمة لا تفقه منطقاً الاقوة السلاح، و الامام مأمور بالسكوت.

و حتى مسألة التحكيم التي ابتدعها معاوية ليشوبها بالغش و الخداع و التزوير و من ثم الجلوس على منبر رسول الله- بعد ان ابتزها بزاً - يفتي الناس و

يحكم بينهم مكرراً وخداعاً ولا يحيق المكر السيئ الأبأهله.
و بعد استقراره بالحكم واستتباب الامر له سنّ سنة سيئة يجعل يزيد ابنه
شارب الخمر و راكب الفجور ولياً للعهد من بعده، و لتكون تلك السنة نافذة
المفعول عند كل الخلفاء الذين جاءوا بعده و ساروا على نهجه.
و عند انقراض الدولة الاموية و تصدّي امراء بني العباس لشؤون المسلمين،
و رغم محاربتهم الشديدة و تحذيرهم المتزايد لسلطين بني مروان من ارتكاب
الموبقات و الوغول في المحرمات، بدأوا بنشر الفجور و الدعارة و بشكل أوسع و
نطاق اكبر، فانتشر المجون و الطرب في الاوساط العليا من الدولة و كثر المغنون و
المطربون.

و قال الصولي: إن الرشيد أول من جعل للمغنين مراتب و طبقات^١.
و قال محمد بن علي الخراساني: الرشيد أول خليفة لعب بالصولة و الكرة
و رمى الشباب في البرجاس، و أول خليفة لعب بالشطرنج من بني العباس^٢
و قال ابن كثير: و كان في قصره - اي الرشيد - أربعة الآف من الجواري
الحسان.^٣

و أنفق الأموال الطائلة و الملايين من الدراهم و الدنانير لتحقيق نزواته و
شهواته، و قدّر السجاد المفروش في دوره بشماني عشرة الف سجادة، و الاموال
المتروكة بعد موته باكثر من مائة مليون دينار.
و رغم محاربتهم الشديدة لفكرة ولاية العهد التي ستها معاوية كانوا
التسابقين لإحيائها بعد ذلك، و بذلك جرّوا الامة الى ويلات و ويلات.
فقد تزوج - الرشيد - زبيدة وهي أم جعفر بنت جعفر بن المنصور و أعرس

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٩٥

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٩٥

(٣) البداية و النهاية: ١٠: ٢٢٠

بها في سنة ١٦٥ في خلافة المهدي ببغداد في دار محمد بن سليمان التي صارت بعد للعباسة ثم صارت للمعتصم بالله فولدت له محمد الامين^١ بيدأته بدر من الرشيد خطأ فاحش كبير بتوليته الامين لولاية العهد من بعده باصرار من سيدة القصر زبيدة بنت ابى جعفر المنصور، وجعل المأمون الذى يكبر الامين بستة أشهر ولي عهد الامين والخليفة الثاني من بعده. و بايع الرشيد بولاية العهد لابنه محمد في سنة خمس وسبعين، ولقبه الامين وله يومئذ خمس سنين لحرص امه زبيدة على ذلك قال الذهبي: فكان هذا اول وهن جرى في دولة الاسلام من حيث الامامة، ثم بايع لابنه عبدالله من بعد الامين في سنة اثنين وثمانين ولقبه المأمون، وولاه ممالك خراسان بأسرها^٢ وقد قال الرشيد مرة: «لولا ام جعفر و ميل بني هاشم اليه-اى الى الامين- لقدمت عبدالله عليه...»^٣

لقد كان العباسيون يقدمون الأمين على المأمون، لان زبيدة ام الامين كانت اعظم عباسية على الاطلاق لانها بنت وزوجة و ام خليفة، كما و إن الامين ولد من أب و أم عباسيين و هو أولى من غيره بذلك .

علماً بانه قد تربى في حجر الفضل بن يحيى البرمكى أخ الرشيد من الرضاة، و اعظم رجل نفوذاً في بلاط الرشيد.

و أما المأمون فقيل إن أمه خراسانية ماتت في نفاسها، وقيل إنها مراحل أقبح و أفذر جارية في مطبخ الرشيد، فأين هي من نفوذ زبيدة سيدة البلاط؟ ولذا هجاه اخاه الأمين أيام الفتنة بقوله:

(١) تاريخ الطبرى ٥٤:٦

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى: ٢٩٠

(٣) نفس المصدر: ٣٠٧

(٤) بنت المنصور وزوجة الرشيد وأم الأمين.

يابن التي بيعت بابخس قيمة
ما فيك موضع غرزة من أبرة
وقال المأمون مجيباً:

وإنما امهات الناس أوعية
فرب معربة ليست بمنجبة
وكان مربيه الفضل بن سهل الذي أصبح وزيره فيما بعد وسمي بذي
الرياستين.



عاش الأمين عيش الامراء في بذخ وترف و اسراف، و كان يعتمد على
الاخرين في كل اعماله كما عبر عنه المسعودي بقوله: «كان قبيح السيرة،
ضعيف الرأي سفاكاً للدماء، يركب هواه، ويهمل أمره و يتكلم في جليلات
الامور على غيره»^١

و لم ير ابن الاثير الجوزي من سيرة الأمين شيئاً يستحسنه فيذكره.

فانه كان يرى ان المستقبل آت له فلا داعي للتخطيط له.

وقال السيوطي: ولى عهد الرشيد الأمين ابو عبدالله بن الرشيد كان سئ
التدبير كثير التبذير، ضعيف الرأي، أرعن لا يصلح للامارة فأول ما بويع
بالخلافة، أمر ثاني يوم ببناء ميدان جوار قصر المنصور للعب الكرة، ثم في سنة
اربع و تسعين عزل أخاه القاسم عما كان الرشيد وآله، و وقعت الوحشة بينه و
بين أخيه.^٢

(١) التنبية والاشراف: ٣٠٢

(٢) تاريخ الخلفاء: ٢٩٧

و أما المأمون فقد عاش حياة الجدّ و النشاط بعيداً عن اللعب و البطالة، لم يتكفي على أحد يبرمج و يخطط لمستقبله الذي ينتظره.

لقد كان المأمون من ألمع الشخصيات التي وصلت الى الخلافة في عهد العباسيين علماً و ذكاءً و دهاءً، بعكس الامين الذي لم يكن يملك من مؤهلات القيادة ما يرشحه لذلك .

و كان الرشيد يرى في المأمون نبوغاً موصوفاً و حسناً في التدبير و دهاءً سياسة و كياسة و فضلاً و علماً لم يصل اليه الامين. فهو الأحق بنيل الخلافة و التصدّي للحكم و الرياسة.

و كان يعلم بان الامين سوف يحارب المأمون فلذا يقول:

محمد لا تظلم احاك فانه عليك يعود البغي ان كنت باغياً
ولا تعجلن الدهر فيه فانه اذا مال بالاقوام لم يبق باقياً
وعزم الرشيد بعد مدة الى طوس و توفي فيها في جمادى الآخرة من سنة ثلاث و تسعين و مائة، و كتب صالح بن الرشيد الى أخيه ولى العهد من بعد أبيه الامين بن زبيدة و هو ببغداد يعلمه بوفاة أبيه و يعزيه فيه، فوصل الكتاب صحبة رجاء الخادم و معه الخاتم و القضيبة يوم الخميس الرابع عشر من جمادى الآخرة فركب الامين من قصر الخلد الى قصر أبي جعفر المنصور. و هو قصر الذهب. على شط بغداد فصلى بالناس ثم صعد المنبر فخطبهم و عزاهم في الرشيد^١ و دفن الرشيد في طوس في ثالث جمادى الآخرة، و له خمس و اربعون سنة، و صلى عليه ابنه صالح.

بين الأمين والمأمون

بعد ما استقر الامين بالخلافة، و أذعن لحكمه القواد و الامراء و خضعت له الرقاب «اقر الأمين أخاه المأمون على ما تحت يده من بلاد خراسان و الري و غير ذلك ، و اقر اخاه القاسم على الجزيرة و الثغور، و لكنه في عام ١٩٤ عزل اخاه القاسم عن الجزيرة و الثغور»^١

و بدأ يتحین الفرص لعزل المأمون عن خراسان، فأخذ يستميل القواد بالعطاء، و كان له ما أراد و بايع لابنه موسى بولاية العهد بعد عزل اخيه المامون - و لقبه (الناطق بالحق)^٢ ، و هو اذ ذاك طفل رضيع، فقال البعض في ذلك :

اضاع الخلافة غش الوزير و فسق الامير و جهل المشير
الى ان يقول:

و أعجب من ذا و ذا اننا
و من ليس يحسن غسل استه
و ما ذاك الا بفضل و بكر
و ما ذان لولا انقلاب الزما
و لما تيقن المأمون خلعه، تسمى بأمر المؤمنين، و كوتب بذلك، و ولّى الأمين علي بن عيسى بن ماهان بلاد الجبال و همدان و نهاوند و قم و اصبهان في خمس و تسعين»^٣

(١) البداية و النهاية: ١٠: ٢٢٤

(٢) تاريخ ابي الفداء: ١٩: ٢، و تاريخ الخلفاء للسوطي: ٢٩٨ و التنبيه و الاشراف: ٣٠٠

(٣) تاريخ الخلفاء: ٢٩٨

ثم جهز الامين جيشاً لمحاربة المأمون بخراسان، وقدم عليهم علي بن عيسى ابن ماهان في خمسين الفاً باعظم ما يكون من القوة والعدد ليحييه بالمأمون، و أخذ معه قيد فضة ليقيد به المأمون بزعمه، و ندب المأمون للقائه طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بن حمزة الرستمي من ولد رستم بن دستان الشديد، فنزل الري في أقل من أربعة الآف.

و التقى العسكران فخلع طاهريبعة الأمين و بايع للمأمون بالخلافة، و قاتل علي بن عيسى بن ماهان قتالاً شديداً، فانهزم عسكر الأمين، و قتل علي بن عيسى بن ماهان، و قضت جموعه و احتوى على عسكره و حمل راسه الى طاهر، فارسل طاهر بالراس و بالفتح الى المأمون و هو بخراسان و ذلك لعشر خلون من شعبان سنة ١٩٥، فطيف في خراسان، و سلم على المأمون بالخلافة.^١

و جاء الخبر الأمين و هو يتصيد السمك فقال للذي أخبره و يلك دعنى فان كوثرأ صاد سمكتين ، وانا ما صدت شيئاً بعد ، و قال عبدالله بن صالح الجرمي لما قتل علي أرجف الناس ببغداد إرجافاً شديداً و ندم الأمين على خلعه أخاه.^٢

و دام حصار بغداد خمسة عشر شهراً، و لحق غالب العباسيين و أركان الدولة بجند المأمون، و لم يبق مع الامين يقاتل عنه الآ غوغاء بغداد و الحرافشة الى ان استهلت سنة ثمان و تسعين، فدخل طاهر بن الحسين بغداد بالسيف قسراً، فخرج الامين بامه و اهله من القصر الى مدينة المنصور، و تفرق عامة جنده و غلماناه.^٣

و حار في امره فثارت الفتن بين الناس حتى قاتل الاخ اخاه للاهواء

(١) البداية و النهاية ١٠: ٢٢٦ و تاريخ الخلفاء: ٢٨٩ و التنبيه و الاشراف: ٣٠٠

(٢) البداية و النهاية ١٠: ٢٢٦ و تاريخ الخلفاء: ٢٩٩

(٣) تاريخ الخلفاء: ٢٩٩

المختلفة و الابن أباه، وجرت شروور عظيمة و اختلفت الأهواء و كثر الفساد و القتل داخل البلد.^١

و لما هجم على الامين العسكر «اخذ بيده و سادة، و جعل يقول و يحكم إلى ابن عم رسول الله(ص)، انا ابن هارون، و انا اخو المامون، الله الله في دمي، قال: فدخل عليه رجل منهم يقال له خارويه غلام لقريش الدنداني مولى طاهر فضربه بالسيف ضربة وقعت على مقدم رأسه، و ضرب محمد وجهه بالوسادة التي كانت في يده، و اتكأ عليه ليأخذ السيف من يده، فصاح خارويه قتلني قتلني بالفارسية، قال فدخل منهم جماعة فنخسه واحد منهم بالسيف في خاصرته و ركبوه فذبحوه ذبحاً من قفاه و أخذوا رأسه فمضوا به إلى طاهر و تركوا جثته»^٢

و نصبها على حائط بستان و نودى: هذا رأس المخلوع محمد^٣
و بعث طاهر برأس محمد إلى المأمون مع البردة و القضيب و المصلّى هو من سعف مبطن مع محمد بن الحسن بن مصعب ابن عمه»^٤
و أعطى - المأمون - الذي جاء برأس أخيه - بعد أن سجد لله شكراً!! ألف ألف درهم^٥

فقد أصبحت الخلافة العوية أصحاب الأهواء الفاسدة يتقاذفها الطامعون فيها كالكرة هنا و هناك ، و يتلفقها الآخرون ليحققوا بها أغراضهم الفاسدة.
فالتأمل للحظات! فيما سطره التاريخ من فعل الخلفاء و ما ارتكبه بحق الدين و الانسانية من عظيم الظلم، ما يجعلنا نتمسك أكثر فأكثر باهل بيت

(١) إلبداية و النهايه ١٠: ٢٣٧

(٢) تاريخ الطبرى ٧: ٨٤ حوادث سنه ١٩٨ هجرية

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطى: ٣٠٠

(٤) تاريخ الطبرى ٧: ٨٥

(٥) تاريخ الطبرى ٧: ٨٥، و البدايه و النهايه ١٠: ٢٤٣

أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.
وإننا إذ نتساءل! على من تقع مهمة التصدي للخلافة، ولمن الحق في
الجلوس على منبر رسول الله و الإفتاء بالناس.
هل إن الصحيح ما تقوله العامة بان كل من يجلس على كرسي الخلافة و
يتربع على دست الحكم فعلى الناس الإقتداء به و إتباع أمره و السير على خطاه
ولو كان جائراً ركباً للفجور و شارباً للخمور يهلك الحرث و النسل لأجل الملك
وحتى مع اخيه كما فعل الأمين مع المأمون.
أم أن الحق مع الشيعة - التي كانت و ما تزال شورة و حاجة في صروح
الطغيان و التي لم تترك يوماً لجبايرة العصر و فراعنة الزمان فانها ترى ان هذا
المنصب الالهى الخطير لا يكون الا لمن خصه الله بالكمال و خلصه من شوائب
الادران، يقيم حدود الله، لا يظلم و لا يقتل و لا يسرق و لا يزنى...



التوحيد والولاية

تمثل الولاية و الامامة روح الريادة و القيادة الواقعية للامة الاسلامية من
بعد وفاة الرسول الاعظم و الى يومنا هذا.
فن من الله العظيمة و أطفاه الخفية على عباده، و حفظاً لنواميس الشريعة
الحقة و لئلا يعيش الناس في ظلام دامس يتخبطون خبط عشواء مستوغلين في
الضلالة و الغواية ارسل اليهم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله ليهديهم الى
صراط الحق، و يقودهم الى ساحل الامن و الايمان، يوجههم توجيهاً صحيحاً و
يزكى النفوس الخيرة بالعلم و العمل الصالح «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ

رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ»^١.
و اقتضت الحكمة الالهية أن ينص الرسول الاكرم -الذي لا ينطق عن الهوى إن هو الاوحى يوحى- على الامام علي بن ابى طالب عليه السلام ليتولى شؤون الامة وقيادتها، و من بعده لأحد عشر معصوماً من آله و ذريته و خاصة أوليائه «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ».

لا لقربتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله بل لما يملكونه من مؤهلات و قابليات ترشحهم لقيادة الامة و توهلهم لان يكونوا ربان «السفينة التي من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق و هوى».

فالامامة ركن اساسى من اركان الدين الاسلامى الخفيف، و محور قيادى تدور عليه رحى التكاليف الشرعية المفروضة من قبل الحق تبارك و تعالى على عباده الاتقياء و الصالحين.

و الائمة من اكمل الناس و أجلهم شأناً و أرفعهم قدراً و شأواً يمثلون الرسول الاعظم في ورعه و تقواه، في زهده و عبادته، في كرمه و شجاعته، و هم عدل القرآن، متكاتفين معه، فلذا اختارهم الله لتطبيق نظامه، و تسيير امته.

(فَكَلَّمَهُمْ نُورًا، وَأَمَرَهُمْ رُشْدًا، وَوَصَّيْتَهُمُ التَّقْوَى... الخ)

نعم ان كلماتهم نفحات مشعة، و أنوار متلاءة تضيء العقول الناهدة للغور في أعماق الحقيقة.

يقول الماوردي: الامامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين و سياسة

الدنيا. ٢

و يقول التفتازاني كما في نظرية الامامة لاحد صبحى: ان الامامه رئاسة عامة في أمر الدين و الدنيا خلافة عن النبي صلى الله عليه وآله

(١) سورة الجمعة آية ٢

(٢) الاحكام السلطانية: ٤

وإن من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية.
وقد تجلّى ذلك وبوضوح في كلام الامام علي بن موسى الرضا حينما وصل
مدينة نيشابور وسط الجموع المحتشدة لاستقباله، والتي كانت تقدّر بعشرات
الآلوف والذين طلبوا ان يغدق عليهم من يمه العظيم.

فقال عليه السلام: حدثني ابي موسى الكاظم عن ابيه جعفر الصادق عن
ابيه محمد الباقر عن ابيه علي زين العابدين عن ابيه الحسين شهيد كربلاء عن
ابيه علي بن ابي طالب انه قال: حدثني حبيبي وقرّة عيني رسول الله (ص) قال:
حدثني جبرئيل، قال: سمعت رب العزة سبحانه و تعالى يقول: كلمة
لا اله الا الله حصني فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني امن من عذابي.
ثم أرخى الستر على القبة وسار، فعدّوا أهل المحابر والدوي الذين يكتبون
فأتوا على عشرين الفاً.

فهو الناس ذلك الكلام الرباني و سحرهم فوقوا إجلالاً و خضوعاً أمام
عظمة الامام و قدرته المعنوية بكسب أفئدة الناس و كيف لا يكون كذلك و
قد رضع من ثدي الايمان و رتبي في حجر الاسلام، سليل سيد الانبياء و حفيد
سيد الاوصياء.

و هاهنا تبدر الالتفاته الكريمة و في الوقت المناسب ليكمل كلمته - بعد
إخراج رأسه من الهودج قائلاً- و بشروطها، و أنا من شروطها.
فإصرار الامام على هذه الكلمة يوحي بأنه كان يريد ربط التوحيد
بالولاية.

فلا طاعة مقبولة و لا توحيد الا بولايتهم أهل البيت و محبتهم و التولي لهم
والتبري من أعدائهم.

و اشارة خفية الى الذي قاله الرسول الاعظم (ص) ابان الدعوة للاسلام
«قُولُوا لا إِلَهَ الاَ اللّٰهُ تَقْلِحُوا» تلك الكلمة التي دوت في مكة و أرهبتها، و

هدت حصون الشرك المنيعة وأبادتها.
و لم تكن تلك المقولة كافية لوحدها بل انها مشروطة بالايان بنبوة
محمد(ص) و انه رسول الله.
فكما أن لا طاعة مقبولة و لا ايمان كامل الا بالاعتقاد بالله و بنبوة محمد
معاً.
كذلك لا توحيد الا بالولاية الصادقة لأئمة أذهب الله عنهم الرجس و
طهرهم تطهيراً.
فكل من آمن بالله و أقر برسالة الرسول الكريم، و قام بأركان الدين ثم
عصى الامام أو كذب به فهو آثم بمعصيته و لا تقبل طاعاته.
فأعمال الناس مبرهونة بولايتهم و إتباعهم و السير على خطاهم و الخارج
عن خطتهم مارق.

عود على بدء

بعد ما قضى المأمون على أخيه الأمين و انفرد بالحكم و خضعت له الرقاب
باستتباب الامر له.
ولما كانت السنة المتبعة آنذاك أن ينتخب الخليفة ولياً للعهد من بعده،
فكر المأمون كثيراً في انتقاء الصالح لولاية العهد، ليتمكن بذلك جذب
الشخصيات التي تهدد مصيره و دولته باغرائهم ظاهراً و الطعن عليهم بعد ذلك
في السر.
فالظروف التي يعيشها غامضة و معقدة، و لا زالت آثار الحروب-التي
نشبت مخالفاً بينه و بين أخيه-باقية، و الناس في خوف و هلع و ترقب
للاحداث.

وليس عليه من السهل ان ينتخب احداً من دون النظر الى جوانبه المتعددة. فذكاء المامون ووعيه السياسي المشوب بالدقة والحذر، وحراجه الموقف تظاهر بحب آل البيت، ونصرتهم، والدفاع عنهم، وبرغبته في التنازل عن الخلافة للامام الرضا ليكسب بذلك رضا جمهور الشيعة، وليحفظ بالخلافة لنفسه، لعلمه بان الامام أجل وأرفع شأنًا من ان يقبل ذلك وقد حاول الفضل بن سهل وزيره المعتمد منعه من ذلك للاخطار التي سوف تواجهه من جرائها في المستقبل -خلافاً لمن يدعي ان الفضل هو الذي دعا المامون لان ينتخب الامام لولاية العهد^١

لقد كان الفضل العوبة في يد المأمون يتقاذفه كالكرة و يكيل نحوه الشائعات.

وماتبتي مسألة ولاية العهد من الفضل الآ إحدى الشائعات التي ابتكرها المأمون ضده ليزريه أمام أعين العباسيين، وليبرئ نفسه من تبعاتها ولتتمويه عليهم بأنه لم يفعل شيئاً الا وللفضل يد فيه، حتى في مسألة قتل أخيه الأمين. وقال الفضل مرة... يا أمير المؤمنين: -إن ذنبي عظيم عند اهل بيتك !! وعند العامة، والناس يلوموني بقتل أخيك المخلوع وبيعة الرضا، ولا آمن السعاة و الحساد وأهل البغي أن يسعوا بي^٢

علماً بأن المأمون قد اعترف لأحد كبار قواده «الريان» بأنه المخطط للعملية دون غيره.

(١) ذهب ابن الاثير في تاريخه ٥: ١٢٣ الى تشيع الفضل، وانه هو الذي أشار على المأمون بولاية العهد لعلي بن موسى الرضا، والطبرى ٧: ١٣٩ في حوادث سنة ٢٠٢ هجرية وغيرها من النصوص التاريخية الاخرى، ولا يستبعد كون إشاعة مثل هذا الخبر من وحي فكر الفضل ليوهم انه الرجل الاقوى وصاحب الكلمة النافذة عند المأمون، علماً بان العادة قد جرت عند الناس بنسبة الامور الهامة في البلاد لرجل الدولة القوي، و المشاور الاول للحاكم او الخليفة، و عندما أراد المأمون نصب الامام لولاية العهد تختل الناس إن ذلك بأشارة من الفضل بن سهل.

(٢) -عيون اخبار الرضا ٢: ١٦٠، و البحار ٤٩: ١٦٧ -

هذا وقد كان الفضل من صنائع آل برمك واتباعهم المعروفين بانحرافهم عن أهل بيت عصمهم الله من الزلل ومحاربتهم لائمتها. وحذره الامام مرات وكرات من سياسته الهوجاء الرعناء وكثرة المظالم و التعداد التي تجري على يديه. وقد فاتح الامام المأمون في ذلك مرة بقوله:

«يا أمير المؤمنين... اتق الله في امة محمد... فانك قد ضيقت أمور المسلمين و قوّضت ذلك الى غيرك يحكم فيهم بغير حكم الله تعالى»^١ وقد تنكر الفضل للإمام وأراد الوقعة به أكثر من مرة «وكل إناء بالذي فيه ينضح» وجعل هشام بن ابراهيم الراشدي عيناً على الامام يراقب و يرصد حركات الامام و سكناته.

و ما اشارته على المأمون بارجاع الامام من صلاة العيد، و الآ إنقلبت الاوضاع ضده، الآ احدى تلکم الجرائم الكبرى التي اقترفها الفضل ضد الامام.

كما و عارض فكرة تبني ولاية العهد رهط من العباسيين، و جمع من القواد المعروفين ببغضهم للائمة صلوات الله و سلامه عليهم كالجلودى و علي بن ابي عمران و مونس.

و قد حاول المأمون بشتى الطرق من إقناع الإمام بضرورة قبوله لهذا الامر الخطير «فوجه في سنة ٢٠٠ هجرية رجاء بن ابي الضحاك لإلهذا علي بن

موسى بن جعفر بن محمد»^١

و كان الامام بصيراً بلعبة المامون الخطيرة و غاياته المشوومة و أهدافه الخبيثة... و ان عرضه للخلافة على الامام لم يكن عرضاً جدياً بل يروم ايقاعه في مهلكة لا يمكن التخلص منها.

فكان يدرك عظم المصيبة التي تلّم به وتحيطه، و ما يترتب على عدم القبول من آثار سلبية عليه و على عائلته و شيعته و خلص تابعيه من قتل و تشريد.

فكم قاسى جده الامام أمير المؤمنين عندما أراد أن يحكم بما أنزل الله، و كم لاقى من الصعاب و المصائب الجمة، و كم حارب حتى من خلص أتباعه كالزبير و طلحة و ما شاكلهم فالتاس منغمرون في اللذات يركضون وراء الشهوات، و الانحراف سته متبعة عندهم و عادة جارية لهم.

أفهل يمكن إستئصالها بعدما نمت جذورها و تأصلت في أوصالهم و على فرض ذلك أفهل يعقل أن يقف أصحاب الاهواء و البدع مكتوفى الايدى أمامه لا يحرصون الناس ضده، و لا يشيعون التهم حوله!!

أو هل تكفت أجهزة الأعلام المأجورة عن بث الشائعات المغرضة و عكس صور و همية لما يرتأيه حكام العصر و طواغيت الزمان و ما يمليه عليهم أصحاب البلاط. فكيف يمكن تصفية الجهاز الحاكم الذى يوسع من فتات موائد الخلفاء، و يلعب و يمرح كيفما يشاء، فكيف يمكن ردعهم، و بأية طريقة و اى اسلوب يقصهم عن مناصبهم، ألا تجرّه ذلك إلى حروب شديدة بينه و بينهم.

فالقلوب التي كانت معه*سرعان ما تنقلب سيوفها عليه عند أقرب فرصة إن تسلم زمام المبادرة. كما فعلوها مع جده، فالقوم ابناء القوم!!

و حكومة الامام لا تلائم رغباتهم و لا تنسجم مع أهوائهم، لانها ستقوم على

إستئصال جذور الفساد و الانحراف المتفشي في أوصال الجهاز الحاكم، و الذين استغلوا مناصبهم - التي إبتزوها عن طريق الغش و التزوير و الاجحاف بحق الاخرين - لمآرهم الشخصية الدنيئة.

فاذا يفعل الامام مع هؤلاء و هو لا يريد ان يهادن او يحابي في دينه؟
فصراح المأمون أن يعفيه من هذا الامر الخطير و يتركه لشأنه.
و لكن المأمون الذي آلى على نفسه أن ينهى لعبته بالقضاء على شخصية الامام الاجتماعية، و الإيهام للناس بانه طالب دنيا و رئاسة، أصر على قوله و أكد أن لا مناص من ذلك .

فمن أبي الصلت الهروي قال: إن المأمون قال للرضاعليه السلام: يا ابن رسول الله قد عرفت علمك و فضلك و زهدك و ورعك و عبادتك و أراك أحق بالخلافة مني، فقال الرضاعليه السلام: بالعبودية لله عزوجل افتخر و بالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شر الدنيا و بالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمعافاة، و بالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله عزوجل.

فقال له المأمون: فاني قد رأيت ان أعزل نفسي عن الخلافة و أجعلها لك و أبايعك.
فقال له الرضاعليه السلام: «إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْخِلَافَةُ لَكَ وَ اللَّهُ جَعَلَهَا لَكَ فَلَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَخْلَعَ لِبَاسِ الْبَسْكَ اللَّهُ وَ تَجْعَلَهُ لِعَبْرِكَ وَ إِنْ كَانَتْ الْخِلَافَةُ لَيْسَتْ لَكَ فَلَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَجْعَلَ لِي مَا لَيْسَ لَكَ فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، فَلَابَدْتُ لَكَ مِنْ قَبُولِ هَذَا الْأَمْرِ، فَقَالَ لَسْتُ أَفْعَلُ ذَلِكَ طَائِعًا أَبَدًا، فَمَا زَالَ يَجْهَدُ بِهِ أَيَّامًا حَتَّى بَيَّسَ مِنْ قَبُولِهِ فَقَالَ لَهُ: فَإِنْ لَمْ تَقْبَلِ الْخِلَافَةَ، وَ لَمْ تُحِبَّ مُبَايَعَتِي لَكَ فَكُنْ وَلِيِّ عَهْدِي تَكُونُ لَكَ الْخِلَافَةُ بَعْدِي»^١، فقال له: إِعْفِنِي مِنْ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

فقال له المأمون كلاماً فيه كالتهديد له على الامتناع عليه وقال في كلامه: «إِنَّ عَمْرَيْنَ الْخَطَّابَ جَعَلَ الشُّورَى فِي سِتِّهِ أَحَدَهُمْ جَدُّكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَشَرَطَ فِيمَنْ خَالَفَ مِنْهُمْ أَنْ يُضْرَبَ عُنُقُهُ، وَلَا بُدَّ مِنْ قَبُولِكَ مَا أُرِيدُهُ مِنْكَ فَإِنِّي لَا أَجِدُ مَخِيصاً...»^١

فاجابه الامام إلى ما التمس.

وقوله في موضع آخر «إِنَّكَ تَتَلَقَانِي أَبَدًا بِمَا أَكْرَهُهُ وَقَدْ أَمِنْتَ سَطَوَاتِي فَيَاللَّهِ أَفْسِمُ، لَئِن قَبِلْتَ وَلايَةَ الْعَهْدِ، وَإِلَّا أَجْبَرْتُكَ عَلَى ذَلِكَ فَإِن فَعَلْتَ، وَإِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَكَ»^٢

وفي اثبات الوصيه للمسعودي: فَالْحَ عَلَيْهِ فَاْمْتَنَعَ فَاْفَسَمَ فَاَبْرَ قَسَمَهُ.^٣

وقد سأله محمد بن عرفة: يا بن رسول الله، ما حملك على الدخول في ولاية

العهد فأجابه الامام: ما حمل جدي على الدخول في الشورى^٤

وقال القندوزي الحنفي: انه قبل الولاية، وهوباك حزين^٥

وعن الريان بين الصلت قال: دخلت على علي بن موسى الرضا

عليه السلام فقلت له: يا بن رسول الله الناس يقولون: إنك قبلت

ولاية العهد مع إظهارك الزهد في الدنيا فقال عليه السلام: «قَدْ عَلِمَ اللَّهُ

كِرَاهِيَتِي لِذَلِكَ فَلَمَّا خُيِّرْتُ بَيْنَ قَبُولِ ذَلِكَ وَبَيْنَ الْقَتْلِ إِخْتَرْتُ الْقَبُولَ عَلَى

الْقَتْلِ وَوَيْحَهُمْ أَمَا عَلِمُوا أَنَّ يُوسُفَ كَانَ نَبِيًّا وَرَسُولًا، فَلَمَّا دَفَعَتْهُ

الصَّرُورَةُ إِلَى تَوَلِيَّ خَزَائِنِ الْعَزِيزِ (قَالَ إِجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي

حَفِيظٌ عَلِيمٌ) وَدَفَعْتَنِي الصَّرُورَةُ إِلَى قَبُولِ ذَلِكَ عَلَى إِكْرَاهٍ وَإِجْبَارٍ بَعْدَ

(١) الارشاد للمفيد: ٣١٠، ومقاتل الطالبين ٥٦٣

(٢) علل الشرائع ٢٢٦:١ و٢٣٨، وعيون اخبار الرضا ٢: ١٣٩ واما الصدوق: ٤٣ و البحار ٤٩: ١٢٩

(٣) اثبات الوصيه: ١٧٩

(٤) عيون اخبار الرضا ٢: ١٤٠، و البحار ٤٩: ١٤٠، ١٤١

(٥) بنابيع الموده: ٢٨٤

الإشرافِ عَلَى الْهَلَاكِ ، عَلَى أَبِي مَا دَخَلْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا دُخُولَ خَارِجٍ مِنْهُ فَإِنَّ اللَّهَ الْمُسْتَكْبِي»^١

و بعد كل هذا فهاهو موقف الامام تجاه هذه الاخطار المحدقة به و ما الذي يفعله فانه قبل ذلك على مضض بعد ان اشترط «أَنْ لَا يُؤَلِّي أَحَدًا وَلَا يُعَزَّلَ أَحَدًا، وَلَا يُنْقَضَ رِسْمًا، وَلَا يُغَيَّرَ شَيْئًا مِمَّا هُوَ قَائِمٌ وَيَكُونُ فِي الْأَمْرِ مُشِيرًا مِنْ بَعْدِي»^٢

ليؤكد بان عدم تعهده و قبوله لأية مسؤولية هو عدم إقراره بشرعية النظام الحاكم، و رفع الإبهام عنه بالإقرار الضمني لجميع تصرفات الدولة التي تصدر عن الخليفة و بقية أجهزة السلطة الحاكمة و لبتعد عن نفسه كل أوجه التهم و الافتراءات، و ليجعل من نفسه مشيراً في الامور و ناصحاً لهم، مبتعداً عن الذين يظهرون التملق و الخضوع و الخنوع للخليفة و كبار رجال الدولة لاجل كسب المزيد من الدراهم و الدنيا نير، و العناوين الفارغة الجوفاء.

هذا و ان عدم اصطحاب أى فرد من أهل بيته و عائلته حتى ولده الاكبر الامام الجواد معه جعل الناس يتسالون في قرارة أنفسهم إن كان الامام محباً للدنيا و طالباً للرئاسة، فلم ترك أهل بيته و أفراد عشيرته في المدينة و جاء لوحده؟

فعل في الامر شئ غاب عنهم و لم يصلوا السلى كنهه!
و لكن المأمون الذي كان يتحين الفرص للابقاع بالامام حاول مرات و كرات في الطلب من الامام بان يولي فلاناً أو يعزل آخر- و خصوصاً بعد مقتل الفضل- و مطالبة الامام بمشاركته في تحمل إعباء الحكم و إدارتها، ليجعلها ذريعة يمكنه التشهير- بعد ذلك- بالامام الذي قد اشترط بأن لا يولي أحداً و لا

(١) عنون اخبار الرضا: ٢: ١٣٩

(٢) عنون اخبار الرضا: ٢: ١٣٩. و علل الشرائع: ١: ٢٣٦. و ارشاد القصد: ٣١٠. و البحار: ٤٩: ٣٤ و ٩٥

يعزل أحداً، وانه قد أصبح الآن من السبّاقين إلى تولية هذا وعزل ذلك .
فهما كان المأمون ذكياً وبارعاً ودقيقاً في تنفيذ مآربه وتحقيق مقاصده، كان
الامام في المقابل، و بوحى وإلهام من الله جلّ وعلا ذا فطنة ووعي كبيرين،
لم يدع المأمون فرصة المؤاخذه عليه، وليبقى الامام القمّة الشاخحة للمورع والزهد و
التقوى.

كما وان الامام لم يدع فرصة سانحة تمر الا و يصرح مرة ويلوح اخرى بان
المأمون يريد النيل منه ومن شيعته. وان تعهده لهذا الامر الخطير لم يكن الآ بعد
التهديد بالقتل من قبل المأمون نفسه.

كيفية الاحتفال بولاية العهد

و في سنة ٢٠١ هجرية جعل المأمون علي بن موسى الرضا ولي عهد
المسلمين والخليفة من بعده، و لقبه الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله^١ و امر
جنده بطرح السواد ولبس الثياب الخضراء، و كتب بذلك الى الافاق.^٢
ولما اراد أن يأخذ البيعة لنفسه بإمرة المؤمنين ولأبي الحسن علي بن موسى^١

(١) الصحيح على ما في عيون اخبار الرضا من أن تسمية الامام علي بن موسى بالرضا كانت من الله لامن
المأمون، فمن علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه عن احمد بن محمد بن ابي نصر الزينطي قال: قلت لابي جعفر محمد بن
علي بن موسى عليهم السلام: ان قوماً من مخالفيكم يزعمون اباك انما سماه المأمون الرضا لما رضيه لولاية عهده، فقال:
كذبوا والله و فجروا، بل ان الله تبارك و تعالی سماه الرضا لانه كان رضى لله عزوجل في سمائه و رضى لرسوله و
الائمة من بعده صلوات الله عليهم في ارضه، فقال: فقلت له: ألم يكن كل واحد من آبائك الماضين عليهم السلام رضى
الله تعالى و لرسوله و الائمة عليهم السلام، فقال: بلى، فقلت فلم سمى أبوك من بينهم الرضا، قال: لانه رضى به
المخالفون من اعدائه كما رضى به الموافقون من اوليائه، و لم يكن ذلك لاحد من آبائه عليهم السلام، فذلك سمي من
بينهم الرضا عليه السلام.

(٢) الكامل في التاريخ ٥: ١٨٣، و شذرات الذهب ٢: ٢ و تاريخ الخلفاء: ٣٠٧، و تاريخ ابي الفداء ٢: ٢٢، و

الرضاعليه السلام بولاية العهد، وفضل بن سهل بالوزارة أمر بثلاثة كراسى، فنصبت لهم فلما قعدوا عليها أذن للناس، فدخلوا يبائعون فكانوا يصفقون بأيانهم على أيمان الثلاثة من أعلى الإبهام الى الخنصر، ويخرجون حتى بايع في آخر الناس فتى من الانصار فصفق بيمينه من أعلى الخنصر الى أعلى الإبهام، فتبسم ابوالحسن الرضا ثم قال: «كُلُّ مَنْ بَايَعَنَا بِبَيْعِ بَيْعِ النَّبِيِّ غَيْرَ هَذَا الْفَتَى، فَإِنَّهُ قَدْ بَايَعَنَا بِعَقْدِهَا، فَقَالَ الْمَأْمُونُ: وَمَا فَسَّخَ النَّبِيُّ مِنْ عَقْدِهَا؟ قَالَ ابوالحسن عليه السلام: عَقْدُ النَّبِيِّ هُوَ مِنْ أَعْلَى الْخُنْصَرِ إِلَى أَعْلَى الْإِبْهَامِ، وَفَسَّخَهَا مِنْ أَعْلَى الْإِبْهَامِ إِلَى أَعْلَى الْخُنْصَرِ، قَالَ: فَمَا جَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ وَ أَمَرَ الْمَأْمُونُ بِإِعَادَةِ النَّاسِ إِلَى النَّبِيِّ عَلَى مَا وَصَفَهُ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَالَ النَّاسُ: كَيْفَ يَسْتَحَقُّ الْإِمَامَةَ مَنْ لَا يَعْرِفُ عَقْدَ النَّبِيِّ، إِنَّ مَنْ عَلِمَ لِأَوْلَى بِهَا مِمَّنْ لَا يَعْلَمُ قَالَ: فَحَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى مَا فَعَلَهُ مِنْ سَمِهِ»^١

و في رواية اخرى: أَمَرَ الْمَأْمُونُ الْقَوَادِ وَ الْحُجَابَ وَ الْقَضَاةَ لِلْحُضُورِ فِي الْمَجْلِسِ وَ وَضِعَ وَ سَادَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ حَتَّى لَحِقَ بِمَجْلِسِهِ وَ فَرَسِهِ وَ أَجْلَسَ الرِّضَا عَلَيْهَا مِنَ الْخَضِرَةِ وَ عَلَيْهِ عِمَامَةٌ وَ سَيْفٌ، ثُمَّ أَمَرَ ابْنَهُ الْعَبَّاسَ ابْنَ الْمَأْمُونِ أَنْ يُبَايِعَ لَهُ أَوَّلَ النَّاسِ، فَرَفَعَ الرِّضَا يَدَهُ فَتَلَقَّى بِظَهْرِهَا وَجْهَ نَفْسِهِ، وَ بَطَّنَهَا وَ جُوهَهُمْ، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: أَبْسُطْ يَدَكَ لِلنَّبِيِّ، فَقَالَ لَهُ الرضا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هَكَذَا كَانَ يُبَايِعُ.

فَبَايَعَهُ النَّاسُ وَ يَدُهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ، وَ وَضِعَتِ الْبُذُرُ

وقام الخطباء و الشعراء يشيدون بفضائل الامام الرضا، و ما كان من امر المامون له، و كان فيمن ورد عليه من الشعراء دعبل بن علي الخزاعي رحمه الله

(١) علل الشرائع: ٢٣٩

(٢) ارشاد القصد: ٣١١

فلما دخل عليه قال اني قلت قصيدة و جعلت على نفسي ان لا انشدها احداً
قبلك فامرته بالجلوس حتى خف مجلسه ثم قال له هاتها قال: فانشده قصيدته التي
أولها:

مدارس آيات خلعت من تلاوة و منزل وحي مقفر العرصات^١

وقيل ان ابانواس الشاعر مدحه بقوله:

قيل لي أنت أحسن الناس طراً في فنون من الكلام النبويه
لك من جيد القريض مديح يثمر الدر في يدي مجتنيه
فعلام تركت مدح ابن موسى والخصال التي تجمعن فيه
قلت: لا أستطيع مدح إمام كان جبريل خادماً لأبيه

و كان سبب قوله هذه الابيات ان بعض اصحابه قال له: ما رايت أوقح
منك ، ما تركت خمرأ و لا طردأ و لا معنى الا قلت فيه شيئاً و هذا على بن
موسى الرضا في عصرك لم تقل فيه شيئاً.

فقال: والله ما تركت ذلك الا إعظماً له، و ليس قدر مثلي أن يقول في

مثله، ثم انشد بعد ساعة هذه الابيات^٢

و شكك البعض بنسبة هذه الابيات الى ابي نواس قائلاً انه مات عام ١٩٥

و ولايه العهد عام ٢٠١ هجرية.

و لكن الصحيح ان المادح هو أبونواس الشاعر المعروف - بلاشك و لا ريب
في ذلك- كما هو المستظهر من النص المزبور في الوفيات و غيرها من النصوص
التاريخية الاخرى («و هذا على بن موسى في عصرك لم تقل فيه شيئاً»).

فليس في النص اشارة لتولية العهد ولو تعريضاً، و لا للمأمون و لا لأى
شئ آخر يوحى الى ذلك

(١) الارشاد للمفيد: ٣١٢

(٢) وفيات الاعيان ٣: ٢٧١

فالشعر في إمامته وقداسته والخصال التي تجتمع فيه لا في ولاية العهد.

تساؤلات لا بد منها

١- هل كان المأمون مجتهداً في عرضه للخلافة على الامام ام لا؟ فلو كان مجتهداً في عرضه - لا يختلج الحقد الدغين في صدره، ولا تشوب الشوائب ذهنه السقيم- كما أكد في وثيقته إلى انه لم يرد من ولاية العهد للامام الارضاية الله و مصلحة الامة الاسلامية.

فلما ذا أرسل وراء الامام لياتوه به مخفوراً وبتلك الصورة؟
ألم يكن الاجدر به ان يستشير الامام فيما يفعل - لو كان صادقاً؟
و ألم يكن الأليق به أن يظلب الامام بحفاوة و تقدير لا بالنهج الذي إتهجه
و الطريقة التي إبتكرها بالقهر و القسر و الإجبار؟
فإننا لسنا في صدد محاكمته، فالاجيال المتعاقبة قد حاكمته و أدانته!!
و لما ذا أصر المأمون على ذلك مع قوله بأن الامام ججة الله على خلقه و أعلم
أهل الارض.

ألم يكن الامام أعرف بمصالح المسلمين منه، فلما ذا الاصرار بالقبول.
و لما ذا طلب من الضحاك أن يسير به من المدينة إلى مرو عن طريق البصرة
فلا هواز ففارس، و التحذير من المسير على طريق الكوفة و الجبل و قم^١
و سر ذلك واضح لان القميين و الكوفيين كانوا من شيعة على و آله

المعصومين و المرور من خلال هذه المدن يعني تهيج الرأي العام الشيعي ضد النظام الحاكم، و جرّ النظام إلى ما لا يحمد عقباه. ألم يكن الأجدر أن يمر من قم ليلتحق بركبه خلص أتباعه القميين و شيعته الموالين.

فكان يروم التويه على العلويين بان هدفه هو رضاء الله و فرض طاعته، و رفقا بالامة و حفظاً لمصلحتها.

و ليؤكد ان إعطاءه ولاية العهد للرضا لا من جهة أنه حق له و نصّ عليه، بل بما أنه أفضل الناس فعلاً، فهو أولى من غيره بتسم هذا المنصب، و لربما يظهر في المستقبل من هو أفضل منه فهو صاحب الحق.

و ليوجه بذلك ضربة قاصمة للامام الذي يرى إن ولايته على الناس عن طريق النص.

فالحق ما قاله العماد الخنبي في شذراته «و كَانَ مَبْلُ الْمُأْمُونِ لِلْعَلَوِيِّينَ أَصْطِنَاعًا»^١

٢- لما ذالم ياخذ بقول النوبختي المنجم^٢ عندما أعلمه بأن اليوم الذي ينصب فيه الامام الرضا لولاية العهد يوم منحوس و تجر الامام الى نكبة كبرى.

و عندما أصر النوبختي على المامون أن يغير اليوم الموعود الى يوم آخر، فلما ذا ردّ عليه بأن يعيد النظر في النجوم، و ما عليه الا الاخبار بأن ذلك اليوم يوم سعيد، و من ولي فيه فهو ذو حظ سعيد.

ألا يستدل بذلك ان المأمون لم يكن بصادق في دعواه. و الا يستفاد من ذلك أنه يروم تحقيق أغراضه الدنيئة لتقوية نظام حكمه

(١) شذرات الذهب ٣:٢

(٢) عيون اخبار الرضا ٢: ١٤٦

المتهري الفاسد.

٣- لما ارجعه من صلاة العيد وبتلك الكيفية المزرية؟

ففي الارشاد عن ياسر الخادم و الزيان بن الصلت جميعاً قالوا:
 لَمَّا حَضَرَ الْعِيدُ وَ كَانَ قَدْ عَقِدَ لِلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ الْأَمْرَ بِوَلَايَةِ الْعَهْدِ
 بَعَثَ الْمَأْمُونُ إِلَيْهِ فِي الرُّكُوبِ إِلَى الْعِيدِ وَالصَّلَاةِ بِالنَّاسِ وَالْحُطْبَةِ هُمْ
 فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ الرِّضَاعِيَّةَ السَّلَامُ قَدْ عَلِمَتْ مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ الشُّرُوطِ فِي
 دُخُولِ الْأَمْرِ فَأَعْفَيْنِي مِنَ الصَّلَاةِ بِالنَّاسِ، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: إِنَّا أُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ
 نُنَظِّمَ قُلُوبَ النَّاسِ وَتَعْرِفُوا فَضْلَكَ، وَ لَمْ تَزَلِ الرُّسُلُ تَتَرَدَّدُ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ
 فَلَمَّا أَلْحَ عَلَيْهِ الْمَأْمُونُ أَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنْ أَعْفَيْتَنِي فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ، وَإِنْ لَمْ تَعْفِنِي
 خَرَجْتُ كَمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي
 طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: أَخْرَجَ كَيْفَ شِئْتَ وَ أَمَرَ الْقَوَادِ وَ
 الْحُجَّابِ وَ النَّاسِ أَنْ يُبَكِّرُوا إِلَيَّ بِبَابِ الرِّضَاعِيَّةِ السَّلَامُ قَالَ:
 «فَقَعَدَ النَّاسُ لِأَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الطَّرْفَاتِ وَالسُّطُوحِ وَ اجْتَمَعَ النِّسَاءُ
 وَالصِّبْيَانُ يَنْظُرُونَ خُرُوجَهُ.

وَ صَارَ جَمِيعُ الْقَوَادِ وَالْجُنْدِ إِلَى بَابِهِ، فَوَقَفُوا عَلَى دَوَابِهِمْ
 حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَأَغْتَسَلَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ لَبَسَ ثِيَابَهُ وَ
 تَعَمَّمَ بِعِمَامَةٍ بَيْضَاءٍ مِنْ قُطْنٍ أَلْفِي طَرْفًا مِنْهَا عَلَى صَدْرِهِ وَ طَرْفًا بَيْنَ كَتِفَيْهِ
 وَ مَسَّ شَيْئًا مِنَ الطَّيِّبِ وَ أَخَذَ بِيَدِهِ عُكَازَةً وَقَالَ لِمَوَالِهِ أَفْعَلُوا مِثْلَ مَا
 فَعَلْتُ فَخَرَجُوا بَيْنَ يَدَيْهِ وَ هُوَ خَافٌ قَدْ شَمَّرَ سِرَاوِ بِلَهُ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ
 وَ عَلَيْهِ ثِيَابٌ مُشَمَّرَةٌ، فَشَى قَلْبًا وَ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَ كَبَّرَ وَ كَبَّرَ مَوَالِيهِ
 مَعَهُ ثُمَّ مَشَى حَتَّى وَقَفَ عَلَى الْبَابِ فَلَمَّا رَأَاهُ الْقَوَادِ وَالْجُنْدُ عَلَى تِلْكَ
 الصُّورَةِ سَقَطُوا كُلُّهُمْ عَنِ الدَّوَابِ إِلَى الْأَرْضِ وَ كَانَ أَحْسَنُهُمْ حَالًا مَنْ
 كَانَ مَعَهُ سَكِينٌ قَطَعَ بِهَا شَرَابَةَ جَاجِلِيَّتِهِ وَ نَزَعَهَا وَ حَقَّقَى وَ كَبَّرَ الرِّضَا

عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَابِ وَكَبَّرَ النَّاسُ مَعَهُ فَخِيلَ إِنِّي أَنَا أَسْمَاءُ وَالْحَيْطَانُ
 تُجَاوِبُهُ وَتَزَعْرَعَتْ مَرُوبًا بِالْبُكَاءِ وَالصَّحِيحُ لَمَّا رَأَوْا أَبَا الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 وَ سَمِعُوا تَكْبِيرَهُ وَ بَلَغَ الْمَأْمُونُ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ
 ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ بَلَغَ الرِّضَا الْمُصَلَّى عَلَى هَذَا السَّبِيلِ قَتَنَ
 بِهِ النَّاسُ وَ خِفْنَا كُلَّنَا عَلَى دِمَائِنَا، فَانْقَدَ إِلَيْهِ أَنْ يَرْجِعَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ
 قَدْ كَلَّفْنَاكَ شَطَطًا وَ أَعْتَبْنَاكَ وَ لَسْنَا نُحِبُّ أَنْ تَلْحَقَكَ مَشَقَّةٌ فَارْجِعْ وَ
 لِيَصِلَ بِالنَّاسِ مَنْ كَانَ يُصَلِّي بِهِمْ عَلَى رَسْمِهِ»^١

لقد أراد الأمام أن يعطي صورة حية واضحة، و ببدأ سياسياً هاماً، و إيماناً
 معنوياً كبيراً لصلاة العيد، و التنويه بأن صورة صلاة العيد التي صورتها لهم
 الخلفاء بعيدة كل البعد عن روح الإسلام المصفى.

و الحق هو ما يفعله من استيعاب الجماهير و توعيتهم و تعليمهم كيفية
 العبادة، و مدى تأثيره في نفوس الرعية.

و فطن المأمون للحادثة و خطورة الموقف و سلبياته عليه بعدما أخبره الفضل
 بن سهل بالكيفية التي سار الامام عليها، و ان الوضع قد انقلب رأساً على
 عقب، و الناس قد هاجوا و ماجوا وراء الامام، فارتبك المأمون! و أمر بارجاع
 الامام من الصلاة بأيّ نحو كان.

أفهل يمكن القول - بعد كل هذا- إن المأمون كان مخلصاً في دعواه و صادقاً
 في أمره؟!!

و قد تجلّى بوضوح مدى تأثير الامام من الحادثة حيث قال: اللهم إن كان
 قَرَجِي بما أنا فيه بالموت فعجل لي الساعة.

٤- لماذا كتم المأمون خبر وفاة الامام ليوم و ليلة؟ و لما ذا أظهر التمارض بعد

ذلك و جرى حاسر الرأس الى التشيع، و من ثم الحضور الى قبره الشريف المبارك كل يوم يندبه و يبكي عليه، وكان يوتى له كل يوم برغيف واحد و ملح ليأكله، الأمر الذي لم يفعله حتى عند موت أبيه الرشيد.

و قد كتب رسالة مفصلة بعد ذلك لبني عمومته يخبرهم بوفاة الرضا و ان ما فعله هو لحقن دما نهم ليس الآء أفصح بذلك في صدر الرسالة و قال في ذيلها:
و إن تزعموا: إني أردت أن يؤول اليهم عاقبة و منفعة، فاني في تدبيركم و النظر لكم و لعقبكم و ابنائكم من بعدكم، و انتم ساهون لاهون في غمرة تعمهون لا تعلمون ما يراد بكم.^١

٥- ولو كان محباً لعلي و آله المعصومين كما يدعي، فلما ذا بدل الخضرة شعار العلويين الذي كان يقول إنها لباس أهل الجنة بالسواد شعار العباسيين^٢ بعد ثمانية ايام فقط من وفاة الامام الرضا أو ثلاثة اشهر على أكثر الأقوال.

٦- لما ذا لم يول الامام الجواد لولاية العهد؟ بعد تأكيده الشديد لحبه المفرط له خصوصاً بعد ما زوجه ابنته ام الفضل عام ٢٠٢ هجرية.

و انا اذ نتسأل اخيراً هل تمكن المأمون بكل حيله و خداعه ان يحقق اغراضه الدنيئة و ان يحصل على اهدافه المشؤمة و يصل اليها ام فشل في كل ذلك؟

أهداف المأمون المتوخاة من العملية

١- إنَّ المدَّ الشيعي الحاكم آنذاك على روح و أفئدة المسلمين و تعلقهم

(١) البحار ٤٩: ٢١٣ عن كتاب نديم الفرد لابن مسكويه.

(٢) التنبيه والاشراف: ٣٠٣.

بأهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، كان يوحى للمأمون بخطورة الموقف، وخشية من انفلات الامور من قبضته و كسباً للقاعدة الشعبية التي تدين بالولاء للعلويين و الامام الرضا و لتحبب ثلة من قاداته الذين يميلون للتشيع و يرون إنَّ علياً و أولاده المعصومين هم أولى بالخلافة و الولاية من غيرهم.

و حسماً لكل ذلك الخطر المحدق به قرر أن ينتخب الامام لولاية العهد.
٢- كانت خراسان مهد التشيع و مركزها الفعال. و تشيعهم لا يحتاج الى موثقة اثبات. يقول المسعودي: و ما قامت دولة العباسيين الا على اساس الدعوة للعلويين و أهل البيت، و بعد أن رأينا الخراسانيين يظهرن النياحة على يحيى بن زيد سبعة أيام و كل مولود ولد في خراسان في سنة قتل يحيى سمى به (يحيى)¹.

و قال البلاذري: انه لما استشار المنصور عيسى بن موسى في أمر محمد و ابراهيم إبنى عبدالله بن الحسن، فأشار عليه بأن يولي المدينة رجلاً خراسانياً، قال له المنصور: يا أبا موسى إنَّ محبة آل ابى طالب في قلوب أهل خراسان ممتزجة بمحبتنا، و إن وليت أمرها رجلاً من اهل خراسان حالت محبته لها بينه و بين طلبها، و الفحص عنها، و لكن اهل الشام قاتلوا علياً على ان لا يتأمر عليهم لبغضهم اياه... الخ»²

فكان الخراسانيون يبحثون عن خليفة يرد اليهم حقوقهم المهضومة، و يحكم بما انزل الله، و من أولى من الامام الرضا عليه السلام بالحكم بما أنزل الله؟ و كان من ذكاء المأمون و دهائه أن طلب من الامام بقبول ولاية العهد ليحبب اليهم حكمه و خلافته و ليأمن جانبيهم، فدخلوا في جيشه فكان منهم القواد و الرؤساء المخلصين له و لحكومته.
كما و جعل مرو عاصمة الدولة العباسية بدلاً من بغداد ليزيد في تقرب الخراسانيين اليه حتى قال الجاحظ: «دولة بني العباس أعجمية خراسانية، و

(١) مروج الذهب ٣: ٢٢٥

(٢) الانساب و الاشراف ٣: ١١٥

دولة بني مروان عربية»^١

٣- للحد من نشاط العلويين وتثبيت عزائمهم وإيقاف ثوراتهم حيث كانوا في هياج دائم ضد الطواغيت والجائرين. حتى قيل ان مجموع الثورات بين عهد السفاح والى اوائل عهد المأمون كانت حدود الثلاثين ثورة. ولكن وللأسف الشديد لم يحالفها التوفيق لمشيئة إلهية خاصة، ولعدم برجة منسقة ومخططة من السابق.

و كانت أهم الأخطار التي تهدد المأمون في فترة حكمه هي ثورة محمد بن ابراهيم المعروف بابن طباطبا التي قادها ومهد لها السرى بن منصور المعروف بأبي السرايا والتي إنطلقت من الحجاز وشملت كل العراق وما جاورها، فقد زرع كيان العباسيين وهدد حصون المأمون واتعبه كثيراً.

وقيل انه قتل من اصحاب السلطان في حرب أبي السرايا فقط مئتا الف رجل مع أن مدة حربه كانت من يوم خروجه الى يوم ضربت عنقه لم تزد على العشرة أشهر^٢ وخروج محمد بن جعفر الملقب بالدباج من مكة.

وخروج ابراهيم بن موسى بن جعفر من اليمن.

وخروج زيد النار ومع علي بن محمد من البصرة، وألقي القبض عليه وجيء به الى المأمون فوجهه الى الامام الرضا، وقد عتفه الامام تعنيفاً شديداً ووبّخه فقال: انت يا اخي ما اطعت الله عزوجل، إن نوحاً قال: «رَبِّ اِنَّ اِبْنِي مِنْ اَهْلِيْ وَاِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَاَنْتَ اَحْكَمُ الْحَاكِمِيْنَ».

فلم يكن تعنيف الامام وتوبيخه لما قام به من مقارعة ظلم الخلفاء والتصدي لهم، بل كان توبيخه له لما ارتكبه من نهب وقتل وإكثار النار في دور بني العباس، وغيرها من الامور التي تشوه سمعة آل البيت وتخرق نفوس المحبين فضلاً عن المبغضين.

فأمام كل هذه الاخطار المحدقة به ماذا يفعل المأمون؟
فلاجل إطفاء جذوة الثورة وتهيئتها في نفوس العلويين وابعاد شبح خطر المعارضة عنه، جعل من ولاية العهد حصناً له ليقية من المعارضة.

(١) البيان والتبيين ٣: ٣٦٦

(٢) البدايه والنهايه ١٠: ٣٤٥، ومقاتل الطالبين: ٥٥٠

فما دام الامام ولياً للعهد فهو في أمن وطمأنينة من الاخطار الملمة به و الآخذة بتلابيب ذهنه. و ليحقق بذلك أكبر امنياته بمبايعته رهط كبير من الناس - ولو ظاهراً- و ليجنب نفسه الصدام المتوقع حصوله مع أحد أعظم مناوئيه و أشدهم تجربة و مراساً.

يقول النوبختي: و فرقة كانت من الزيدية الاقوياء منهم والبصراء فدخلوا في إمامة علي بن موسى عندما أظهر المأمون فضله، و عقد بيعته تصنعاً للنديا، و أستكانوا الناس بذلك دهرأ فلما توفي علي بن موسى الرضا عليه السلام رجعوا الى قومهم من الزيدية»^١

و لرب سائل يسأل: إذا كان الائمة يؤيدون الانتفاضات التي كانت تقام ضد السلطة الحاكمة، فلما ذا لم يقودوها بانفسهم ليزيدوا في قوة الثورة ثباتاً و إصراراً، و ليؤكدوا بجدية مخالفتهم للنظام الحاكم.

و الجواب واضح، فالائمة كانوا يعلمون سلفاً بفشل مثل هذه الانتفاضات و الثورات و لكنهم كانوا يؤيدونها ليشبوا أنهم ضد الحكم و ليسوامعه، و لان الثورة قائمة ضد الظلم و الطغيان، و تكشف عن زيف تخرصات الحكام و الخلفاء.

٤- الدخول في مساومة مع العلويين و إسقاطهم إجتماعياً و جعلهم في وضع لا يمكنهم الثورة ضد النظام الحاكم.

فقبول الامام لولاية العهد يعني شرعية الخلافة العباسية، و الاعتراف الضمني بشرعية تصرفات المأمون طيلة فترة ولاية العهد على أقل التقادير، و التشكيك حال الوفاء، و إخراج الناس من المعارضة الشديدة الى الموافقة او التشكيك في المعارضة على أبعد الاحتمالات.

و قد صرح المأمون بذلك قائلاً «فأردنا أن نجعله ولي عهدنا ليكون دعاؤه لنا، و ليعترف بالملك و الخلافة لنا».

فالإعتراف بشرعية النظام الحاكم يسلب منهم أعتى سلاح شهره بوجه الطغاة و الجائرين من حكام الدولة العباسية. و ليسهل القضاء عليهم إن أرادوا

التحرك ضد السلطة الحاكمة، و ليخفق صوت المعارضة التي سوف تدعوللإمام في المستقبل بعد استئصال الجماهيرية التي كانوا يتمتعون بها و سلبها منهم، و تشويه سمعتهم امام الرأى العام العالمي .

بيد أن العلويين كانوا يعلمون بما يبئته لهم المأمون و أعوانه، فلم تخدعهم الشعارات البراقة و الأساليب الخادعة.

٥- تأديب العباسيين و تلقينهم درساً كبيراً لما ارتكبه من عظيم الخطأ بحقه، و حنث الميثاق الذي أولاه ابوه الرشيد عليهم و خلعه لهم له و تنصيب ابن الامين مكانه.

فلم يكن هناك سلاح أعتى و أشد من هذا السلاح يشهره في وجوه الذين حاربوه بالامس و عارضوه، ليتمكن بذلك من شفاء غليل الوجد الذي حَزَّ في نفسه.

و قد تفاقم التحدى، فثار العباسيون على المأمون في بغداد و عيتوا إبن شكلة المغني (إبراهيم بن المهدي) خليفة على المسلمين، و أجبروا الناس على مبايعته^١.

فأنزلوا خلافة رسول الله ذلك المنصب الالهي الخطير الى الحضيض يجعلهم هذا الفاسد ولياً لأمر المسلمين يفعل ما يشاء لارادع يردعه و لاناه ينهاه. و هي بحق من اعظم موبقات العباسيين و أكبرها في تاريخهم المرير، فخانوا الله و رسوله و دنسوا المقام المقدس بوغد خليع لايمه شئ سوى شهواته و ملاذه.

و قال بعض الاعراب عند ما جاء الخبر بأنه لامال عند الخليفة ليعطي الجند الذين ألحوا في طلب إعطياتهم، قال: فليخرج الخليفة الينا، ليغزَ لاجل هذا الجانب ثلاثة أصوات فتكون عطاهم و لأهل هذا الجانب مثلها.

فقال في ذلك دعبل يذم إبراهيم بن المهدي:

يَا مَعْشَرَ الْأَجْنَادِ لَا تَقْنَطُوا خُذُوا عَطَايَاكُمْ وَلَا تَسْخَطُوا
فَسَوْفَ يُعْطِيكُمْ حَنِينِيَّةً لَا تَدْخِلِ الْكَيْسَ وَلَا تَرْبُطِ

وَالْمُعَبِّدَاتِ لِقُودِكُمْ وَمَا يَهَا مِنْ أَحَدٍ يُغْبَطُ
فَهَكَذَا يَرْزُقُ أَصْحَابَهُ خَلِيفَةً مِضْحَفُهُ الْبُرْبُطُ

٦- الكشف للامة بانه لا ينظر الى الامور الآ ما يفيد مصالح الشعب. فان كانت الخلافة تقتضى إخراجها من بني العباس لاجرها الى مستحقها. ومن أولى من الامام الرضا بذلك ؟ فهو عالم بالاديان، بصير بالاحوال، عارف للامور على احسن ما يرام تتوجه اليه الانظار وتطلع نحوه الافئدة و الابصار.

فهذه الحيلة الماكرة أراد القضاء على صوت المعارضة و ربط الامة بخليفتها و كسب الثقة لنفسه.

٧- صرف الامة عن تلك الظروف العصبية التي كانت تمر بها من فتن و ثورات و حروب الى أمر أساسي و حساس آخر، كما هو ديدن السياسيين المخضرمين الذين يرون ان الامور عندما تجري على خلاف مشيبتهم و رغباتهم، فما ان تسنح فرصة مؤاتية حتى يسرعوا لاجراج الناس عن الحالة التي يعيشونها الى جو آخر يلائم اهواءهم و متطلباتهم بعيدين عن الشغب و الضوضاء. و قد تمكن المأمون بهذه العملية من كسب شخصية علمية قوية الى جانبه يقوي دعائم حكمه المنهار و أركان مملكته المتزلزلة.

٨- إن قبول الامام لولاية العهد يعنى تخطئة سير الائمة المعصومين الذين جاهدوا ضد صروح الظلم و الطغيان - المتمثل بأشرس خلق الله على أرضه كالسفاح و المنصور و الرشيد و من شاكلهم من جبايرة الزمان و طواغيت العصر- و الذين لم يألُ جهداً الآ و بذلوه لذلك معاقل الفساد المستشري في أوساط الجهاز الحاكم.

٩- إشارة علامات الاستفهام حول شخصية الامام الاجتماعية و قدسه و زهده و تقواه، و ما يتحلّى من صفات حميدة و خصال جيّدة رشيدة، ببث

إشاعات مغرضة للحطّ من كرامة الامام وقدرته المعنوية. وليوهم الناس ان الامام لم يزهد في الدنيا بل الدنيا زهدت فيه، فقبول ولاية العهد من شخص يكبر الخليفة بـ ٢٣ عاماً يعني حرصه الشديد و تعلقه و تمسكه الكبيرين بالدنيا، و ليتمكن بذلك من زعزعة إيمان الناس بقائدهم و بزهده و تقشفه و تقواه.

و لكن أتى له ذلك . فقد كان الشيعة في قمة و عيهم السياسي و ذكاء هم الخارق بحيث لم تنطلي عليهم مثل هذه الآلا عيب و الشكوك و التساؤلات . و قد أوضح المأمون نفسه في جوابه لحميد بن مهران و جمعاً من العباسيين عندما عاتبوه و لاموه على ما اقدم عليه من البيعة للرضاعليه السلام يقول المأمون:

«... قد كان هذا الرجل مستتراً عنا، يدعو الى نفسه، فأردنا أن نجعله ولي عهدنا، ليكون دعاؤه لنا، و ليعترف بالملك و الخلافة لنا، و ليعتقد فيه المفتونون به بانه ليس مما إدعى في قليل و لا كثير، و إن هذا الامر لنا دونه . و قد خشينا إن تركناه على تلك الحال: ان يفتق علينا منه ما لا نسده، و يأتي علينا ما لا نطيعه .

و الان... فاذا قد فعلنا به ما فعلنا، و أخطأنا في أمره بما أخطأنا، و أشرفنا من الهلاك بالتنويه بإسمه على ما أشرفنا، فليس يجوز التهاون في أمره، و لكننا نحتاج إلى أن نضع منه قليلاً قليلاً، حتى نصوره عند الرعية بصورة من لا يستحق هذا الامر، ثم نذب فيه بما نخسّم عنا موادّ بلائه»^١.

١٠- فرض الحصار و الرقابة الصارمة على الامام برصد تحركاته و سكناته، و تشديد المراقبة من داخل القصر بحيث لا يمكن للناس الوصول اليه و التقرب

له، وليفقد الشعب قائده المُلهم و رأسه المدبر فيتخبطوا خبط عشواء لا هادي يهديهم سبيل الرشاد فيقطع آمالهم ويشتت شملهم ويبدد جمعهم. و ليحرموا بذلك من درايته الصائبة و رشحاته القدسية و نفعاته الملكوتية و حكمته الربانية و عقله السديد، و ليركنوا عند ذلك الى الخليفة بالخضوع و الخنوع و اتباع أثره و السير على نهجه و إقتفاء خطاه.

فقد روى الريان بن الصلت في حديث: إن هشام بن إبراهيم الراشدي، كان من أخص الناس بالرضا، من قبل أن يحمل، و كان عالماً اديباً لبيباً، و كانت امور الرضا تجري من عنده و على يده و يصير الاموال من النواحي كلها اليها قبل حمل أبي الحسن.

فلما حمل أبي الحسن إتصل هشام بن ابراهيم بذى الرياستين و أدناه، فكان ينقل اخبار الرضا الى ذى الرياستين و المأمون فحظي بذلك عندهما، و كان لا يخفى عليهما من أخباره شيئاً.

فولاه المأمون حجابة الرضا، و كان لا يصل الى الرضا الا من أحب، و ضيق على الرضا فكان من يقصده من مواليه لا يصل اليه و كان لا يتكلم الرضا في داره بشئ الا أورده هشام على المأمون و ذى الرياستين.

ولذا نرى الامام يكتب رسالة الى أحمد بن محمد البرزطى يقول

«وَأَمَّا مَا طَلَبْتَ مِنَ الإِذْنِ عَلَيَّ، فَإِنَّ الدُّخُولَ إِلَيَّ صَعْبٌ، وَ هُوَ لَا يَدْخُلُ قَدْ ضَيَّقُوا عَلَيَّ فِي ذَلِكَ الْآنَ، فَلَسْتُ تَقْدِرُ الْآنَ، وَ سَيَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(١)

و لتشديد الرقابة أكثر فأكثر أجبر المأمون الامام الرضا أن يتزوج ابنته (ا. حبيب) التي كان يكبرها بأربعين سنة عام ٢٠٢ هجرية^٢ و لترصد تحركات الامام أنا فأنا و لحظة فلحظة.

(١) عيون اخبار الرضا: ٢: ٢١٢

(٢) تاريخ الطبرى: ٧: ١٤٩، و شذرات الذهب: ٢: ٣، و الكامل في التاريخ: ٥: ١٣

مع المؤرخين

إنَّ المؤاخَذَ على المؤرخين جلهم إن لم نقل كلهم تعصبهم المفرط لطائفة دون أخرى، فيحررون الصفحات الطوال و الابحاث المفصلة عن فلان و فلان الذين لم يكن لهم دور قيادي مشرف او عمل علمي جبار، أو حادثة يسترعي الانتباه و التأمل حوله.

و ما أن يصل دور أحد أئمة الشيعة المعصومين أو أتباعهم من الاعلام و الفضلاء نرى البغض المشوب بالحق الدفين يقصّ ظهورهم و يثير في قرارة أنفسهم روح اللامبالاة بحق هذه الصفوة الخيرة و يمرّوا عنهم مرور الكرام الكاتبين، أو الاستطراد العابر الذي يوحى بما إشراب في أعماقهم من سوء النية و خبث السريرة «وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ».

و إن رامو التحدث فيه و التكلم عنه أثاروا بعض الشبهات التي تخدمهم أكثر فأكثر، و ليكثروا من علامات الاستفهام و الاستنكار حول شخصية المتحدث عنه.

فانهم لم يأل أتى أهمية تذكر لقضية صلاة العيد التي تقد من أعظم جرائم المأمون بحق الامام الرضا، و لم يذكروا عنها شيئاً يذكر.

بيد أنهم برّروا تبريرات واهية و سخيفة لاطهار المأمون بمظهر المصلح و المدافع عن آل البيت عليهم السلام.

و أكدوا أن المأمون لم يوّج الامام الأوفاء للذعر الذي آله على نفسه إن ربح الحرب القائمة بينه وبين اخيه الأمين، وإنه سيجعل الخلافة في أفضل الهاشميين^١.

فانا اذ نسال المؤرخين إن كان المأمون صادقاً في قوله فكيف أجبر الامام أن يكون ولي عهده ولم يجبره على الخلافة التي نذر لها. أفهل في نصب الامام لولاية العهد وفاء للنذر؟ وكيف مرّ المؤرخون عن هذه الحادثة مروراً عابراً، ولم يضعوا علامات الاستفهام حولها. كما فعلوها في أكثر من مرة مع غيرهم. وقال آخرون نقلاً عن المأمون: إنه أراد مكافأة علي بن أبي طالب في ولده!!^١ أفهل في مكافأه أمير المؤمنين أن يدس لحفيده السم ويقتله بتلك القتلة. وانا نحيل البحث للفصل الاق.

شهادته

بعد ما لم يفلح المامون من تحقيق اغراضه وخططه الجهنمية بالخط من كرامة الامام وتشويه سمعته.

هداه فكره الى حيلة اخرى - و كانت الخاتمة - بتصفية الامام جسدياً لتتحقق بذلك نبوءة الامام الذي «قَالَ لِأَصْحَابِهِ الَّذِينَ يَتَّقُ بِهِمْ: وَلَا تَغْتَرَوْا مِنْهُ بِقَوْلِهِ، فَمَا يَقْتُلُنِي وَاللَّهِ غَيْرُهُ، وَ لَكِنَّهُ لَا بَدَّ لِي مِنَ الصَّبْرِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ»^٢

و في العيون: قال الرضا عليه السلام: و الله قد حدثني أبي عن آبائه عن

(١) شذرات الذهب ٣: ٣٠٨. وتاريخ الخلفاء: ٣٠٨.

(٢) عيون اخبار الرضا: ٢: ١٨٥.

امير المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وآله «إِنِّي أَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا قَبْلَكَ -إِشَارَةً لِلْمَأْمُونِ- مَسْمُومًا مَقْتُولًا بِالسَّمِّ مَظْلُومًا...»^١

هذا و كان المأمون يرى إن الاغتيال الذي سوف يدبره ضد ولي العهد يكون هو آخر من توجه اليه أصابع الاتهام، فلا تحوم الشكوك و الشبهات حوله، و كيف تحوم حوله -حسب تصويره الساذج- و هو الذي أعده لهذا الامر، و أعطاه هذا المنصب.

و على أي حال فقد حاول المأمون عدّة مرات من الفتنك بالامام و لكن الله كان له بالمرصاد.

فذكر محمد بن علي بن حمزة إن منصور بن بشير ذكر عن اخيه عبدالله بن بشير: إن المأمون أمره أن يطول أظفاره ففعل، ثم أخرج اليه شيئاً يشبه التمر الهندي، و قال له: افركه واعجنه بيديك جميعاً ففعل، ثم دخل على الرضا، فقال له: ما خبرك ، قال أرجو أن أكون صالحاً، فقال له: هل جاءك احد من المترفين اليوم؟ قال: لا، فغضب و صاح على غلمانته، و قال له: فخذماء الرمان اليوم فانه مما لا يستغنى، ثم دعا برمان فاعطاه عبدالله بن بشير، و قال له: إعصر ماؤه بيدك ، ففعل و سقاه المأمون الرضا بيده فشربه، فكان ذلك سبب وفاته، و لم يلبث الا يومين حتى مات»^٢

و عن أبي الصلت الهروي: إنه دخل على الرضا بعد ذلك، فقال له: يا ابا الصلت قد فعلوها «أي قد سقوني السم»^٣

و دخل المأمون بعد ذلك الى الرضا يعوده فوجده يجود بنفسه فبكى، و قال: أعزز عليّ يا أخي بان أعيش ليومك ، و قد كان في بقائك امل، و أغلظ عليّ

(١) نفس المصدر: ٢: ١٣٩

(٢) مقال الطالبي: ٥٦٧

(٣) مقال الطالبي: ٥٦٧

من ذلك وأشدّ إنَّ الناس يقولون: إني سقيتك سماً...»^١

فقوله «يقولون إني سقيتك سماً» امر يسترعى الانتباه والتوقف حوله والتأمل فيه، فالخائف المجرم يبحث دائماً عن مبرر لجرمته النكراء، ويتشبه بكل شئ لا ثبات براءته، وان ذلك تهمة موجهة اليه، وغيرها من الاعذار الكثيرة التي لا تجديه نفعاً، بل تزيد في الطنبور نغمة، وتسود صفحة حياته أكثر فأكثر. فإتهام المأمون بسم الامام رافق تاريخ وفاته عليه السلام كما يظهر من المأمون نفسه و من بعض مراثيه.

ولكن الموسف حقاً عند ما نرى الخليفة الذي يامر بقتل احد دون عذر موجه او يدس السم لآخر، بغض المؤرخون النظر عنه، و كأنها من الامور الطبيعية التي لا بد من حدوثها، فلا شئ يستدعي الانتباه ولا هناك امر يسترعي الالتفات أو التكلم عنه.

و أكثر المؤرخون عبارة «إِنَّهُ أَكْثَرَ أَكَلَ الْعِنَبِ قَاتَ»^٢ أو «وَقِيلَ إِنَّ الْمَأْمُونَ سَمَّهُ»^٣ كل ذلك لأن يعيدوا للمأمون إعتباره ويشككوا في اصل القضية.

ولما توفى الرضا لم يظهر المأمون موته في دفنه، وتركه يوماً و ليله، ثم وجه إلى محمد بن جعفر بن محمد، وجماعة من آل ابى طالب، فلما أحضرهم وأراهم إياه صحيح الجسد لا أثر به!! ثم بكى وقال: عَزَّ عَلَيَّ يَا أَحْيِي أَنْ أَرَكَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ وَقَدْ كُنْتُ أَوْمِلُ أَنْ أَقْدِمَ قَبْلَكَ فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا مَا أَرَادَ، وَأَظْهَرَ جَزَعًا شَدِيدًا وَحُزْنَ كَثِيرًا»^٤

(١) مقال الطالبين: ٥٧٢

(٢) البدايه و النهايه ١٠ : ٢٤٩، و الكامل في التاريخ ٥ : ١٩٣

(٣) الكامل في التاريخ ٥ : ١٩٣، و شذرات الذهب ٢ : ٦٠، وفيات الاعيان ٣ : ٢٧٠

(٤) مقال الطالبين: ٥٦٧

وخرج مع جنازته يحملها حتى أتى الموضع الذي هو مدفون فيه (في دار حميد بن قحطبة، في القبّة التي فيها هارون الرشيد الى جانبه مما يلي القبلة) وقال المأمون: حدثني صاحب هذا النعش أنه يحضر له قبر فيظهر فيه ماء وسمك، إحفروا فحفروا، فلما انتهوا إلى اللحد نبع ماء وظهر فيه سمك ثم غاض الماء، فدفن فيه الرضا عليه السلام^١ فسلام عليه يوم ولدو يوم مات و يوم يبعث حياً.

بحث فى علم الامام على بن موسى الرضا عليه السلام

سليمان يحفوفى

بسم الله الرحمن الرحيم

معنى العلم:

يعني العلم: المعرفة و التيقن فيقال: عَلِمَ الشيءُ : عرفه و تيقنه. و عَلِمَ بالشيءِ : شعر به و أدركه و عَلِمَ الأمر: أتقنه
و علم الإنسان عادة يكون كسبياً نتيجة الدراسة و التعلم، يعتمد على مبادئ فطرية مسلمة لينتقل من مراحل التصورات إلى التصديقات، مستعيناً بجواسه للوصول للقناعات الفكرية.
فبدايته بداية جاهلة إلا ما ألهم من الفطرة لحفظ حياته، كالبكاء لطلب الرضاع.

و أفضل صورة له في تلك الحال هي وصف الله تعالى له:
«وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا. وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ. لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (النحل ٧٨)
فالسمع و الأبصار و سائر الحواس، جعلها سبحانه مع هذه البداية الجاهلة، و سائط لنقل صورة محسوساتها لعالم الفكر، حتى يحصل له العلم و المعرفة و اليقين بالواقع، و يشكر المنعم على تفضله و إنعامه.
فالعلم لا بد له من غاية يُسعى إلى تحقيقها، و نهاية يتوقف عندها. فما هي غاية العلم؟

يقال: غاية العلم معرفة الحقيقة، ونهايته الوصول إليها. فإذا عرف الإنسان الحقيقة وكشف عنها، توقف علمه وانتهى به المطاف.

ولكن كيف يمكن معرفة الحقيقة؟ وما هو طريقها؟ وهل وصل إليها الإنسان بعد هذا البحث الطويل من عمر الإنسانية؟

اختلفت نظريات العلماء والمتعلمين في معرفة الحقيقة، وأكذبت بعضها بعضاً، وسُلبت صفة الحقيقة عن كثير منها بعد ما اتصفت بها رداً من الزمن، وبقي الجميع يفتشون عن الحقيقة.

لم يفت الفشل في عضد الإنسان لطلب الحقيقة، فهو كلما فشل يزيد من علمه، ويدخل عليه تعديلات جديدة للوصول إليها، وهذا يدل على أنها واحدة وأن العلوم تتمحور حولها، وعندما تكشف؛ تتحد العلوم ويزول اختلافها. فهناك حلقة مفقودة تختلف العلوم بسببها، ولا بد للإنسان من معرفتها بواسطة العلم.

مدى علم الإنسان:

يحاول الإنسان أن يصل إلى غاية العلم ونهايته بالكشف عن الحقيقة، فيضع القوانين ويختبرها، ويسير في العلوم الطبيعية شوطاً بعيداً، ويستنتق العلوم التجريبية، ويسخر كل جهوده لمعرفة ما.

فقد وصل ليقول في مراحل المتأخرة:

«إن أحداث الطبيعة تقع وفقاً لقوانين حتمية كلية دقيقة، فيمكن التنبؤ بما سيحدث إذا عرفنا الاحوال القائمة في لحظة ما». (مدخل جديد الى الفلسفة،

و يقول اينشتين وأنفلا:

«ليس العلم مجموعة من القوانين و ثبتاً بالوقائع غير المترابطة فيما بينها. إنه من خلق العقل الإنساني بواسطة أفكار و تصورات اخترعت بحرية». (مدخل... ص ٧٠)

ثم يحدد اينشتين ترابط القوانين بشكل يستحيل معه انفكاك واقعة عن قانونها الواقعي، و لكنه يحيل الاخطاء على عدم معرفة الانسان بالقانون الواقعي، فتكون نتيجة الأفكار و التصورات الحرة الخاطئة، لأن شرط التصورات أن تكون على نحو معين تكون الواقعة معه مرتبطة بقانون، ارتباط المعلول بعلة. و لهذا يضيف:

«و النظريات الفيزيائية تحاول أن تكون صورة عن الواقع تربطها بالعالم الفسيح للانطباعات الحسية. و هكذا فإن أبنيتنا العقلية لا تتبرر إلا إذا كونت نظرياتنا هذه الرابطة و على نحو معين»

و على ضوء هاتين النظريتين، يكون العلم فقط، هو الذي يوصل لمعرفة الحقيقة، لأن القوانين حتمية و دقيقة، فعرفتها هي العلم، و أما معرفة مجموعة من القوانين بدون ترابط بينها و بين الأحداث، فليست من العلم في شيء. و لكن المشكلة التي تعترض سبيل العلماء، هي: كيف يمكن أن نتعرف على تلك القوانين الحتمية الكلية الدقيقة التي نستطيع بواسطتها من التنبؤ بالمستقبل؟

و كيف يمكننا أن نكون صورة عن الواقع مرتبطة بالعالم الفسيح للانطباعات الحسية؟ فإذا لم نستطع من تكوينها على نحو معين، لا نجد مبرراً لأبنيتنا العقلية! و لما ذالم يصل اليها العلماء حتى اليوم و هم لا يزالون يبحثون عنها؟

أعتقد أن الأمر يمكن في هذه الناحية بالذات، و هي كيف يمكننا تكوين

التصور المطابق للقوانين الحتمية طالما أن التصور يخترع بحرية؟ فإذا توصلنا إلى تكوين تصور صحيح يطابق الواقع على ذلك النحو المعين، نكون قد اهتدينا إلى السر، ووجدنا مبررات وجودنا وأبنتنا العقلية.

يبقى السؤال معلقاً حتى نأتي على خاتمة البحث، لنجد جوابه في تعرفنا على علم الإمام وكيفية استقائه في الفصول الآتية.

الفصل الأول

أولاً - معنى لفظة إمام:

أ - معناها لغة. قال في مجمع البحرين: قوله تعالى: «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» أي يأتهم بك الناس فيتبعونك ويأخذون عنك، لأن الناس يأمنون أفعاله: أي يقصدونها فيتبعونها. و يقال للطريق إمام، لأنه يقصد: أي يقصد و يتبع. (انتهى)

فالإمام هو المتقدم الذي يتبعه الناس في أعماله و يقتدون به، فيسيرون وفق خطاه أو هواه. قال تعالى: «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ» (إسراء: ٧١)

أي بمقدمهم و مقتداهم الذي اتبعوه، و ساروا على نهجه، فقد يكون إمام هدى يأمر بأمر الله و يحكم بحكمه فيجب اتباعه و السير على نهجه. قال تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا» (سجدة: ٢٤)

و قد يكون إمام ضلال يدعو إلى النار فتجب محاربتة، قال سبحانه: «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى التَّارِ» (التقصص: ٤١) و قال: «فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَأِ يْمَانِ لَّهُمْ» (التوبة: ١٢)

ب- معناها بالاصطلاح العام.

يتبادر إلى أذهان أهل العرف العام: معنى التقوى والورع والتدين، من لفظة: الإمام. فعند ما يقال: إمام، يسرع إلى الذهن معنى الصلاح والافتداء، فإن أضيف إليه شيء، كإمام الجمعة الفلانية، أو الجامع الفلاني، أو البلد الفلاني، خصص وعرفت صفته، وإن لم يصف إليه شيء إلا اسمه: كالإمام عماد عبده، وجمال الدين الأفغاني، والخميني (حفظه الله) فهم الناس معنى القيادة، والتقوى، والورع، المتمثلة في صاحب هذا اللقب. فلا يطلقون لفظة إمام إلا على من كان جامعاً لهذه الصفات النبيلة، أو من يجب أن يكون جامعاً لها. ومن ليس كذلك فلا يلقبونه بهذا اللقب. ويبقى اللفظ محتفظاً بسمو معناه وسمو حامله. فيقال: الأئمة اثناعشر وكلهم من قریش: ويقال: أئمة المذاهب الإسلامية وهكذا غدا المفهوم الاصطلاحي لهذه اللفظة حقيقة عرفية.

ج - معناها بالاصطلاح الخاص.

تصطلح الخاصة باطلاق لفظة إمام على أحد الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، وهم: الإمام علي بن أبي طالب و ذريته من فاطمة بنت رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم. فإذا قال أحد الخاصة: قال الإمام، أو عن الإمام. فإنه يعني أحد الأئمة الاثني عشر المعصومين عليهم السلام، فلا يطلق هذا اللفظ عند الخاصة بشكل مطلق على غير المعصوم إلا بقريئة. فلذلك يقال مثلاً «قال الإمام الخميني» بذكر قريئة معينة وهو ذكر اسمه مع عظمة ما قام به وحققه مما لم يتسن مثله لأعظم العظماء.

ثانياً- مصدر علم الإمام المعصوم عليه السلام:

تمارس كل المحاولات العلمية لكشف الحقيقة و معرفة الواقع؛ فكيف
 نتمكن من هذا الكشف؟ و هل يمكن للحقيقة أن تهدي لنفسها و تقول: أنا
 الحقيقة؟ و هل يرتفع الخلاف بمثل هذا القول؟
 كل من يدعي شيئاً يدّعي بأنه وصل للحقيقة، بينما الحقيقة واحدة لا
 تتعدد، فمع اختلاف الدعاوى نقطع بوجود الباطل. فطريق الحقيقة ينبغي أن
 لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه.

يقول البروفسور. ا.ب. ماندير:

«إن الحقائق التي نعرفها مباشرة تسمى «الحقائق المحسوسة» بيد أن
 الحقائق التي توصلنا إلى معرفتها لا تنحصر في «الحقائق المحسوسة» فهناك
 حقائق أخرى كثيرة لم نعرف عليها مباشرة، ولكننا عثرنا عليها على كل حال.
 و وسيلتنا في هذا السبيل هي الاستنباط، فهذا النوع من الحقائق هو ما
 نسميه «بالحقائق المستنبطة» و الأهم هنا أن نفهم أنه لا فرق بين الحقيقتين. و
 إنما الفرق هو في التسمية من حيث تعرفنا على الأولى مباشرة، و على الثانية
 بالواسطة.

و الحقيقة دائماً هي الحقيقة سواء عرفناها بالملاحظة أو بالاستنباط».

و يضيف ماندير:

«إن حقائق الكون لا تدرك الحواس منها غير القليل، فكيف يمكن أن
 نعرف شيئاً عن الكثير الآخر؟ هناك وسيلة هي الاستنباط أو التعليل. و
 كلاهما طريق فكري، نبتدئ به بواسطة حقائق معلومة حتى ننتهي بنظرية: أن
 الشيء الفلاني يوجد هنا و لم نشاهده مطلقاً»

و هنا نتساءل: كيف يصح الاستنباط المنطقي لاشياء لم نشاهدها قط و
 نسمي هذا الاستنباط حقيقة علمية؟ و يجب ماندير: «إن المنهج التعليلي

صحيح، لأن «الكون» نفسه عقلي».

«إن الوقائع المحسوسة هي أجزاء من حقائق الكون، غير أن هذه الحقائق التي ندركها بالحواس قد تكون جزئية، وغير مرتبطة بالأخرى، فلوطالعناها فذة مجردة عن أخواتها فقدت معناها مطلقاً. فأما إذا درسناها في ضوء الحقائق الكثيرة مما علمناه مباشرة أو بلا مباشرة فاننا سندرك حقيقتها»

(عن كتابنا الضمان الاجتماعي - ص ٢٥٢)

فعلى هذا نتوقف معرفة الحقيقة على الاستنباط الفكري فقط. أما المحسوسات فهي حقائق حسية وواسطة للتعرف على الحقائق الفكرية، فالمدار على إقرار الفكر لتلك الحقائق، لأن الكون نفسه عقلي «فنبتدى بواسطة حقائق معلومة وننتهي بنظرية عقلية نحكم بها على اشياء غير محسوسة»

والمبرر لذلك، أن العقل إنما وجد وبنى هذا البناء ليقوم بهذا العمل و يكشف الحقيقة «كما يقول اينشتين» و النتيجة «أن الحقيقة دائماً هي الحقيقة من أي طريق عرفناها»

و طريق معرفتها «العقل - لان اكثر الحقائق عقلية - وقد يساعده الحس لأن الحقائق الحسية قليلة»

والعقل أتي ثمرة من ثمار الحقيقة ليدركها «وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» فالحقيقة تنادي بنفسها، وتلح على العقول لإدراكها، وأنها اختارت العقول لهذه المهمة.

«لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» (الانبياء ١٠)

«هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ» (الجاثية ٢٩)

فالحقيقة التي اختارت العقول «لتكون نبراساً» قد اختارت لها الانسان «ليكون قالباً» فلا بد لنا من استنطاقها لتتطق لنا بالحق، ونستنبط الحقائق العقلية ليبقى مبرر وجودنا قائماً. وإلا فقدنا مبرر وجودنا بدون شعور. وهكذا

تنطق الحقيقة:

«وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ ، وَ النَّجْمَ ،
مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» (النحل ١٢)

فمبرر تسخير كل هذه الأمور للإنسان هو أنه يحمل عقلاً يتعرف به على الحقيقة التي صنعته، فإذا لم يتعرف على الحقيقة أصبح وجوده بدون مبرر.
«وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ - لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ -
أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَ مَا يَشْعُرُونَ» (النحل ٢٠-٢١)

فلا بد لنا من الاستعانة بالحقيقة لتعرفنا نفسها، وإلا فإن عقولنا ستبقى قاصرة عن إدراكها، وستبقى الصورة التي نكوها عن الواقع غير سليمة لأنها مخترعة بحرية ينقصها النحو المعين المبرر للأبنية العقلية.

بقول فرانسيس بيكون: (١٥٦١-١٦٢٦م)

«إذا ما صادف عقل الإنسان أسباباً مبعثرة (في الطبيعة) فقد يقف أحياناً عندها و لا يتابع المسير إلى ما وراءها، و لكنه إذا أنعم النظر فشهد سلسلة الأسباب كيف تتصل حلقاتها، فإنه لا يجد بدأ من الارتقاء في أحضان العناية الإلهية و التسليم بالله. و ليس في العالم شيء عارض. فكل شيء مرسوم معين، أي أنه نتيجة نظام مخطط أصلاً. فالمصادفة اسم لشيء ليس له وجود. و أعظم هدف لنا في الحياة إذن: هو الكشف عن نظام الكون المرسوم، ثم

ملائمة مطامعنا لهذا الرسم أو النموذج» (عن اعلام الفلاسفة ص ٢١٠)
و يقول بيكون لأجل كيفية الاهتداء إلى الكشف عن نظام الكون المرسوم
ومعرفة الحقيقة:

«إن القليل من الفلسفة يميل بعقل الإنسان إلى الإلحاد؛ ولكن التعمق فيها ينتهي بعقول الناس إلى الإيمان». فكيف يتمكن الإنسان أن يتجنب الوقوع في الأخطاء و لا يقع في الإلحاد؟
و ما يجيب به بيكون «بأن التعمق بالفلسفة ينتهي بعقول الناس إلى

الايان» تنقضه مشاهدة بعض المتعمقين الذين يزدادون إلحاداً! فالتعمق وحده غير كاف. ويجب على هذه الناحية بأن التعمق الهادف هو الموصل للايمان، ولا بد له من الاستعانة بالحقيقة نفسها لنعرفها، لأن عقولنا، اصغر منها فيقول: «وذلك لأن هناك عقلاً كبيراً في السماء يرشد ويهدي عقولنا الصغيرة على

الأرض»

وقد تلخص لدينا لكي نعلم وجوب الاحاطة بهذه الأمور:
أولاً - أن نعلم أن هناك قوانين حتمية كلية دقيقة تقع بموجبها أحداث الطبيعة.

ثانياً - أن نعلم أن تلك القوانين مرسومة بخطة متكاملة من قبل عقل مدبر.

ثالثاً - العلم بتلك القوانين هو مبرر عقولنا و وجودنا.

رابعاً - الحقيقة هي الحقيقة من أي طريق عرفناها.

خامساً - الحقائق الكبرى تدرك بالاستنباط

سادساً - دراسة الحقائق الحسية مجردة يفقد هامعناها فلا بد من دراستها في

ضوء الحقائق الكثيرة المعلومه ولوغير مباشرة

سابعاً - وهو الاهم أنه لا بد لأدراك تلك القوانين و معرفة الحقيقة: من

الارتقاء في أحضان العناية الإلهية و الاستعانة «بالله» العقل الكبير الذي يهدي

عقولنا الصغيرة.

و على ضوء هذه الأمور السبعة نتعرف علوم الإمام المعصوم عليه السلام و

إلى أي مدى تصل.

من أين يستقي الإمام عليه السلام علمه؟

تقدم في الأمر الثاني: أن القوانين مرسومة ضمن خطة متكاملة من قبل

مدبر. و في الأمر الثالث: أن عقولنا هي الحاكم و المبرر لوجودنا؛ وهي تستقي

من العقل الكبير لتدرك الحقائق كما في الأمر السابع. و العقل الكبير جعل عقولنا أسياد جوارحنا، و رؤساءها، فهو لم يتخل عن كل فرد منا حتى أقام عليه سلطاناً و رئيساً لينظم له حياته الشخصية الخاصة، و لولا ذلك لاختلت حياته كما نشاهد من سلب عنه سلطان العقل. فأين الرئيس في الخطة المتكاملة لكي يحافظ عليها و يعرف قوانينها الحتمية؟ لأنه بدونها يختل نظامها كما في كل الحقائق المدركة.

الإمام المعصوم هو الرئيس الذي يحافظ على القوانين الكلية الحتمية الدقيقة و يحكم بما أمر الله لأنه امتداد للنبوة. و قد تقدم في تفسير معنى الإمام ذلك

فعلمه من علم النبي صلى الله عليه وآله و علم النبي من علم «الله الذي لا إله إلا هو وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا» (طه ٩٨)

الفصل الثاني

علم الله سبحانه

علم الله سبحانه تستحيل الإحاطة به و معرفته «وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ» (البقرة ٢٥٥)

ولكنه «عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» و أذن له «بمشاء» فكانت إحاطة الانبياء عليهم السلام بالعلم هي بالمقدار المسموح به من قبله لأنه تعالى «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ» (الجن ٢٦-٢٧)

العلوم في القرآن الكريم

«إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ» (الاسراء ٩)
«وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ» (الكهف ٥٤) «وَلَقَدْ نَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ» (الاسراء ٨٢) «لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً» (الحشر ٢١)

ففي القرآن الكريم جميع العلوم على اختلاف أنواعها، وتعدد موضوعاتها، وكثرة قواعدها، وتنوع قوانينها الحتمية وقد قال عنه سبحانه «مَا قَرَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ» (الانعام ٣٨)

فأعطى بعضهم نوعاً من العلم، وأعطى بعضاً آخر نوعاً غيره، وأعطى غيرهم علماً آخر، وخص قسماً ببعض علم الكتاب، واختص صفوته بعلم الكتاب كله، وسلخه عن بعض ممن لم يرع للعلم حرمة.

وبهذه الانواع من العلوم قام الذين اوتوا بعضاً من هذا العلم بتعليم أبناء عصورهم، وتحديثهم في كل علومهم فلم يتمكن أحد مقابلة التحدي أو دفعه، فكانوا غالبين في كل المجالات.

كيفية التعلم

تقدم في الأمر الرابع «أَنَّ الْحَقِيقَةَ هِيَ الْحَقِيقَةُ مِنْ أَيِّ طَرِيقٍ عَرَفْنَاهَا» فالمهم هو الوصول إليها «قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ، أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ ظَرْفُكَ» (النمل ٤٠)

فالحقيقة أنه أضحى به قبل ارتداد الطرف، أما الكيفية فهي حتماً خاضعة للقوانين الكلية الدقيقة الحتمية فلا بد أن الاستعانة بالعقل الكبير كانت سبيلاً لادراك الحقائق الكبرى بالاستنباط.

فالعقل الكبير خلق تلك القواعد و القوانين و لابد أن يعرفها أهلها ليعلموها الناس حتى تتأتى فوائد الخطة المرسومة بدقة، فكان يؤتي العلم و الحكمة بما شاء، و لمن شاء، بالشروط العلمية التي وضعها، و الاختبارية التي سنها، فن نجح اختباراً و اختياراً أعطي من العلم بمقتضى الحكمة، و حرم الباقون، فمنهم من أخذ العلم و تلقاه صبيّاً، و منهم من تلقاه رحمة من الله إلى ما هنا لك من الصور و الأساليب.

قال تعالى: «يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا» (مرم ١٢) و قال: «وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا» (الكهف ٦٥) «فَالْوَاكِيْفُ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا؟ قَالَ: إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا» (مرم ٢٩-٣٠)

بينما لم تتسع طاقة بعض من اوتي العلم لاحتماله فانسلخ منه فكان مثلاً كمثل الكلب يلهث طالباً و مطلوباً.

«وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا» (الاعراف ١٧٥) فالعلم لا يستقر إلا في الأوعية القابلة لاحتماله، و المحافظة على شرف مكانته، و الباذلة له لأهله، فلذلك اختار المعلم الأول بشراً مؤصلين لاحتمال علمه، و حملهم إياه بعد ما اختبرهم فوجدهم أهلاً لذلك.

علم النبي صلى الله عليه وآله

«وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذُنِهِ مَا يَشَاءُ» (الشورى ٥١)

فتعليم الأنبياء و الرسل كان من الله بواسطة الوحي جملة و تفصيلاً. «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» (النجم ٤-٣) و هذا الوحي هو تعليم الانبياء و البشر الأصفياء شتى أنواع العلوم «عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ»

(النجم ٥) فحسب الحاجة يكون التعليم، فتارة يأتي جملة بقواعد تشمل كل شيء، فلا تمر حادثة أو يقدر لها أن تمر الآو يكون علمها عند الموحى إليه، و أخرى يعطى علمها في زمان وقوعها، وهذه بعض صور التعليم:

«وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» (البقرة ٣١) «وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (الانبياء ٧) «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ» (النحل ٨٩)

هذا نوع من العلوم الشاملة التي تعلم كل شيء، فمن احتاج لشيء فعليه أن يرجع لأهل الذكر لكي يعلموه لأنهم تعلموا من الوحي كل ما يحتاجه الناس، و بين أيديهم كتاب «تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ» ولديهم قواعد الاستنباط التي لا

تخطئ «والحقيقة هي الحقيقة من أي طريق عرفناها» فكيف إذا كانت بتعليم الله سبحانه. «وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» (النساء ٨٣)

و أما انواع العلوم التي تأتي عند الحاجة، و وقع الاحداث، فكثيرة لا تحصى، وهذه بعض أنواعها:

«إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ، وَ أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطَ وَ عِيسَى وَ آيُوبَ وَ يُوسُفَ وَ هَارُونَ وَ سُلَيْمَانَ وَ آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا» (النساء ١٦٣)

و لكل نبي من هؤلاء وغيرهم من الأوصياء و العباد الصالحين. و حي بأحداث خاصة و أمور تفصيلية.

«ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَ هُمْ يَمْكُرُونَ» (يوسف ١٠٢)

«قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ، فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ» (الشعراء ٦٢-٦٣)

ويتوالى الوحي في الاحداث الخاصة، للاستقاء، وابطال كيد السحرة، و
تخليص بني اسرائيل، وما إلى ذلك . وتتسع دائرته ليشمل العباد الصالحين
ليتولى تعليمهم .

«وَإِذْ أُوحِيَ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي» (المائدة ١١١)
«إِذْ أُوحِيَ إِلَى أُمَّكَ مَا يُوحَى» (طه ٣٨) «وَأُوحِيَ إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ
أَرْضِعِيهِ» (القصص ٧)
«فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا. وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا
عِلْمًا» (الكهف ٦٥)

ويشمل جميع أسباب المعاش والماديات:

«إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ، وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا»
(الكهف ٨٤)

«وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ» (الأنبياء ٨٠)
«وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ، وَأَوْتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»
(النحل ١٦)

وانتشر التعليم بجميع أنواعه وأسبابه، ومنافعه ومضاره.

«يَتْلُوا عَلَيْنَهُمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» (الجمعة ٢)
«وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ» (الانعام ٩١)
حتى تناول التعليم الايجابي غير الانسان

«وَأُوحِيَ رَبُّكَ إِلَى التَّخْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا» (النحل ٦٨)
«وَأُوحِيَ فِي كُلِّ سَّمَاءٍ أَمْرَهَا» (فصلت ١٢) «بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا»
(الزلزلة ٥)

ولم يقتصر التعليم الايجابي على الله، بل يشمل كل تعليم يصل إلى الناس بدون
أن يتبين مصدره.

«وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ» (الأنعام ١٢١)
«وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ
إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا» (الأنعام ١١٢)

فلا بد و احواله هذه من الرجوع إلى القواعد و القوانين الدقيقة الحتمية حتى يكون العلم صحيحاً و متأثراً ضمن الخطة المرسومة المتكاملة، فتفرض الأمور السبعة التي تلخصت لدينا ميزاناً للعلم نفسها، حتى نتأكد أن علمنا مأخوذ من العقل الكبير المدبر، و ليس من وحي الشياطين.
و بالنهاية لا بد من الارتقاء في أحضان العناية الالهية.



علم الإمام مستقى من علم النبي صلى الله عليه وآله

بداية العلم من الله، لأنه الحقيقة التي لا بد أن تعرف نفسها، «وإلا لبقيت
مجهولة و كنزاً مخفياً»
و الإنسان بداية جاهلة، إلا ما علمه الله الذي «خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ
الْبَيَانَ» (الرحمن ٤)

والذي أرسل رسله ليعلموا الناس، و يخرجوهم من الظلمات إلى النور.
«كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ، وَ
يُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ» (البقرة ١٥١)
ولشرف العلم، و كونه كاشفاً عن الحقيقة، و موصلاً إلى القوانين الحتمية
المرسومة بدقة متناهية، رفع الله شأن العلماء و أعلى مراتبهم، و بذل لهم كل
العلوم التي آتاها أنبياءه، فإنه لم يُنزل علماً على نبي من أنبيائه إلا و بقي على
الارض و يتوارث. فعن أبي عبدالله عليه السلام قال:

«إِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي نَزَلَ مَعَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يُرْفَعْ، وَمَامَاتِ عَالِمٌ
فَذَهَبَ عِلْمُهُ وَالْعِلْمُ يُتَوَارَثُ» (الكافي حديث (٤) باب ورثة العلم)
و لذلك «يُرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ»
(المجادلة ١١)

وقد كان علم خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله جامعاً لكل العلوم السابقة المتوارثة من لدن آدم وحتى عصره، و ورثه الأئمة «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا» (فاطر ٣٢) و مكنه سبحانه في صدورهم حتى تبقى حجته قائمة على العباد، و يبقى حكمه محفظاً به، و يستمر العلم في الأرض كيلا يعود الانسان لبدائته الجاهلة، و تنتقض الخطة المرسومة بدقة. فقال سبحانه:

«بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» (الأنكوت ٤٩)
فالعلم محفوظ عند ورثته بقواعده و تفصيلاته، و إن جحد به الظالمون.
فالذين اوتوا العلم؛ أي ورثة الأنبياء المصطفون، يحفظون في صدورهم جميع القواعد العلمية، و القوانين الحتمية، و تكون تصوراتهم العقلية الحرة آتية وفق الواقع المرتبط بالانطباعات الحسية، و ذلك لأنها أتت مرتبطة بالساحة القدسية التي هي منشأ العلم.

كيفية انتقال علم النبي صلى الله عليه وآله للإمام عليه السلام

قلنا ان العلم هو معرفة الحقيقة، و أن مبرر الأبنية العقلية هو تكوين صورة عن الواقع مرتبطة بالعالم الفسيح للانطباعات الحسية، و هذا يحتاج اهم الأمور السبعة للعلم و هو الارتباط بالله.

و السبب في ذلك «أنه مع تمام الأمور الأخرى بدون السابع منها» لا تتكون النظرية على النحو المعين، لأنه قد يدخل فيها عامل آخر يعطل النتيجة، كمنظريه الكم الذي يتأثر بشدة الضوء وضعفه فتكون النتيجة احتمالية غير

حتمية، ويصبح العلم من وحي شياطين الانس، ومن زخرف القول فقط. و أما اضافة الأمر السابع «و هو الارتقاء في أحضان العناية الإلهية، و الاعتماد على العقل الكبير لاسترشاده فإن النظرية تأتي حتمية، لأنها تكونت وفق أدق الموازين، و بمعرفة كل الحالات التي يمكن أن تؤثر عليها، و بمعرفة كل الحالات القائمة في لحظة ما، التي تمكن من التنبؤ بالمستقبل، و هذه الحالات هي التي مكنت عباد الله الصالحين من العلم و المعرفة، و الإتيان بالخوارق التي يعجز عنها سائر البشر.

ذكر سبحانه نماذج عن الذين آتاهم العلم و صنعوا به العجائب و لم يكونوا

من الانبياء.

النموذج الأول:

«قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ» (النحل ٤٠) فنرى أن العلم الذي

عنده هو من الكتاب.

ومن للتبعض. فعنى ذلك : أن عنده بعض العلم، و قد كان إنجازه بهذا البعض عظيماً أدهش علماء عصره، و خذل به عفاريت الجن، و اختصر به الزمان، فأتى بالعرش من مسافة آلاف الكيلومترات قبل ارتداد البصر.

النموذج الثاني:

صاحب العلم اللدني، و هو العبد الصالح الذي طلب إليه نبي «من أنبياء أولي العزم» أن يتعلم منه و لم يتمكن من تحمل علمه و الصبر عليه حتى قال له العالم «هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَ بَيْنِكَ» (الكهف ٧٨) فافترقا. و يكفينا تفسيره للاحداث لنعرف مبلغ علمه و أنه جار على قواعد سليمة، مصدرها قر به من الساحة القدسية.

النموذج الثالث:

ذوالقرنين «إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا»
فآتيناه تدل على مبلغ العناية به، ومصدر القوة لديه وأنها من الله، وقد فعل بها
الخوارق معترفاً بأنها من الله الذي أحاط بكل شيء خبراً «قَالَ: مَا مَكَّنِّي رَبِّي
خَيْرٌ» (الكهف ٩٥)

وهناك نماذج كثيرة عن علوم غير الانبياء في القرآن، وظهور الكرامات و
الخوارق على أيديهم كفتية الكهف وأهل الرقيم، وذكر سبب الكرامة لهم
«إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى» (الكهف ١٣)

ويذكر سبحانه نماذج عن علم خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله تفوق جميع
النماذج التي ذكرت لجميع العلماء والرسول والأنبياء وطبيعي أن يكون كذلك
لأن تكامل العلم واتساع المدارك البشرية يفرض أن يأتي أناس متعمقون في
العلم يستوعبون علم العصور الماضية، ويستنبطون علوماً جديدة، ومن يكون
حجة على هؤلاء، ومعلماً لهم من قبل الله يفترض فيه أن يكون اعلم منهم، و
إلا تبطل حجته. وقد كان النبي محمد صلى الله عليه وآله يعلم علم جميع الانبياء
والعلماء وعلم الكتاب كله. «قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَنِي وَبَنَاتِكُمْ وَمَنْ
عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» (الرعد ٤٣) «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ
شَيْءٍ» (النحل ٨٩)

وأصبحت الصورة واضحة، فالذي يعلم بعضاً من الكتاب أتى بخوارق لم
يزل علماء العصر لم يكتشفوها، فكيف بمن يعلم الكتاب كله وفيه تبيان لكل
شيء؟ ما هو مقدار علمه؟ وكيف يستطيع العلماء اكتشاف علمه؟
للإجابة على السؤال نختصر الطريق فنقول؛ أما علم الكتاب ففيه تبيان
لكل شيء، أو بالأحرى «تبيانا لكل شيء» و فرق بين التعبيرين. لأن

«تبياناً» لا يحتاج لبحث و تفتيش عن القواعد، فهو تبياناً لها، أي حالة كونه موضحاً لها، فتؤخذ واضحة جاهزة للتطبيق: «بيننا الاخرى تحتاج للتقيب حتى تجد القاعدة العلمية» فهو لم يترك شيئاً إلا أوضحه، فلذلك قال سبحانه ونزلنا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا، ولم يقل فيه تبيان.

و أما مقدار علم من أنزل عليه الكتاب، فقد أحاط بما كان، وبما يكون، و بما هو كائن إلى يوم القيامة و هذا العلم كله علمه النبي صلى الله عليه وآله للأئمة عليهم السلام.

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَمَعَ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سُنَنَ النَّبِيِّينَ مِنْ آدَمَ وَ هَلَّمَ جَرًّا إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قِيلَ لَهُ: وَمَا تِلْكَ السُّنَنُ؟ قَالَ: عِلْمَ النَّبِيِّينَ بِأَسْرِهِ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صَبَّرَ ذَلِكَ الْعِلْمَ كُلَّهُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. (الكافي حديث ٦ الأئمة ورثة العلم)

وَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي نَزَلَ مَعَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يُرْفَعْ، وَ الْعِلْمُ يُتَوَارَثُ وَ كَانَ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَالِمٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَإِنَّهُ لَمْ يَهْلِكْ مِنَّا عَالِمٌ قَطُّ إِلَّا خَلَقَهُ مِنْ أَهْلِهِ مَنْ عِلِمَ مِثْلَ عِلْمِهِ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ. (حديث ٢ نفس المصدر)

يقول علي عليه السلام في كيفية تلقيه العلم من النبي صلى الله عليه وآله:
«وَ قَدْ عَهَدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَ بِمَهْلِكٍ مَنْ يَهْلِكُ، وَ مَنْجَى مَنْ يَنْجُو، وَ مَالٍ هَذَا الْأَمْرِ، وَ مَا أَقْبَى شَيْئًا يُمَرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَوْرَعَهُ فِي أَدْنِي وَ أَقْضَى بِهِ إِلَيَّ» (خطبة ١٧٥)
و يقول في (الخطبة ١٢٨):

«لَيْسَ هُوَ يَعْلَمُ غَيْبٍ، وَإِنَّمَا تَعَلَّمُ مِنْ ذِي عِلْمٍ» و بعد أن بين معنى علم الغيب قال:

«وَمَا سَوَى ذَلِكَ ، فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ . وَدَعَا لِي بِأَنْ يَبْعِيَهُ صَدْرِي وَتَضَطَّمَ عَلَيْهِ جَوَانِحِي» .

وإذا أردنا أن نجري هذا العلم على القواعد التي ذكرها في الأمور السبعة السابقة، نجد أنه لا يخرج عنها خصوصاً الأمر السابع. لأن معنى «عَلَّمَنِيهِ» أعطاني قواعده - و القواعد غير كافية ما لم تكن مرتبطة على نحو معين بعالم الانطباعات الحسية- وهذا الارتباط بالذات يحتاج إلى الوعي واطمئنان الفؤاد إلى ما وصلت إليه القواعد من استنباط، فكانت الفقرة الأخيرة هي اهم ما في العلم وهي الوعاء له: «بَأَنْ يَبْعِيَهُ صَدْرُهُ وَتَضَطَّمَ عَلَيْهِ جَوَانِحُهُ» وهو ما عبرنا عنه «بالارتقاء في أحضان العناية الإلهية» فن شروط انتقال العلم للإمام هو الوعي.

و يقول الإمام عن القلوب بأنها: «أَوْعِيَةٌ وَخَيْرُهَا أَوْ غَاها» (حكم ١٤٧) فالعلم لا يمكن أن يكون القلب واعياً ومطمئناً فلا يتمكن على حمل العلم، بينما النخبة المؤصلة التي اختبرها الله واختارها لحمل علمه لها من الوعي ما تستطيع به تحمل مسؤولياتها كاملة، وصيانة العلم لتأدية الأمانة لأصحابها، فهم كما يصفهم الإمام عليه السلام: «عَمِشَ الْعِلْمَ وَمَوْتُ الْجَهْلِ... عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلًا وَغَايَةَ وَرِعَايَةَ، لَا عَقْلَ سِمَاعٍ وَرِوَايَةَ، فَإِنَّ رِوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرِعَايَتُهُ قَلِيلٌ» (خطبة ٢٣٩)

فالوعي والرعاية واضطمام الجوانح على العلم، هو العلم، وهي المعرفة التي تربط بين القوانين والأحداث.

وقد أكد الإمام الصادق عليه السلام هذا الوعي بقوله: «ليس العلم في السماء فتستنزله، أو في الأرض فتستخرجه وإنما هو كامن في جبلتكم. تخلقوا بأخلاق الروحانيين يكشف لكم».

وقوله: «لَيْسَ الْعِلْمُ بِالْتَعَلُّمِ؛ إِنَّمَا هُوَ نُورٌ يَقَعُ فِي قَلْبٍ مِنْ يَرِيدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَهْدِيَهُ. فَإِذَا أُرِدْتَ الْعِلْمَ: فَاطْلُبْ: أَوَّلًا فِي نَفْسِكَ الْعِبُودِيَّةَ. وَاطْلُبْ

العلم باستعماله، واستفهم الله يفهمك»
 فالعلم يحتاج اتصالاً روحانياً، واطمئناناً قلبياً حتى يؤتي أكله. فاستعمال
 القواعد بدون الاتصال الروحي واستفهام الله «و هو المصدر الأول لكل
 العلوم» والتعب له، يخل بوعي المعادلة ويدخل عليها عاملاً لم يحسب حسابه
 بدقة، فتأتي النتيجة سلبية.
 فلا بد لاستيعاب العلم من التموغ بأعتاب الساحة القدسية حتى يكون المتعلم
 من دعاة العلم ورعاته.

مبلغ علم الإمام

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «لَمْ يُعَلِّمِ اللَّهُ مُحَمَّدًا
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عِلْمًا إِلَّا وَ أَمْرَهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ» (كافي
 حديث ١ كتاب الحجّة ص ٢٠٥)

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «لَا وَاللَّهِ! لَا يَكُونُ عَالِمٌ جَاهِلًا
 أَبَدًا، عَالِمًا بِشَيْءٍ جَاهِلًا بِشَيْءٍ. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ أَجَلٌ وَأَعَزُّ وَأَكْرَمُ مِنْ أَنْ
 يَفْرَضَ طَاعَةَ عَبْدٍ يَعْجُبُ عَنْهُ عِلْمَ سَمَائِهِ وَ أَرْضِيهِ، ثُمَّ قَالَ: لَا يَعْجُبُ
 ذَلِكَ عَنْهُ». (نفس المصدر)

عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «مَبْلَغُ عِلْمِنَا عَلَى ثَلَاثَةِ
 وُجُوهِ، مَا يُضِرُّ، وَ غَائِبٌ، وَ حَادِثٌ. فَأَمَّا الْمَاضِي فَمُفَسَّرٌ، وَ أَمَّا الْغَائِبُ
 فَمَزْبُورٌ، وَ أَمَّا الْحَادِثُ فَقَدْ دُفِيَ فِي الْقُلُوبِ، وَ نَقَرَ فِي الْأَسْمَاعِ، وَ هُوَ
 أَفْضَلُ عِلْمِنَا وَ لَا نَبِيَّ بَعْدَ نَبِيِّنَا». (نفس المصدر)

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَتْهُ عَنْ عِلْمِ الْعَالِمِ؟ فَقَالَ...: «إِنَّ
 فِي الْأَنْبِيَاءِ وَ الْأَوْصِيَاءِ خَمْسَةَ أَرْوَاحٍ: رُوحَ الْقُدُسِ وَ رُوحَ الْإِيمَانِ، وَ

رُوحَ الْحَيَاةِ، وَرُوحَ الْقُوَّةِ، وَرُوحَ الشَّهْوَةِ، فَبِرُوحِ الْقُدُسِ... عَرَفُوا مَا تَحْتَ الْعَرْشِ إِلَى مَا تَحْتَ الثَّرَى ثُمَّ قَالَ...: إِنَّ هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ أَرْوَاحُ يُصِيبُهَا الْحَدَثَانِ، إِلَّا رُوحَ الْقُدُسِ فَإِنَّهَا لَا تَلْهُو وَلَا تَلْعَبُ». (نفس المصدر ص ٢١٤)

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سَأَلْتُهُ عَنْ عِلْمِ الْإِمَامِ بِمَا فِي أَفْطَارِ الْأَرْضِ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ مُرْحَى عَلَيْهِ سِتْرُهُ؟ فَقَالَ: يَا مُفَضَّلُ! «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَمْسَةَ أَرْوَاحٍ: ١- رُوحَ الْحَيَاةِ، فِيهِ دَبٌّ وَدَرَجٌ، ٢- وَرُوحَ الْقُوَّةِ، فِيهِ نَهَضٌ وَجَاهِدٌ. ٣- وَرُوحَ الشَّهْوَةِ، فِيهِ أَكْلٌ وَشَرِبٌ وَآتَى النِّسَاءَ مِنَ الْحَلَالِ. ٤- وَرُوحَ الْإِيمَانِ، فِيهِ آمَنٌ وَعَدَلٌ. ٥- وَرُوحَ الْقُدُسِ، فِيهِ حَمَلٌ النَّبُوَّةِ.

فَإِذَا قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ انْتَقَلَ رُوحُ الْقُدُسِ فَصَارَ إِلَى الْإِمَامِ، وَرُوحُ الْقُدُسِ لَا يَنَامُ وَلَا يَغْفُلُ وَلَا يَلْهُو، وَلَا يَزْهُو، وَالْأَرْبَعَةُ الْأَرْوَاحُ: تَنَامُ وَتَغْفُلُ وَتَزْهُو وَتَلْهُو، وَرُوحُ الْقُدُسِ كَانَ يُرَى بِهِ». (نفس المصدر ص ٢١٤)

فبلغ علم الإمام عليه السلام هو مبلغ علم النبي صلى الله عليه وآله يعني: علم ما كان، وما يكون، وما هو كائن إلى يوم القيامة. وتلخيص هذه النظرية يتضح بالأمور الآتية:

أولاً - أن علم الله سبحانه وتعالى لا يحاط به.

ثانياً - أن الله سبحانه مبدأ العلم «فهو المعلم الأول، يُعَلِّمُ مَا شَاءَ، لِمَنْ شَاءَ، كَيْفَ شَاءَ»

ثالثاً - أن علم الغيب أصناف كثيرة، استأثر لنفسه ببعض أصنافه وعلم عباده بعضها.

رابعاً - أنه أقام حجة تدعو إليه، ويحتج بها على الخلق.

خامساً - أنه لا بد للحجة أن يكون أعلم الناس ويزود بذلك من عنده، وإلا

لبطلت حجته على خلقه.

سادساً أن حجته: الأنبياء وبعدهم الأوصياء، أي الأئمة فهم امتداد للنبوة بدون أن يكونوا أنبياء.

وعلى هذا ينبغي أن يكون علم الإمام كعلم النبي صلى الله عليه وآله وبنوع من الوحي - لا كالوحي للنبي صلى الله عليه وآله - وإنما كالوحي إلى أم موسى علي نبينا وآله وعليه السلام، أو الوحي إلى الخواريين، أو كوحي زكريا إلى قومه «فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا» (مريم ١١) أو كوحي الله للنحل: أو هو الوحي نفسه الذي أوحاه الله إلى الأئمة بقوله «وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا، وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ» (الأنبياء ٧٣)

وما أكثر الوحي والايحاءات من الله إلى عباده، وإنني أعتقد جازماً بأنه ما من إنسان إلا وأوحى إليه من ربه بنحو من أنحاء الوحي، ولكن أكثر الناس لم يتلقوا تلك الرسالة الإيمانية بقبول حسن فضاعت الفرصة الذهبية عليهم، و تلقوا وحيًا من شياطينهم فتقبلوه وأصغت أفئدتهم إليه فضلوا وأضلوا، وجعلوا وحيًا يقابل وحيًا كما قال سبحانه: «لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ» «وَأَنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ» (الانعام ١١٢ و ١٢١)

فالوحي لا إشكال فيه و بأنه يهبط على غير الأنبياء و على الكفار من الناس، وعلى غير الإنسان، لأنه على أنحاء متعددة، فكيف لنا أن نميز بين أنحاءه؟

يكون التمييز بين أنحاء الوحي، بنفس أسلوب التمييز بين النبوة و ادعائها، فالنحل عندما أوحى إليها باتخاذ البيوت، كانت النتيجة «يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ» (النحل ٦٩)

و أما الحية أو الشيطان لو ادعيا ان الله أوحى لها أن يفعل ما يفعلان فإن فعلها يكذبه الواقع لمن التي له السمع. لأن نتيجة ادعاء الوحي لا تتناسب

مطلقاً مع العقل.

وقد ميز الإمام عليه السلام بين أنحاء الوحي وأعطى تفسيراً له؛ قال أبو عبد الله عليه السلام عند ذكر المحدث: «إِنَّهُ يَسْمَعُ الصَّوْتِ وَلَا يَرَى الشَّخْصَ. فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ كَيْفَ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَلَامُ الْمَلِكِ؟ قَالَ: إِنَّهُ يُعْطَى السَّكِينَةَ وَالْوَقَارَ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ كَلَامُ مَلِكٍ». (الكافي باب محدثون ص ٢١٣ حديث ٤)

فإذا وضعنا هذه الاحاديث في ميزان العلم السابق، نجدها تنطبق عليه انطباقاً كاملاً، فكل العلماء يسعون للوصول إلى هذه النقطة الدقيقة (وهي الاخيرة أي السابعة) للكشف عن الحقيقة فإنها أهم وأدق النقاط كما تقدم، حيث بواسطتها ينفي احتمال الخطأ عن التصورات العلمية التي تطابق الخارج، وهي وحدها الآن مدار بحثهم ومحاولتهم الوصول إليها؛ ولكنها لا تتأق عبثاً! لأنها الحقيقة التي تنشدها البشرية منذ الزمن الأول، وأقيمت و تقام حولها التجارب والعلوم والرياضات الشرقية والغربية والهندية، والمغناطيسية، إنها السر! ولا يُلقاها إلا ذو حظ عظيم.

فقول الإمام قذف في القلوب ونقر في الاسماع، بحال السكينة والوقار، و اطمئنان القلوب و هدوء الانفس، هو العلم كل العلم، وهو أفضل علمنا بدون نبوة.

هذه الحال هي أم العلوم، لأن جميع النظريات إذا درست في حالات مضطربة تأتي بنتيجة مضطربة غير سليمة، فلا بد لها من اطمئنان فكري و هدوء نفسي حتى يكشف لها الواقع، و تأتي الحقيقة مستتبطة بأدق موازين الاستنباط. وأي حقيقة أجلى من أن تشاهد الحقيقة مجردة بدون ستار؟

فعلم الائمة عليهم السلام بهذا النحو من الوحي يفتح وعي الانسان المؤمن أن يسلك نفس أسلوبهم في الحياة («إِنَّ الدِّينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ» (فصلت ٣٠) فالاستقامة المنبعثة عن الايمان بالمعلم

الأول) وانه هو المسدد، في كل الأمور) هي التي تمكن المؤمنين المراتب العلمية العالية والتي تصبح قواعدها لديهم ثابتة، لا تتخلف عنها النتائج، لأن سالكها ينظر بنور الله. قال صلى الله عليه وآله «إِنَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ» (كافي ص ١٧٠)

ومثل هذا العلم وصل إلى الغاية التي يسعى اليها العلماء، و النهاية التي يقصدونها، وهي معرفة الحقيقة.

فالحقيقة متجلية أمامهم لا غبار عليها، لأن الروح العلمية صينت لديهم، و حفظت من الضياع بينما ضيعت عند غيرهم. فما هي هذه الروح؟ التي هي «مِنْ أَمْرِ رَبِّي» و قد أضعافها الناس بعدم محافظتهم عليها، و هل الروح سوى العلم؟ «وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً» (اسراء ٨٥)

فانصراف الناس عن العلم أضعافه، أما ورثته من العلماء فقد حافظوا عليه فبقي لديهم يزداد و يأتلق «وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا» (طه ١١٤). فروح القدس التي هي العلم تنتقل من نبي إلى نبي إلى آخر الأنبياء صلوات الله عليهم ثم تنتقل للأوصياء، لأن العلم يتوارث، و هو ميراث الأنبياء فهو عند أوصيائهم.

هذه الروح العلمية لا تحل إلا محلاً يتمكن من استيعابها و حمايتها، فإذا وجدت مكاناً ضيقاً لا تحل فيه. و قد خص بها بعض الأنبياء دون بعض: «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ. مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ. وَ آتَيْنَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» (البقرة ٢٥٣)

فبأي شيء رفع بعض الانبياء درجات، وفضل بعضهم على بعض؟ أليس بالعلم؟ ثم إيتاء عيسى البيئات المؤيدة بروح القدس، أليست البيئات هي العلوم المؤيدة بالدليل و الكشف؟ فيكون روح القدس هو البرهان العلمي الذي زود الله به بعض أنبيائه ليم حجته على الخلائق. فتكون النتيجة: آتيانه

البيئات اي العلم وأيدناه بالبرهان.

فيكون روح القدس هو البرهان العلمي الذي لا ينام، ولا يغفل، ولا يلهو، ولا يزهو. وبه يرى الانسان الواقع. وهكذا يكون دائماً أصحاب الكشوف العلمية.

وبهذه الروح أي البرهان العلمي يعلم الإمام كل ما يريد.

«سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَنِ الْإِمَامِ؟ يَتَعَلَّمُ الْعَيْبَ؟ فَقَالَ: لَا! وَلَكِنْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَعَلَّمَ الشَّيْءَ أَعْلَمَهُ اللَّهُ ذَلِكَ وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ الْإِمَامَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَتَعَلَّمَ عُلِّمَ». (الكافي باب إذا شأوا أن يعلموا ص ٢٠١)

فالروح هو العلم، وَقَدْ سُئِلَ الْإِمَامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الرُّوحِ أَهْوَى جَبْرَائِيلُ؟ فَقَالَ: جَبْرَائِيلٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحُ غَيْرُ جَبْرَائِيلٍ... وَكَذَلِكَ عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ» قَالَ: خَلَقَ أَعْظَمَ مِنْ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ، كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ مَعَ الْأَئِمَّةِ يُسَدُّهُمْ وَلَيْسَ كَلِمًا ظَلَبَ وَجَدَ.

وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سُئِلَ عَنِ الْعِلْمِ. أَهْوَى عِلْمٌ يَتَعَلَّمُهُ الْعَالِمُ مِنْ أَقْوَاهِ الرِّجَالِ أَمْ فِي الْكِتَابِ تَفَرُّوْنَهُ فَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ؟ إِلَى أَنْ قَالَ: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا» (الشورى ٥٢) إِلَى أَنْ قَالَ: قَدْ كَانَ فِي حَالِ لَا يَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى الرُّوحَ الَّتِي ذَكَرَ فِي الْكِتَابِ، فَلَمَّا أَوْحَاهَا إِلَيْهِ عِلَّمَ بِهَا الْعِلْمَ وَالْفَهْمَ وَهِيَ الرُّوحُ الَّتِي يُعْطِيهَا اللَّهُ تَعَالَى مَنْ شَاءَ. فَإِذَا أُعْطَاهَا عَبْدًا عِلَّمَهُ الْفَهْمَ. (الكافي هو وما قبله باب الروح ص ٢١٤)

فالروح خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل، وهو ليس من الملائكة، وهو يسد الأنبياء والأئمة، وقد بعثه الله للنبي صلى الله عليه وآله فعلم به الكتاب والإيمان، وعلم به العلم والفهم، وهي الروح التي يعطيها الله من شاء. فإذا

أعطاهما عبداً علمه الفهم، وهو الذي ليس كلما طلب وُجد. فمن يكون؟
ليست هذه أدق مواصفات العلم؟ أينما حل يعلم صاحبه الفهم، ويعلمه
ما يجهل، ويسدده في جميع أعماله؟
وماذا يعني قول الله سبحانه:

«يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» بما ذا
ينزلهم؟ وما ذا يحملون؟ (النحل ٢)

ليس معنى ذلك أنهم يحملون العلم ليوصلوه إلى من يشاء عباده؟ لأن
معنى التنزيل أن يكون بشيء، فالله ينزل الملائكة «بالروح» وهو الشيء
المنزل. وهذا الشيء ما تنزل يفيد: «أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا» والانذار
إنما يكون بالعلم الذي علمه للمنذر. فيكون الروح هو العلم.

ثم ماذا يعني قوله تعالى:

«يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ»
(غافر ١٥)

فما هو هذا الشيء الذي يلقيه من أمره للانذار ويسميه «روحاً»؟ أليس
العلم؟ وسيأتي زيادة تفصيل لذلك في بحث علم الإمام الرضا عليه السلام عند
بحث المحدث.

والخلاصة هي أن علم الامام وراثي و ذوقواعد وقوانين ثابتة، فالوراثي
هو ما يعلم به أخبار الماضين، ولغات العالمين، ومنطق الطير والبهائم، و ذوق
القواعد ما يعلم به أخبار الليل والنهار وما يحدث في كل آن، حاشا علم
الغيب المكفوف عندالله، والمحتفظ به لنفسه، وكل علمه من عندالله لمكان
طاعته وتقواه وقربه من ساحته القدسية، والارتقاء في أحضان العناية الالهية.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ دَاوُدَ وَرِثَ عِلْمَ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ
سُلَيْمَانَ وَرِثَ دَاوُدَ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَرِثَ سُلَيْمَانَ وَإِنَّا

وَرَبَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ إِنَّا عِنْدَنَا صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ وَ الْوَاحِ
مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْعِلْمُ، فَقَالَ: لَيْسَ هَذَا
هُوَ الْعِلْمُ. «إِنَّمَا الْعِلْمُ مَا يَخْدُثُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ يَوْمًا بِيَوْمٍ وَ سَاعَةً
بِسَاعَةٍ». (الكافي ص ١٧٥)

«وَ عَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ «إِنَّ الْإِمَامَ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَظْعَنَ عَلَيْهِ فِي:
قِيمٍ، وَلَا بَظَنٍ، وَلَا فَرَجٍ. فَيُقَالُ كَذَّابٌ وَمَا أَشْبَهَ». (ص ٢٢٤) «عَنْ
أَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ الْإِمَامَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ كَلَامُ أَحَدٍ مِنَ
النَّاسِ، وَلَا ظَنِيرٍ، وَلَا بَهِيمَةٍ وَلَا شَيْءٍ فِيهِ الرُّوحُ فَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ هَذِهِ
الصِّفَاتُ فَلَيْسَ هُوَ بِإِمَامٍ» (كافي ص ٢٢٥ حديث ٧)

علم الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

مولده: اختلف في سنة ولادته فقبل سنة ١٤٨هـ وقبض سنة ٢٠٣هـ فيكون
عمره خمسا وخمسين سنة. وقيل ولد في ١١ ذى الحجة سنة ١٥٣هـ و
توفي سنة ٢٠٣هـ فيكونه عمره تسعا وأربعين سنة.
عاش مع الرشيد مدة أربعين سنة أوستأ وأربعين سنة لأن
الرشيد قبض سنة ١٩٣هـ مائة وثلاث وتسعين.
وعاش مع أبيه موسى الكاظم عليه السلام أربعاً وعشرين سنة
أو ثلاثين سنة.
علمه: سنعرض النموذج من علمه يوضح النظريات السابقة عن علم الأئمة
عليهم السلام.

١- قال له رجل: وَاللَّهِ مَا عَلِيٌّ وَجْهَ الْأَرْضِ أَشْرَفَ مِنْكَ أَبَا!
فقال: أَلْتَقَوِي شَرَفْتُهُمْ، وَ طَاعَةُ اللَّهِ أَخْطَتْهُمْ.

فقال له آخر: أَنْتَ وَاللَّهِ خَيْرُ النَّاسِ.
فقال له: لَا تَخْلِفْ يَا هَذَا! خَيْرِ مَتِي مَنْ كَانَ اتَّقَى لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَ
أَطَّوعَ لَهُ.^١

٢- عن اليقطيني قال: لما اختلف الناس في أمر أبي الحسن الرضا
عليه السلام جمعت من مسأله مما سئل عنه و أجاب عنه ثمانية عشر ألف
مسألة^٢

٣- عن موسى بن عمران قال: رأيت علي بن موسى في مسجد المدينة و
هارون يخطب.

قال: تَرُونِي وَ إِيَّاهُ نُذَفْنُ فِي بَيْتِ إِحِدٍ.^٣

٤- عن صفوان قال: لما مضى موسى بن جعفر عليه السلام و تكلم الرضا
عليه السلام خفنا عليه من ذلك ، فقلت له: إنك قد أظهرت شيئاً عظيماً وإنما
نخاف عليك هذا الطاغي. فَقَالَ: لِيَجْهَدَ جِهْدَهُ فَلَا سَبِيلَ لَهُ عَلَيَّ.^٤

٥- عن الهروي قال: كان الرضا عليه السلام يكلم الناس بلغاتهم، و كان
و الله أفصح الناس و أعلمهم بكل لسان و لغة. فقلت له يوماً: يا ابن رسول
إني لأعجب من معرفتك بهذه اللغات على اختلافها!؟

فَقَالَ: يَا أَبَا الصَّلْتِ أَنَا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَتَّخِذَ
حُجَّةً عَلَى قَوْمٍ وَ هُوَ لَا يَعْرِفُ لُغَاتِهِمْ. أَوْ مَا بَلَغَكَ قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ «أَوْتِينَا فَضْلَ الْخِطَابِ» فَهَلْ فَضْلُ الْخِطَابِ إِلَّا مَعْرِفَةُ
اللُّغَاتِ؟^٥

٦- محمد بن سنان قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام في أيام هارون: أنك

(١) بحار الانوار (ج ٤٩ ص ٩٥)

(٢) بحار الانوار (ج ٤٩ ص ٩٩)

(٣) بحار (ص ٦٣)

(٤) بحار (ص ١١٣)

(٥) بحار (ص ٨٧)

قد شهرت نفسك بهذا الأمر وجلست مجلس ابيك وسيف هارون. يقطر الدم؟ قال: جَرَأَنِي عَلَى هَذَا مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «إِنْ أَخَذَ أَبُوْجَهْلٌ مِنْ رَأْسِي شَعْرَةً فَاشْهَدُوا أَنِّي لَسْتُ بِبَنِيٍّ». وَأَنَا أَقُولُ لَكُمْ: «إِنْ أَخَذَ هَارُونُ مِنْ رَأْسِي شَعْرَةً فَاشْهَدُوا أَنِّي لَسْتُ بِإِمَامٍ»^١

٧- دخل عليه رسول هارون الرشيد فقال: أجب أمير المؤمنين. فقام عليه السلام فقال لي: يَا أَبَا الصَّلْتِ! إِنَّهُ لَا يَدْعُونِي فِي هَذَا الْوَقْتِ إِلَّا لِدَاهِيَةٍ، فَوَاللَّهِ لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَعْمَلَ بِي شَيْئًا أُكْرِهُهُ، لِكَلِمَاتٍ وَقَعَتْ إِلَيَّ مِنْ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. (وقرأ حراً)

فلما وقف بين يديه، نظر إليه هارون وقال: «يا أبا الحسن قد أمرنا لك بمائة ألف درهم و اكتب حوائج أهلِكَ».

فلما ولى عنه علي بن موسى عليه السلام و هارون ينظر إليه في قفاه، قال: «أردت، و أراد الله، و ما أراد الله خير».

هذا نموذج مختصر جداً عن علمه عليه السلام لاستخراج القاعدة العلمية التي يسير عليها، و يستنبط منها العلم، و إلا فعلمه لا يحصى لأنه يتفاعل مع عصره في كل ما يعرض له من مسائل، فهو من معين لا ينضب، و لقد أجب عن كل ما سئل عنه و وصفه ابراهيم بن العباس بقوله:

«ما رأيت الرضا عليه السلام سئل عن شيء قط إلا علمه، و لا رأيت اعلم منه بما كان في الزمان الى وقته و عصره». و كان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب فيه.

«و كان جوابه، و كلامه كله، و تمثله، انتزاعات من القرآن».

و كان يحتمه في كل ثلاث، و يقول: «لو أردت أن أختمه في أقرب من ثلاثة لختمت، و لكنني ما مررت بآية قط إلا فكرت فيها؟ و في أي شيء أنزلت؟ و في أي وقت؟ فلذلك صرت أختم في ثلاثة أيام»^١.
و قد مر في الحديث الثاني عن علمه أن شخصاً واحداً جمع له من مسائله و أجوبتها ثمانية عشر الفاً و كان علمه متنوعاً، فلم يقتصر على ناحية معينة، فهو يعلم:

١- جميع اللغات و سمي ذلك «فصل الخطاب» كما في الحديث الخامس.

٢- يعلم المستقبل كما في الاحاديث - الثالث و الرابع، و السادس، و السابع-

٣- يعلم منطق الطير و تركنا أحاديثه للايجاز، و لأن قوله أنا حجة الله على خلقه في الحديث الخامس يغني عن ذكرها، فالحجة وارث سليمان بن داود، «و وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِّمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ» (النمل ١٦)

٤- يخبر عن طرق العلم و البلوغ لأعلى مراتبه و أسباب نيل شرفه و الخطوة به كما في الحديث الأول و غيره مما يأتي ذكره، و يؤكد على وعي العلم.

القاعدة العلمية التي يستنبط منها

أولاً - التخلق بأخلاق الروحانيين - كما قال جده الصادق عليه السلام في

حديثه السابق و كما عبر عنه بـ «بالارتقاء في أحضان العناية الالهية» فهو عند ما يقول «التَّقْوَى شَرَفَتْهُمْ وَ طَاعَةُ اللَّهِ أَحْظَتْهُمْ» - في الحديث الأول- ويقول فيه «خَيْرٌ مِنِّي مَنْ كَانَ اتَّقَى لِلَّهِ وَأَطْوَعَ لَهُ» كان يعبر تعبيراً حياً عن الارتقاء بأحضان العناية الالهية عن وعي وإرادة، و التخلق بأخلاق الروحانيين عن عمد وبصيرة.

ثانياً - أخذ العلم من مصادره - فقد أخذ عن كتاب الله و عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما في الحديثين السادس، و السابع: «جَرَّأَنِي عَلَى هَذَا مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَعْمَلَ بِي شَيْئاً أُكْرِهُهُ لِكَلِمَاتٍ وَقَعَتْ إِلَيَّ مِنْ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ».

ثالثاً - وعي العلم و استيعابه، و التفكير فيه و استعماله، و استفهام الله و التفهم منه. كما في الحديث الأخير لابراهيم بن العباس «و كان كلامه كله و جوابه، و تمثله، انتزاعات من القرآن».

هذه هي الخطوط الأساسية لعلمه عليه السلام و هي الخطوط العامة لكل

علم منتج و بدونها يخبط المتعلم و العالم خبط عشواء.

فإذا توقفنا قليلاً عند «انتزاعات من القرآن» و هي الوصف لعلمه و كلامه و أجوبته و أمثله، نعرف عمق الفكر الذي يستعمله لانتزاع المعاني من القرآن، و بعد الوعي الذي يُفكر فيه، لاستخراج المعادلة العلمية الدقيقة، التي تلائم بين التصورات عن الواقع و العالم الفسحح المرتبط بها، و تكوّن النتيجة الصادقة لذلك و هي عملية دقيقة يشتط بها كثيرون، و لا يدركها إلا من أوتي حظاً عظيماً من الإدراك و المعرفة؛ فهو عليه السلام عندما يقول:

أولاً - «وَلِيَكْنِي مَا مَرَرْتُ بِآيَةٍ فَفَطُّ إِلَّا فَكَّرْتُ فِيهَا؟» فطبيعة الفكر فيها: إعمال دقيق للوعي من نواح متعددة، كي ترتبط التصورات مع الواقع: و قد شرع التفكير فيها و نوعه بقوله.

ثانياً - «وَفِي أَيِّ شَيْءٍ أُنزِلَتْ؟» وثالثاً - «وَفِي أَيِّ وَقْتٍ؟» ورابعاً - «فَلِذَلِكَ صِرْتُ أَخْتِمُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ».

فقد كان يناقش في تفكيره جميع الاحتمالات التي قد تؤثر في مسير الأحداث، ويعمق التفكير فيها ويضع في حساباته، عامل السبب والمادة «فِي أَيِّ شَيْءٍ أُنزِلَتْ» وعامل الزمن «وَفِي أَيِّ وَقْتٍ» ومدى تأثير هذين العاملين أو أحدهما أو غيرهما عليها.

فقد يكون لها أو لأحدها أو غيرهما تأثير على الحادثة فيضع ذلك في حسابه، ويأخذ مهلة للتفكير الملي في هذه العوامل، ثم يضع استنتاجاته قيد التطبيق فتأتي متوافقة تماماً مع الواقع، وقد يخونه صدق التطبيق - ونادراً ما يقع - فتأتي النتائج على خلاف رغبته، وإن كانت لا تخرج عن نطاق علمه.

فبينما نراه يجزم بأن هارون لا ينال منه شعرة، ويتحدى من يخوفه من سيفه الدامي، ويقطع بدفنه معه في غرفة واحدة، ويخبر عن مغيبات كثيرة تقع كما يقول، نجده من ناحية ثانية بعلم بأنه قد لا يخالفه في إصابة ما يريد في بعض الأحيان بسبب ما. «قد يكون علم الغيب الذي استأثر به المعلم الأول لنفسه أو غيره من الأسباب».

فقد جاء - في تعليقه لعلم حادثة خاصة - قوله: «غاب عنه المحدث»

والحادثة جاءت على الشكل الآتي:

«قال عبدالله بن طاوس، قلت للرضا عليه السلام: إن يحيى بن خالد سمَّ أباك موسى بن جعفر عليه السلام؟ قال: نَعَمْ؛ سَمَّهُ فِي ثَلَاثِينَ رُطْبَةً. قلت له: فما كان يعلم أنها مسمومة؟»

قَالَ: غَابَ عَنْهُ الْمُحَدِّثُ. قُلْتُ؛ وَمَنْ الْمُحَدِّثُ؟ قَالَ: مَلَكٌ
أَعْظَمُ مِنْ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ، كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ
مَعَ الْأَثْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَلَيْسَ كَلِمًا ظَلَبَ وَجِدًا»^١

فالمحدث ملك أعظم من جبرائيل و ميكائيل كان مع رسول الله
صلى الله عليه وآله و هو مع الأئمة و ليس كلما طلب وجد.
هذه أوصاف المحدث الذي يغيب أحيانا عن الإمام ولو طلبه لم يجده؛ فن
يكون؟

باعتبار أن المحدث أعظم من جبرائيل و ميكائيل فقد يكون ملكاً من
صنف آخر. غير أصناف الملائكة التي منها جبرائيل، فإن الله عندما أمر
الملائكة بالسجود لآدم ترددوا و استوضحوا؟ و لم يُعلم عن أحدٍ منهم أنه نفذ ما
أمر به مباشرة. و مفاد ذلك أنه يشمل كل صنف الملائكة الذي كان موجوداً
بمن فيهم جبرائيل و ميكائيل، و لما سجدوا و امتنع إبليس، أفرده سبحانه و
تعالى بالذكر فقال: «إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي».

و عليه يمكنني أن استنتج أن الملك المحدث الذي هو اعظم من جبرائيل و
ميكائيل هو رفيق جميع النبيين و الأئمة الطاهرين و هو «العلم» كما تقدم في البحث.

واستنتاجي هذا يبني على مايلي:

- ١- أن الملائكة توقفوا عن السجود في بداية الأمر و لم يرد ذكر له معهم.
- ٢- أن تعليم آدم الاسماء كلها يحتاج لواسطة، و يظهر أن الوساطة هو
المحدث، أي العلم نفسه، لأنه قال «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» و لم يذكر
الواسطة في التعليم.

٣- العلم ككشف، والكشف يقوم بنفسه كما نشاهده في بعض حالاتنا .
٤- المحدث اعظم من كل الملائكة لانه كان سبباً لتسليمهم فيما أمروا به و
سجودهم «قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»
(البقرة ٣٢)

فهو كان مرافقاً لآدم عليه السلام و به امتاز عن الملائكة وفضلهم .
٥- قول الإمام عليه السلام «وَلَيْسَ كُلُّ مَا ظَلِبَ وَجِدَ» ينطبق على العلم
بأوضح ما يكون لأنه الملك المحدث لو كان مقصوداً به غير العلم، لكان مأموراً و
يستحيل عليه التخلف . فكيف يطلب فلا يوجد؟ وأما العلم فهو صاحب هذه
الصفة، فقد يطلب و يعمل الفكر في مقدماته و لا يصل صاحبه لنتيجة،
فيكون قد طلب و لم يوجد. و يؤيد هذا السؤال نفسه و هو «فَمَا كَانَ يَعْلَمُ
أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ؟»

و عليه يكون العلم عند الإمام عليه السلام هو مجموعة من إعمال الفكر
الدقيق في الترابط بين الموجودات، و الوصول إلى الاسباب التي تأتي بالنتائج،
أي إلى القوانين الحتمية الكلية الدقيقة، فعرفة هذه القوانين في لحظة ما، يمكن
من معرفة المستقبل بدقة.

و هذا يتوقف على العبودية لله، و التخلق بأخلاق الروحانيين حتى تأتي
معرفة تلك الخطة التي يكشف فيها عن القوانين.

و لأجله كانت عبادة الإمام أكثر من عبادة جميع اهل عصره، و صبره
أكثر، و ابتلاؤه أشد، و ورعه و تقواه أزيد، و كل هذه تزيد في قربه من مصدر
العلم و الاشعاع؛ فيكون إعمال الفكر عنده أدق و أوضح، و تكون معرفة
القوانين الحتمية لديه أتم. فإن هذه الحالات تعجل في الكشف و تجعل المحدث
لا يغيب إلا في قضاءٍ و أمرٍ كان مفعولاً.

و هذه المرحلة من الوعي تثبت القواعد العلمية عند العالم، و تجعل

استنتاجاته دائماً مصيبة، فقلوه: «مَا مَرَزْتُ بِآيَةٍ قَطُّ إِلَّا فَكَّرْتُ فِيهَا»؛ و عملت حساب جميع الاحتمالات فيمن نزلت ولأي سبب، و في أي وقت، و ترابط هذه الاسباب ببعضها ثم انتزاع الجواب من القرآن، يدل على أن نتيجة الوعي لكل هذه الأمور، أوصل للعلم بالقوانين الحتمية والتنبؤ الجازم بالمستقبل على نحو اليقين. وهذا لا يتيسر لغير الإمام لأن وعيه للامور أقل رتبة، فلا يستطيع الكشف عن طبيعة القوانين، و الحادثة الآتية تؤيد ما نقول:

عن حكيمة بنت موسى - أي أخت الامام الرضا عليه السلام - قالت:
 «رَأَيْتُ الرَّضَاعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقِفًا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْحَطَبِ وَهُوَ يُنَاجِي وَ
 لَسْتُ أَرَى أَحَدًا. فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي لِمَنْ تُنَاجِي؟
 فَقَالَ: هَذَا غَامِرُ الرَّهْرَائِيِّ أَنَا نِي يَسْأَلُنِي وَ يَشْكُو إِلَيَّ. فَقُلْتُ: يَا
 سَيِّدِي أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ كَلَامَهُ.

فَقَالَ لِي: إِنَّكَ إِنْ سَمِعْتَ بِهِ حَمَمَتِ سَنَةٌ. فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي أَحِبُّ
 أَنْ أَسْمَعَهُ. فَقَالَ لِي: إِسْمَعِي! فَسَمِعْتُ شِبْهَ الصَّفِيرِ وَ رَكْبَتِي الْحُمَّةَ
 فَحَمَمْتُ سَنَةً»^١

فآلات العلم و قدرة الاستيعاب عند الإمام أتم و اكمل منها عند غيره؛ و ما ذلك إلا لكثرة الممارسة و التفكير و التعمق في الوعي، و العبودية المخلصة للمعلم الأول سبحانه، و استفهامه و استعمال العلم، كل هذه الأمور تكشف الرموز و القوانين الحتمية للكون، و تجعل شفافية عند النفس تحترق بها كل الحجب بدون أن تتأثر.

فالمناجاة اعمال للفكر في حل الرموز و المعادلات، و اختصار لعامل الزمن، و تجاوز للمحل، و تفاهم بلغة الواقع، و نقلة محيط و عالم آخر، و كل هذه الأمور تؤثر على غير العالم بها و لأجله كانت نقلتها جزئية و فجائية فلم

تفهم شيئاً وحت سنة. أما الإمام عليه السلام: فإنه بلغ بوعيه وفكره وعبوديته وروحانيته اسمى درجات المعرفة، وسيطر على أدق القوانين العلمية الحتمية ودعاها، وعي دراية لا وعي رواية، ولن يخزم علمه شيء، إلا ما شاء الله بغياب المحدث عنه. وعلى هذا الأساس كان نقاشه مع العلماء مفحماً لهم، بأي لغة تكلموا، ولأي علم أثاروا، ولأي دين انتسبوا.

نقاشه عليه السلام مع العلماء

للإمام الرضا عليه السلام نقاشات كثيرة مع العلماء في البصرة، والكوفة، وطوس، ومجالس علمية في المدينة المنورة، واستدلالات كثيرة ومتنوعة من كل كتب الأديان السماوية، واحتجاجات على الزنادقة، وجائليق النصارى، ورأس الجالوت رئيس اليهود، وغيرهم من مختلف الملل والنحل، ولأن مجالنا لا يتسع لنقل تلك الاحتجاجات فسقتطع منها موضع الحاجة ونحيل على المصدر.

أما المصدر فهو بحار الأنوار (ج ٤٩ ص ٧٣) وأما المجلس فهو مجلس البصرة الذي استغرق يومين من النقاش فنقل منه ما يلي:

«قَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّمَا جَمَعْتُكُمْ لِتَسْأَلُوا عَمَّا شِئْتُمْ مِنْ آثَارِ النَّبِيِّ وَعَلَامَاتِ الْإِمَامَةِ الَّتِي لَا تَجِدُونَهَا إِلَّا عِنْدَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ.»
قَالَ عَمْرُو بْنُ هَدَّابٍ: أَخْبَرَنَا عَنْكَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ إِنَّكَ تَعْرِفُ كُلُّ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ وَإِنَّكَ تَعْرِفُ كُلَّ لِسَانٍ وَلُغَةٍ فَقَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: صَدَقَ أَنَا أَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ فَهَلُمُّوا فَاسْأَلُوا!

قَالَ: نَحْتَبِرُكَ بِاللُّسَنِ وَاللُّغَاتِ، وَهَذَا رُومِيٌّ، وَهَذَا هِنْدِيٌّ وَ

فَارْسِي وَ تُرْكِي، فَقَالَ: فَلَيْتَكَلَّمَا بِمَا أَحْبَبُوا، أَحِبُّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
بِلِسَانِهِ إِنْ سَاءَ اللَّهُ.

فَسَأَلَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَلِسَانِهِ وَلَغْتِهِ فَأَجَابَهُمْ بِلِغَاتِهِمْ فَتَحَيَّرَ
النَّاسُ وَتَعَجَّبُوا.

ثُمَّ نَظَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى ابْنِ هَدَّابٍ فَقَالَ: إِنْ أَنَا أَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ

سَبَّيْتَنِي فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ بِدَمِ ذِي رَحِمٍ لَكَ، كُنْتَ مُصَدِّقًا لِي؟ قَالَ: لَا!

فَإِنَّ الْغَيْبَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى. قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَوْ لَيْسَ يَقُولُ

«عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَيَّ غَيْبَهُ أَحَدًا إِلَّا مَنْ أَرْضَى مِنْ رَسُولٍ»

(الجن ٢٧) فَرَسُولُ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ مُرْتَضَى وَنَحْنُ وَرَثَةُ ذَلِكَ الرَّسُولِ الَّذِي

إِظْلَعَهُ عَلَى مَا شَاءَ مِنْ غَيْبِهِ، فَعِلْمُنَا مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَ

إِنَّ الَّذِي أَخْبَرْتُكَ بِهِ يَا ابْنَ هَدَّابٍ كَائِنٌ إِلَى خَمْسَةِ أَيَّامٍ، فَإِنْ لَمْ يَصِحَّ مَا

قُلْتَ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ فَإِنِّي كَذَّابٌ مُفْتَرٍ، وَإِنْ صَحَّ فَتَعَلَّمْتَ أَنَّكَ الرَّادُّ عَلَى

اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

وَذَلِكَ دَلَالَةٌ أُخْرَى: أَمَا إِنَّكَ سَتُصَابُ بِبَصْرِكَ وَتَصِيرُ مَكْفُوفًا فَلَا

تُبْصِرُ سَهْلًا وَلَا جَبَلًا، وَهَذَا كَائِنٌ بَعْدَ أَيَّامٍ.

وَ لَكَ عِنْدِي دَلَالَةٌ أُخْرَى: إِنَّكَ سَتَخْلِفُ يَمِينًا كَادِبَةً فَتُضْرَبُ

بِالْبَرْصِ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ: تَاللَّهِ لَقَدْ نَزَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ بِابْنِ هَدَّابٍ.

فَقِيلَ لَهُ: صَدَقَ الرَّضَا أَمْ كَذَبَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ فِي الْوَقْتِ

الَّذِي أَخْبَرْتَنِي بِهِ أَنَّهُ كَائِنٌ وَلَكِنِّي كُنْتُ أَتَجَلَّدُ.

ثُمَّ التَفَّتْ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْجَائِلِقِ وَ اِخْتَجَّ عَلَيْهِ بِالْإِنْجِيلِ وَ تَلَا

عَلَيْهِ عِدَّةَ أَشْفَارٍ مِنْهُ حَتَّى اعْتَرَفَ الْجَائِلِقِيُّ بِكُلِّ مَا قَالَ الْإِمَامُ

عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثُمَّ التَفَّتْ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى رَأْسِ الْجَالُوتِ وَ تَلَا عَلَيْهِ مِنَ الزُّبُورِ وَمِنَ

التَّوْرَةَ مَا لَمْ يَتَمَكَّنْ عَلِيٌّ دَفِعَهُ إِلَيَّ أَنْ قَالَ رَأْسُ الْجَالُوتِ:
 وَاللَّهِ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ لَوْلَا الرِّئَاسَةُ الَّتِي حَصَلَتْ لِي عَلَيَّ جَمِيعِ الْيَهُودِ
 لَأَمَنْتُ بِأُحْمَدَ وَاتَّبَعْتُ أَمْرَكَ قَوْلَ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَيَّ مُوسَى وَالزَّبُورَ
 عَلَيَّ دَاوُدَ مَا رَأَيْتُ أَقْرَأَ لِلتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ مِنْكَ ، وَلَا رَأَيْتُ
 أَحْسَنَ تَفْسِيرًا وَفَصَاحَةً لِهَذِهِ الْكُتُبِ مِنْكَ»^١

و بنفس هذا المستوى كانت مجالسه و مناقشاته في الكوفة و في مجلس
 المأمون عدة مرات مع أعداد من المتكلمين و رؤساء الأديان و أصحاب
 المقالات و جميع اهل الملل والنحل و قد عبر عليه السلام عن ندم المقيمين لهذه
 المجالس لا فحامه بقوله:

للتوفلي: «أَتَيْتُ أَنْ تَعْلَمَ مَتَى يَنْدِمُ الْمَأْمُونُ؟ قُلْتُ: نَعِمَ!
 قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا سَمِعَ إِحْتِجَاجِي عَلَيَّ أَهْلَ التَّوْرَةِ بِتَوْرَاتِهِمْ، وَ
 عَلَيَّ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِإِنْجِيلِهِمْ، وَ عَلَيَّ أَهْلَ الزَّبُورِ بِزُبُورِهِمْ، وَ عَلَيَّ
 الصَّابِئِينَ بِعِبْرَانِيَّتِهِمْ وَ عَلَيَّ أَهْلَ الْهَرَابِذَةِ بِفَارِسِيَّتِهِمْ، وَ عَلَيَّ أَهْلَ الرُّومِ
 بِرُومِيَّتِهِمْ، وَ عَلَيَّ أَصْحَابَ الْمَقَالَاتِ بِلُغَاتِهِمْ.
 فَإِذَا قَطَعْتَ كُلَّ صِنْفٍ وَ دَحَضْتَ حُجَّتَهُ، وَ تَرَكَ مَقَالَتَهُ وَ رَجَعَ إِلَيَّ
 قَوْلِي، عَلِمَ الْمَأْمُونُ أَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي هُوَ بِسَبِيلِهِ لَيْسَ بِمُسْتَحَقٍّ لَهُ، فَعِنْدَ
 ذَلِكَ تَكُونُ النَّدَامَةُ مِنْهُ»^٢

و هكذا كان فقد انقطع الجميع و رجعوا إلى مقالته عليه السلام.

سعة علم الإمام الرضا عليه السلام

لم يقتصر علم الإمام الرضا عليه السلام على العقائد فقط و مناقشة العلماء

فيها، وإنما كان يعرف كل العلوم، و اعلم كل الناس شأن الحجة في كل زمان، فإن «اللَّهُ أَعَزُّ وَأَجَلُّ وَأَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَفْرِضَ طَاعَةَ عَبْدٍ يَخْجُبُ عَنْهُ عِلْمَ سَمَائِهِ وَ أَرْضِيهِ». كما في حديث مبلغ علم الإمام عليه السلام السابق.

فالإمام الرضا عليه السلام كان يعرف: علم الفيزياء، و الكيمياء، و الطب و الفلك و التاريخ، و الجغرافيا، و علم الحيوان و منطق الطير و البهائم و جميع اللغات لكل الاحياء كالنبات و غير ذلك .
و سنعطي نموذجاً لبعض هذه العلوم متمنين على لجنة المؤتمر أن تجعل فرعاً خاصاً في جامعة الإمام الرضا عليه السلام يختص بدراسة علوم الأئمة في هذه النواحي، لتغدو مفتاح السر لكشف غوامضها.

علم الفيزياء

«خَرَجْنَا مَعَ أَبِي الْحَسَنِ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى بَعْضِ أَمْلَاكِهِ فِي يَوْمٍ لَا سَحَابَ فِيهِ، فَلَمَّا بَرَزْنَاهُ: قَالَ: حَمَلْتُمْ مَعَكُمْ الْمَمَاطِرَ؟ فُلْنَا: لَا وَ مَا حَاجَتُنَا إِلَى الْمِمْطَرِ وَ لَيْسَ سَحَابٌ، وَ لَا نَتَخَوَّفُ الْمَطَرَ؟ فَقَالَ: لِكَيْتِي حَمَلْتُهُ وَ سَتَمَطَرُونَ. قَالَ: فَمَا مَضَيْنَا إِلَّا يَسِيراً حَتَّى إِزْتَفَعَتْ سِحَابَةٌ وَ مُطَرْنَا حَتَّى أَهَمَّتْنَا أَنْفُسُنَا فَمَا بَقِيَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا ابْتَلَّ».

(بحارص ٤١)

علم الكيمياء

قال المحامي زكي عوض، في كتابه (فلسفة الهند) في سيرة يوجي (ص ٦٨) مايلي:

«فالكيميائي الفرنسي المشهور جورج كلود صنع معجزات بفو نتيلو سنة ١٩٤٨ باقامة البرهان على الاستحالات الأوكسجينية، و قدرات الأوسويتدبرس أن المسيو كلود: «حول في اجتماع علمي قبضة من الرمال إلى معادن ثمينة، و أحال الحديد إلى مايشبه الشيكولاته السائلة، و حول الزهور بعد تجريدها من الوانها إلى مادة لها قوام الزجاج».

الإمام الرضا عليه السلام حول الرمل إلى ذهب قبله باكثر من الف و ثلاثمائة سنة:

«فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ هَذَا الْعَيْدُ قَدْ أَظَلَّنَا وَلَا وَاللَّهِ مَا أُمِلُّكَ دِرْهَمًا فَمَا سِوَاهُ: فَحَكَ بِسَوْتِهِ الْأَرْضَ حَكًّا شَدِيدًا، ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ فَتَنَاوَلَ بِيَدِهِ سَبِيكَةَ ذَهَبٍ، فَقَالَ: إِنْتَفِعْ بِهَا وَ اكْتُمْ مَا رَأَيْتَ». (بحارص ٤٧)

و ثانية : « كُنْتُ مَعَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ حَالَ بِيَدِهِ إِلَى الْأَرْضِ كَأَنَّهُ يَكْشِفُ شَيْئًا فَظَهَرَتْ سَبَائِكُ ذَهَبٍ ثُمَّ مَسَحَ بِيَدِهِ عَلَى الْأَرْضِ فَغَابَتْ . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَوْ أَعْطَانِي وَاحِدَةً مِنْهَا. قَالَ: لَا! إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَأْتِ وَقْتَهُ». (بحارص ٥٠)

و لعل معناه لم يكن وقت العلم الذي يكشف فيه عنه هذه المعادلات.

علم الطب

له عليه السلام كتاب معروف بطب الإمام الرضا عليه السلام.

علم منطق الطير

«كُنْتُ مَعَ أَبِي الْحَسَنِ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَائِطٍ لَهُ. «إِذْ جَاءَهُ
عُضْفُورٌ فَوَقَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَخَذَ يَصِيحُ وَيَكْثُرُ الصَّيَاحَ، وَيَضْطَرِبُ». فَقَالَ
بِي: يَا فُلَانُ! أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هَذَا الْعُضْفُورُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ، وَرَسُولُهُ، وَأَبْنُ
رَسُولِهِ أَعْلَمُ، قَالَ: إِنَّهَا تَقُولُ إِنَّ حَيَّةً تُرِيدُ أَكْلَ فَرَاخِي فِي الْبَيْتِ، فَقُمْ
فَخُذْ، تَبِكَ النَّبْعَةَ وَادْخُلِ الْبَيْتَ وَاقْتُلِ الْحَيَّةَ. قَالَ: فَأَخَذْتُ النَّبْعَةَ وَ
هِيَ الْعَصَا، وَدَخَلْتُ الْبَيْتَ، وَإِذَا حَيَّةٌ تَجَوُّوْا فِي الْبَيْتِ فَقَتَلْتُهَا».
(بحارص ٨٨)

و يقول نفسه عليه السلام عن علمه:

«كُنْتُ أَجْلِسُ فِي الرُّوضَةِ وَالْعُلَمَاءُ بِالْمَدِينَةِ مُتَوَافِرُونَ؛ فَإِذَا أَعْيَا
الْوَاحِدُ مِنْهُمْ مَسْأَلَةً؛ أَسْأَرُوا إِلَيَّ بِأَجْمَعِهِمْ وَبَعَثُوا إِلَيَّ بِالْمَسَائِلِ فَأُجِيبُ
عَنْهَا» (بحارص ١٠٠)

أما من أين أتى هذا العلم؟ وكيف استطاع الأئمة عليهم السلام معرفة هذه
الأمر كلها؟ فذلك ما قدمنا جزء منه، ونُحاول في هذا البحث أن نخطي
بالمفتاح الذي ينير لنا الطريق، لكي تصبح هذه العلوم مقننة من طرق الأئمة
بكل أبعادها وقواعدها الثابتة، وقوانينها الحتمية. لأن مجموعة الاسباب تنج
المسببات، فاختلال عنصر واحد يخل بالنتيجة و يقلبها محتملة بعد أن كانت

يقينية و حتمية .

و لنستمع إلى هذه المقولة التي يكشف بها الإمام الرضا عليه السلام عن أسرار العلم و ارتباط المسببات بالاسباب، لعل بها كل العلم!
قال عليه السلام:

«يَا جَائِلِيْقُ! هَلْ تَعْرِفُ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ صَحِيْقَةً فِيْهَا خَمْسَةٌ
أَسْمَاءٍ يُعَلِّقُهَا فِي عُنُقِهِ؟ إِذَا كَانَ بِالْمَغْرِبِ فَأَرَادَ الْمَشْرِقَ، فَتَحَّهَا،
فَأَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ بِاسْمِ وَاحِدٍ مِنْ خَمْسَةِ الْأَسْمَاءِ أَنْ تَطْوِي لَهٗ الْأَرْضَ،
فَيَسِيرُ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ، وَمِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ فِي لَحْظَةٍ؟
فَقَالَ الْجَائِلِيْقُ: لَا عِلْمَ لِي بِهَا! وَأَمَّا الْأَسْمَاءُ الْخَمْسَةُ فَقَدْ كَانَتْ
مَعَهُ يَسْأَلُ اللَّهُ بِهَا أَوْ بِوَاحِدٍ مِنْهَا، يُعْطِيْهُ اللَّهُ جَمِيْعَ مَا يَسْأَلُهُ».

(بحارص ٨٠) و سنعود لاكمال الحديث بعد التعليق

ينبغي لنا أن نفهم معنى: أولاً - صحيفة، ثانياً - خمسة اسماء، ثالثاً -
استصحابها دائماً معه (اي تعليقها في عنقه) رابعاً - فتحها عند الحاجة للعلم،
خامساً - اقسام باسم واحد منه الخمسة الاسماء. و بعد تمامية كل هذه الأمور
يسير بلحظة من المغرب إلى المشرق و من المشرق الى المغرب.

ثم ينبغي أن نفهم من جواب الجائليق، أولاً - بأنه لا يعلم بالصحيفة و
يعلم بكون الاسماء معه خمسة ثانياً - يسأل بواحد منه الاسماء أوبها، ثالثاً - هل
العلم بالصحيفة؟ أم بالاسماء؟ وهل كل اسم باب من أبواب العلم؟ أم كلها مجتمعة؟
كل هذه الأمور تحتاج لبحث لانها محض العلم «فَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ
مِّنَ الْكِتَابِ»

نعود لاكمال المقولة للإمام عليه السلام:

فَالَ الْإِمَامُ: «يَا مَغَشَّرَ النَّاسِ، أَلَسْتُ أَنْصَفُ النَّاسِ مِنْ حَاجٍ

خَصَمَهُ بِمِلَّتِهِ وَبِكِتَابِهِ وَنَبِيِّهِ وَشَرِيْعَتِهِ؟ فَالْوَا: نَعَمْ... فَقَالَ رَأْسُ
الْجَالُوْتِ: وَمَا الدَّلِيلُ عَلَى الْإِمَامِ؟ قَالَ: أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالتَّوْرَةِ، وَ
الْإِنْجِيلِ، وَالرُّبُورِ، وَ الْقُرْآنِ، (الى أن قال عليه السلام):
وَ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِجَمِيعِ اللُّغَاتِ حَتَّى لَا يَخْطِي عَلَيْهِ لِسَاكٌ وَاحِدٌ،

فِيحَاجُّ كُلَّ قَوْمٍ بِلُغَتِهِمْ، ثُمَّ يَكُونُ مَعَ هَذِهِ الْخِصَالِ:
«تَقِيًّا نَقِيًّا مِنْ كُلِّ ذَنْسٍ، طَاهِرًا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، عَادِلًا، مُنْصِفًا
حَكِيمًا، رَوْوْفًا، رَحِيمًا، غَفُورًا، عَظُوفًا، صَادِقًا، مُشْفِقًا، بَارًّا، أَمِينًا،
مَأْمُونًا رَاتِقًا، فَاتِقًا».

هذه سبعُ وعشرة خصلة و صفة، تضاف الى معرفة جميع اللغات و الكتب
الساوية و الانبياء عليهم السلام يجب أن يتمتع بها الإمام ليكون إماماً، و
ليكون علمه قذفاً في القلوب و نقرأ في الاسماء.
فهل هذه الصفات لها دخل في العلم؟ وهل معرفة القوانين الحتمية تتوقف عليها؟
قلنا ان كل ما يحتل له دخل في المعادلات يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار،
و يحسب حسابه. و لعل هذه الصفات لها دخل؟ فيجب أن تؤخذ في المعادلة.
و فتح صحيفة عيسى عليه السلام و النظر في كل اسم فيها و فيها كلها، له
دخل في ترابط العلوم و المعادلات مع الوقائع، و إلا فلماذا تارة يأخذ اسماً
واحداً و يدعو به، و اخرى يأخذها كلها؟

لعلها قواعد العلم:

أظن أن من المهم جداً أن نفتح هذا الملف من العلوم خصوصاً في ذكرى
المعلم الكبير للانسانية المذبذبة «السلطان علي بن موسى الرضا
عليه السلام» و فتح جامعته الكبرى لشتى أنواع العلوم.
وقفنا الله و إياكم المقيام بما نستطيع من هذه المهمة و السلام عليكم ورحمة الله و بركاته.

نقش الخواتيم لَدَى الأئمة عليهم السلام

سید جعفر مرتضیٰ العاملی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ
أَجْمَعِينَ، مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ الطَّاهِرِينَ وَاللَعْنَةُ الدَّائِمَةُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ
أَجْمَعِينَ، إِلَى يَوْمِ الدِّينِ....

و بعد:

فهذا بحث مقتضب حول نقش خواتيم الأئمة عليهم الصلاة والسلام،
ودلالاتها ومرامياها، كتبتة للمؤتمر الذي انعقد في مدينة «مشهد» حول الإمام
الرضا عليه السلام: حياته، ومواقفه، وتاريخه .. ولكن طبيعة البحث قد
فرضت علي التعرض لخواتيم المعصومين الأربعة عشر تقريباً..
أسأل الله سبحانه أن ينفع بما كتبت ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، و
يجعل ثوابه لشهداء الإسلام الأبرار، في إيران الاسلام و الثورة، وغيرها من
بلاد العالم الإسلامي، التي تتعرض للمؤامرات القذرة من قبل الإستعمار و
عمالته الأشرار.

وفقنا الله للسير على هدى الإسلام، والإلتزام بتعاليمه السامية، ومنه نستمد
العون والقوة، وعليه المعتمد والتكلان.

٢٣/شعبان/١٤٠٤ هـ جعفر مرتضى الحسيني العاملي

تمهيد:

إن أئمتنا الأطهار عليهم السلام، هم القدوة، وهم الأسوة وهم أعلام الهداية، من كلماتهم تقتبس العلوم والمعارف، ومن حياتهم ومواقفهم تلتمس العظات، والعبر، والأحكام.

كما أن مما لاشك فيه... هو إن كثيراً بل أكثر جوانب حياتهم صلوات الله وسلامه عليهم لم تنل بعد ما تستحقه من العناية والإهتمام، ولم تنزل رهن الإبهام والغموض، لم يتعرض العلماء و الباحثون لكشف غوامضها، ولا لتوضيح وحل مبهماتهما.

وقد نجد كثيراً من مواقفهم، وجوانب حياتهم قد اعتبرت غير ذات أهمية، أو غير ذات مدلول حي يعطيها من القيمة ما يجعلها جديرة بالبحث والدرس و التحصيل و إذن فما على الباحث أو القارئ إلا أن يمضى عنها، ويتجاوزها الى غيرها، مما يعتقد أن فيه فائدة أتم وأعلا و نفعاً أعظم و أعلى

ولكن الحقيقة هي: ان ذلك لم يكن - على الأقل - هو الموقف الصحيح والسليم، فإن هذه الأمور بالذات ، قد كانت ذات مغزى عميق، ومدلول هام و دقيق، وهي تدخل في نطاق خططهم النضالية والرسالية و التعليمية المرسومة، لأنها انما تعنى موقفاً مبدئياً ورسالياً، لا يمكن التفريط فيه ولا التنازل عنه.

وليكن ما كان ينقشه كل إمام على الخاتم، الذي كان يتختم به، هو ذلك المثال الحي، والبارز الذي نختار الإشارة إليه، والتركيز في بحثنا المقتضب هذا عليه ...

فإننا - وبكلمة موجزة وسريعة نعتقد:

ان ما كان ينقشه كل إمام من أئمتنا عليهم السلام، على الخاتم الذي يختار التختّم به، وكذلك تختّمه عليه السلام بما كان مختصاً بالأئمة الذين سبقوه لم يكن لمجرد البركة، و لالمحض الترف الفكري، ولا كان أمراً عفويّاً على الإطلاق. وإنما كان يعبر - عموماً - عن ظاهرة من نوع معين، وعن ظروف نفسية واجتماعية، وسياسية وعن مفهوم عقائدي أو ديني وغير ذلك، وكذلك عن مميزات وملكات شخصية خاصة لا بد من التعبير عنها، او تسجيل موقف ولو بهذا المستوى منها.

و نستطيع أن نؤكد على وجهة نظرنا هذه، استناداً إلى ما نملكه من تصور مها كان ناقصاً ومحدوداً عن تلك الظروف والأحوال، والتقلبات التي واجهها الأئمة عليهم السلام في العصور المختلفة، و فرض عليهم التأثير فيها، او التفاعل معها. وانه وإن كانت المناسبة غير قادرة، او بالأحرى لا تسمح لنا بالتوسع في هذا الموضوع، و حشد الأدلة والشواهد الكثيرة مع مصادرها على كثير مما نود الإشارة اليه، مما يمكن أن يكون موضع شبهة وريب لدى البعض.. إلا أننا لسوف نعتبر: أن قيمة هذا البحث وأهميته لا بد وأن تفرض على الجميع المزيد من التأمل، والمزيد من التروي في الأحكام التي يصدرونها - أيّاً كان نوع تلك الأحكام، و أيّاً كانت منطلقاتها ومبرراتها..

نقاط لا بد من الإشارة إليها

وإذا ما أردنا توضيح بعض ما نرمي اليه هنا.. فلا بد أولاً من الإشارة إلى النقاط التالية
١- أنّ الخاتم يعتبر شعاراً، له دلالة الخاصة، واعتباراته المتميزة، كما يظهر من ملاحظة التاريخ^١.

(١) راجع: مآثر الأئمة ج ٢ ص ٢٣٢ وفي هامشه عن صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٧٢

٢- ان من يتأمل ما ورد في الأخبار و النصوص من اختلاف ظاهر بين العبارات التي كان يكتبها الأئمة على الخواتيم التي كانوا يلبسونها.. وحتى في العبارات المختلفة التي كانت تنقش على الخواتيم المتعددة التي للإمام واحد - ان من يتأمل ذلك، يخرج بحقيقة: أنها تحمل في طياتها إشارات شديدة الوضوح أحياناً، و فيها شيء من الخفاء أحياناً أخرى لأمر هامة نابعة، من طبيعة المرحلة التي كانوا يعيشونها و من واقع الإهتمامات التي كانت تفرض نفسها عليهم.. و كانت من الخطورة والاهمية بحيث كان لابد لهم من الإشارة إليها، و تحديد موقفهم منها، ولو بهذا المستوى، و حتى بهذا الأسلوب.

و لسنا بحاجة في مجال التدليل على ذلك إلا للإشارة إلى مثال واحد، و واحد فقط .. و هو مدى التفاوت بين ما كتب على الخاتم الذي كان يلبسه الإمام الحسين عليه السلام، و هو: «إِنَّ اللَّهَ بِالْبَيْعِ أَفْرِهِ»... و بين ما كتب على الخاتم الذي كان يلبسه الإمام السجاد صلوات الله وسلامه عليه، و هو: «خَزِي وَشَقِي فَأَيْلُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

٣- ان من يراجع الأحاديث التي وردت فيها الإشارة إلى تلك النقوش يلمس بوضوح أن ثمة تعمداً و اصراراً منهم عليهم السلام على بيان هذا الأمر، واهتماماً بالغاً بتوجيه الأنظار اليه، و إعلام الناس به.. ليس فقط بالنسبة لخواتم الأئمة عليهم السلام، وإنما حتى بالنسبة لنقوش الخواتيم التي كان يتختم بها الأنبياء السابقون عليهم الصلاة والسلام في محاولة ظاهرة منهم عليهم السلام للتركيز و التأكيد على حقيقة يهتمون بتقريرها أو اتجاه معين، لابد من التوجيه اليه و التأكيد عليه، أو ضرب و ادانة مفهوم أو اتجاه آخر، أو ظاهرة من نوع ما.. تفرض المسؤولية الرسالية تسجيل موقف رافض منها، حتى ولو من أجل تعريف الأجيال الآتية، و إظهار ما يمكن إظهاره من الحقائق لها.. فنجد الحسين بن خالد يسأل الإمام الرضا عليه السلام عن نقش خاتم أمير المؤمنين علي عليه السلام فيقول له:

«وَلَمْ لَمْ تَسْأَلْنِي عَمَّا كَانَ قَبْلَهُ»؟!

ثم يذكر له نقوش خواتيم الأنبياء ثم الائمة الذين سبقوه عليه الصلاة والسلام^١.

٤- إننا نجد النقول الحديثية و التاريخية تذكر نصوصاً مختلفة لنقش الخواتيم حتى بالنسبة لإمام واحد من أئمتنا الأطهار. وإذا كنا لانجد ضرورة، ولا داعياً لتعمد الكذب من أحد في أمور كهذه، مادامت قلما تثير شكوك أو حساسيات الآخرين، لأنهم قلما يلتفتون إلى مغاليتها ومراميها الحقيقية...

و إذا كنا أيضاً نجد كل واحد من تلك النقوش منسجماً مع التحليل الموضوعي و المقبول لطبيعة المرحلة و الظروف التي واجهها الأئمة عليهم السلام في فترات مختلفة، بحيث جاء كل واحد من تلك النصوص منسجماً مع الظروف والمرحلة التي هو فيها.. حتى إذا طرأ عليها تغيير من نوع ما فإننا نجد أن النص الآخر يأتي منسجماً مع هذا المستجدات - كما سنوضحه إن شاء الله تعالى. - إذا كنا نجد ذلك - فإننا لانرى بعد، اي مانع من الاعتقاد بصحة أكا

كل تلك النصوص. و انها ان كانت قد تعرضت لشيء من التغيير و التحوير فإنما اقتضاه البعد الزماني الشاسع الذي يحمل معه - عادة - الكثير من التصحيف و التحريف المعنوي، و السهو و الخطأ من الرواة و النساخ، و ذلك أمر ليس بعزيز..

و إننا إذا راجعنا الروايات في هذا المجال فلسوف نجد إشارات صريحة إلى هذا التغيير العمدي في نقش الخاتم الذي يلبسه الامام منهم عليهم السلام، ثم تعتمد إظهار ذلك التغيير و التبديل.. و كشاهد على ذلك نشر إلى ماروى عن

(١) سيأتي هذا الحديث مع مصادره عن قريب إن شاء الله تعالى.

الإمام الصادق عليه السلام قال: «في خاتمي مكتوب: اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ». وعن الرضا عليه السلام. «نُقِشَ خَاتَمِي: مَا شَاءَ اللَّهُ لِقُوَّةِ إِلَّا بِاللَّهِ»، وعنه عليه السلام: «كَانَ نَقِشُ خَاتَمِ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «حَسْبِيَ اللَّهُ» قَالَ: وَبَسَطَ الرَّضَا كَفَّهُ وَخَاتَمُ أَبِيهِ فِي إِصْبَعِهِ حَتَّى أَرَانِي النَّقِشَ». وَأَخْرَجَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ خَاتَمَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِذَا عَلَيْهِ: «أَنْتَ يَقْتَنِي فَأَعِصِنِي مِنَ النَّاسِ»^١ بل يظهر من أكثر الأحاديث التي وردت في هذا المعنى: أن الإمام عليه السلام هو البادئ في بيان نقوش خواتم الأئمة والأنبياء. وليس فيها إشارة إلى طلب ذلك من سائل إلا فيماندر.

د- إننا نجد في تلك النصوص و الروايات: أن بعض الأئمة كان يتختم بخاتم أبيه، أو أحد الأئمة السابقين مطلقاً، أو في يوم الجمعة مثلاً، ويكون له في نفس الوقت خاتم آخر يختص به، له نقش آخر أيضاً..

و لعل الملاحظة الدقيقة تعطي: أنه قد كان ثمة تداخل في الدورات الزمانية، و في الأحوال والأوضاع والظروف التي كانت تواجه الأئمة عليهم السلام.. الأمر الذي يفرض وحدة الموقف من قبل أكثر من إمام. وقد تنشأ ظواهر وظروف جديدة إلى جانب تلك، أو منفصلة عنها، بحيث تمس الحاجة إلى تسجيل موقف آخر، يرافق ذلك الموقف لفترة طويلة أو قصيرة، أو ينفصل عنه..

و قد تنقطع هذه الظاهرة أو تضعف لفترة مآثم تعود للظهور و القوة من جديد، الأمر الذي يستدعي العودة للإشارة إليها، أو مقاومتها ومقارعتها أو تسجيل موقف تجاهها للتاريخ، والأجيال، بالسبل المناسبة والمتوفرة بالفعل ...

٦- و حديثنا هنا.. وإن كان يفترض فيه أن يركز ويعالج خصوص ما يرتبط بحياة ثامن الأئمة، الإمام علي بن موسى الرضا صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه أجمعين...

إلا أن حياة الأئمة في واقع الأمر، و بالنسبة لخصوص هذا الأمر لا يمكن فصلها بعضها عن بعض، مادام أنهم عليهم السلام يمثلون خطأ واحداً، ويعملون من منطلق واحد، و من أجل هدف واحد، و ان اختلفت الظروف التي فرضت على كل واحد منهم آثارها المتخالفة كما هو معلوم...

و إذن.. فإن من الطبيعي أن يستدعى حديثنا عن هذا الأمر بالذات استعراضاً موجزاً و محدوداً جداً لنقوش الخواتيم التي كان يتختم بها الأئمة السابقون عليهم السلام، و حتى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة الزهراء عليهما السلام ولما ترمي اليه... ليساهم ذلك في فهم أعمق للنقش الذي كان على الخاتم الذي كان يتختم به الإمام الرضا عليه الصلاة والسلام...

ولا نريد أن ندعى: أننا قد اكتشفنا كل الحقيقة في هذا المجال... و لكننا نقول: ليكن ما نشير اليه هنا هو الخطوة الأولى، و البداية الموجزة و المحدودة، التي تحتاج لتكاملها ونضجها لمزيد من التأمل و الجهد و المثابرة...

و بعد كل ذلك نقول: اننا سوف نتكلم في هذا المجال على النحو التالي:

•••

حديث جامع في نقش خواتيم الأئمة عليهم السلام

١- لقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام حديث جامع ذكر فيه نقوش خواتيم الأئمة الذين سبقوه بل لقد تعرض فيه لنقوش خواتيم بعض الأنبياء ايضاً.
حيث سأله الحسين بن خالد الصيرفي: «وَمَا كَانَ نَقْشُ خَاتَمِ»

أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ قَالَ: وَلِمَ لَا تَسْأَلُنِي عَمَّا كَانَ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: فَأَنَا
 أَسْأَلُكَ. قَالَ: نَقَشُ خَاتَمِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ
 اللَّهِ» هَبِطَ بِهِ مَعَهُ... و زاد في بعض المصادر: «عَلِيُّ وَوَلِيُّ اللَّهِ» ثم ذكر
 ماجرى لنوح ونجاة الله تعالى له من الفرق، وأن نقش خاتمه كان: «لَا إِلَهَ
 إِلَّا اللَّهُ أَلْفَ مَرَّةٍ، يَارَبِّ أَصْلِحْنِي» ثم ذكر عليه السلام ماجرى على إبراهيم،
 حينما أرادوا إحراقه، وأن الله أهبط اليه خاتماً فيه ستة أحرف: «لَا إِلَهَ
 إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَوَضَعْتُ أَمْرِي إِلَى
 اللَّهِ، أَسْتَدْتُ ظَهْرِي إِلَى اللَّهِ حَسْبِيَ اللَّهُ» ثم ذكر ان نقش خاتم موسى:
 «إِصْبِرْ تُؤَجِّرْ، اصْدُقْ تُنْجِ».

ثم قال عليه السلام: «وَكَانَ نَقَشُ خَاتَمِ سُليْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
 «سُبْحَانَ مَنْ أَلْجَمَ الْجِنَّ بِكَلِمَاتِهِ» وَكَانَ نَقَشُ خَاتَمِ عِيسَى حَرْفَيْنِ
 اشْتَقَّهُمَا مِنَ الْإِنْجِيلِ: «طُوبَى لِعَبْدٍ ذُكِرَ اللَّهُ مِنْ أَجْلِهِ، وَوَيْلٌ لِعَبْدٍ
 نُسِيَ اللَّهُ مِنْ أَجْلِهِ» وَكَانَ نَقَشُ خَاتَمِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لَا
 إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» وَكَانَ نَقَشُ خَاتَمِ أميرِ الْمُؤْمِنِينَ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْمَلِكُ لِلَّهِ»، وَكَانَ نَقَشُ خَاتَمِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ
 عَلَيْهِمَا السَّلَامُ «أَلْعِزَّةُ لِلَّهِ» وَكَانَ نَقَشُ خَاتَمِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
 «إِنَّ اللَّهَ بِالْعِزِّ أَمْرٌ».

وَ كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَخَمَّمُ بِخَاتَمِ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَ كَانَ مُحَمَّدٌ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَخَمَّمُ بِخَاتَمِ الْحُسَيْنِ
 بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

وَ كَانَ نَقَشُ خَاتَمِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: «اللَّهُ وَلِيِّي وَ
 عِصْمَتِي مِنْ خَلْقِهِ». وَ كَانَ نَقَشُ خَاتَمِ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ
 عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: «حَسْبِيَ اللَّهُ».

قال الحُسينُ بنُ حَالِدٍ: وَبَسَطَ أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَفَّهُ، وَ
 خَاتَمَ أَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي إِضْبَعِهِ حَتَّى أَرَانِي النَّقْشَ.^١
 مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ،
 عَنْ جَمِيلِ بْنِ دُرَّاجٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ ظَبْيَانَ وَحَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ جَمِيعًا، عَنْ
 أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، قَالَا: قُلْنَا: جُعِلْنَا فِدَاكَ، أَيُّكْرَهُ أَنْ يَكْتُبَ الرَّجُلُ فِي خَاتَمِهِ
 غَيْرَ اسْمِهِ وَاسْمَ أَبِيهِ؟ فَقَالَ:

فِي خَاتَمِي مَكْتُوبٌ: «اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ» وَ فِي خَاتَمِ أَبِي
 مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَ كَانَ خَيْرَ مُحَمَّدِي رَأَيْتُهُ بَعْنِي: «الْعِزَّةُ
 لِلَّهِ» وَ فِي خَاتَمِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ
 الْعَظِيمِ»، وَ فِي خَاتَمِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: «حَسْبِيَ اللَّهُ» وَ
 فِي خَاتَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اللَّهُ الْمَلِكُ»^٢.

١ - الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم

الف - اما فيما يرتبط بنقش الخاتم الذي كان يتختم به نبينا الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم فانما صنع الخاتم له صلى الله عليه وآله وتختم به في المدينة المنورة، بعد الهجرة، اي بعد ان تحققت الامنية الكبرى وعزالاسلام، و ارسيت دعائم الدولة الاسلامية، و صدق الله سبحانه وعده، واعزجنده، ونصر عبده.. فكان لا بد من تسجيل ذلك، والاشادة به، ثم التذكير للموجودين آنذ، بل وافهام كل احد من غيرهم بأن كل ذلك قد جاء وفق ما وعد الله به نبيه الكريم...

(١) لمال الصدوق ص ٤٠٩ و ٤١٠ عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٥٦/٥٥ وراجع . البحار ج ١١ ص ٦٢/٦٣ ومسنند الإمام الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٣٦٧/٣٦٤/٣٦٨/٣٦٥ والوسائل ج ٣ ص ٤١٠/٤١١/٤١٢ والكافي ج ٦ ص ٤٧٤ ومكارم الأخلاق ص ٩١/٩٢ وراجع أيضاً الحاصل ج ١ ص ٣٣٥ لكنه ذكر شرطاً من الحديث، وهو نقش خاتم آدم، ونوح، وإبراهيم عليهم السلام وقد قطع صاحب البحار وغيره هذا الحديث، وذكروا انتفاؤه في المناسبات المختلفة حسبما يقتضيه المقام.

(٢) الكافي ج ٦ ص ٤٧٣ والوسائل ج ٣ ص ٤٠٨

الامر الذي يستدعي المزيد من الارتباط به سبحانه والالتجاء اليه، والتوكل في جميع الأمور عليه... وذلك ما يفسر لنا كون نقش خاتمه صلى الله عليه وآله هو: «صَدَقَ اللَّهُ»^١.

باء: ومن جهة اخرى. فقد كانت مهمة النبي صلى الله عليه وآله اقدس واخطر مهمة يتصدى انسان للقيام بها على وجه الارض.. فكان طبيعياً ان يكون نقش الخاتم الذى يتختم به صلى الله عليه وآله يتضمن اقدس كلمة وأخطر شعار نذر نفسه من أجله وفي سبيله، فزاد على قوله: «صَدَقَ اللَّهُ» كلمة «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» حسبما نقله أبوخلدة عن أبي العالية^٢.

وعن الإمام الصادق عليه السلام. «أَنَّهُ كَانَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَاتَمٌ آخَرَ غَيْرَ الْأَوَّلِ، مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»^٣.

وفي نص آخر: «إِنَّ نَقْشَ خَاتَمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»^٤ ورواية اخرى تقول: إِنَّهُ كَانَ: «بِسْمِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»^٥ نعم: إن ذلك قد كان من أجل تقرير هذا الشعار وتثبيته وترسيخه

(١) راجع: الحاصل ج ١ ص ٦١ والوسائل ج ٣ ص ٤١١ والبحار ج ١٦ ص ٩٦ وسفينة البحار ج ١ ص ٣٧٦ وعيون الأخبار

لابن قتيبة ج ١ ص ٣٠٢

(٢) طبقات ابن سعد ج ١ قسم ٢ ص ١٥٦ لكن في عيون الأخبار ج ١ ص ٣٠٢ أن الخلفاء الحقوا ذلك.

(٣) الحاصل ج ١ ص ٦١ والوسائل ج ٣ ص ٤١١ والبحار ج ١٦ ص ٩٦ وسفينة البحار ج ١ ص ٣٧٦ وليراجع ص ٩٥

و ج ١١ ص ٦٣ والترتيب الإدارية ج ١ ص ١٨٠ والحديث الجامع المتقدم عن الإمام الرضا عليه السلام.

(٤) راجع. الكافي ج ٦ ص ٤٧٣، ٤٧٤ ودعائم الإسلام ج ٢ ص ١٦٥ وقرب الإسناد ص ٣١ ومكارم الأخلاق ص ٨٥

و ٨٩، ٩٠، ٩١. ومسنند الإمام الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٣٦٦، ٣٦٨ وسنن البيهقي ج ٤ ص ١٤٢، وقال: إن البخارى ومسلماً

قد أخرجاه أيضاً، والبحار ج ١٦ ص ١٢٤/١٢٢٩٥ والوسائل ج ١ ص ٢٣٣ و ج ٣ ص ٤٠٩ والترتيب الإدارية ج ١ ص ١٧٧

و ١٧٨ و ١٧٩ عن البخارى ومسلم والترمذى، والسيوطى، وتاريخ ابن كثير، والطبقات، ومختصر التاريخ لابن

الكازرونى ص ٥٩ وطبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٦٢/١٦٣/١٦٤ و مآثر الانافة ج ٢ ص ٢٣٢ و البداية

والنهاية ج ٦ ص ٤٣٠،٢ عن أبى داود، والبخارى، وعن مسلم، وأهل السنن الأربعة.

(٥) الترتيب الإدارية ج ١ ص ١٧٩/١٨٠ وطبقات ابن سعد ج ١ ص ١٦٤

في النفوس، وليختم به رسائله للملوك والحكام، معلنا لهم اصراره على متابعة المسيرة حتى يعم الإسلام العالم، وترتفع رأيته خفاقة على جميع بقاع الأرض..
جيم - وبعد ذلك .. واذا كان الكثيرون يحسبون أن هذه الدعوة ما هي إلا سحابة صيف لا تلبث ان تنحسر ولا تلبث ان تنتهي، ولأجل ذلك فهم يعدون أنفسهم، ويتخذون مواقفهم، وقيمون تعاملهم معها على هذا الأساس فإن من الطبيعي أن يشير صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن لهذه الرسالة امتداداً من بعده، ويفهمهم: أن بقاءها ليس مرهوناً بشخصه الشريف، وأن لديها من التخطيط المستقبل ما يكفي لدوامها وبقائها بقوة وبعيونة، من خلال الولي الحافظ لها، والمدافع عنها، فيأتي النص الآخر ليشير الى هذه الحقيقة، فيقول: إنه قد أضيف كلمة أخرى إلى نقش خاتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى صار: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، عَلِيُّ وَلِيُّ اللَّهِ»^١

ooo

٢ - فاطمة الزهراء عليها السلام

و ينتقل الرسول الاعظم إلى الرفيق الأعلى ، وتواجه ابنته فاطمة الزهراء التحدي، وتعرض لكثير من الإهانات، وللظلم والابتزاز، بل وللاعتداء عليها بضر بها.. والتهديد - أوالشروع بإحراق بيتها عليها وعلى جميع من فيه .. إلى غير ذلك مما لا يحمله أحد..

و تقول فاطمة كلمتها، و تسجل موقفها الرسالي الرائد.. وتعلنها صريحة مدوية: انها لا تجدد في كل ذلك وسواه ما يخيف أو ما يرهب، لأن

روحها الصافية ترتبط بالله، وبالله وحده، ولأنها لا تلجأ الا اليه، ولا تعتمد ولا تتوكل في كل أمورها الا عليه، فيكون نقش الخاتم المختص بها هو: «أَمِنَ الْمُتَوَكِّلُونَ»^١.

٣- امير المؤمنين عليه السلام

أما بالنسبة لأمر المؤمنين عليه السلام فاننا نلاحظ: أنه قد كان له عليه السلام خواتيم متعددة الأنواع، مختلفة النقش.. ونلاحظ أيضاً: أنه عليه السلام حينما تولى الخلافة قد غير نقش خاتمه عما كان عليه قبل ذلك و نلاحظ كذلك : أنه حتى في أيام خلافته قد اختلفت الخواتيم التي كان يستعملها؛ فنجد: أن خاتمه حينما صالح أهل الشام يختلف عن غيره مما كان يتختم به في ظروف اخرى..

واستيفاء الكلام فيما يرتبط بنقش خواتيمه عليه السلام متعسر، بل متعذر في عجالة كهذه، ولأجل ذلك فاننا سوف نكتفي هنا بالإشارة الى ما يلي.

الف: إن امير المؤمنين عليه السلام، هو ذلك العلم الشامخ، والانسان الكامل، وهو ايضاً ذلك المقاتل الفذ، والمحارب البار، الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، بل هو يسحق ويمحق كل أعداء الله والانسانية، ويقف في وجه جميع أصحاب الأهواء والمطامع اللامشروعة انه - عليه السلام - يتختم بالفيروزج - الذي معناه بالفارسية: «الظفر» ليكون رمزاً لظفر ونصرالحق والدين.. ويتختم بالحديد الصيني، الذي هو رمز القوة والمنعة - وبالعقيق لحرزه وحفظه. وبالياقوت لنبهه.. ويكون نقش كل واحد منها متناسباً مع الواقع الذي يواجهه، والظروف التي يعانى منها..

فاذا كان عليه السلام يواجه طغيان المستبدين، وتآلب الطامعين، وطلاب الملك والسلطان، ولو عن طريق التحوير والتزوير.. فاننا نجد نقش واحد من تلك الخواتيم يشير الى الحق في الملك، في ادانةٍ ضمنية لكل الغاصبين الذين يريدون أن يكونوا ملوكاً جبارين.. و يرون أن جبروتهم وقوتهم ذاتية، وأن بيدهم حياة الناس وموتهم و رزقهم وحرمانهم..

نعم إننا نجده عليه السلام يشير الى ذلك، و الى أنهم انما وصلوا الى ما وصلوا إليه عن طريق التزوير والتحوير وأن ما يدعونه لأنفسهم ليس إلا منازعة لله سبحانه وتعالى رداءه. وليس الا اغتصاباً لمقام الله، وتعدياً على حقه سبحانه، فهو سبحانه وحده له الحق في أن يعطى الملك من يشاء، وينزعه ممن يشاء.^١ انه عليه السلام يشير الى ذلك كله بكلمة واحدة، كتبها على أحد تلك الخواتيم، وهي «الْمَلِكُ لِلَّهِ» أو «اللَّهُ الْمَلِكُ»^٢ أو «اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ» أو «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ»^٣.

كما انه يشير إلى أنه هو وحده الذي يمثل الخط الرسالي الصحيح، وينقاد لله سبحانه ويستحق وسام العبودية المطلقة لله تعالى، والتي هي اعظم الدرجات، وغاية الغايات فيزيد عبارة تدل على هذا المعنى، حتى يصير نقش خاتمه(ع): «اللَّهُ الْمَلِكُ وَعَلِيُّ عَبْدُهُ»^٤.

(١) راجع ما قاله النبي صلى الله عليه وآله لبيبي عامر في كتابنا. الصحيح من سيرة النبي صلى الله عليه وآله ج ٢ ص ١٧٦/١٧٥

(٢) راجع الحديثين الجامعين المتقدمين ومصدرهما بالإضافة إلى: البحار ج ٤٢ ص ٦٨ و ٦٢ و ٦٩ و ٧٠ و ج ١٦ ص ١٢٢ و ٩٦/٩٥ والوسائل ج ١ ص ٢٣٤ و ج ٣ ص ٣٠٦/٣٠٥/٣٠٤/٣٩٣/٣٩٤/٤٠٥ والمنقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٠٢ ومكارم الأخلاق ص ٨٦/٨٧/٨٩/٩١ وقرب الاسناد ص ٣١/٧٢ والكافي ج ٦ ص ٤٧٣/٤٧٢ و ج ٢ ص ٢٧٢ والتهذيب للشيخ الطوسي ج ١ ص ٣٢ والإستبصار ج ١ ص ٤٨ وثواب الأعمال ص ٢٠٩ و ٢١٠ والطبقات ج ٣ قسم ١ ص ٢٠

(٣) راجع: علل الشرايع ص ١٥٧ والخصال ج ١ ص ١٩٩ والبحار ج ٤٢ ص ٦٨ والوسائل ج ٣ ص ٣٠٥ و ٤٠٨ و راجع، عنوان المعارف ص ١٥ ومختصر التاريخ لابن الكازروني ص ٧٨

(٤) جواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار المطبوع بهامش البحر الزخار ج ٥ ص ٣٧٠

وفي إشارة منه عليه السلام الى ما يدعيه أولئك الجبارون من العزة والمنعة نجد أن نقش خاتمه الآخر هو: «الْعِزَّةُ لِلَّهِ جَمِيعاً»^١.

باء: وإذا كان نقش خاتمه (ع) قبل ان يتولى الخلافة هو «الْمُلْكُ لِلَّهِ»، فانه بعد ان تولاهما قد نقش على خاتمه «الْمُلْكُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ»^٢. و بعض النصوص تقول ان العبارة الأولى كانت على جانب، فلما تولى الخلافة نقش العبارة الثانية على الجانب الآخر^٣.

فهو صلوات الله وسلامه عليه يرى - سواء قبل الخلافة أو بعدها - أن الله وحده هو الملك حقيقة، ولا ملك سواه وهو ينقش ذلك على خاتمه ليذكر نفسه وكل أحد بأن خلافته لم تغير هذا المفهوم عنده.. فالله هو الواحد المتفرد بالألوهية، والذي لا شريك له، هو الملك وكل من عداه لا يملك لنفسه - فضلاً عن غيره - نفعاً ولا ضرراً... وإذن... فلا يجب أن يرتفع الناس بهم إلى مراتب لا يستحقونها، ولا يتوقعوا منهم ما لا يملكون اعطائه ولا منعه.

وإذا كان الله سبحانه هو القهار فوق عباده، وكل من عداه فهو ضعيف و مقهور امام عظمته وسلطانه سبحانه.. فَانَّ عليه بعد أن وصل الى الحكم، أن يضع هذه الحقيقة نصب عينيه دائماً وابدأً وان يعلم: انه ليس إلا مجرباً لأحكام الله سبحانه.. وليس له ان يكون قهاراً ولا جباراً، ولا يجوز له ان يتجاوز حده، مادام أن الملك ليس له، وانما هو الله الواحد القهار، والله هو الحاضر والناظر والمهيمن.

جيم: وإن مما يلفت النظر حقاً ما رواه ابن سعد: «عَنْ أَبِي

(١) راجع، علل الشرايع ص ١٥٧ والمخالف ج ١ ص ١٩٩ والبخاري ج ٤٢ ص ٦٨ والوسائل ج ٣ ص ٤٠٨/٣٠٥
(٢) ج ٨ ص ٣١٤ من وسائل الشيعة في الهامش عن الأمان من أخطار الزمان لابن طاووس ص ٣٤ وراجع تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٨٣ ومآثر الانافة ج ١ ص ١٠٠.
(٣) راجع: وسائل الشيعة ج ٨ ص ٣١٤ في الهامش عن الأمان من أخطار الزمان ص ٣٤.

اسحاق السبائي، قال: قَرَأْتُ نَقْشَ خَاتِمِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي صَلْحِ أَهْلِ الشَّامِ: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»^١.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، قَالَ: كَانَ لِحَاتِمِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَلَمَّا أَخَذَهُ عُثْمَانُ سَقَطَ فَهَلَكَ فَتَقَشَّ عَلِيُّ نَقْشَهُ»^٢.

و ما ذلك الا من أجل أن يفهم معاوية والناس جميعاً أنه هو الذي يمثل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وهو خليفته الشرعي الذي يتوثب المتوثبون على حقه وتراثه «أَرَى تُرَائِي نَهْبًا»^٣.

وكذلك... فان حربه لمعاوية وحزبه لم تكن الا من منطلق رسالي، ومن أجل الحفاظ على دين الله، فهو الذي يقول: «لقد ضربت انف هذا الامر وعينه، وقلبت ظهره وبطنه، فلم اربى الا القتال او الكفر الخ..»^٤ كما أن قبوله للتحكيم الذي أجبره عليه الأعراب الجفاة، وأصحاب الأهواء، لم يكن الا من أجل هذا الدين، والحفاظ على الرسالة التي جاء بها محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وهو بذلك يذكر أولئك الجهلة والمغرورين بما كان قد جرى للنبي صلى الله عليه وآله في صلح الحديبية؛ حينما محما كلمة «رسول الله» بإصرار من ممثل المشركين، فلا غرو إن جرى لامير المؤمنين مع البغاة عليه نفس ما كان قد جرى لرسول الله صلى الله عليه وآله مع اعدائه...

دال : واذا كان امير المؤمنين عليه السلام يرى: كيف أن الناس قد ركنوا الى الدنيا، وراقهم زخرفها، واتبعوا اهواءهم، ولم يعد للدين وللإسلام في حسابهم اي اعتبار او دور يذكر، الامر الذي يعبر عن ضعف ايمانهم بالله، و

(١) الطبقات الكبرى ج ٣ قسم ١ ص ٢٠/١٩

(٢) الطبقات الكبرى ج ١ قسم ٢ ص ١٦٥، ولعل إسقاط عثمان له في بئر أريس حسبا روى في كتب الآخرين قد افعل من أجل أن لا يصل الخاتم الى علي، ولا يكون له نصيب من التخت بخاتم رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة الشقشقية.

(٤) نهج البلاغة شرح عبده ج ١ ص ٩٠ ط مطبعة الاستقامة بمصر.

عن عظيم جهلهم، و ضعف يقينهم، فإن امير المؤمنين عليه السلام يعبر عن ذلك بما كتبه على خاتمه، وهو: «عَلِيٌّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ»^١.

و اذا كان من يرون انفسهم اصبحوا يملكون القدرة والقوة، و تهيأت لهم اسباب المنعة يسيئون استعمال هذه القدرة و يضعونها في غير مواضعها.. مع أنها ليست قدرة حقيقية لهم، و اذا كان الله سبحانه هو القاهر والقادر الحقيقي الذي يعمل قدرته هذه في ما هو خير ومصالحة للناس فانه (ع) يشير الى ذلك بما نقشه على خاتمه أيضاً وهو: «نِعَمَ الْقَادِرُ اللَّهُ»^٢.

هاء: كما أنه وهو الذي واجهته المصائب والمصاعب، و نزلت به النوازل، ولا يجد معيناً ولا ناصرأ غير الله سبحانه؛ فان نقش خاتمه يكون «حَسْبِيَ اللَّهُ»^٣.

واو: وحينما يصبح مستهدفاً من قبل اعدائه نجده يشير الى انه لا يعتمد على قدرته الشخصية، وانما يعتمد على الله وعلى الله فقط، و يكون نقش خاتمه: «أَسْتَدْتُ ظَهْرِي إِلَى اللَّهِ»^٤.

زاي: وأخيراً.. فقد جاء أن نقش خاتمه العقيق قد كان ثلاثة اسطر: «مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ»^٥.

و في حديث آخر: «أَنَّهُ كَانَ لَهُ خَاتَمٌ مِنْ جَوْهَرِ الْحَدِيدِ الصَّبِيِّ الْأَبْيَضِ الصَّافِي، وَعَلَيْهِ مَنْقُوشٌ هَذِهِ الْأَسْطُرُ عَلَى سَبْعَةِ أَسْطُرٍ، وَكَانَ يَلْبَسُهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ: أَعَدَدْتُ لِكُلِّ هَوْلٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ لِكُلِّ كَرْبٍ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ نَازِلَةٍ حَسْبِيَ اللَّهُ، وَ لِكُلِّ ذَنْبٍ وَ

(١) دعائم الاسلام ج ٢ ص ١٦٥

(٢) مكارم الأخلاق ص ٩١ و عيون الأخبار لابن قنينة ج ١ ص ٣٠٢

(٣) الفصول المهمة لابن الصباغ ص ١١٥

(٤) المصدر السابق.

(٥) علل الشرايع ص ١٥٧ و الحصال ج ١ ص ١٩٩ و البحار ج ٤٢ ص ٦٨ و الوسائل ج ٣ ص ٣٠٥ عن الأولين.

كِبْرَةَ اسْتَغْفِرُ اللّٰهَ، وَلِكُلِّ هَمٍّ وَعَمٍّ فَادِحٌ: مَا شَاءَ اللّٰهُ، وَلِكُلِّ نِعْمَةٍ مُّتَّجِدَةٍ
الْحَمْدُ لِلّٰهِ مَا بَعَلِيَّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ نِعَمٍ فَمِنْ اللّٰهِ»^١.

٤ - الامام الحسن عليه السلام

الف: أما الإمام الحسن عليه السلام.. فقد كان يعاني - من ظروف القاهرة وقاسية، من أهمها: جهل الأمة بحقيقة ما يراد بها، وبالمصير الذي تساق اليه على ايدي حكامها. واصحاب النفوذ فيها، وحتى مال الناس إلى دنيا معاوية وتركوا نصرة الحق، وجرى ماجرى بين الإمام الحسن عليه السلام، وبين معاوية والأمويين.. وياليت الأمور كانت قد وقفت عند هذا الحد، وكفى. وانما تجاوزت ذلك إلى ما هو أعظم وأدهى، حتى لنجد الطليعة المؤمنة، والعارفة بالحق، والتي يفترض فيها أن تملك قدراً اكبر من الوعي.. هذه الطليعة لا تستطيع التفاعل مع الأحداث، ولا تقييمها تقييماً موضوعياً سليماً، حتى إنهم ليعتبرون صلح الامام الحسن لمعاوية، والذي لم يكن منه عليه السلام إلا من أجل الحفاظ عليهم وعلى الاسلام كله.. ولولا ذلك لم يبق من الاسلام حتى اسمه ولا من الدين حتى رسمه، وقد ساهم في فضح الامويين وتعريتهم الى حد بعيد.^٢ انه حتى هؤلاء يعتبرون هذا الصلح بالذات أمراً شائناً ومعيباً، حتى ليواجهونه بالكلمة القاسية والجارحة والمرة

«يَا مُدَبِّلَ الْمُؤْمِنِينَ»...

فالامام الحسن عليه السلام في ظروف كهذه يعيش أعظم مصيبة، ويعاني أشد الآلام.. واذن.. فمن الطبيعي أن يكون نقش خاتمه عليه السلام هو: «حَسْبِيَ اللّٰهُ»^٣ فهو المعين، وهو الناصر، وهو المهيمن والقاهر، وكل من عداه

(١) مكارم الاخلاق ص ٩١.

(٢) راجع كتابنا الحياة السياسية للامام الحسن عليه السلام القسم الاول، الفصل الثاني.

(٣) الكافي ج ٦ ص ٤٧٣ والوسائل ج ٣ ص ٤٠٨.

لا يستطيع أن يقدم أي عزاء، ولا يصح الاعتماد عليه في أية نازلة أو بلاء.
 باء: وإذا كانت الخلافة قد أصبحت ملكاً قيصرياً، ويعتبر معاوية نفسه
 أنه أول الملوك^١. وإذا كان المال قد فاض في أيدي الناس والحكام وغرتهم
 المناصب والولايات، وإذا كان هذا الإنسان الذي كان إلى أمس القريب
 لا يعد شيئاً مذكوراً، ويعاني من أخط أنواع الذل والضعفة والمهانة قد أصبح
 الآن يحكم الأقطار، ويثل العروش، ويستولى على البلاد والعباد، وإذا كان
 لم يكن ثمرة لدى الناس منافع ولا فتناعات كافية بالمعاني الإسلامية والإنسانية^٢
 السامية.. إذا كان كذلك، فإن من الطبيعي أن يشمخوا بأنفسهم، وينظروا
 باعفافهم، وإن تاخذهم العزة، وتسيطر عليهم مشاعر العظمة والخيلاء
 بهذا المجد الطريف، بعد ذلك الذل والخنوع التالد، ولا سيما بعد أن تمكنوا -
 حسب تصورهم - من إزاحة أهل البيت عليهم السلام عن الساحة، وإبعادهم
 عنها، الأمر الذي يعتبرونه تويجاً لغاية آمالهم، ووصولاً إلى منتهى
 رغائبهم...

إذا كان كذلك... فإن من الطبيعي: أن نجد الإمام الحسن
 عليه الصلاة والسلام يسجل موقفاً حاسماً في هذا المجال، ويقاوم هذه الظاهرة
 بأساليب شتى، وطرق متنوعة، فيتختم بخاتم منقوش عليه: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
 الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ»^٣ نعم... إن الله هو الملك الحق... ومثلك سبواه إن
 لم يكن هو المصدر له، فإنا هو ملك زائف وباطل... كما أن الله هو المبين والمظهر
 لكل زيف وخطأ وانحراف مهما جهد الغاصبون والظالمون في التستر على واقعهم،
 وإخفاء حقيقتهم وراء الأقنعة الصفراء الزائفة... ويلاحظ أن هذا هو نفس
 النقش الذي كان على واحد من خواتم أبيه عليه السلام^٤.

(١) راجع كتابنا: الحياة السياسية للإمام الحسن

(٢) مختصر التاريخ لابن الكازروني ص ٨٠ ومآثر الأئمة ج ١ ص ١٠٦

(٣) لأبأس براجعة المصدر السابق في هذا المجال أيضاً

و هناك ايضاً: ما سجله نقشا على الخاتم الاخر الذي كان يتختم به وهو قوله: «الْعِزَّةُ لِلَّهِ»^١ او «الْعِزَّةُ لِلَّهِ وَحْدَهُ»^٢.

نعم... ان العزة لله، والله فقط، لالسواه من كل بني الانسان... وبعد هذا فان من الطبيعي ان يتحمل الانسان في سبيل دينه ومبده الكثير من الآلام، والكثير من المتاعب والمشقات ولا بد من الصبر على بعض الكلمات الجارحة، التي كانت توجه اليه حتى ليعتبر مذلاً للمؤمنين، مع أنه مطمئن إلى أن كل حركة تحركها، وكل موقف وقفه لم يكن إلا من أجل الحفاظ عليهم، وفي سبيل حياتهم و سعادتهم.. ولو بقيمة تحمل وضع استثنائي يرى فيه الناس الذل والهوان، و يرى فيه هو منتهى الشموخ والعزة لأنه عمل جاء على وفق التكليف الشرعي، وعلى طبق الوظيفة الإلهية.

جيم: ونجد نصاً آخر لما نقش على الخاتم الذي كان يلبسه عليه الصلاة والسلام، وهو: «اللَّهُ أَكْبَرُ وَبِهِ أَسْتَعِينُ»^٣ نعم.. الله أكبر من كل كبير، وأعظم من كل عظيم، وأعز من كل عزيز، الله أكبر وهو المستعان على مواجهة بني الباغين، وجبروت الجبارين...

دال: واما تختمه عليه السلام بالخاتم المنقوش عليه: «الْحَمْدُ لِلَّهِ»^٤ فهو حمد لله على نعمائه، وشكر له على آلائه؛ فإياهم من نعمة فن الله وهم قد «رَضِيََ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ» فلا يرون في أعظم المحن واشد الأحوال إلا أنها مصدر رانس وراحة لهم، اذا كانت في سبيل الله، ولخص رضاه سبحانه.

(١) راجع مصادر الحديث المتقدم الجامع عن الرضا عليه السلام والبحار ج ٤٣ ص ٢٤٢ و ٢٤٨ والكافي ج ٦

ص ٤٧٢

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٣٧

(٣) عنوان المعارف ص ١٥ و مختصر التاريخ لابن الكاترولي ص ٨٠ وفيه «استعنت» بدل استعين.

(٤) البحار ج ٤٣ ص ٢٤٨ عن الكافي

٥ - الإمام الحسين عليه السلام

الف: وإذا كانت ظروف الحسين في حياتها السياسية متشابهة في كثير من فصولها؛ لأنها لا بد وأن يقوموا بواجبها ويتحملا مسؤولياتها الجسام في برهة زمنية متقاربة في تحولاتها وتقلباتها وظروفها.

فإن من الطبيعي ان يكون ثمة تشابه في نقش بعض الخواتيم التي كانا يتختمان بها..

فَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كَانَ فِي خَاتِمِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ: «أَلْحَمْدُ لِلَّهِ»...^١

و عنه عليه السلام: «وَفِي خَاتِمِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ «حَسْبِيَ اللَّهُ»، وَفِي خَاتِمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ: «أَللَّهُ الْمَلِكُ»^٢.

و روى البيهقي وغيره عنه عليه السلام: أنه كان في خاتم حسن وحسين: «أُذْكَرُ اللَّهُ تَعَالَى»^٣.

نعم.. انه اذا كان كل منها قد خذله اصحابه، وكل منها يلجأ إلى الله وإلى الله وحده، والله هو حسبه فان من الطبيعي ايضاً: أن يتشابه نقش خاتميها هنا كذلك، ويكون للإمام الحسين عليه السلام كما للإمام الحسن عليه الصلاة والسلام خاتم منقوش عليه «حَسْبِيَ اللَّهُ» وكذا الحال في كلمة: «أَلْحَمْدُ لِلَّهِ»، حسباً قدمناه قبل قليل.

باء: والإمام الحسين الذي يواجه خذلان الأمة التي ثار من اجلها، وفي سبيل حياتها وكرامتها ودينها، فان هذا الخذلان سوف لا يفت في عضده

(١) المصدر السابق

(٢) سنن البيهقي ج ٤ ص ١٤٣ وتاريخ جرجان ص ٤١٨

(٣) راجع مصادر الحديث الجامع الاول المتقدم عن الرضا عليه السلام والبحار ج ٤٦ ص ٧/٦ و ج ٤٣ ص ٢٤٢ و

٢٥٨ و ٢٤٧ و سفينة البحار ج ١ ص ٣٧٧ و امالي الصدوق ١٢٨

شيئاً، مادام ان الله حسبه، وحق ولو كان ذلك سوف ينتهي باستشهاده مع ثلة من أهل بيته وأصحابه، فان ذلك هو الطريق الأمثل، الذي يحفظ هذا الدين من تحريفات المبطلين، وشبهات الغاوين، فان تلك هي مشيئة الله، وذلك هو امره، فما عليه لوقام بواجبه، وادى وظيفته؟ وليكن نقش خاتمه عليه السلام منسجماً مع ذلك كله، وهو «إِنَّ اللَّهَ بِأَلْبَعُ أَفْرِهِ»^١.

جيم: وكان له (ع) خاتم آخر قد نقش عليه ما يعبر عن استعداده للقاء الله سبحانه، واعداده العدة لذلك، وهو قوله: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عُدَّةٌ لِلِقَاءِ اللَّهِ»،^٢ وهكذا ترتبط الحركة بالمبدأ، وبالغاية والمنتهى ارتباطاً عقائدياً، راسخاً وعميقاً، فالله هو المبدأ، وهو الغاية، ومعه سيكون اللقاء في يوم البقاء.

«يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ»^٣.

وفي نص آخر: «إِنَّ نَقْشَ خَاتَمِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ: «لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابَةٌ»^٤.

٦- الامام السجاد عليه السلام

الف: والامام السجاد الذي عاش أجواء كربلاء، وصلي نار آسيها وآلامها، وتسمر الظروف القاسية بفرض هيمنتها وآثارها، نرى انه يد كرتلك للآسي، حيث انه كان يتختم بخاتم ابيه الذي كان نقشه: «إِنَّ اللَّهَ بِأَلْبَعُ أَفْرِهِ»^٥. و اعتزازاً منه باداء الوظيفة الشرعية والتكليف الإلهي، وإشارة صريحة منه الى انه هو ايضاً يسير على نفس الخط، ويسلك نفس الطريق.. كما انه كان يتختم بخاتم ابيه الحسين عليه السلام المنقوش عليه: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عُدَّةٌ لِلِقَاءِ اللَّهِ»^٦.

(١) البحار ج ٤٣ ص ٢٤٧ و ٢٤٨ و اعلى الصدوق ١١٦ و راجع ١٢٨ و سفينة البحار ج ١ ص ٣٧٧

(٢) المصدر السابق (٦) الانشقاق

(٤) نور الابصار ص ١٢٦ و النصول المهمة لابن الصباغ ص ١٥٧

(٥) راجع مصادر الحديث الجامع عن الرضا عليه السلام

(٦) اعلى الصدوق ١٢٦ و البحار ج ٤٣ ص ٢٤٧ و ٢٤٨ و سفينة البحار ج ١ ص ٣٧٧

باء: وإذا كان لابد له من العمل الذائب والجاد من أجل أن تؤتي المسيرة الجهادية التي بدأها أبوه سيد الشهداء ثمارها، وإذا كان هو الذي يتحمل مسؤولية حفظ تلك الدماء الزكية، وتأثيرها الأثر الايجابي المنشود في روح الأمة، وفي ضميرها ووجدانها.. فانه لا يكتفي بالبكاء على ذلك الشهيد الزكي، وانما ينقش على خاتمه الاشادة بذلك الموقف الخالد، الذي لا يساوم ولا يهادن على بحساب الدين والحق، ويسجل اذنته الصريحة لموقف الخزي والعار لكل أعدائهم وخصومهم أعداء الله والانسان، ولتلك الجريمة النكراء لبقى صداها الهادر خالداً وابدياً، يتردد عبر الاجيال يصم آذان كل الطغاة والجبارين، ويتحدى كل الجناة والبغاة.

نعم.. انه ينقش على خاتمه: «خَزِي وَ شَقِي، فَأَتِلُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ» اَعْلِيَهُ السَّلَامُ.

جيم: و بعد ذلك .. فانه اذا كان الطغيان الأموي البغيض لايزال يمتد ويمتد، ويتعالى ويشتد، حتى ليخيل اليهم: أنهم - بقتلهم الحسين عليه السلام - قد حققوا أعز أمنياتهم واغلاها، وبلغوا الغاية، واوفوا على النهاية، بالقضاء حسب تصورهم على أقوى خصومهم. وهم أهل البيت عليهم السلام قضاء تاماً و نهائياً، و يرون أنهم قد بلغوا الذروة، و حصلوا على أعلى درجات العزة والمجد،... كما تصور معاوية من قبل، حينما صالح الإمام الحسن عليه السلام.. فاننا نراه عليه السلام يتختم بخاتم منقوش عليه نفس العبارة التي كانت على خاتم عمه الإمام الحسن عليه السلام، وهي: «أَلْعِزَّةُ لِلَّهِ»^٢.

دال: و إذا كان الإمام السجاد يأخذ على عاتقه مهمة احياء الدين في

(١) الكافي ج ٦ ص ٤٧٣ وعيون اخبار الرضا ج ٢ ص ٥٦ واملال الصدوق ص ١١٦ والوسائل ج ٣ ص ٤١٠ والبحار ج ٣ ص ٢٤٧ و ج ٤٦ ص ٥٥ و مستند الامام الرضا ج ٢ ص ٣٦٥
(٢) قرب الإسناد ص ٣١ والبحار ج ٤٦ ص ٧٠ و ج ٤٢ ص ٦٨

ظروف هي من أصعب الظروف وأشدّها وأقساها ولا سيما.. وأن الناس بعد استشهاد ابيه ولأسباب مختلفة بيّناها في مقالنا الامام السجاد وباعث الاسلام من جديد^١. قد تركوا اهل البيت، وانصرفوا عنهم، حتى لم يعد احد يعترف بامامة السجاد سوى ثلاثة اشخاص^٢.

إذا كان كذلك.. فان الإمام السجاد لا بد وأن يبدأ مرحلة جهادية جديدة: زاخرة بالمتاعب والأخطار، وتحتاج لمزيد من العمل والمتابعة، ومزيد من اجر المضي، والتسديد الإلهي، فنجد نقش خاتمه عليه السلام «وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ»^٣.

هاء: ويوفقه الله سبحانه في جهاده الكبير ذاك، ويهيئ الأرضية المناسبة التي هيأت لنشوء مدرسة الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام بعده. وكل علو وعتو الأمويين وأعاونهم لم يكن ليتمكن من أن يعيق المسيرة، او يمنع من القيام بالواجب، فالله هو العلي، وهو المستحق للحمد على توفيقاته ونعمه ويأتي نقش الخاتم الآخر ليقول: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ»^٤.
واو: ويعيش عليه السلام في زمن يسيطر عليه الجهل بالتعاليم الإلهية، حتى إن كثيراً من الهاشميين - فضلاً عن غيرهم - ما كانوا يعرفون كيف يصلون، ولا كيف يحجون^٥. فيكون نقش خاتمه: «عَلِمْتَ فَأَعْمَلْ»^٦.

٧ - الامام الباقر عليه الصلاة والسلام

و نجد تشابهاً في بعض مراحل وظروف حياة الامام الباقر عليه السلام مع

(١) راجع كتابنا «دراسات و بحوث في التاريخ والاسلام» ج ١

(٢) راجع الكشي ص ١٢٣ و ص ١١٥ وغيره..

(٣) نورالابصار ص ١٣٩ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٨٧

(٤) الكافي ج ٦ ص ٤٧٣ والبحار ج ٤٦ ص ٥

(٥) كشف القناع عن حجية الاجماع ص ٦٧ (٦) عيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٣٠٢

حياة وظروف الإمام الحسن عليه السلام، ثم الإمام الحسين ثم والده الإمام السجاد عليهم السلام. و يشير إلى هذا التشابه: اننا نجد الامام السجاد عليه السلام يقول للقاسم: «إِيَّاكَ أَنْ تَشُدَّ رَاحِلَةَ تَرْحَلُهَا هُنَا لِطَلَبِ الْعِلْمِ، حَتَّى يَمْضِيَ لَكُمْ بَعْدَ مَوْتِي سَبْعُ حَجِيجٍ»^١ واذن فن الطبيعي ان يلبس عليه السلام خاتماً يكون نقشه هونفس نقش خاتم الامام الحسن عليه السلام، و آخر يكون نقشه نفس نقش خاتم الإمام الحسين وولده السجاد عليها السلام.. ولم يكن تحتمة عليه السلام بخاتم جده الحسين عليه السلام المنقوش عليه: «إِنَّ اللَّهَ بِالْبُلْغِ أَمْرُهُ»^٢ إلا لأنه قد كان ثمة حاجة مستمرة لتذكير الأمة - والتركيز التام على موقع اهل البيت عليهم السلام من الاسلام، ثم الإشارة بالموقف الرسالي الرائد للامام الحسين (ع) والتذكير بالجريمة النكراء التي ارتكبتها الأمويون في حقه وحق أهل بيته واصحابه، مع الإلماح إلى أن ثمة اصراراً على مواصلة المسيرة وبعث هذا الدين الذي اريد دفنه مع مزيد من الثقة بألطف الله وبعناياته، ومزيد من التفاؤل فيما يرتبط بهذه الانطلاقة الجديدة، «فَإِنَّ اللَّهَ بِالْبُلْغِ أَمْرُهُ»، و«وَقَتِّمُ نُورِهِ» و مدخر نصره لعباده الأبرار مهما قست الظروف، و مهما جهد اعداء الله والانسانية، و مهما بلغ معه ظلمهم وتجبرهم فان كل ذلك ليس الا «كسراب بقية».

ولم تكن ثورة الحسين عليه السلام الا تلك الانطلاقة الرائدة والخطوة الأولى على طريق تحقيق الأهداف الالهية فإنَّ الله بالْبُلْغِ أَمْرُهُ.
 إِنَّ كَانَ دِينٌ مُحَمَّدٍ لَمْ يَسْتَقِمَّ إِلَّا بِقَتْلِ يَأْ سَيْوْفٍ خُذْنِي...
 وهذا بالذات ما يفسر لنا ايضاً تحتمة بخاتم منقوش عليه:

(١) كشف القناع عن حجية الإجماع ص ٦٦

(٢) راجع مصادر الحديث الجامع المتقدم عن الامام الرضا عليه السلام بالاضافة الي: البحار ج ٤٦ ص ٢٢١ وحياة الإمام الباقر للقرشي ج ١ ص ٢٨، وعن اعيان الشيعة ج ١ ص ١٦٩ وعن الكافي وغيره.

ظَنِّي بِاللَّهِ حَسَنٌ وَبِالْتَّبِيِّ الْمُؤْتَمَنِ
 وَبِالْوَصِيِّ ذِي الْمِئْنِ وَبِالْحُسَيْنِ، وَالْحَسَنِ (ع)
 مع تضمن ذلك تحدياً سياسياً وعقائدياً خطيراً بالنص على ان الإمامة
 والوصاية لأئمة المؤمنين عليه السلام الامر الذي يعطي أن كل من عداه ممن
 تصدى ويتصدى لقيادة الأمة، فانما هو متعد وغاصب، لا مبرر لتصديه لما
 يتصدى له على الإطلاق هذا كله..

عدا عن انه كان يتختم بخاتم الإمام الحسين عليه السلام الذي نقشه: «لَا
 إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عُدَّةٌ لِلِقَاءِ اللَّهِ»^٢ وهو خاتم سائر الائمة عليهم السلام قبله...
 وبعد ذلك، فان الإمام الباقر عليه السلام يعاصر جبابرة الأمويين الذين
 يفتحون البلاد، ويذلون العباد، ويرون أن اهل البيت عليهم السلام قد انتهى امرهم،
 وخضت شوكتهم بزعمهم، ويرون انفسهم قد وصلوا إلى منتهى درجات المجد
 والعظمة، ونالوا بزعمهم كل ما يمكن ان ينال من مظاهر العزة والشوكة والقوة.
 فن الطبيعي أن يسجل في مقابل ذلك، ذلك الشعار الذي يدين ذلك
 الفكر المنحرف، ويزلزل كل تلك المفاهيم ويهزها من الأعماق.

فتجد نقش خاتمه (ع) تارة هو نقش خاتم الإمام الحسن عليه السلام من
 ذي قبل وهو «الْعِزَّةُ لِلَّهِ»^٣. وأخرى نجده يضيف اليه ولعله خاتم آخر له -
 كلمة لها دلالتها الهامة في مقابل جباري الأمويين، فسار نقش الخاتم:
 «الْعِزَّةُ لِلَّهِ جَمِيعاً»^٤ فليتأمل في كلمة «جَمِيعاً» في ظروف واجواء كهذه.

(١) راجع «كشف الغمة ج ٢ ص ٣٢٢ ونور الابصار ص ١٤٣ كلاماً عن تفسير الثعلبي، والبحار ج ٤٦ ص ٢٢١ و
 عيون اخبار الرضا ج ٢ ص ٢٧ و مكارم الاخلاق ص ٩٢ و مستدالامام الرضا ج ٢ ص ٣٦٤ و ٣٦٨ والوسائل ج ٣
 ص ٤١١ و عن مطالب السؤل ص ٨٠

(٢) امال الصدوق ص ١٢٨ والبحار ج ٤٣ ص ٢٤٧/٢٤٨ و سفينة البحار ج ١ ص ٣٧٧

(٣) الكافي ج ٦ ص ٤٧٣ والبحار ج ٤٦ ص ٢٢٢/٢٢٣ والوسائل ج ٣ ص ٤٠٨/٤٠٩ و مكارم الأخلاق ص ٨٩

(٤) التهذيب للشيخ الطوسي ج ١ ص ٣٢ والإستبصار ج ١ ص ٤٨ و قرب الإسناد ص ٧٢ والبحار ج ٤٦ ص ٢٢٣

والوسائل ج ١ ص ٢٣٤ سنن بيهقي ج ٤ ص ١٤٣.

وثالثة يكون نقش خاتمه عليه السلام: «**الْقُوَّةُ لِلَّهِ جَمِيعاً**»^١.
 وإذا كان لابد من مواصلة المسيرة بمزيد من الإصرار، وبزيد من الثقة
 بنصر الله سبحانه، مهما كانت الظروف ومهما عظمت التحديات.. وإذا كان
 لابد له من معين ونصير على ذلك.. فاننا نجد عليه السلام يتختم بخاتم آخر
 يكون نقشه: «**رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً**»^٢.

٨ - الامام الصادق عليه السلام

لقد عاش الإمام الصادق عليه السلام في عهد ضعف الأمويين نسبياً، و
 انشغالهم بحروب الخوارج وغيرهم: تلك الحروب هدتهم، وزعزعت الثابت من
 اركان حكمهم.. وعاش أيضاً انطلاقة الدعوة العباسية التي استطاعت ثل
 العرش الأموي، و تحطيمه نهائياً، حيث تربع العباسيون على سدة الحكم
 والسلطان، واخذوا في تثبيت قواعد حكمهم وتدعيمها بكل ما يقدرون عليه..
 ثم لما اشتد ساعدتهم، وقويت شوكتهم عدوا على ابناء عمهم أئمة أهل البيت
 عليهم السلام - وشيعتهم يوسعونهم قتلاً وعسفاً وتشريداً، لأنهم رأوا فيهم خطراً
 يهدد وجودهم في الحكم، وفعالية هذا الوجود فيه.

وبعد هذا.. فان توضيح نقوش الخواتيم المختلفة التي كان يتختم بها الإمام
 الصادق عليه السلام في الأحوال المختلفة، يمكن ان يكون على النحو التالي:

الف. إنه إذا كان الإمام الصادق عليه السلام قد عاصر فترة ضعف
 الأمويين، وافول نجمهم، وفترة نشوء الدولة العباسية، التي كانت لا تزال في
 بداياتها تعاني من الضعف والاهتراز أيضاً.. فأولئك كانوا قد ضعفوا، وهؤلاء لم

(١) حلية الاولياء ج ٣ ص ١٨٦ و تاريخ جرجان ص ٤١٩ و هامش الجارج ص ٤٦ ص ٤٢٣ و يحتمل أن يكون
 كلمة «الْقُوَّة» تصحيف كلمة: «الْعَزَّة» لتقار بها في الرسم، فلا يبق فرق بينه وبين سابقه.

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ١٩٧ ونور الابصار ص ١٤٣

يقووا بعد- اذا كان كذلك - فاننا نلاحظ: أنه عليه السلام لا يتختم بعد بذلك الخاتم الذي نقشه «**الْعِزَّةُ لِلَّهِ**» أو «**الْعِزَّةُ لِلَّهِ جَمِيعاً**»

و انما نجده يهتم في الاستمرار بالتذكير بجرمة الأمويين النكراء، بحق خامس أصحاب الكساء؛ لاعطاء المثل الحي للأمة، كل الأمة. وبانه إذا كان الحاكم لا يرجع الى دين، ولا ينتهي الى وجدان، فانه يكون أشرس المخلوقات واخزاهما ويكون على استعداد للاقدام على كل جريمة، وارتكاب كل عظمة في سبيل اغراضه الشخصية، ومآربه وغاياته اللاإنسانية.. وان الأمة، كل الامة لتتحمل وزر السماح لأمثال هؤلاء بالتحكم بمقدراتها، والتسلط على الأمور فيها.. نعم.. ولعل ذلك هو بعض ما يرمى اليه عليه السلام من تختمه بخاتم جده الامام الحسين عليه السلام المنقوش عليه: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عُدَّةٌ لِلْقَاءِ لِلَّهِ**»^١ و أما لماذا لم يتختم بخاتمه الآخر، المنقوش عليه: «**إِنَّ اللَّهَ بِالْغَيْبِ أَمْرٌ**»؛ فلعله من أجل أن الأوضاع السياسية المتقلبة التي تعاني منها الأمة تحتاج للمزيد من الربط بالله، والتأكيد على وحدانيته سبحانه.. من أجل ان يفهم الناس أن هذا التوحيد الخالص هو الذي من شأنه أن يهب الموقف الصحيح والسليم، الذي من شأنه أن يهب الحياة الحقيقية للناس كل الناس.. وما داموا مبتعدين عن هذا المعنى، فان عليهم أن يتحملوا مرارة الانحراف الذي يساهمون هم انفسهم، إن لم يكن في إيجاده، ففي قوته واستمراره على الأقل..

وبعد كل ذلك... فإن تحولات الأمور بالنسبة للحكم الأموي في حروبه مع الخوارج وغيرهم..، ثم رفع العباسيين شعارات الأخذ بثارات العلويين، والدعوة للرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ودراسة الأمور دراسة موضوعية ليعطى: أن الأمور تتجه، إلى تغييرات عميقة، وتحولات هامة، على

الصعيد السياسي، والفكري والاجتماعي، وغير ذلك .. ولكنها على أي حال لم تكن لصالح أهل البيت الذين يمثلون القيادة الإلهية الحقيقية والواعية للأمة.. وان توهم الكثيرون ذلك .. وإن هذا الاتجاه الظاهري من قبل الناس نحو أهل البيت عليهم السلام لا يمكن أن يمثل قوة يصح الإعتماد عليها للقيام بحركة تستهدف تصحيح الأوضاع جذرياً، لصالح الدين والأمة، لأنها لم تكن ناشئة عن وعي عقائدي مركز، وإنما كانت عواطف صادقة أحياناً وغير صادقة أحياناً أخرى؛ لاستنادها إلى خلفيات ذات طابع شخصي، أو قبلي، أو غير ذلك، فهي إذن لا تقوى على مواجهة التحدي المبدأى والعقدي، إن لم نقل؛ إنها سوف ترد لتلواجهة التحدي بمثله، ولتجهض من ثم كل الجهود، ويذوى الأمل، وتجبف المنى.

وإذن: فإن هذه القوة الظاهرية لمهيت هي القوة التي يمكنهم الاعتماد عليها، والاستناد إليها.. لأنها ليست مستندة إلى الله سبحانه، ومن الواضح أنه

«لأقوة إلا بالله».

وإذا كانت ظروف كهذه زاخرة بالمغريات، غنية بما يذكي الطموح للدخول في حمأة السياسة، ولا سيما مع وجود كثير من العروض السياسية - من قبل دعاة العباسيين، وأغراءاتهم - التي لم تكن إلا لأسباب قاهرة فرضت نفسها عليهم، كما أو ضحناه في كتابنا: «الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام» إذا كان كذلك، فإن من الطبيعي أن يكبح الإنسان جماح طموحاته هذه التي سوف لن تنتهي إلى ما ينفع الإسلام والإنسان، يكبحها بطلب المغفرة من الله، ومن الله وحده سبحانه..

وبعد ذلك كله، فإننا ندرك بعمق مغزى كون نقش خاتمه عليه الصلاة والسلام العبارات الثلاث التالية: «مَا سَاءَ اللَّهُ، لأقوة إلا بالله، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ»^١ وكذا نقش الخاتم الآخر على الظاهر: «اللَّهُ حَالِقُ كُلِّ

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٠٩ وكشف الغممة للرازي ج ٢ ص ٣٧٠ ونور الإبصار ص ١٤٥ والبحار

شئ»^١.

و بعد ذلك .. فإنه إذا كان الإمام الصادق لا بد له من مواصلة المسيرة، و تحمل اعباء نشر الإسلام، و تعليم الناس الأحكام، والآن وقد سنحت له الفرصة - أكثر من غيره من الأئمة، و ذلك بسبب ضعف الدولتين اللتين عاصرهما لسنوات عديدة وهي فترة الأقول والنشوء، فإنه يدعو الله سبحانه، الذي هو ثقته و ملجوه في المهمات: ان يسهل له هذه المهمة، وان يقيه شر الأعداء، فيكون نقش خاتمه: «رَبِّ يَسِّرْ لِي، أَنْتَ تَقِي، فَقِي شَرَّ خَلْقِكَ»^٢.

وإذا كان لا بد من رفض ولاية الطاغوت، و الإلتزام فقط بولاية الله سبحانه و تعالى فإن كان العباسيون بعد أن وصلوا الى الحكم، و قضاوا على الأمويين، و أحكموا أمورهم، و ثبتوا قواعد ملكهم قد تفرغوا لأبناء عمهم آل علي و لشيعتهم، و يتعرض حتى الإمام الصادق عليه السلام، لكثير من المضايقات و التهميدات، و المحاولات الجادة من قبل المنصور العباسي لتصفيته حتى جسدياً - وهو مانح به أخيراً - فاننا نجد نقش خاتمه عليه السلام منسجماً مع ذلك كله .. فيكون: «اللَّهُ وَلِيِّي، وَهُوَ مَضَمِّي مِنْ خَلْقِهِ»^٣.

وفي بعض النصوص: «اللَّهُمَّ أَنْتَ تَقِي، فَقِي شَرَّ خَلْقِكَ» أو ما بمعناه^٤.

٩- الإمام الكاظم عليه السلام

الف: ولقد عاش الإمام الكاظم عليه السلام في فترة شعور العباسيين

(١) الكافي ج ٦ ص ٤٧٣ و الوسائل ج ٣ ص ٤٠٨ و البحار ج ٤٧ ص ١٠ عن مصباح الكفعمي ص ٥٢٢.

(٢) دعائم الإسلام ج ٢ ص ١٦٥

(٣) راجع مصادر الحديث الجامع المتقدم عن الامام الرضا عليه السلام في أوائل هذا البحث، بالاضافة الى البحار

ج ٤٧ ص ٨

(٤) البحار ج ٤٧ ص ١١ و ١٠ عن العدد وغيره و مكارم الاخلاق ص ٨٩ و ٩١ و الكافي ج ٦ ص ٤٧٣ و الوسائل

ج ٣ ص ٤١٠ و مستند الامام الرضا ج ٢ ص ٣٦٣ و تاريخ جرجان ص ٤١٨/٤١٩

باستقرار ملكهم، وثبات سلطتهم، هذا الشعور الذي بدأ بالتبلور في النصف الثاني من خلافة المنصور، اي بعد قضائه على حركة بني الحسن، ونقله عاصمة الخلافة الى مدينة بغداد، وغير ذلك من إجراءات، جعلته يطمئن نسبياً إلى مستقبل العباسيين في الحكم ثم أكمل ولده المهدي المهمة التي كان بدأها ابوه، وهي القضاء على خصوم الحكم تحت شعارالاتهام بالزندقة، وغير ذلك من شعارات. ويتمكن الهادي أيضاً من اخاد ثورة الحسين بن علي صاحب فتح رضوان الله تعالى عليه.. الى غير ذلك من امور لا مجال لتتبعها الآن.

فما أشبه الحالة والظرف الآن بتلك الحالة والظرف الذي مر به أمير المؤمنين عليه السلام في فترة عاشها مع الحكم الجديد، بعد وفاة النبي الاكرم صلى الله عليه وآله، حيث اتخذ ذلك الحكم الناشئ من الإجراءات ما جعله يطمئن الى ثباته واستقراره، ولعل الظروف التي مر بها أمير المؤمنين عليه السلام إبان نشوء حكم الأمويين وتمكنهم نسبياً من الأمر.. لا تختلف عن ذلك كثيراً أيضاً.

ولعل ذلك كله يفسر لنا سر تحتم الإمام الكاظم عليه الصلاة والسلام بخاتم جده أمير المؤمنين عليه السلام المنقوش عليه عبارة: «أَلْمَلِكُ لِلَّهِ» او «أَلَلَّهُ الْمَلِكُ»^١.

باء: ثم تاتي خلافة الرشيد العباسي، الذي كان يستلحق على قفاه، وينظر الى السحابة الحاملة للمطر، ويقول: «إِذْهَبِي إِلَى حَيْثُ شِئْتَ يَا بِنِي خَرَايُجُكَ»^٢.

وهي كلمة تعبر عن مزيد من الإعتزاز بسعة الملك والسلطان.. ومعه المزيد من مظاهر الترف والبذخ، و حياة النعيم والراحة.. والإطمينان إلى المستقبل،

(١) راجع: البحار ج ٦٢ ص ٦٩ و ٧٠ و ج ١٦ ص ١٢٢ و ثواب الاعمال ص ٢١٠/٢٠٩ والكافي ج ٦ ص ٤٧٢ و

مكارم الاخلاق ص ٨٩، والوسائل ج ٣ ص ٤٠٥

(٢) مآثر الإمامة ج ١ ص ١٩٤

ولا شك في ان هذا الشعور كان قد بلغ أوجه، حينما استطاع الحكم ان يحد من فاعلية ونشاط اهل البيت عليهم السلام، بما اتخذ من إجراءات قعية ضدهم وضد سيدهم وعظيمهم الامام الكاظم عليه السلام.

فوجد الإمام الكاظم عليه السلام في مجال مواجهة ذلك الشعور، ومقاومته وترسيم الخط الصحيح والسليم للأمة لا يألوجهداً ولا يدخر وسعاً، ونراه يعبر عن رأيه وعن موقفه، باطلاق الشعار الواقعي والصحيح في كل فرصة، وكل مناسبة.. ثم يكون نقش خاتمه عليه السلام هو نفس النقش السابق بزيادة كلمة واحدة، ليصير: «أَلْمَلِكُ لِلَّهِ وَحْدَهُ»^١.

جيم: ويواجه عليه السلام هو وشيعته طغيان العباسيين وبغيتهم، ويقضى السنوات الطوال في غياهب السجون ويتحمل المزيد من المصائب والآلام منهم حتى ينتهى الأمر باستشهاده عليه السلام، بتصميم وبامر منهم على أيدي جلاديهم الأشرار..

كما أنه عليه السلام يجد الناس إما منصرفين عن اهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، أو ان موقفهم يتسم بالضعف واللامبالاة وبالخنوع والخضوع لحكام الجور، والإطمينان للحياة الدنيا، و يروقههم زخرفها وزبرجها، ولا يعيشون القضايا المصيرية الحساسة، التي هي قضاياهم الحقيقية، وقضايا الدين والأمة، فاننا نجد خاتمه عليه السلام هو: «حَسْبِيَ اللَّهُ» وفيه وردة وهلال في أعلاه»^٢.

ولعل الوردة تشير الى التفتح الثقافي، الذي بدأ يظهر في قطاعات واسعة

(١) راجع: البحار ج ٤٨ ص ١١ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢١٨ ونور الابصار ص ١٤٨، و حياة الامام موسى بن جعفر للقرشي ج ١ ص ٤٨ عن أخبار الدول ص ١١٢

(٢) راجع: الكافي ج ٦ ص ٤٧٣ ومكارم الاخلاق ص ٩٠ و٩٢ والبحار ج ٤٨ ص ١٠ والواصل ج ٣ ص ٤١٠ و مستد الامام الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٣٦٣.

من الأمة، و يحمل النثر الطيب للمعاني الإسلامية السامية...

اما الهلال، فلعله يشير الى الأمل بولادة النور من جديد، وانبثاق تياره العارم على شكل دائري مستوعب في مسيرته التكاملية إلى ان يصير بدرأ، حيث يبلغ الأربعة عشر، على عدد المعصومين الأربعة عشر، الذين آخروهم المهدي الموعود، «الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، بعد ما ملئت ظلماً وجوراً» و يلاحظ هنا: ان أول من اتخذ الهلال شعاراً هو النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، فقد روى العسقلاني، في ترجمة سعد بن مالك بن الأزدي، قال: «قال ابن يونس: وفد على النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وعقد له راية على قومه سوداء، فيها هلال أبيض، وشهد فتح مصر الخ»^١. فدعوى البعض: أن العثمانيين قد اخذوا رسم صورة الهلال علامة رسمية من القياصرة. واصله من فيلبس والد الإسكندر المقدوني الأكبر،^٢ دعوى غير صحيحة، ولا مقبولة...

١٠ - الامام الرضا عليه السلام

الف: ولقد عاش الامام الرضا عليه السلام منذ وفاة أبيه عليه السلام في ظروف مأساوية، لا تختلف كثيراً عن ظروف ابيه الامام الكاظم عليه الصلاة والسلام، فهو قد عاش آلام ابيه، وتفاعل معها، وناله قسط كبير منها.

واختص هو عليه السلام بالآلام ومتاعب حمة، لم تكن في مرارتها باقل اثرأ مما سبقها، ولاجل ذلك نجد عليه السلام يتختم بخاتم ابيه، الذي يشير الى هذه الآلام، و تلك المتاعب وهو نفسه عليه السلام يعلن ذلك، ويلفت اليه فيقول:

«كَانَ نَقْشُ خَاتَمِ أَبِي: «حَسْبِيَ اللَّهُ وَهُوَ الَّذِي كُنْتُ أَتَخْتَمُ بِهِ»^٣.

(١) الإصابة ج ٢ ص ٣٢ والتراتب الادارية ج ١ ص ٣٢٠

(٢) راجع: التراتيب الادارية ج ١ ص ٣٢٠ عن وفيات الاسلاف ص ٣٨٠

(٣) راجع: مصادر الحديث الجامع المتقدم في أوائل هذا البحث عن الامام الرضا عليه السلام بلاضافة الى: الكافي

باء: وقد بلغت هذه الآلام ذروتها في عهد المأمون العباسي، حتى لنجد الامام الرضا عليه السلام، كان اذا رجع من الجمعة يدعو على نفسه بالموت، ليتخلص مما هو فيه^١.

الأمر الذي يعطى: أن حياة الامام عليه السلام مع المأمون انما كانت حياة غربة، و ألم ومرارة، يجد الموت أهون عليه من تحملها.. وان كانت الأحوال في ظواهرها الساذجة تشير الى عكس ذلك للبسطا والسذج من الناس. ونستطيع ان نشبه هذه الفترة من الزمن، من حيث وضعها وظواهرها السياسية بالفترة التي عاشها الإمام الصادق عليه السلام، وهو يعايش التحولات الخطيرة التي تتعرض لها الأمة، وسيكون لها تأثير هام وحاسم على مستقبلها بصورة عامة. وذلك لأن المأمون العباسي - حسبنا اوضحنا في مجال آخر^٢ - قد كان يعاني من ظروف شبيهة بظروف الأمويين في أواخر ايامهم.. حتى ليجد نفسه مضطراً للاستعانة بغير العرب لمواجهة أخيه الأمين بالحرب الضروس، التي انتهت بقتله اخاه.. الأمر الذي نشأ عنه إضعاف مركز عموماً - ثم وضع كثير من علامات الاستهزام على حقيقة نواياه واهدافه.. كما أنه من جهة أخرى يجد: أن التعاطف مع آل علي عليه السلام يزداد قوة واتساعاً يوماً عن يوم.. الى غير ذلك من عوامل و معطيات - بعلمته بحاجة ماسة الى البحث عن غطاء معنوي، يدعم به مركزه، ويحفظ بواسطته وجوده واستمراره في الحكم.

ومن جهة أخرى فإنه - اذا كانت الأجواء هي هذه.. واذا كان التعاطف مع العلويين قد أصبح يبدو وكأنه يشكل تياراً عارماً يمكن أن يزعزع الكثير

٦٣ ص ٤٧٣ والبحار ج ٤٩ ص ٩ وج ٤٨ ص ١١ والوسائل ج ٣ ص ٤١٠ ومستند الامام الرضا ج ٢ ص ٣٦٣ ونور الابصار ص ١٥٢ والمفصّل المهمة لابن الصباغ ص ٤٣٠

(١) عيون اخبار الرضا ج ٢ ص ١٥ والبحار ج ٤٩ ص ١٤٠ وراجع الحياة السياسية للامام الرضا عليه السلام ص ٣٤٦/٣٢٥

(٢) راجع كتابنا الحياة السياسية للامام الرضا عليه السلام.

من الثابت، بحسب الظاهر. ويستطيع أن يحرك الساحة باتجاه آخر أكثر انسجاماً مع الرغبات والميول، وإذا كانت المغريات تزداد كثرة وجذابية يوماً عن يوم، حتى ليخيل للإنسان: أن الفرصة مواتية لتحرك من نوع ما - لوجود القوة الكافية والصالحة للاعتماد عليها في انطلاقة الحركة نحو التغيير الشامل، وفي استمراريتها.. وإذا كانت الاغراءات والعروض، وحتى الضغوط المأمونية والإصرار عليه بالقبول بالخلافة تارة، وبولاية العهد أخرى قد بدأت تلوح في الأفق القريب...

وإذا كان الامام يعلم حقيقة الامر، ويدرك أن كل ذلك غير قابل للاعتماد عليه، وليس في المستوى الذي يؤهله لتحريك الساحة، وحماية استمرارية هذه الحركة، وأن عروض المأمون تلك، والتي بلغت درجة الاصرار فيها حد التهديد بالقتل والتصفية الجسدية، الأمر الذي يحمل معه مؤشرات واضحة على أن ذلك لم يكن الا مؤامرة خطيرة تستهدف تكريس الأمور في غير نصابها، وبالذات على حساب اهل البيت، وعلى حساب قصصهم التي هي قضية الاسلام الكبرى...

وإذا اردنا ان نكون اكثر تحديداً في عرضنا لحقيقة الظروف التي كانت تفرض نفسها آنئذ، فإننا نقول:

إنه.. وان كانت قد سنحت الفرصة للامام الباقر والصادق عليهما السلام، ليقوموا بدورهم الطبيعي في تربية الطليعة المثقفة والواعية، حتى يمكن القول: ان هذه الطليعة هي التي كانت تمثل التيار العام الذي يهيمن على مختلف القطاعات تقريباً.. والذي استمر كذلك حتى عهد الامام الرضا عليه السلام.

وهذا الامر، وان كان ينمكس على كافة القطاعات في الساحة الإسلامية، وكان له اثر لا ينكر في التكوين الفكري والعاطفي في الناس عموماً.. ولكن هذا الأثر لم يتعد بُعد العاطفي، والفكري الجاف، ولم يصل الى درجة التكون العقيدي الراسخ، الذي من شأنه ان يجعل الفكر الحي يتفاعل مع العاطفة الصادقة في داخل الانسان، ليكون وجداناً حياً من شأنه أن يتحول إلى موقف رسالي على

صعيد الحركة والعمل ..

وعلى هذا.. فلم يكن يمكن الإعتماد على هذا الوعي، ولا على تلك العاطفة في القيام بحركة تغييرية جذرية وحاسمة، ولا سيما بملاحظة ما كان يهيمن على الناس عموماً من ميل قوي للراحة وللحياة المادية، ومن استسلام لحياة الترف واللذة، والتي تستتبع الضعف والركود والخوف من الاقدام على أية حركة تغييرية تستهدف ما افوه واعتادوا عليه.

ولوفرض أنهم في غمرة هيجانهم العاطفي نجحوا في حسم الموقف لصالح الإتجاه الآخر؛ فان رصيذاً كهذا - فكرياً وعاطفياً وحسب، أي من دون بُعد عقيدى، وفناء وجداني - لن يكون قادراً على حماية استمرارية الحركة بسلامة وصفاء ولا على تحمل مسؤولياتها التغييرية التي سوف تستهدف جزءاً كبيراً من واقعهم وأنفسهم.

بل سوف ترتد هذه الحركة على نفسها لتأكل ابناءها، وتنقض مبادئها، وتستأصل نبضات الحياة فيها.. وذلك لأن العاطفة سيخبو وهجها، مادام لم يعد ثمة ما يثيرها و يؤججها.. وسيصبح الفكر ركاماً جافاً وخامداً، حينما تهب عليه ريح المصالح والاهواء والشهوات؛ لتجعل منه هشياً تذروه الرياح، إن لم يمكن استخدامه وقوداً لها، يعمل على استصلاحها، وتوجيهها، ويهيء الفرصة للاستفادة منها على النحو الاكمل والأمثل..

هذا كله.. لو امكن أن تصل الحركة الى درجة الحسم لصالح الإتجاه الآخر.. ولكنه فرض بعيد، وبعيد جداً، كما أثبتته التجارب المتكررة في اكثر من قرن من الزمن..

حيث رأينا بوضوح: كيف فشلت الحركات الزيدية الكثيرة جداً، وكيف سهل القضاء عليها، حتى اصبحت في خبر كان، حتى وكأن شيئاً لم يحدث رغم سعة نفوذ الزيدية على مختلف الأصعدة، وفي مختلف المجالات، ورغم سيطرتهم التامة على الأمور، سياسياً، واعلامياً، وثقافياً، وعاطفياً وغير ذلك.. كما اوضحناه في

كتابنا الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام.
وما ذلك .. إلا لأن الحركات الزيدية.. وهي حركات سياسية بالدرجة الأولى،
ولم يكن لها أصالة فكرية وعقائدية راسخة، تنطلق من الروح، وتنبع من الوجدان.
هذه الحركات إنما كانت تعتمد على ذلك المدّ العاطفي الهائل، وعلى ذلك الوعي الثقافي
الجاف .. الذي لم يصل الى حد مزج العاطفة بالفكر، والفكر بالوجدان لينتج موقفاً
رسالياً تخاض من أجله اللجج، وتبذل دونه المهج .. بل كان يجد من العراقيين
والمعوقات التابعة من داخل أنفسهم ما يجعل الاعتماد عليه اعتماداً على سراب، و
ذلك هو ما يفسر لنا كيف أنه حينما كان الناس.. يواجهون الأمور بمجدية، ويبلغ الحزام
الطبيين، يعودون الى دنياهم، و يركنون الى حياة السلامة والدعة، حسب تصورهم،
وما ينسجم مع هوى نفوسهم .. ولا يهمهم ما يحصل بعد ذلك، ولا ما ذاتكون النتائج.
واذن .. فلم يكن للأئمة والحالة هذه: ان يقدموا على المجازفة في ظروف كهذه لأن
معنى ذلك: هو أن ينتهي امرهم، وبسهولة ويسر تماماً، كما كان الحال بالنسبة للزيدية
وأصراهم ..

وبعد ذلك كله .. فانه اذا كان الإمام عليه السلام يدرك ذلك كله بوعي
وعمق .. واذا كان يتعامل مع ذلك الواقع بثقة وبمسؤولية، وبرسالية القائد الفذ،
والإمام الشاهد.

فانه يسجل ذلك كله، ويلمح الى نتائج ومعطيات واقع كهذا بكلمتين، و
بكلمتين فقط، فيكون نقش خاتمه عليه السلام:

«مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» .. كما كان مكتوباً على خاتم الامام
الصادق عليه السلام تقريباً.

نعم .. وان هاتين الكلمتين بالذات لتتسجمان كل الانسجام مع واقع

المأمون وطموحاته، وكذلك مع الواقع الذي يعيشه الامام ومسؤولياته، ثم...
 اخيراً.. مع ظروف الأمة ومقدراتها على جميع الأصعدة، وفي مختلف المجالات..
 ويلاحظ: ان هذه الفترة تبدو وكأنها فترة انفراج بالنسبة لأهل البيت
 عليهم السلام و شيعتهم، حيث لا يتعرض الحكم فيها للإساءة لاهل البيت
 بشكل علني و سافر، وانما هو يتظاهر بالمحبة والولاء لهم، ويمزج من مظاهر
 التقدير والاكرام والحفاوة بهم، وان كان ينبغي لهم الغوائل في الباطن، ويعمل
 بشتى الطرق، ومختلف الاساليب لاستئصال شأفتهم، واقتلاع كل جذورهم.
 ولاجل ذلك.. فاننا لانجد في هذه الفترة من حياة الامام الرضا عليه السلام، و
 كذلك في فترة حياة الامام الجواد عليه السلام ما يشير الى التذكير بما يتعرض له
 الائمة وشيعتهم من آلام.. لأن رفع شعار كهذا لن يكون مفهوماً للناس وحتى
 لن يكون مقبولاً ايضاً.. ولكننا نجدهم عليهم السلام يرفعون الشعار الآخر:
 المتقدم آنفاً، للإشارة الى أن المشيئة لله سبحانه، وبه وله القوة والسقدرة،
 فلا يجب ان يفتخر أحدهما يرا من مظاهر خادعة، بل عليه ان يتعامل مع الأمور بوعي
 وبعق، وبعد نظر وبمسؤولية حسبما تقدمت الإشارة اليه..

١١ - الامام الجواد عليه السلام

و بعد تمكن المأمون من تغيير ماجريات الأمور لصالحه، ولصالح تثبيت
 دعائم الحكم العباسي، عن طريق إجبار الامام الرضا عليه السلام بقبول ولاية
 العهد، وبيعة للناس له عليه السلام بها.. ثم تمكنه من تصفية الامام
 عليه السلام جسدياً بدم السم اليه..

و بعد أن لخصت الثورات، وخنقت جميع الأصوات، وعادت المياه الى
 مجاريها بين المأمون و بين بنى آبيه العباسيين فإن من الطبيعي: ان يشعروا
 (المأمون والمعلسون وأعدائهم): انهم قد حققوا غاية آمالهم، وحصلوا على أعز و

أعلى امنياتهم، ألا وهي تثبيت دعائم ملكهم، وترسيخ أركان سلطنتهم، وأنه لم يعد ثمة اية قوة تستطيع أن تقف في وجه جيروتهم، ومقابل فاحش طغيانهم.. بعد كل ذلك.. فاننا نلاحظ: أن نقش خاتم الإمام الجواد عليه السلام يتحدى كل تصوراتهم تلك، ويدين جميع مظاهر بغيهم وظلمهم؛ فيكون هو «نِعْمَ الْقَادِرُ اللَّهُ»^١.

و هو نفس نقش أحد الخواتيم التي كانت لأئمة المؤمنين عليه السلام من قبل...

١٢ - الامام الهادي عليه السلام

الف: واما الامام الهادي عليه السلام، فقد كان يعيش في زمن ارتدت فيه عادية العباسيين على اهل البيت بشكل علني وسافر.. وذلك في زمن عادت فيه الشوكة لأهل الحديث المعروفين بنصبهم وعداوتهم لأئمة المؤمنين عليه السلام، واهل بيته الأظهر عليهم الصلاة والسلام.. حيث ضعف امر المعتزلة وتلاشت قوتهم.. بظهور المتوكل العباسي، الذي كان من اشد الناس نصباً وعداء لاهل البيت عليهم السلام.. و كان المتوكل هذا هو الذي يتبنى تقوية أهل الحديث الذين كان يتزعمهم أحمد بن حنبل، وإعادة الشوكة والقوة لهم..

و يطمئن العباسيون من جديد الى قوتهم وثبات أقدامهم بعد قضائهم على المعتزلة، ولكنهم يدركون أن الخطر الحقيقي انما يتهددهم من قبل اهل البيت عليهم السلام، فيوجهون كل اهتماماتهم الى مضايقة اهل البيت وشيختهم، ما وجدوا الى ذلك سبيلاً.. فكانت هذه الفترة شبيهة الى حد ما في تقلباتها وتحولاتها من حيث انتقال القدرة من فريق الى فريق، ثم اطمينان هذا الفريق الى مستقبله في الحكم، وتوجهه للأئمة عليهم السلام ليقضي على نبضات الحياة

في حركاتهم وفي مواقفهم، لأنه يرى فيهم مصدرا لخطر الحقيقى الذى يهدد وجوده فى الحكم، واستمراره فيه - لقد كانت هذه الفترة شبيهة الى حد كبير ببعض مراحل حياة الامام الصادق عليه السلام - وهى آخر مرحلة من حياته عليه السلام عاشها مع المنصور العباسى .

فيتعرض الامام الهادى عليه السلام للإقامة الجبرية، ومختلف انواع الكيد والمكر التى تستهدف حياته ووجوده، فقد كان المتوكل يكرمه فى ظاهر الحال، ويبغى له الغوائل فى باطن الأمر، على ما صرح به ابن الصباغ المالكى، وغيره.^١

واذن.. فطبيعى: أن يكون نقش خاتمه عليه السلام فى ظروف كهذه هو: «اللَّهُ رَبِّي وَهُوَ عِصْمَتِي مِنْ خَلْقِهِ»^٢ و هو نفس نقش خاتم الامام الصادق عليه السلام، حسبما تقدم..

باء: ومن جهة أخرى.. فقد بدأت مرحلة جديدة، لابد من التعامل معها برؤية جديدة، وهى التمهيد والإعداد النفسى للأمة لمواجهة حدث الغيبة للامام الثانى عشر، الذى كانت المؤشرات كلها تجمع على انه لن يتمكن من مواصلة المسيرة بشكل علنى وسافر.

هذه المرحلة.. التى يمكن ان تعتبر إمامة الجواد عليه السلام، وهو صغير، واحدة من مقدماتها القريبة التى تساعد على فهم بعض جوانبها الهامة جداً..

وفى ظروف كهذه فانه يكون لابد من التذكير للأمة المؤمنة بان عليها أن تحفظ الحظ، وان تلتزم و تفى بما اخذته على نفسها من التسليم والتصديق، والانقياد لأوامره سبحانه وتعالى، ولقضائه و مشيئته، فلا تأخذهم حيرة

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٢٦ والارشاد للمفيد ص ٣١٤ والبحار ج ٥٠ ص ٢٦٣

(٢) الفصول المهمة ص ٢٦٣ والبحار ج ٥٠ ص ١١٦/١١٧

الضلالة، ولا يستسلموا لتهريشات الآخرين و تشنيعاتهم، التي لا تستند الى ركن علمي او عقلي وثيق..

و ان عليهم كذلك : ان لا يذوبوا في الجوالعام، ولا يركنوا الى الدنيا وزخرفها، ولا يستسلموا لأهوائهم ولصالحهم الآنية على حساب مصلحة الاسلام العليا، و قضيته الكبرى..

بل، ان عليهم ان يحفظوا النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم في عترته، وفي دينه وقرآنه، كما ان عليهم أن يتخلقوا بأخلاق الله سبحانه، فان.

«حِفْظُ الْعُهُودِ مِنْ أَخْلَاقِ الْمَعْبُودِ» كما جاء في نقش خاتم الامام

المهادي عليه الصلاة والسلام.^١

١٣ - الامام العسكري عليه الصلاة والسلام

و قد كان لا بد للإمام العسكري عليه السلام من ان يعلن لهم بشكل صريح وواضح: ان الامام بعده لن يكون حاضراً بينهم، وان عليهم أن يعدوا انفسهم لمواجهة حالة كهذه، كما أن عليهم أن يجعلوا نصب اعينهم حقيقة: ان غيبته عليه السلام لا تعني أن كل شيء قد انتهى، وذلك لأن الله هو الرقيب وهو الشهيد عليهم، على حد قوله تعالى، حكاية عن عيسى عليه السلام.

«... مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ: أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»^٢.

والآيات التي تتضمن شهادة الله والانبياء وغيرهم، على الناس كثيرة^٣. لا

(١) البحار ج ٥٠ ص ١١٧ عن مصباح الكفعمي.

(٢) المائدة / ١١٨

(٣) راجع «المعجم المفهرس» مادة شهد.

مجال لذكرها..

نعم.. ويأتي نقش خاتم الإمام الحسن العسكري عليه السلام ليؤكد هذه الحقيقة، ويتعامل معها، فيكون: «أَنَا اللَّهُ شَهِيدٌ»^١.
وفي نص آخر، منسجم ايضاً مع هذه الحقيقة تمام الانسجام:
«سُبْحَانَ مَنْ لَّهُ مَقَالِدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»^٢.

١٤ - الامام المهدي عليه السلام

واخيراً.. واما نقش خاتم الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وجعلنا من انصاره واعوانه، والمستشهادين بين يديه، فلم اظفر به في هذه العجالة، ولكنني مطمئن الى انه منسجم كل الانسجام مع الظروف والحالات والأوضاع التي يواجهها صلوات الله وسلامه عليه وعلى آباءه الطيبين الطاهرين..

(١) البحار ج ٥٠ ص ٢٣٨ عن مصباح الكفعمي .

(٢) الفصول المهمة ص ٢٧٠ والبحار ج ٥٠ ص ٢٣٨

كلمة ختامية

واخيراً .. فقد كانت تلك دراسة تكاد تكون موجزة فيما يتعلق بنقش خواتيم النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم الصلاة والسلام .. ولا ادعى انني استطعت استيعاب كل ما يرتبط بهذا الموضوع، فان ذلك متعذر بل متعسر في عجالة كهذه ..

ولكن مما لا شك فيه هو: ان هذا البحث يعتبر بداية مشجعة ومرضية على طريق الكشف، الكامل والوافي عن الظروف والملابسات المحيطة بهذا الموضوع .. وفي الختام .. فانني أسأل الله تعالى .. ان يوفقنا لمزيد من العمل الجاد والدائب في سبيل الكشف عن مختلف جوانب حياة الأئمة عليهم السلام، والاستفادة منها ما امكن في حياتنا وفي مواقفنا .. ان شاء الله تعالى .. انه خير مأمول، واكرم مستول ..

وَاللَّهُ هُوَ الْمُؤْتِقُ وَالْمُسَدِّدُ، وَهُوَ الْمُعِينُ وَالْهَادِي.

مصادر ومراجع البحث

- ١ - القرآن الكريم
 - ٢ - إختيار معرفة الرجال
 - ٣ - الإرشاد
 - ٤ - الإستبصار
 - ٥ - الأمالي
 - ٦ - البحار
 - ٧ - البداية والنهاية
 - ٨ - تاريخ الخميس
 - ٩ - تاريخ جرجان
 - ١٠ - التراتيب الإدارية
 - ١١ - التهذيب
 - ١٢ - ثواب الاعمال
 - ١٣ - جواهر الأخبار والآثار
 - ١٤ - حلية الأولياء
 - ١٥ - حياة الامام الباقر (ع)
- المعروف برجال الكشي
 - للشيخ المفيد
 - للشيخ الطوسي
 - للشيخ الصدوق
 - للعلامة المجلسي
 - لابن كثير
 - للديار بكري
 - للسهمي
 - للكتاني
 - للشيخ الطوسي
 - للشيخ الصدوق
 - للسعدي
 - لابي نعيم
 - للقرشي

- ١٦ - حياة الامام موسى بن جعفر (ع) للقرشي
١٧ - الحياة السياسية للامام الحسن (ع) لجعفر مرتضى
١٨ - الحياة السياسية للامام الرضا عليه السلام لجعفر مرتضى
١٩ - الخصال للشيخ الصدوق
٢٠ - دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام لجعفر مرتضى
٢١ - دعائم الاسلام للقاضي النعمان
٢٢ - سفينة البحار للشيخ عباس القمي
٢٣ - السنن الكبرى للبيهقي
٢٤ - علل الشرايع للشيخ الصدوق
٢٥ - الصحيح من سيرة النبي الاعظم (ص) لجعفر مرتضى
٢٦ - الطبقات الكبرى لابن سعد
٢٧ - عنوان المعارف للصاحب ابن عباد
٢٨ - عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق
٢٩ - عيون الأخبار لابن قتيبة
٣٠ - الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي
٣١ - قرب الاسناد للحميري
٣٢ - الكافي للكليني
٣٣ - كشف الغمة للار بلي
٣٤ - كشف القناع للار بلي
٣٥ - مآثر الانافة في معالم الخلافة للقلقشندي
٣٦ - مختصر التاريخ لابن الكازروني
٣٧ - مسند الامام الرضا عليه السلام للعطاردي
٣٨ - المعجم المفهرس للطبرسي
٣٩ - مكارم الأخلاق للطبرسي

قراءة في فكر الامام الرضا عليه السلام / ٣٣١

- | | |
|--------------------|-------------------|
| لابن شهر آشوب | ٤٠ - المناقب |
| (جمع الشريف الرضي) | ٤١ - نهج البلاغة |
| للشبلنجي | ٤٢ - نور الابصار |
| للحر العاملي | ٤٣ - وسائل الشيعة |

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الْأَظْهَارِ

قراءة في فكر الامام الرضا عليه السلام

محمد باقر الناصري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

الإنسان المسلم الرسالي ينشد السعادة ويتحرى مصادر الخير في موارث الأنبياء والصالحين من عباد الله وكان من لطف الله سبحانه بعباده أن أودع فيهم غريزة الإقتداء وسددهم بالعقول التي يهتدون بها لأفضل الإنتباءات ويشخصون بها أصلح القدوات ومما أجمعت عليه البشرية وتبانث عليه أقوالهم وأفعالهم هو اعتماد القدوة الصالحة في سير الأنبياء والرَّبَّانِيِّينَ من أوصياء الأنبياء وخلفائهم وصالح تابعيهم، من لدن آدم عليه السلام إلى ما شاء الله من بقاء البشرية وتعلقها لمحاسن القدوة الصالحة، فكان هؤلاء الرسل والأنبياء عليهم السلام هم القدوة الصالحة وأئمة الحق وقادة البشرية إلى حيث الهدى والسعادة «وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ» . [سورة الأنبياء - آية ٧٢ - ٧٣]

وكان محمد صلى الله عليه وآله سيد الأنبياء وخاتمهم وخير خلق الله على الإطلاق، هو أحسن القدوات بصريح الكتاب العزيز: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ

الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» . [سورة الاحزاب - آية ٢١]

فقد أمر الله البشرية كافة أن يتحروا أقواله وأفعاله ففيها السعادة الأبدية

«وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...» [الحشر- آية ٧].

حيث أطلّ صلى الله عليه وآله على البشرية بما يكمل نقصها ويزيل شقاءها فكشف الله به ظلم الجاهلية وظلالها، وأنار لبني الإنسان طرق الهداية والرّشاد «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ».

وتشاء العناية الإلهية للناس كافة أن تكون الشريعة الإسلامية هي خاتمة الشّرايع والدستور الخالد إلى يوم القيامة ويشخص الرسول القائد صلى الله عليه وآله خلود هذا الدين، وسعادة المسلمين في مصدرين هاتمين من مصادر التشريع التي إعتمدها الخالق الحكيم في إصلاح خلقه وتعبيدهم له بما يضمن نجاتهم وسعادتهم: القرآن الكريم، وأهل بيت النبوة الطاهرين، فهم عدل القرآن الكريم، وحاملوا سنته الشريفة، فكان النص الصريح الذي تواتر نقله عنه وصحت نسبته إليه صلى الله عليه وآله:

«إِنِّي مُخَلَّفٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعِزَّتِي أَهْلَ بَيْتِي لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»، وفي نص آخر ورد في الحديث «... أَنْظَرُوا كَيْفَ تُخَلَّفُونِي فِيهِمَا، يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَعْلَمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمَ مِنْكُمْ». و في رواية زيد بن أرقم: «إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكُمْ بِهِ لَنْ تَصِلُوا بَعْدِي: كِتَابَ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِزَّتِي أَهْلُ بَيْتِي، لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَانظُرُوا كَيْفَ تُخَلَّفُونِي فِيهِمَا»^١.

وآل الرسول صلى الله عليه وآله الذين أمرنا صلى الله عليه وآله بالتمسك والإقتداء بهم هم خصوص أولئك الحملة الأبرار لرسالة الله وشريعته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً:

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

تَظْهِرًا». [سورة الاحزاب - آية ٣٣]

وهذا الفضل لأهل البيت عليهم السلام لا يجحده إلا جاهل معاند والإمامة خاصة للطيبين الطاهرين من آل رسول الله صلى الله عليه وآله حيث أبطل الله إمامة الفسقة والظالمين بصريح قوله عز اسمه «وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ». [سورة البقرة - آية ١٢٤]

وبذلك حماية للبشرية من أئمة الجور وقادة الضلال لأن الإمامة منزلة الأنبياء وإرثهم، وخلافة الله في الأرض والإمام أمين الله في أرضه وخلقه وحبته على عباده فجدير بالإمام أن يكون أفضل خلق الله بعد الرسول، وأجمعهم لمحاسن الصفات وأبعدهم عن الزدائل والعاهات الخلقية والتفسيّة.

وكان أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وآله من أبناء علي وفاطمة هم خير البشر بعد رسول الله وأحب الخلق إليه وخلفاؤه في أمته، قد اكتملت فيهم صفات الأئمة الهداة والقادة الأبرار الثقة الذين أمر الله بمودتهم، وحثّ الأمة على التمسك بهم «فَلَا تُؤْتُوا عَاهِدَهُمْ جَارًا وَإِلَآءَ الْمُؤَدَّةِ فِي الْقُرْبَىٰ».

[سورة الشورى - آية ٢٣]

وقد جمع الله لهم إلى عظيم التسب وطيب المولد أن جعلهم أغزر الناس علماً وأكثرهم حلماً وأعطاهم ما لم يعط أحداً من العالمين من محاسن الصفات وكرم العادات، فكانوا القيادة الإسلامية الكفوءة الرائدة والقُدوة الإنسانية الخالدة.

في رحاب الذكرى: قيس من نور الإمام الرضا عليه السلام:

وحيث نعيش في رحاب الإمام الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام و هي رحاب واسعة مترامية علمياً وفكرياً، عقائدياً وأخلاقياً، ومن جهة أخرى هناك

الحياة السياسية والاجتماعية والتأثيرات الخارجية عليها، بحيث أثرت على سلوك الناس وآدابهم وكتاباتهم، إنها حياة ذات طابع خاص، حيث اختلطت فيها فلسفة اليونان مع حكمة الهنود وعقائد الزندقة والإلحاد مع مخلفات وعقائد الأمم والشعوب، يضاف إليها ترف الحياة ونعومتها وتبدل حياة المسلمين نحو الإسترخاء، والتكالب على الدنيا وملاذها ومطاعمها وفاخر مظاهرها وصراع سياسي بين أطراف عديدة كالأمين والمأمون وتيارات هدامة، تصارع الإسلام واتجاهات إسلامية أصيلة يمثلها آل بيت النبي المصطفى وفي مقدمتهم الإمام الرضا عليه السلام.

إذ وقف عليه السلام في صراعاتها واتجاهاتها موقفاً إسلامياً صادقاً. و أعطى المثل الأعلى في الخلق الإسلامي، فقيمه أعداؤه قبل أوليائه فعن رجاء بن أبي الضحاك و ذلك لما بعثه المأمون لجلب الإمام الرضا عليه السلام إلى إيران و بعد وصوله قدم تقيراً للمأمون، قال فيه رجاء: «وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا كَانَ أَتْقَى لِلَّهِ مِنْهُ، وَلَا أَكْثَرَ ذِكْرًا لَهُ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِهِ مِنْهُ، وَلَا أَشَدَّ خَوْفًا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَ كَانَ لَا يَنْزُلُ بَلَدًا إِلَّا قَصَدَهُ النَّاسُ يَسْتَفْتُونَهُ فِي مَعَالِمِ دِينِهِمْ فَيُجِيبُهُمْ وَيُحَدِّثُهُمْ الْكَثِيرَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِيهِ عَنِ عَلِيِّ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَمَّا وَرَدَتْ عَلَى الْمَأْمُونِ سَأَلَنِي عَنْ حَالِهِ فِي طَرِيقِهِ ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا شَاهَدْتُهُ مِنْهُ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ وَضَعْنِيهِ وَاقَامَتِيهِ فَقَالَ الْمَأْمُونُ: بَلَى يَا بَنَ أَيْ الضَّحَّاكِ هَذَا خَيْرٌ أَهْلِ الْأَرْضِ وَأَعْلَمُهُمْ وَأَعْبَدُهُمْ»^١.

و عن كرم صفاته و محاسن أخلاقه يقول إبراهيم بن العباس الصولي: «مَا رَأَيْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا جُفَا أَحَدًا بِكَلَامِهِ قَطُّ، وَ مَا رَأَيْتُهُ قَطَعَ

عَلَى أَحَدٍ كَلَامُهُ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْهُ وَمَا رَدَّ أَحَدًا عَنْ حَاجَةٍ يَقْدُرُ عَلَيْهَا، وَ مَا مَدَّ رِجْلَيْهِ بَيْنَ يَدَيَّ جَلِيسٍ لَهُ قَطُّ، وَلَا انْكَأَ بَيْنَ يَدَيَّ جَلِيسٍ لَهُ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُهُ سَتَمَ أَحَدًا مِنْ مَوَالِيهِ وَمَمَالِكِهِ قَطُّ... وَ كَانَ إِذَا خَلَا وَ نُصِبَتْ مَائِدَتُهُ أَجْلَسَ مَعَهُ عَلَى مَائِدَتِهِ مَمَالِكُهُ حَتَّى الْبُؤَابِ وَ السَّائِسِ... إِلَى أَنْ قَالَ: فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ رَأَى مِثْلَهُ فِي فَضْلِهِ فَلَا تُصَدِّقُوهُ»^٢.

هذه إشارة عابرة عجلني لبعض معالم حياة أبي الحسن الرضا عليه السلام وأتى لنا في مثل هذه العجالة أن نلّم بكلّ جوانب وظروف حياة هذا الملعين الذي لا ينضب من الفضائل والكمالات ولكننا سنعرض خلال البحث لبعض ما صحّ عنه من التصوص والقواعد في العقيدة ومكارم الأخلاق وبمقدار ما يسمح لنا ظرف البحث سنقف عند تلك التصوص ومردودها الرّسالي في بناء الأئمة وإقامة نواميس الحقّ والهدى والرّشاد وحين نختار لبحثنا عنواناً هو «قراءة في فكر الإمام الرضا عليه السلام» نستطيع أن نحدّد أبعاد الموضوع على ضوء معرفة الفترة التي عاشها الإمام عليه السلام ومن خلالها سنقف على صفحة مشرقة من أخلاقيّة الرّسالة الإسلاميّة وقادتها الرّساليّين الأبرار. إنّ ذلك يتطلّب أن نقف عند أبرز مميّزات ذلك العصر وأهمّ قضاياها الفكرية والفلسفيّة والسياسية التي طرحت حينذاك، وهي التي تحدّد الملامح والمميّزات العامة والتي تركت آثارها ونتائجها لفترة زمنيّة طويلة.

إنّ إستقراء التّاريخ والحوادث والكتابات والتصوص الأدبيّة لا بد وأن تترك لدى الباحثين إنطباعات عديدة، أهمّها أنّ هذا العصر كان عصر نشاط كبير ثقافيّاً وعلميّاً وسياسيّاً فقد ازدهرت الترجمة وحركة التّأليف وحلقات الدّرس والمناقشات وتطوّرت المدارس الأدبية والفكرية الإسلاميّة واحتكّت بغيرها من مدارس وفلسفات الأمم والشّعوب وظهر ذلك جليّاً في الأعداد

الهائلة من الكتب وانصراف اعداد كبيرة من الناس الى الدرس و طلب العلم والمعرفة... ولكنه ومن جهة أخرى ظهرت بوادر الثورات الداخلية والتزعات نحو الإستقلال خصوصاً في الولايات الإسلامية النائية.

ولقد حملت هذه التغييرات معها دعوات سلبية منافية لروح الإسلام و أخلاقه الرفيعة كالزندقة والإلحاد والمجون واللّهو والإبتعاد عن الإسلام، وظهرت البدع والضلالات والثورات والدعوات المتباينة، ولهذا فإن مهمة الإمام الرضا عليه السلام في هذه الظروف هي مهمة دقيقة، فمن جهة هي عقائدية توجيهية ومن جهة أخرى هي فكرية علمية تلائم الموقف وترد على أعداء الإسلام بسلاح العلم والأخلاق والفكر، وهو عليه السلام في كل ذلك أصيل ينبع من الإسلام و شريعة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله و تسديد الله له عليه السلام بالعصمة.

الإمام الرضا عليه السلام والحركة الفكرية

في القرن الثاني للهجرة النبوية الشريفة حيث ولد الإمام الرضا عليه السلام في سنة ١٥٣ هـ، أو قبل ذلك على اختلاف في سنة ميلاده الشريف، إتسمت تلك الفترة بالذات بطابع إتساع الحركة العلمية والفكرية ونشط المثات من علماء الأمة للبحث والكتابة والتأليف مستفيدين من الجو السياسي والانفراج الذي أحدثه سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ثم الصراع الذي نشب بين الأمين والمأمون وما أعقب ذلك كانت تلك العوامل وما يندرج تحتها من أهداف، سبباً لإنتعاش الحركة العلمية والمدارس الفكرية منذ أيام الإمام الصادق عليه السلام و حتى أيام الإمام الرضا عليه السلام «فكانت هذه الفترة من أغنى فترات الفكر والثقافة الإسلامية فيها عاش مؤسسوا المذاهب الفقهية أمثال الشافعي ومالك بن أنس و أحمد بن حنبل و فقهاء وأصحاب آراء ووجهات نظر فقهية أمثال أبي يوسف القاضي وسفيان

الثوري و زفر و محمد بن الحسن والشيباني و شريك القاضي وابن المبارك و يحيى بن أكثم...»^١

كما عاش في هذه الفترة العلمية الخصبية الكسائي والفراهيدي والأصمعي ومحمد بن الهذيل العلاف المعتزلي والنظام إبراهيم المعتزلي والطبيب المعروف جبريل بن خشوع وغيرهم وأمثالهم من أصحاب العلوم والمعارف الشرعية والعقلية والاجتماعية المختلفة و تبلورت المدارس الفقهية والحديث والسير و نشطت مذاهب الفلسفة وعلم الكلام وخصوصاً أيام المأمون الذي أحب الفلسفة و شغف بها فأمر بالترجمة ونقل الفلسفة إلى العربية ونما تيار المتصوفة وظهرت الزندقة والغلو...^٢

وكان هو عليه السلام على رأس هؤلاء العلماء المقدم عليهم جميعاً إليه يرجع الناس والفقهاء والعلماء بل و اعترف به المأمون بوصفه «بأنه أعلم أهل الأرض» وقال فيه المأمون ايضاً: «إنه نظر في ولد العباس وولد علي رضي الله عنهم فلم يجد أحداً أفضل ولا أروع ولا أدين ولا أصلح ولا أحق بهذا الأمر من علي بن موسى الرضا عليه السلام»^١ وجمع له المأمون مرة أهل الملل والنحل وأصحاب الديانات والشرك وقال لهم «إنما جمعتكم ليغير وقد أحببت أن نناظرُوا إِنْ عَمِي هَذَا الْمَدِينِي الْقَادِم عَلَيَّ...»^٢

فعلم بذلك الإمام الرضا عليه السلام فقال مخاطباً التوفلي: «يا توفلي أتحيب أن تعلم متى يتدم المأمون؟ قلت نعم، قال: إذا سمع أحنجاجي على أهل التوراة بتوراتهم وعلى أهل الإنجيل بإنجيلهم و

(١) مخطوطة دارالتوحيد عن الإمام الرضا عليه السلام ص ٢٤-٢٥

(٢) يراجع نفس المصدر السابق

(١) يراجع مروج الذهب ج ٣ ص ٤٤١، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٨٣ و الطبري ج ١١ ص ١٠١٣ طبعة

ليدن.

(٢) التوضيح للشيخ آل كاشف الغطاء عن كتاب «العيون» للشيخ الصدوق

عَلَى أَهْلِ الزُّبُرِ بِرُبُورِهِمْ وَعَلَى الْهَرَابِذَةِ بِفَارِسِيَّتِهِمْ وَعَلَى الرُّومِ
بِرُومِيَّتِهِمْ وَعَلَى أَصْحَابِ الْمَقَالَاتِ بِلُغَاتِهِمْ فَإِذَا قَطَعْتُ كُلَّ صِنْفٍ وَ
دَحَضْتُ حُجَّتَهُ وَتَرَكْتُ مَقَالَتَهُ وَرَجَعْتُ إِلَى قَوْلِي فَعِنْدَ ذَلِكَ تَكُونُ النَّدَامَةُ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ...»^٣ و قد تعرّض الإمام
عليه السلام لأمثال هذه المناظرات وإلى العويص من المسائل الفقهيّة فكان
دائماً هوالمبترز، القويّ الحجّة، فتزداد القلوب به تعلقاً وإيماناً ويشعرالناس أنّهم
أمام خُلُقٍ علميٍّ فريد، و صفات لامثيل لها في العلماء أوالحكماء والمتكلمين أو
أصحاب الملل والبدع والإلحاد ويبرز الإمام عليه السلام ودوره الرائد في صيانة
الأخلاق والمثل الإسلاميّة، خاصّة وأنّ تلك الفترة كانت حافلة بالأحداث
والظواهر الهامة والخطيرة وتتسم بالصراع السياسي الحاد والذي لا يمكن فهمه
بمعزل عن الحركة الفكرية والإنفتاح الكبير في أوساط الأُمّة وعلى مختلف
التيارات والتوجهات، حينها يتضح بجلاء الدور الهام الذي ينتظر الإمام
في الوقفة المبدئية لحماية الفكر والشريعة الإسلاميّة من سلبات هذا الإنفتاح و
غوائله وما يحتمل أن يحدثه من تخريب وبلبلة، وغزو هدام للدين والأخلاق
والمثل...

فكان الإمام الرضا عليه السلام هوالملجأ والملاذ في الدّفاع عن العقيدة
والأخلاق والرّد على المنحرفين والزنادقة والغلاة بما كان يقدمه عليه السلام من
توجيه سديد للفقهاء والعلماء من تلامذة أبيه وأجداده وتلامذته ويرفدهم
بالعلوم والمعارف وحلّ مشكلات المسائل حتّى روي عن محمد بن عيسى
اليقطين، أنّه جمع خمس عشرة ألف مسألة من المسائل التي اجاب عليها الإمام
علي بن موسى الرضا عليه السلام^١ وهذا ما صرح به الإمام نفسه حيث روي

(٣) نفس المصدر السابق ص ١٠

(١) مخطوطة دارالتوحيد.

عنه عليه السلام قوله: «كُنْتُ أَجْلِسُ فِي الرَّوْضَةِ وَالْعُلَمَاءُ بِالْمَدِينَةِ مُتَوَافِرُونَ، فَإِذَا أَعْيَا الْوَاحِدُ مِنْهُمْ مَسَّأَلَةً أَشَارُوا إِلَيَّ بِأَجْمَعِهِمْ وَبَعَثُوا إِلَيَّ بِالْمَسَائِلِ فَأَجِيبُ عَلَيْهَا»!

بل كان هناك إلهام من السلطة الحاكمة وخاصة من المأمون حيث كان يعقد مجالس للمناظرة يجمع فيها من علماء المسلمين وغيرهم من علماء الأديان والدعوات الأخرى وذلك للمحاورة والمناظرة ويدعو الإمام الرضا عليه السلام لحضور هذه الجلسات ويفري الحاضرين بالمناظرة وطرح الأسئلة والإشكالات على الإمام عليه السلام وتلك من المحن التي عاناها أهل البيت عليهم السلام خاصة في العهد العباسي، هذا بالإضافة إلى مردود الثورات والانتفاضات التي كانت نتائج طبيعية متوقعة لانحراف الحكيم الأموي والعباسي عن الشريعة الإسلامية شكلاً ومضموناً وإغراق الخلفاء وأعوانهم في اللهو والمجون والتحكم باطلاً بأموال المسلمين ودمانهم وإرتكاب أشنع الجرائم واشد أنواع الإضطهاد والتنكيل بالعلماء والمفكرين وإبادة الضمير من أبناء الأمة الإسلامية وتعطيل أحكام الله و حدوده... مما حمل الكثير من أبناء الأمة على الثورة بوجه الظلم والظالمين، ولسنا بصدد تقييم تلك الثورات ورغم أن تلك الثورات لم يكتب لها النجاح والإستمرار لأسباب كثيرة ليس هذا محل ذكرها، إلا أنها تركت آثاراً إيجابية وسلبية على الساحة الفكرية والعقائدية وبالتالي حملت الأمة من أهل البيت عليه السلام مسؤولية كبرى في حماية الفكر والأخلاق الإسلامية والحفاظ على ما تبقى من هيبة الأمة الإسلامية وسلامة أفكارها وإعدادها لمواصلة المسيرة وهذا ما ندرکه بوضوح في ضوء بعض التصوص والمواقف الواردة عن الإمام الرضا عليه السلام وسر العناية الكبيرة التي بذلها الإمام عليه السلام في توعية

الأمة و تسليحها بالخلق والمفاهيم الإسلامية الأصيلة بعيداً عن عقائد الجبر والتشبيه او قضية خلق القرآن وعقائد الخروج على السلطان الجائر الى آخر ما هنالك.

ظاهرة التصوّف والإعتزال

ظاهرة التصوّف والإعتزال من الظواهر والأعراض التي رافقت مسيرة البشرية وبرزت لها نماذج في تاريخ كلّ الشعوب والديانات السابقة، وخصوصاً في العصر العباسي و بعد كلّ إخفاق للتّورات في ذلك العصر. ومدارس الرّهبنة والزهد المبالغ فيه والإعتزال عن التّاس مغرقة في القدم، بحيث أصبحت من مظاهر التدين والزهد والعبادة ورفض ملذّات الحياة والإلحاح في تعذيب الجسد بأشدّ أنواع العبادات مكرّرة بزعم أنّ ذلك من سبل صفاء النفس وسموها و عروجها في عالم الكمال والرّفعة بنظر البعض. لكنّ الإسلام أوضح رفضه لظاهرة الرّهبنة والتصوّف اللّذين يكونان على حساب الوظائف الشرعية في الدّعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتصدي للكفر والظلم والفساد وإدانتها باعتبارها ظواهر ظلال و إنحراف و بدعة في الفطرة البشرية وهي مرفوضة من الشرائع الإلهية والعقول السليمة كما أنّ تلك الحالات نزعات تعبّر عن إعوجاج السليقة و تهرب من المتصوّف عن ممارسة دوره الرّسالي في الأرض. وقد إمتحنت الأمة الإسلامية وشاعت فيها بعض هذه الظواهر السلبية شأن بقية الأمم، وعلّها أمراض إنتقلت إلى المسلمين من غيرهم ولما كانت الشريعة الإسلامية شريعة الحياة، تريد للإنسان أن يؤدي دوره الرّسالي وينقذ خلافته في الأرض عبر ممارسات التغيير والمساهمة الجادة الواعية، لهذا فإنّ هذه الشريعة وعلى لسان أئمة أهل البيت رفضت ذلك .

إنّ «الوسطية» التي إتّسمت بها الشريعة الإسلامية من أبرز مصاديقها ووسطية السلوك بين خطي الدنيا والآخرة وإنّ الدنيا مزرعة الآخرة:

«وَأَبِغْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا
وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ» [سورة القصص - آية ٧٧]

كما جاءت كثير من الأحكام الشرعية متكفلة بهذه الوسطية بل ومتوقفة على إفتتاح المسلم على الحياة، وإلا متى يمكن للمسلم المترهب المنصرف للعبادات الخاصة من صلاة و صيام فقط أن يؤدي واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله بكافة أنواعه؟ وأين هذا من قوله سبحانه: «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ...»؟ [سورة المدثر- آية ٢ و١]

و أقوال رسول الله صلى الله عليه وآله صريحة في ذم القاعدين عن عملية التغيير في الحديث بما رواه السبط الشهيد عليه السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَحِلًّا لِحُرَامِ اللَّهِ

نَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ مُخَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ فَلَمْ يُعَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مُدْخَلَهُ» وهل يمكن الجمع بين التصوف المغربي في الاعتزال عن العالم وبين ممارسة عملية التغيير بالفعل والقول...؟ وهل هناك ذم و تهديد أشد من التوعد بتصنيف القاعدين عن الأمر بالمعروف إلى صف السلطان الجائر والحشر معه و الإنتهاء إلى ما ينتهي إليه الظلمة من غضب الله؟ ولو دققنا النظر في كثير من حالات التصوف والإنصراف للعبادة فقط لوجدناها ناشئة عن هروب من المسؤولية الشرعية وجنوح للدعة والسلامة أو عدم القدرة على التمييز الرسالي الواعي في معترك الحياة و صراع الحق مع الباطل .

وقد كثرت هذه الظواهر في أجواء الظلم والانحراف وفي أعقاب إخفاق الثورات والإنتفاضات في العهد العباسي، حيث يستريح الظالم والمظلوم تحت مظلة التصوف والإنصراف عن الحياة، فهي للظالم فرصة لغياب المراقبة والمحاسبة، والتصوف للمظلومين منجى من متاعب المواجهة والأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر المصحوبة عادة بالأذى والإضطهاد والحرمان والسلاسل والقيود والهجرة والتضحية بالنفس والتفيس.

ولهذا نجد الإمام الرضا عليه السلام يخرج عن صمته ويرفض كل ألوان المغالطة في التعويض عن مناهضة الظلم والظالمين والتستر وراء العبادة ويعتبر ذلك إنحرافاً خطيراً على الفكر والأخلاق الإسلامية فيقول عليه السلام: «لَيْسَ الْعِبَادَةُ كَثْرَةَ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّمَا الْعِبَادَةُ كَثْرَةُ التَّفَكُّرِ فِي أَمْرِ اللَّهِ».

و يدعو عليه السلام في موطن آخر من كلامه إلى كسر حاجز الخوف من الناس والإخلاص في عبادة الله وحده وأن حقيقة التوحيد ومؤذاه هو الإعتماد عليه وحده والخوف منه لا من سواه «فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا». [سورة الكهف- آية ١١٠]

لهذا يقول في جواب من سأله عن حد التوكل على الله تعالى:

«أَنْ لَا تَخَافَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ» وهي كلها دعوات صريحة للثورة على الظلم والظالمين ومواجهة الحياة ومشاكلها.

الإمام الرضا عليه السلام وثورات العلويين:

و إذا كانت قد شاعت ظواهر التصوف والسلبية والإبتعاد عن السياسة والخوف من مواجهة الظالمين، فإن هذه الظواهر في حقيقة أمرها إنما جاءت في أعقاب فشل ثورات و إنتفاضات متتالية، أهمها ثورات العلويين في الكوفة والمدينة المنورة والحجاز وقد عايش الإمام الرضا عليه السلام أغلب هذه الثورات عند ما كان في المدينة المنورة أو على طول فترة إمامته الشريفة، وبعد وفاة أبيه الإمام موسى الكاظم عليه السلام وعند ما كان في ولاية العهد مع المأمون.

لقد خرج العلويون وثاروا عند ما لم يروا بداً من الخروج والمواجهة المسلحة ولم يبق أمامهم غير لغة السيف والجهاد في التعامل مع المنحرفين ومع الحكام الأمويين أو العباسيين وكان من أبرز هذه الثورات في عهد الإمام الرضا

عليه السلام هي ثورة ابن طباطبا عام ١٩٩ هـ، محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام في الكوفة وقائدها علي أبو السرايا حيث توسعت ثورته واستولت على أقطار عديدة من الدولة العباسية وفي أعقاب ثورة ابن طباطبا بدأت حركة علوية أخرى كامتداد لها أو تأثر بها وهي حركة إبراهيم بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حيث إتجه إلى اليمن فاستولى عليها بعد قتال يسير وخضعت لقيادته وأقام فيها حكماً محلياً مدة إستيلائه.

و من الثورات المهمة التي وقعت في عهد الإمام الرضا عليه السلام ثورة محمد بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام بالمدينة المنورة فقد إستولى على المدينة وبايعه أهلها بإمرة المؤمنين. وهكذا يحدثنا التاريخ أن العلويين قد ألهبوا أرجاء الدولة العباسية بالثورات والانتفاضات ورفعوا رايات الجهاد ومعهم الأبرار من العلماء والمحدثين والطلايع السياسية الإسلامية.^١

والإمام الرضا عليه السلام وإن لم يكن له دور مباشر و بارز في تأييد هذه الثورات والانتفاضات إلا أنه عليه السلام كان يرفدها فكراً وأخلاقياً و يواصل تحصين الأمة من الآثار السلبية لإستشراء الظلم وحكومات الجور في كم الأفواه وملاحقة الثوار من أبناء الأمة وما يسببه ذلك من شيوع الخوف وجنوح الكثير من المسلمين للإعتزال والابتعاد عن أجواء الثورة والثوار محاولة منهم للتعويض عن آلامهم بالإنقطاع عن المجتمع، لهذا نجد عليه السلام يكثر من أمثال قوله:

«لَيْسَ الْعِبَادَةُ كَثْرَةَ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّمَا الْعِبَادَةُ كَثْرَةُ التَّفَكُّرِ فِي أَمْرِ اللَّهِ»^٢.

او كقوله عن حدّ التوكل: «أَنْ لَا تَخَافَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ» و معلوم ماذا

(١) راجع في ذلك: مخطوطة دار التوحيد و كتاب جهاد الشيعة - الدكتور سميعة عنار الليثي ص ٣١٨ - ٣٨٠

(٢) مخطوطة دار التوحيد.

يحوي هذا التصريح الخطير في عهد الظلم والإستبداد وانتزاع الطاعة من الناس عبر التطلع والسيف والإغراء .
و هناك مواقف أخرى صريحة و مباشرة في هذه الثورات وقادتها وأسبابها يقولها الإمام دون خوف او تردد .

الموقف المبدي :

وفي موقف آخر للإمام الرضا عليه السلام نلمس فيه التأييد الصريح لكثير من ثوار آل محمد صلوات الله عليهم ، فثلاً حينما يجري ذكر زيد بن علي بن الحسين عليه السلام وعلى لسان المأمون بن الرشيد، حيث يتحدث المأمون بشيء من التعريض بالإمام واسرته العلوية الثائرة وكأنه يلوح بإتهام الإمام بنصرة الثوار العلويين، فينبري الإمام الرضا عليه السلام لتسجيل الموقف المبدي الواضح لأهل البيت عليهم السلام، فيقول عليه السلام عن زيد:

« كَانِ مِنْ عُلَمَاءِ آلِ مُحَمَّدٍ غَضِبَ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَجَاهَدَ أَعْدَاءَهُ حَتَّى قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَقَدْ حَدَّثَنِي أَبِي مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ يَقُولُ: رَحِمَ اللَّهُ عَمِّي زَيْدًا إِنَّهُ دَعَا إِلَى الرِّضَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ، وَلَوْ ظَفَّرَ لَوْفِي بِمَا دَعَا إِلَيْهِ...»^(١)

وفي موقف آخر نجد أن الإمام يأمر بإطلاق سراح أخيه زيد بن موسى بن جعفر عليه السلام و بعد أن وثب هذا واستولى على البصرة وأخرج عاملها ورغم عدم قبول الإمام عن بعض تصرفات زيد فإنه لم يشر إلى ثورته وخروجه على حكم المأمون وإنما حصر إنتقاداته في تلك السلبات التي رافقت هذه الثورة وقد جرى حوار بين الإمام عليه السلام وزيد، قال زيد:

«أَنَا أَخُوكَ وَابْنُ أَبِيكَ فَقَالَ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنْتَ أَخِي مَا

أَطَعْتَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ، إِنَّ نُوحًا قَالَ: رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، فَقَالَ لَهُ عَزَّوَجَلَّ: يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ، فَأَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِهِ بِمَعْصِيَتِهِ...»^٢

نصرة المستضعفين

ومن منطلق رساليّ ثوريّ بناءً يتعرّض الإمام الرضا عليه السلام إلى قضية هامة في حياة الأمة، بل في حياة البشرية كافة، تلك هي قضية المستضعفين في الأرض، وكيف يمكن رفع إستضعافهم فيرى عليه السلام أنّ مساعدة الضعيف لا تكمن في ملء المعدة الخاوية أو إكساء الجسم العاري، بل بالمعالجة الجذرية ومدّيد العون الحقيقي للضعيف للخروج به من حالته المساوية، وإن كثيراً من الصدقات والبر قد تكون عاملاً لتكريس الواقع الفاسد والظواهر المدانة.

فيقول عليه السلام: «عَوْنُكَ لِلضَّعِيفِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ». هذا المبدأ الثوري الهادف المترفع عن العاطفة الآنيّة الداعى للمعالجة الجذرية بمعاونة المظلومين في أخذ حقهم من ظالمهم، لأننا نعتقد أنّ ظواهر الفقر والحرمان هي أعراض مرضية ناشئة عن تعطيل موازين العدالة الاقضية، لهذا نرى أهل البيت عليهم السلام الذين هم التجسيد العملي للرسالة الإسلامية ينحون دائماً لتذكير الناس قولاً وعملاً بأنّ الشريعة الإسلامية جاءت لإسعاد البشرية وإقتلاع جذور الضعف بكافة مصاديقه وبناء الإنسان القوي الحر السعيد.

الثبات على العقيدة الصالحة:

و عند ما تطول عنة المستضعفين والثوار من حملة الحق يبدو على بعضهم

تعب المسير وجهد المعاناة فتبدر من شفاه البعض كلمات تشعر بعمق المحنة لما أصابهم من نقص في الثمرات والأموال والأنفس وعنق المطاردة والتشريد والإبادة التي يسلطها الظلمة على الحق وحملته، يقف الإمام الرضا عليه السلام بكل جدية وصرحة محذراً من خطأ المقايسة بين القضية الإسلامية الكبرى وحمل العقيدة الصالحة بأمانة وبين زيف الحياة وامتعتها الزائلة.

يقول أحمد بن عمرو والحسين بن زيد: دخلنا على الرضا عليه السلام فقلنا إنا كنا في سعة من الرزق وغضارة من العيش فتغيرت الحال بعض التغيير فادع الله أن يرده ذلك إلينا، فيجيبه الإمام الرضا عليه السلام على الفور: «أَيَسْرُكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ طَاهِرٍ وَهَرْتَمَةٍ وَإِنَّكُمْ عَلَى خِلَافٍ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ؟ فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ مَا سَرَّنِي أَنْ لِي الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا ذَهَبًا وَفِضَّةً وَإِنِّي عَلَى خِلَافٍ مَا أَنَا عَلَيْهِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: إِعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّاكِرِينَ» الى آخر الحديث.

قيمة الحكم والسلطة عند الإمام عليه السلام

و في موقف للإمام عليه السلام حين يشتهبه على المؤمنين تقييم الإمامة فتبدر من بعضهم كلمات الأمل للحيلولة بين الإمام وبين مركزه الشرعي، و يتصور أن في ذلك إضرار بالمصالح الخاصة للإمام عليه السلام يقول معمربن خلاف مخاطباً للإمام الرضا عليه السلام: «عَجَّلَ اللَّهُ فَرَجَكَ» و يدرك الإمام الرضا عليه السلام أن الرجل قد إشتهبه عليه الأمر و يتصور أن الإمام متضرر شخصياً بفضب الإمامة منه فيبادر الإمام إلى الإجابة الحاسمة التي تضع الإمامة في اطارها الإسلامي و إعتبارها وظيفة شرعية و وسيلة لإقامة حكم الله و تطبيق عدالته في عباده فيجبه الإمام على الفور:

«يَا مُعَمَّرُ ذَاكَ فَرَجُكُمْ أَنْتُمْ، فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا مِرْوَدٌ فِيهِ كَفْتُ سَوْبِقِ»

مَخْتُومٌ بِخَاتَمِ.

هكذا علمنا أهل البيت عليه السلام وهو تحديد لصيغة الإمامة الشرعية و
إطارها السليم حيث هي من مصلحة الأمة أكثر مما هي من مصلحة الإمام
التأصح بل هي عبء يزيد من مسؤوليات ومتاعب الإمام العادل.

المظاهر المادية

ومن نفس هذه القاعدة الخلقية الرفيعة، نرى الإمام عليه السلام يقيم
المظاهر المادية، فحين تطفئ النظرة المادية على الإنسان، تضطرب عنده
المقاييس وتتجه الأنظار في تحديد المسار الصحيح نحو حملة المثل وحماة الشريعة
ليحملوا التقييم الصحيح والجواب الصادق من الكتاب والسنة المطهرين
وهدي أهل البيت عليه السلام ويرسم الإمام الرضا عليه السلام الصورة الرسالية
التأصعة لرغد العيش وهنائه وهو ما كان وسيلة لإسعاد الآخرين وطيب عيشهم
«قَالَ عَلِيُّ بْنُ شَعَيْبٍ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ
يَا عَلِيُّ مَنْ أَحْسَنُ النَّاسِ مَعَاشًا؟ قُلْتُ: أَنْتَ يَا سَيِّدِي أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي.
فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا عَلِيُّ مَنْ حَسَنَ مَعَاشٍ غَيْرِهِ فِي مَعَاشِهِ.
يَا عَلِيُّ مَنْ أَسْوَأَ النَّاسِ مَعَاشًا؟ قُلْتُ أَنْتَ أَعْلَمُ؟ قَالَ: مَنْ لَمْ يَعْشُرْ
غَيْرَهُ فِي مَعَاشِهِ.

النظرة الحكيمة في التقييم

الإمام عليه السلام حكيم دقيق في تقييمه للمواقف الحياتية، فحين
تفسد الأخلاق والذمم وتشتبه الأوراق، تشيع ظواهر عدم الثقة بين أفراد
المجتمع ويكثر الإتهام والتراشق بالخيانة وعدم الوفاء، يأتي دور الإمام في حماية
الأمة فينبري الإمام الرضا عليه السلام لتثبيت معالم الحق وإدانة السذاجة

وحسن الظن في تشخيص الناس و ائتمانهم تعويلاً على إمارات غير سليمة و
مقدمات غير تامة، فيقول عليه السلام

«لَمْ يَخُنْكَ الْأَمِينُ وَلَكِنَّكَ إِنَّمَنْتَ الْخَائِنَ».

و تحسن و أنت في زحمة الظروف المتشابهة والتاريخ يعيد نفسه أن الامام
عليه السلام يخاطب الأجيال كافة و يثبت معالم التهيج السليم.

دور العقل عند الإمام الرضا عليه السلام

العقل هبة الله الذي كرم به البشر و شرفهم على من سواهم من الأحياء
وبه المولى يثيب و يعاقب و هو الرسول الباطني إلى البشر. و تبتي البشرية في
عصور الظلم والجهل والانحراف فتختلط الأوراق و تشعب المفاهيم الدخيلة
والمذاهب الفاسدة كالواقفية و المشبهة و الإلحاد و الزندقة و يخيم الظلم و الفساد و
تمحى مظاهر العلم و العدالة «فِي ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ» فحينها تبدل
عقول الكثيرين و ينزويون مذعورين لا يهتدون إلى شيء، هنا يبرز دور الرسل
و الأئمة و الصالحين من عباد الله و هو دور الطبيب وقت إنتشار الأوبئة و الأمراض
وقد عاش الإمام الرضا عليه السلام فترة من هذا القبيل فينبى عليه السلام
لتأدية واجبه الرسالي في أطار من الأخلاق الإسلامية و الوصايا الرسالية البتاء
حيث يبادر لتحكيم العقل كأفضل مخرج من الأزمة فيقول الإمام عليه السلام في
جواب ابن السكيت: «مَا الْحُجَّةُ عَلَى الْخَلْقِ الْيَوْمَ؟» فيجيبه عليه السلام:
«أَلْعَقْلُ يُعْرَفُ بِهِ الصَّادِقُ عَلَى اللَّهِ فَيُصَدِّقُهُ وَ الْكَاذِبُ عَلَى اللَّهِ
فَيَكْذِبُهُ» فيقول ابن السكيت: «هُدًى وَ اللَّهُ هُوَ الْجَوَابُ».

وفي تقييم آخر للعقل يقول الإمام الرضا عليه السلام. «صَدِّقْ كُلَّ امْرِئٍ عَقْلُهُ

وَ عَدُوُّهُ جَهْلُهُ».

و الصلاة و السلام على نبينا الكريم و آل بيته الطاهرين.

وختاما نهنيء امام العصر ارواحنا فداه بذكرى ميلاد جده الاقدس الامام
الرضا عليه السلام.
و بتعالى شعاع هذا النور النبوي الشامخ وقيام هذا الصرح العلمي الكبير
بافتتاح الجامعة الاسلامية...
و نبارك للامة الاسلامية مسيرتها المنتصرة الهادرة لاقامة حكومة العدل
الالهى في الارض، من منطلق الثورة الاسلامية المعاصرة من ايران الاسلام.
من ايران البطولة والجهاد
و بقيادة سليل الدوحة النبوية، امل المستضعفين في الارض الامام الخميني
أطال الله عمره الشريف.

محمد باقر الناصري

الرسالة الذهبية

المعروفة بـ (طب الامام الرضا عليه السلام)

محمد مهدي نجف

تقديم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لما كان المتعارف عند تحقيق المخطوط التعريف بالمؤلف والكتاب تعريفاً يتناسب وحجم المخطوط كماً وكيفاً، ليكون تقديماً بين يدي القارئ الكريم، فحري بنا أن تكون مقدمتنا هذه مختصرة.

ماذا أقول، وما عسى الكاتب أن يكتب، والبيان أن يحيط في تعريف ولي من أولياء الله، ووصي من أوصيائه، وامام من أئمة في أرضه، سليل النبوة، ومعدن الرسالة، ينبوع العلم، ثامن الائمة، الامام الرضا علي بن الامام الكاظم موسى بن الامام الصادق جعفر بن الامام الباقر محمد بن الامام السجاد زين العابدين علي بن الامام الشهيد بكر بلاء الحسين بن الامام علي بن أبي طالب عليهم أفضل الصلاة والسلام.

هيهات هيهات، ضلت العقول، وتاهت الاحلام، وحارت الالباب، وحصرت الخطباء، وكلت الشعراء، وعجزت الادباء، وعييت البلغاء، في وصف شأنه وأقرت بالعجز والتقصير. فذكره قبس من نور الله يهدي المستنير به نحو السبيل الاقوم، وقدسيتها لا تضارعها قدسية، وعصمة متوارثة: امام بعد امام.

فهو علم الهدى، والمثل الاعلى في العلم والورع والتقوى، والحلم والاخلاق، كرس حياته الطاهرة لاعلاء كلمة الاسلام، وتاريخه حافل بجلال الاعمال. انطلقت أعماله عن عقيدة وايمان، استهدفت اصلاح أمة

جده خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، الذي أرسله الله سبحانه وتعالى منقذاً لعباده من الظلمات الى النور.

وقد أجاد الحسن بن هانئ المعروف بأبي نؤاس حين عوتب على الامساك عن مديحه حيث قال:

قيل لي أنت أوحده الناس طراً
لك من جوهر الكلام بديع
فعلام تركت مدح ابن موسى
قلت لا أهتدي لمدح امام
في فنون من الكلام النبويه
يشمر الدر في يدي مجتنيه
والخصال التي تجمعن فيه
كان جبريل خادماً لابيهِ^١

ولادته ووفاته:

ولد عليه السلام في مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول، سنة ثلاث وخمسين و مائة من الهجرة النبوية^٢. وقال الشيخ المفيد قدس سره: كان مولده عليه السلام سنة ثمان وأربعين ومائة^٣.

وتوفي مسموماً بطوس، في قرية يقال لها سناباد، ودفن في دار حميد بن قحطبة الطائي، في القبة التي دفن فيها الرشيد، الى جانبه مما يلي القبلة، وذلك في أول سنة (٢٠٣) هـ^٤. وقد تم عمره الشريف تسعاً و أربعين عاماً وستة أشهر، أو خمساً وخمسين عاماً على ما ذكره الشيخ المفيد. وكانت مدة امامته عليه السلام وقيامه بعد أبيه عشرين عاماً.

ولما كانت شخصية الامام الرضا عليه السلام متشعبة الجوانب أسمى

١ - أنظر كشف الغمة ١١١/٣، مرآة الزمان ٢٢/٩ أ.

٢ - عيون أخبار الرضا: ١٨.

٣ - ارشاد المفيد: ٣٤١.

٤ - تاريخ يعقوبي: ١٩٣/٣، مرآة الزمان: ٢٢/٩ أ.

من أن يحيط بهايان، تركت الخوض في خضمها لاصحاب الموسوعات التاريخية من ذوي الاختصاص.

من خلال الاحداث:

من الضروري أن نجد العلاقة بين امامنا الرضا عليه السلام: الذي عاش جل حياته بيثرب، وبين عبد الله بن هارون الرشيد الخليفة العباسي المعروف بالمأمون من خلال الاحداث.

لقد عاصر الامام عليه السلام ستة من خلفاء بني العباس، وهم: المنصور، والمهدي، والهادي، والرشيد، والامين، والمأمون. وكانت البلاد الاسلامية آنذاك تتمخض عن ثورات علوية متتالية، فكلما قضى على واحدة منها قامت الاخرى.

و كان المأمون يعيش خضم تلكم الاحداث السياسية، الا أنه بدهائه وسعة حيلته، رأى أن يجنح للاكثرية الساحقة في البلاد، وتسخيرها لاغراضه. فأشخص عميد البيت العلوي الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام من مدينة جده صلى الله عليه وآله الى مرو عاصمة ملكه، لما رأى من فضله البارع، وعلمه النافع، وورعه الباطن والظاهر، وتخليه عن الدنيا وأهلها و ميله للاخرة و ايثاره لها، وبعد أن أيقن أن الناس عليه متفقة، عقد له ولاية العهد من بعده، فأطفأ بذلك غضب العلويين.

كان اشخاصه عليه السلام على يد رجاى بن أبي الضحاك، وأمره المأمون أن يترك طريق الكوفة وقم، ويأخذ به طريق البصرة والاهواز و فارس حتى يوافي مرو^١.

و لما وصل الامام عليه السلام الى نيسابور و هو راكب بغلته الشهباء، فاذا بمحمد بن رافع وأحمد بن الحرث و يحيى بن يحيى و اسحاق بن راهوية و عدة من أهل العلم قد تعلقوا بلجام بغلته لطلب الحديث منه، والرواية عنه، والتبرك به، فأجابهم لذلك، ثم سارمتو جهاً الى مرو، فتلقاه المأمون بنفسه وأعظمه^١.

ثم جرت بين الامام عليه السلام والمأمون خطابات كثيرة في أمر الخلافة والولاية، حتى اضطر الامام لقبول ولاية العهد. فكتب المأمون نص الولاية بيده، نذكر منها قوله... و اني لم أزل منذ أن أفضت الي الخلافة أنظر من أقلده أمرها، وأجتهد من أوليه عهدها، فلم أجد في العالم من يصلح لها، و ينهض بأعبائها الا أبا الحسن علي بن موسى الرضا... الخ^٢.

كما أمر المأمون الولاية و القضاة والقواد و ولد العباس ببيعة الامام عليه السلام، فبويع «ع» لليلتين خلتا من شهر رمضان، في السنة الاولى بعد المأتين من الهجرة، وأمر المأمون الناس بلبس الخضرة شعاراً للعلويين بدل السواد، و كتب بذلك الى الافاق، و أخذت البيعة فيها للامام عليه السلام، ودعي له على المنابر، و ضربت الدنانير والدرهم باسمه^٣.

حتى اذا هدأت البلاد، و تغلب المأمون على الثائرين والمناوئين لسلطانه في كل مكان استطاع أن يصنع بولي عهده ما كان يخفيه. و قد تكللت فترة ولاية العهد هذه بمناظرات و محاججات كثيرة في مختلف العلوم والفنون مع جهاذة العلم و المعرفة آنذاك، وكانت تعقد تلك المناظرات بأمر و حضور المأمون، فأفحم الامام عليه السلام كل من ناظره و

١ - مرآة الزمان: ١٥/٩ أ.

٢ - المصدر السابق.

٣ - تاريخ يعقوبي: ١٨٩/٣.

حاججه، فظهر للناس فضله و علمه، وأحقته بالخلافة.

تاريخ الرسالة الذهبية:

في حدود تبعية واستقرائي لبعض المصادر التاريخية المتوفرة لم أعثر على تاريخ اصدار هذه الرسالة، لكن يمكن تحديد الفترة الزمنية التي أرسلت فيها - كما رواها ابن جمهور في سندها الاتي - أنها كانت بعد اشخاصه عليه السلام من المدينة المنورة، أي بين سنة (٢٠١-٢٠٣) هـ.

محتوى الرسالة:

لقد أراد المأمون معرفة أصول حفظ صحة المزاج، و تدبيره بالاغذية والاشربة والادوية مستقاة من منبعها العذب، فطلب من الامام عليه السلام بيان ذلك، و كرر الطلب، فكتب اليه هذه الرسالة، فلما وصلت الى المأمون أمر بأن تكتب بماء الذهب.

ولعل أهم ما يطوف في ذهن القاريء حول أهمية هذه الرسالة و ماتعنيه دلالتها التاريخية انها تمثل مرحلة تاريخية تتعلق بفن الطب و تطوره في العصر الاسلامي الاول، فهي تكشف للمعنيين بالطب و تاريخ تطوره عبر العصور غزارة علمه عليه السلام، وسعة اطلاعه.

و من خلال هذا المنطلق أمكنني تقديم دراسة مسهبة للرسالة الذهبية مقسماً اياها الى عدة فصول.

لقد جاءت هذه الرسالة بمجموعة من النصائح والارشادات الطبية العامة القيمة، والتي كانت حصيلة تجاربه عليه السلام مضافاً اليها ما سمعه عن آبائه عليهم السلام، من أقاويل القدماء أيضاً. كما أشار الى ذلك بقوله عليه السلام في مستهل رسالته: «عندي من ذلك ما جربته و عرفت صحته

بالاختبار و مرور الايام، مع ماوقفني عليه من مضى من السلف مما لايسع الانسان جهله ولايعذر في تركه».

ففي الفصل الاوّل: نرى الامام عليه السلام قد سبق علماء الطب في العصر الاسلامي في العديد من الاراء والاكتشافات التي أصبحت الاساس الرئيس في التجارب الطبية، بل يمكن القول بأنها النواة الاولى لاراء الاطباء فيما بعد.

فكان عليه السلام أول من شبه جسم الانسان بالمملكة الصغيرة المتكاملة، فقال: ان هذه الاجسام أسست على مثال الملك. فملك الجسد هو ما في القلب، والعمال العروق في الاوصال والدماغ، وبيت الملك قلبه، وأرضه الجسد، والاعوان: يده ورجلاه وعينه وشفته ولسانه و أذناه. و خزائنه: معدته و بطنه و حجابته و صدره.

وليس المهم في هذا الوصف الرائع التشبيه بالملك والمملكة وانما المهم فيه دلالة هذا التشبيه على معرفته عليه السلام بتشريح أعضاء الجسم الرئيسية، وفلسجة كل عضو منها.

فاستهل عليه السلام بتشبيه القلب و ما فيه بمثابة الملك في رعيته، فكما أن الملك هو الشخص الاول والحاكم الرئيس في تسيير أمور المملكة كذلك جعل القلب و ما فيه الاساس في بقاء الحياة الانسانية، فمتى توقف القلب عن العمل توقفت الحياة في سائر الجسد.

كما مثل عليه السلام المجموعة المتكاملة من الشرايين والاوردة والشعيرات الدموية، والتي أسماها بالعروق، و من جميع الاوصال و ما يصير سبباً لوصل مفاصل البدن، و بها تتم الحركات الارادية والارادية المختلفة، و من الدماغ الذي يعتبر المركز الاول للاحساس في الجسم. مثل هذا و ذاك بالعمال لادارة شؤون هذه المملكة، وهم الجنود الامناء الاوفياء لها.

فهم يحافظون على المملكة بجميع أجزائها من المؤثرات الخارجية. كما شبه الجسد بكامل أعضائه وأجزائه بأرض هذه المملكة. ثم أوضح عليه السلام بتمثيله الرائع فلسفة كل عضو من أعضاء الجسم، وما يقوم به من الوظائف المهمة، فأشار الى اليدين ووصفهما بأعوان الملك: يقر بان ما يريد وبيعدان مايرفض. و ان الرجلين ينقلانه من مكان لآخر حسب رغبته، وطوع ارادته. كما وصف العينين بالسراج، حيث لايمكن البصر بدون سراج، فبهما ينظر القريب والبعيد. أما الاذنان فهما المصدر المهم لاستقبال المعلومات من الخارج، كما أن اللسان بمعونة الشفتين والاسنان، هو الاداة المعبرة عن ارادة الملك.

ثم استطرق عليه السلام في تشبيه جوف الانسان وما يحويه من صدر و معدة وأمعاء وتوابعهما بالخزانة، فمنها يتزود الانسان بالغذاء والمواد الحيوية الاخرى فما أعظم هذه المملكة الصغيرة المحتوى، العظيمة التكوين!! فتبارك الله أحسن الخالقين.

وفي نهاية هذا الفصل أوضح عليه السلام تأثير الفرح والحزن وغيرهما من العوارض الخارجية على الوجه، وبيان مركز كل منهما.

وفي الفصل الثاني جاءت ارشاداته عليه السلام في كيفية تناول الغذاء والشراب من حيث الكيف والكم، كل ذلك حفاظاً على صحة البدن، فأبدى نصحه في تناول الغذاء: كل حسب طاقته وقدرته ومزاجه، مع مراعاة الزمان والمكان، لغرض استمراء الغذاء بصورة صحيحة، والاستفادة منه على النحو الافضل. لان الاخلال في المأكل والمشرب سواء كان بزيادة أم نقصان يكون السبب في العديد من الامراض، كما في الحديث الشريف: «المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء».

أما في الفصل الثالث فقد أشار عليه السلام على المأمون بصنع نوع

خاص من الشراب، كثير الفوائد، سهل الهضم، لاستعماله بعد طعامه، وليس المقصود هو شخص المأمون وحده، بل كل من أراد الحفاظ على صحته. وقد احتوى هذا الشراب على القيمة الغذائية العالية، لما فيه من العناصر المهمة: من سكريات ونشويات وفيتامينات وغيرها من المواد الرئيسة المولدة للطاقة، مع مراعاة الشروط الصحيحة والاساسية في تحضيره. ويمكن القول بأن امامنا الرضا عليه السلام قد سبق العلماء في تعريف الماء العذب، فعرفه بأجمل تعريف، وأوجز وصف بقوله: «ماء أبيضاً براقاً خفيفاً وهو القابل لما يتعرض له على سرعة من السخونة والبرودة، وتلك الدلالة على صفاء الماء».

كما سبقهم أيضاً في معرفة أضرار الغليان على العديد من العناصر الغذائية كاتلاف بعض الفيتامينات، وطيران بعض العناصر السريعة التبخير في الغذاء والشراب.

وجاء تأكيد الامام عليه السلام في الفصل الرابع على عدم الافراط في استعمال الشراب بعد الطعام مبيناً ما يترتب عليه من أضرار على المعدة، و بالتالي على سائر الجسد.

ولم يكتف «ع» بذلك بل أكد على تأثير الافراط في تناول بعض المواد الغذائية وأضرارها أيضاً، فقال: «وكثرة أكل البيض وادمانه يورث الطحال ورياحاً في رأس المعدة، والامتلاء من البيض المسلووق يورث الربو والابتهاار وأكل اللحم النيء يورث الدود في البطن، وأكل التين يقلل الجسد اذا أدمن عليه» ثم قال: «والاكثار من أكل لحوم الوحش والبقر يورث نيبس العقل، وتحبير الفهم، وتلبد الدهن، وكثرة النسيان».

وقد استهل الامام «ع» الفصل الخامس في بيان الوقاية من الامراض التي قد تحدث من تغيير الهواء المفاجيء - كما يحدث ذلك في الحمام-

فقال عليه السلام: «و اذا أردت دخول الحمام، و أن لا تجد في رأسك ما يؤذيكَ فابدأ عند دخول الحمام بخمس حسوات ماء حار، فأنتك تسلم باذن الله تعالى من وجع الرأس والشقيقة».

و جاء تقسيمه لبيوت الحمام بأجز تقسيم و وصفه بأحسن وصف، بقوله: «البيت الاول بارديابس، والثاني بارد رطب، والثالث حار رطب، والرابع حار يابس».

ثم أشار عليه السلام الى منفعة الحمام للجسد من الناحيتين التشريحية والفلسفية، فأبدى نصحه في استعمال الادهان والعقاقير قبل و بعد دخول الحمام لترطيب وتلطيف الجلد والاعضاء، لان للجلد اهمية عظيمة في التخلص من عدد لا يستهان به من المواد السامة، فتنقية الجلد وفتح مسامه و تلطيفه من الامور المهمة للانسان.

و قد جاءت تعليماته و نصائحه الطبية القيمة العامة في الفصل السادس حفاظاً على صحة و سلامة الاجهزة الداخلية بصورة عامة، فنصح بعدم حبس البول والمني، و عدم اطالة المكث على النساء و قاية للجهاز التناسلي مما قد يعرض عليه بسبب ذلك من أخطار. ثم كرر النصح بالعناية التامة بالفم ومحقاته، لاهمية موقعه الحساس.

كما نصح بعدم استعمال الماء بين الطعام، لتأثيره ضعف المعدة بقوله: «و من أراد أن لا تؤذيه معدته فلا يشرب بين طعامه ماء حتى يفرغ، و من فعل ذلك رطب بدنه، و ضعفت معدته، و لم تأخذ العروق قوة الطعام، فانه يصير في المعدة فجاً اذا صب الماء على الطعام».

و أوضح كيفية الاستلقاء عند النوم رعاية للجهاز الهضمي.

كما اهتم عليه السلام أيضاً بالجهاز العصبي، لاهمية ذلك، فأبدى النصح لمن أراد الزيادة في قوة الحافظة بأن يأكل الزبيب و غير ذلك، كما

يأتي في محله .

ثم جاءت ارشاداته عليه السلام في الفصل السابع من هذه الرسالة الذهبية للمسافر خاصة، فأوصى بالاحتراز من بعض الامور التي تضطره طبيعة السفر اليها، كاختلاف المأكل والمشرب وغيرها.

فنصح بالاحتراز من السير في الحر الشديد وهو ممتلىء الجوف مؤكداً أضراره على الجسم. كما نصح بمزج ماء كل بلد يسافر اليه بماء أوطین بلده الذي ولد فيه موضعاً فوائد ذلك، ثم كرر نصائحه باستعمال المياه العذبة، و فرق بين المياه العسرة والثقيلة في الاستعمال.

ثم اختص الفصل الثامن بقوى النفس، وانها تابعة لمزاجات الابدان، ومزاجات الابدان تابعة لتصرف الهواء، فاذا برد مرة، وسخن أخرى تغيرت بسببه الابدان.

فالامام عليه السلام قسم جسم الانسان الى طبائع أربع: «الدم والبلغم والمرارة الصفراء والمرارة السوداء». ثم خص الاعضاء الرئيسة بالجسد كل عضو بواحد من هذه الطبائع الاربع، فقال عليه السلام: «ان الرأس والاذنين والعينين والمنخرين والانف والقم من الدم» مشيراً الى أن الرأس هو محل الاحساس والادراك، وأنه مركز العروق والشرايين المؤدية الى أجهزة الجسم والغزارة الدم في دورتها فقد وصفها بأنها من الدم.

كما خص البلغم والريح بالصدر، لاجتماع البلاغم فيه من الدماغ و سائر الاعضاء، ويكثر الريح فيه بالاستنشاق المستمر.

وخص الشراسيف -وهو الجهاز الهضمي وتوابعه- بالمرارة الصفراء لقربها من الصفراء اولانها داخله في تكوينه.

وأخيراً خص أسفل البطن بالمرارة السوداء اشارة الى سواد الطحال. وهو يشمل أيضاً الكلى والمجاري البولية والتناسلية وغيرها.

واهتم عليه السلام في الفصل التاسع براحة الانسان مستضيئاً بقوله تعالى: «قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمداً الى يوم القيامة من اله غير الله يأتاكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون»^١ ليأخذ المخلوق فيه قسطاً من الراحة في جوهاده، وليعوض قواه المفقودة في عمله.

فجاءت نصائحه في كيفية النوم، حين يستلقي الانسان على فراشه. و به يكون سكون الحواس الظاهرة، وبه يستكمل هضم الطعام، والافعال الطبيعية للبدن.

وكرر عليه السلام في الفصل العاشر اهتمامه بصحة الاسنان، وأوضح بعض التعليمات الضرورية في الحفاظ عليها من المؤثرات الخارجية، والنصح بعنايتها والاهتمام برعايتها. فأوصى باستعمال بعض المواد النافعة للاسنان والمجلية لها.

وقد قسم امامنا عليه السلام في الفصل الحادى عشر أحوال الانسان وقواه الجسمانية حسب الفترات الزمنية الى أربعة أقسام: - الاولى فترة الصبا، وتكون في الاعوام الخمسة عشر الاول، تليها فترة الشباب حتى يبلغ السن الخامسة والثلاثين، فيكون بعدها سن الشيخوخة حتى يتم الستين من العمر، تليها فترة الهرم والذبول ويكون الجسم فيها في ادبار وانعكاس ما عاش.

ثم أوضح فوائد الحجامة، وأوقاتها، وشروطها الصحية في الفصل الثاني عشر مشيراً الى مواضع الفصد، والحجامة في البدن، مبيناً العوامل المساعدة في تخفيف آلامها، وطرق عملها، كما أكد في ختام بيانه في هذا الفصل على بعض الاضرار والاعراض التي قد تحدث من استعمال بعض

المضادات أثناء الحجامة أو الفصد، و كيفية الوقاية منها.

وقد اشار امامنا عليه السلام في الفصل الثالث عشر الى عدم توافق تراكيب بعض المواد كيمياوياً، مما يعرض البدن لاجتماعها، في بعض الاحيان الى مخاطر واضرار قد تؤدي نتائجها الى الهلاك.

فقد أشار في بعض فقرات هذا الفصل الى اسباب بعض الامراض التي قد يكون أحد اسبابها التضاد في اختلاطات الامعاء وتعفنتها.

واختتم عليه السلام هذه الرسالة الذهبية بأداب الجماع، مشيراً الى الشروط الصحية الواجب اتباعها، والتي قد يؤدي اهمالها الى امراض أو علال غير محمودة، موضحاً أهمية التوافق والانسجام بين الجنسين، و ضرورة الملاعبة والملاطفة قبل الجماع، مشيراً الى احدى المراكز الحساسة والمؤثرة في اثاره الغريزة الجنسية عند المرأة، لكي يحرز كل منهما نصيبه من هذه العملية الحساسة.

كما حذر من مجامعة النساء في فترة الحيض، مستضيئاً بقوله تعالى: «و يسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن...»^١.

و كانت لمسأته الاخيرة في ابداء نصحه بالالتزام بهذه الارشادات والتعليمات والتحذير من اهمالها.

منهج التحقيق:

لما كان الغرض من تحقيق المخطوط هو اخراج نص صحيح جامع، مع ارجاع الاقوال والاراء المذكورة فيه الى مصادرها الاولية، وليس المهم فيه

الالتزام بالامور الشكلية التي يلتزم البعض بها، كالاشارة الى بعض الفروق البسيطة والتي قد تحدث احيانا من تكرار النسخ، أو من سقطات النساخ، أو لاختلاف معرفتهم، أو لبعض تصرفاتهم في الاصول المنقولة عنها والتي لا تضر بالمعنى، فانه تطويل بلاطائل.

ومن أجل ان يستوفي العمل بعض شروط الابانة والتوضيح نعرف النسخ التي كانت موضع التحقيق، والتي احتفظت بها (مكتبة الامام الحكيم العامة) في النجف الاشرف ضمن خزانها الخطية القيمة بما يلي:

١ - النسخة الخطية الاولى والتي رمزنا لها بالحرف (أ): فهي أقدم النسخ الخطية التي عثرت عليها لحد الان بعد مطالعة اكثر فهارس المخطوطات المتوفرة. كتبها عبدالرحمن بن عبدالله الكرخي، وفرغ من نسخها في التاسع عشر من شهر ذي الحجة سنة خمس عشرة وسبعمئة (٧١٥) هـ. في ستة اوراق بحجم ١٩/٥ × ١١ سم. في كل صفحة ٢٧ سطراً ٩ × سم. ضمن مجموع تحت رقم (٢٣٧).

واعتزازاً بهذه النسخة أحببت ان أضعها كاملة في صدر هذا الكتاب.

٢ - النسخة الخطية الثانية والتي رمزنا لها بالحرف (ج): كتبها عبدالواسع ابن حاج محمد حسين مهماندوسي، وفرغ من نسخها ضحوة يوم الجمعة، خامس ربيع الثاني، من شهور السنة السادسة عشرة بعد المائة والالف (١١١٦) من الهجرة، في ١٢ ورقة، وبحجم ١٤/٥ × ٩ سم في كل صفحة ١٧ سطراً ٥/٥ × سم. ضمن مجموع تحت رقم (١٦).

٣ - النسخة الخطية الثالثة فقد رمزت لها بالحرف (د): مجهولة الناسخ من خطوط القرن الحادي عشر الهجري، في ١٤ ورقة، وبحجم ١٩/٥ × ١٣ سم في كل صفحة ١٥ سطراً ٧ × سم. ضمن مجموع تحت رقم (٢٣٤).

٤ - اما النسخة المطبوعة فهي التي نقلها الشيخ المجلسي المتوفى سنة (١١١١هـ). في الجزء الرابع عشر ص ٥٥٤ من كتابه الموسوم (بحار الانوار) والمطبوع في ايران على الحجر سنة ١٣٠٥هـ. والتي رمزت لها بالحرف (ب). وقد جاء في أولها مانصه: «أقول وجدت بخط الشيخ الاجل الافضل العلامة الكامل في فنون العلوم والادب مروج الملة والدين والمذهب نورالدين علي بن عبدالعالي الكركي جزاه الله سبحانه عن الايمان وعن اهله الجزاء السني ما هذا لفظه، الرسالة الذهبية في الطب التي بعث بها الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام الى المأمون العباسي في حفظ المزاج و تدبيره...» الخ.

ونظراً لوجود الاختلافات الكثيرة بين النسخ، فقد اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة على النسخة الخطية الاولى، لاهميتها التاريخية، والتزمت بالاشارة للفروق الجوهرية المهمة، موضحاً ماورد فيها من أسماء العقاقير والامراض والعلل، مستفيداً ذلك من أمهات الكتب الطبية واللغوية المعتمدة.

وفي الختام لايسعني وأنا أقدم هذا التراث الى القراء الكرام راجياً منهم العذر عما قد يكون فيه من هفوات، والله أسأل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يحظى عنده بالقبول، وهو ولي التوفيق، والملهم للصواب.

نصف اشرف ٨ جمادى الاولى ١٤٠٠ هـ.

سمى له الرحمن الرحيم وبه استعين اخبرنا ابو محمد هارون بن موسى النعلبكي
 رضي الله عنه قال حدثنا محمد بن همام بن محمد رحمه الله عليه قال حدثنا
 الحسن بن محمد بن حمور قال حدثني ابي وكان عالما بالحقن على ان موسى الرضا
 صلوات الله عليهما خاصا به ملازم الخدمته وكان معه حين حمل من المدينة
 الى المامون بن الحارث بن ابي طالب عليه السلام بطوس وهو ابن تسعة واربعين
 سنة قال كان المامون سبياً بوز و٢ محطته سيدي بوالحسن الرضا
 عليه السلام وجماعه من الفلاسفة والمنظمين مثل بوحيا بن ماسويه وحميد بن
 بن يحيى بن سوس وصلاح بن بهلمه الهندي وغيرهم من متعلمي العلوم ودرر
 الحث والنظر فخرى كذالك الطب وما فيه صلاح الاجسام وقوامها فاعترفت
 المامون ومن كان محضته في الكلام وتعلقوا بعلمه ذلك وليفرب
 الله تعالى هذا الخلد وجمع فيه هذه الاشياء المتضادة من الطباع الابع
 ومضار الاعذية ومنافعتها وما يلحق الاجسام من مضارها من اهل
 قال وبوالحسن عليه السلام سأل في سبب ذلك فقال له
 المامون يا ابا الحسن في هذا الامر الذي نحن فيه منذ
 اليوم فقد بصر على وهو الذي لا يدمنه ومعرفة هذه الاشياء
 النافع منها والضرر وتدبير الحسد قال له ابوالحسن عليه السلام
 عندي من ذلك ما جربته وعرفت صحته بالاحتياط ومردود
 الايام معاً وقفت عليه من مضار التلف بما لا يتبع الانسان
 جهله ولا يقدري تتركه وانا اجمع ذلك الامر المرسى معاً تقارب
 ما يحتاج الى معرفته قال وعاجل المامون الخروج الى بلخ
 وحلف عند ابوالحسن عليه السلام فقلت المامون ابيه ما يا بن حنيفة
 ما كان ذكره ما يحتاج الى معرفته على ما سمعته وحريه واخذ
 الادوية والقصد والحامه والسوان والحمام والنور والمدبر
 في ذلك فقلت ابي ابوالحسن عليه السلام كما ناهاه فمخته

لم انه الرجل الذي انصفت بالله اما بعد فانه وماركاز امير المؤمنين
 جليل القدر والاعزى من توقيفه عن ملكه في حربه وسمعته في
 الدنيا والآخره واصل الادب وهو الفهد والحمامه والياهم والنوره
 والياهم وغير ذلك مما يدور استقامت امر الخدييه وقد فترت لاسر المير
 ملكه بها يهوش حقه ما اعلم عليه من تدبير مطعمه ومشربه وخبز
 البر او فصد وجامته وباهه وغير ذلك مما يحاج اليه من ثيابه
 جنبه وباله الوقت **اعلم** يا امير المؤمنين ان العز وجل من قبل البدن بداحي
 جعل الحدوايماج بمواضع من الداصق من الدوا وندبر ولعب
 ودلان هذه الاصنام استت على مثال الملك فملك الهند هو القلب
 والعمال العروف في الاوصال والدماع تيب الملك وارضه الجسد والاعمال
 يده ورجلاه وعيانه وشفاه ولسانه وخرائنه معدته وبطنه وخرابه
 وصدرة وابداق حويان يقر بان ويبعدان وهلاك ما يوجب لها
 للملك والوطن يقلان الملك بحيث تنف والعيان يبلانه على ما
 يعبر عنه لان الملك وراحاب لا يوصل اليه الا بادنهما مسراجا
ايضا وحسن الهند وخرزه الادان لا يدخلان عمل الملك الا
 متوافقا لا ينفك ان يدخلان حتى يحمي الملك اليه فلا
 اوصى اوق الملك من صلتها حتى يعي منها ثم يجب ما يريد فتوجه عنه
 اللتان بلات من صلتها الفواد وكان احداه ومعونه الشفتين واللسان
 للفتن قوة الايات اللتان وليس تغني بعضها عن بعض والكل لا
 يهتس الا بتجميعه في الانف لان الانف يرب الكلام كما يرب اللسان
 وكذلك الخصر من هاتفتا الانف لانف يهتس الملك ما يحسن
 الروح الطيبه فاجازت سوا وج الملك الخدييه من تحت من الملك و
 ملك الروح والملك مع هذا ابواب وعمار بعد انما شذر من عذار الملوك
 النظامه النادره في الدنيا وتوانها فاضر ثوانها واما عدايه والحزن
 ولما توانها فالفرح واصل الحزن في العجال واصل الفرع في الثرب
 والكسوف فيها عرفان موصولان في الوصه فمن هناك يظهر الفرع
 الحزن فترى تبايرها في الوجه وهذه العروق كلها طرق من العال

الى العال ومن الملك الى العال وتصدق لك اذا ما اول للبلاد اذنه العروب
الى موضع النبا واعلم يا امير المؤمنين ان الحسد يضره الارض الطير الحمار
ان تعوهدت بالعمارة والسقي من حيث لا تريد ان يزداد من الماء تغرق ولا ينقص
منه تعطش امت عارتها ولا تزيدها وزكى رعيها وان تعافقت عنها فسد
ونفت فيما العشب والحسد يهدم المزارع والمدونة الخمر في جعلها
وتؤكد العافية فيه وانظروا يا امير المؤمنين ما يوافق معزيتك ونحوه
بدك وتسميه من الطعام فقدره لنفسك واجعله عذرا واعلم يا امير
المؤمنين ان كل واحد من هذه الصبايح يجب ما نساكلها فاما نساكل
جسدك ومن اخذ الطعام ريان الا بان لم يغلد ومن اخذ نقدر لاريان
عليه ولا ينقص عداه ونفعه ولذا لما سبيله ان يات من الطعام من كل
صنف منقوي يانه وارفع يدك من الطعام وبتك اليه بعض القوم فانما
لبدك وادى عقلك وحف على نفسك انما الله ثم كرايا امير المؤمنين البارود
في الصيف والحار والشتا والمعتدل في المعتدل عاقد قوتك وسهوتك
واحدة اول طعامك يا حف الاغذية الذي يعدي بقا بدك فقدر علاتك
وتحسب وطبك ونشاطك وزمانك والذي يجب ان يكون كل شهر يوم
عند الغنى من النهار ثمان ساعات او ثلاث اكلات في يوم بقدر اياك
او يوم ثم تبغشاقا فان في اليوم المائى عدا ثمان ساعات من النهار كنت
لكه ولطرح ولم يبق العشا ولكن ذلك بقدر لا تريد ولا ينقص ولا ينف
عن الطعام وانما يستدله وليكن شرابك على ان طعامك من هذا الشرا
الصلاة المقتضى ما كل سربه في صنف كالشراى بوخذ من الربيع
عشر اذ طال فيقتل ومنع ما صلت عنك وزياد عليه اربع اصابع
في انايه ذلك ثلثة ايام في الشتاء في الصيف يوم ولبله ثم جعل في مدر نصينه
ولكن لما ما التهان قدر عليه والافس لما العبد الصائم الذي ياور
بنيوعه من اجبه المشرك ما ايضا براق خفيفا وهو اقا لما بصره
في شوعه من الحزنه والبرود وتلك الدلالة على تفقدك او ضعف حتى
ينفع الرسم اعصر ونصفا موده ويرد ثم رد الى قدر زانار يوجد
منه ان يعود ويقلى ما رليه علانا رققا حتى يصفى لناه وسبق ثلثه ثم

منها مثل النصفاء هذا في علمه لو خذ مقدار الماء ومقداره من القدر وبلغوا
حتى يبلغ مقدار العسل وبعود الحصى ولو خذ حرقه صفيقه تحمل
ففيها من الرخيبيل وزن درهم ومن القرفل وزن نصف درهم ومن
الذراييني وزن نصف درهم ومن الدرغزان وزن درهم ومن السيار
وزن نصف درهم ومن العون التي وزن نصف درهم ومن المصطوب وزن نصف
درهم بعد ان يصفى من عذارة الحماة وحده ويحلى بحل السكر
ويشده بحيط شد جيد ويلون الحيط طرف طويل يعلون بطرفه المصرون
وعودها عارض به على القدر ويلون القاهاه الصره في القدر الوقت
الذي يلقي في الماء لعل ثم يمرس الحرقه ساعة ليزله ما فيها قليلا
ملا وبعلا التي يعود الى الجاهود عيب ريان العسل ويلين النار منهم نصفها
ويبرد ^ك وانابه ثلثها شهر محتما عليه لا ينفذ ولا بلغت المدة 9
فاشربه والشربه ^{مه} بلوقتين ما فاذا اكلت بالمره من
كما وصفت لك من قدر الطعام فاشرب من هذا الشراب ثلثه قد جعل
علمك فاذا فعلت فمدا من ياديه يومك من وجع العروس والابره
والرباح الموده فان شئت شربا بعد ذلك فاشرب منه نصف ما كنت
تشرى فان لم يجر نفع والتمس العسل واشد لضبطك وحفظك فان
اما الباردة بعد ذلك شرب الصدى يورث الفلج والالانج بلليل يقبل العين
ويورث الجول واما البراهم البيضاء يولد الجذام مما يولد والطحاح من غير
افراط اما على انه يورث الحصاه والطحاح بعد الطحاح من غير ان يكون
مخل وورث يولد الجذون ان غفل عن الغسل وورثه اكل البيض وادمانه
يزرث الطحال ورياح في راس الجمل والاصلام من البيض لسوق يورث البور
والاسهارة والكل الجمل التي يورث الودع والسنن واكثر التي تسمى الجسد
اذا ادم عليه وسر سلبا البار د عقيب الخمار ويعقب الخلاء بدسب
بالاسنان والالام من الطحاح الا حرق البقر يورث تبسب العسل وكثير
الغيم وتبديل الدهن وورثه النسيان واذا اردت دخول الحمام والمحمية
وانك ما يوديك فابد اعلم دخول الحمام من حشوات ما حار فانك
ادون الله من رجوع الواسع السيقه وقد قيل حمة كك ما حار نصيبا
داك عندك

الحمام واعلم يا امير المؤمنين ان تركيب الحامد للحمام المربع
ايات مثل اربع طباع الب الاول بارد البس والماي بارد رطب والياث
حار رطب والاربع حار البس ومنعه الحام بود كالي عند البس وينبغي
ويبين عصب والعروق ونفوس الاعضاء الكبار وتلب العصور والعنوت
واذا اردت ان لا يظهر في بدنك بخر ولا غيره فابدع عند دخول الحمام بثلث
بدنك بدهن نخبوا اذا اردت ان لا يكثر ولا يصيدك قروح ولا شقوق
ولا شواد فاعتد ثلثا البارد قبل ان يكثر ومن زاد دخول الحمام للنور فاستحي
الحام فبادلك باعش ساعه وهو تمام نوم وينشرح في النور ثمانين
الصبر والقابض والحضض ولحم ديت ويطعمها اليشير اذا كان خفيفا
او متفوقا ولا يلقى ثا نوره من ذلك سحاحي ثا النور بالما الحار الذكر
يطبخ فيه البابونج والمزركوش او ورد النضج اليابس وان جمع ديت
احد منه اليشير محنجا او متفوقا قدر ما ينشرب الما راحته وسكن
زرخ النور مثل ثلثها ويدلل الحسد بعد خروج منه ما توصي به
نور في الخوخ ويحبر العصور والحما والسعد والورد ومن ردا ان من
النور وبامن اجرا فيه وتقل من يقسمها ويسادر داعمت في عشره
وان لم يح البدين يسي من دهن ورد فان الحرقه وعاد يداله خدر عرس
مقشر وسحق محل وما ورد ويطلع على الموضع الذي حرقته نوره
فانه يبراد ربه والذكر من سبر النور للمدن هو ان يترك
عقيب النور محلا عنب ود من ورد ذلكا جيدا ومن اراد ان يستحي
مشاشه فلا يحسن البول ولو على ظهر دابته ومن اراد ان يكون ربه معاد
يشرب على طعامه ما حتى يفرغ منه ومن فعاد لك رصب بدنه و
معدته ولم يخذ العروق فوه الطعام لانه يصير العدم فاحا اذ صلا على
اولا فلولاً ومن اراد ان يامن الحما عسر البول فلا يحسن في عذرو التبو
يطبخ المثلث على البسا ومن اراد ان يجمع الشغل ولا يضره س من حما
فلكل كليله سبع مرات هبرون لتمر بقر ودهن ثمانه رسوخه
ومن اراد ان يزيل حقيقه فلكل سبع من اقل ريدا بعد على بويه
فعل ثمانه وبلون حافظا فلكل ثا نوره ثلث فص رحبا يسي بوالع

ويصنع بطرق كثيرة مع طعمه من زقوم ومن زاد ان يربطه شعله فلا يخرج
 كزقوم حتى يكون على الرقبة لشفاء من يتوسد مع سدر طبرزد ومن ر
 ان يمسح بالذرة بعد ان يفسد فلا يخرج تخار ان يوضع الحنظل ومن دار
 يشي ان يده بالحنظل عند لزوم قطنه ومن زاد دمع زقوم في ساجع
 فلان يوم نبت لم يهدى : واعلم يا امر المؤمن ان للعسل دواء ل
 به نفعه وذلك ان منه ما اذا اذركه الشم عطش ومنه ما يسكر وله
 عند لذة وفي حرافه شديده فلهذا الانواع من العسل فانه ولشيم النرجس
 فانه يامن زقوم ولذلك الحبه السوداء واذا جاز الزكام في الصيف فلما كثر
 كزوم حباره ويطبخ ويحذر الحلو من الشتر ومن حتى الشيفه زقوم
 فلا يم حين ياذن الشتر الصرك صفادان ام شتا ومن زاد ان يكون الحما
 خفيفا ثم يفتق شيا به بالليل ومن زاد ان يشتق كره عند الحما
 فلما كثر عقيمه يفسد بلخل ومن زاد ان لا يتق شتره يدهمها اذا
 دسه برسه ومن زاد ان لا يتق شفتاه ولا يخرج فيها شور فليدهم
 طاجيبه ومن زاد ان لا يسقط اذناه ولا يذاته فلا ياكل حولا لا يعرف
 بعد كل ومن زاد ان لا يفتق شتانه فلا ياكل حولا كل هذه كثر خبر
 ان ان لا يصيبه البرقان والصفار فلا يدخل بينا في الصيف وزما
 يخبض بابه ولا يخبض من بيت الشتاء او ما يفتح بابه بالعله ومن زاد
 ان لا يصيبه ريح يساكن حوم في كل سبعه ايام ومن زاد ان يربطه الطعام
 فليساكنه عيشه ثم يفتق على شتره حتى ينام ومن زاد ان يذهب بالملح
 فليساكنه كل يوم حوار شتا جريا ويكثر حوله طعام وان كان الشتره تعود
 الى الشتره حتى يكثر بارده فانه يذهب الشتره وكثره ومن زاد ان يطبق
 انصافا فليساكن كل رده من وروح يدهم وقول الاشباب ويكثر انصاف
 ان من يحب ومن زاد ان لا يحرقه السوداء فلهذا بالحق فصل العرب
 ولا صلا ما نوره ومن زاد ان يذهب بالريح البارده فلهذا الحما

الايمان بالله واليوم الآخر والبر بالوالدين
 والبر بالجار والمسلمين
 والبر باليتيم والمساكين
 والبر باليتيم والمساكين
 والبر باليتيم والمساكين
 والبر باليتيم والمساكين

انك افر سعيه ان تجر زره الجوز ان افر وهو مستعمل من طعام اوجاف
الجوف وليكن عاصدا اعتدال وساو من لاعديه اذ ارد الحركه
الاعديه ابارد مثل القرض والحزام والحز والربوب وما الخصيم
ويجود لكثير الموارن فاعلم يا امير المؤمنين السير الشديده في البحر
صار للاجسام المهاوسه اذ كانت خاليه من الطعام وهو يميل الى
الخصيه فما صلا المياه المسافر ودمع الادي عنها وهو ان يترك
المنا من ما ظهر من برون الابعدان تزجه ما المبرن الادي لذكر
بته قبله او بشراب واطر غير مختلف فيشويه بالمياه على خلافها
والواجب ان يزود المسافر من تربه بلده ويطيه فدع ما ذكره من
طرح في اياه الذي يكون فيه الماشيا من الطين وما فيه فانه يرد
الى مياه المعتاديه كحظته الطين وخر المياه شربا لم يقيم بها
ما كان سوعها من اشرف وبعثا ابيض وافضل المياه التي تجرى من
بين مشرق الشمس الصيفي ومغرب الشمس الصيفي افضلها وصحها اذا
كانت بهذا الوصف الذي سمع منه وكانت تجرى في جبال الطين لانها
تكون حاره في الشتاء بارده في الصيف ملبسه بالطين نافعه لاصحاب
الحرارات واما المياه اللطحه الثقيله فانها من الطين ومياه التلوح
وتجلبد رديه للاجسام لسره للاعترار بها فاما مياه الجب فانها
خفيفه عليه صافيه نافعه جدا للاجسام اذ لم يطر حرها وجسمها
في الارض واما مياه المطالع والسيح حاره غليظه في الصيف كره
وذيها بلوغ الشمس عليها وقد تولد من اوم على شربها المره الصفرا
وتعظم الحصى وقد وصفنا لك اير المومنين فما لعدم من هذا
فيه من اخذه كفايه وانا ذا الكر من الجاع ما يخرج الحسد وقواتها
والشراب ونسائه بها فان اصبحت بها صيرت انفسه بها فسر
المومنين ان توى المقتن بعينهم انهم ان يمدان ويزولون
بهمه لتصرف الهواء اذ اردت ان تجرى في جبال
انوار فاد اشوك الهوا واعده
من اجسام على اربع طباع على اربع
والسواد

بازن و باردين ثم فرق ذلك على اربعة اجزاء من الجسد على الراس
والصدر والشرايف واسفل البطن واعلم يا امير المؤمنين ان المراد بالادين
والعنين والمخربن والناف والعم طرد وان المصدر من البلغم والريح
وان الشرايف من امير الصفر واعلم يا امير المؤمنين ان الدم سلطان
في الدماغ وهو قول الحسد وقوته واداء الروح في اليوم فليكن حفظها
على شدة من ثم انقلب على شفتك الايسر وكذلك في مصلحها
على شدة لاسم كل ايام به عند نومك وعود نفسك من الفجر لليل
مثل ما شام فاذا بقي من الليل ساعات فادخل الخلاء لاجل الانسان
وانه قد يقدرا ما تقص حاجتك ولا تطير فانك قد تورث الذا الذين
واعلم يا امير المؤمنين ان خير ما استكتب به الاشيا المفقة التي يكون
ها ما فانها تكون الامنان وطيب النكهة ويشد اللثة وتسمى هوم
ناضج من الحفر اذا كان ذلك المغدال والادار منه رقة ثمانية
ويضعف اصولها من راد حفظا ثمانية فليأخذ قرن بل محرق
وكذا مزاج وسعد وورد وسيل الطيب لجزا بالسوية ومطبا بذلك الملح
جزر وخط جزر ومنها مدق وحنه وتشتك به فانه ممكن للاستان
ومن ادادان سيفر ثمانية فليأخذ جزر و ملح انداني وجزر ومن
بحر بالسوية يستحقان جميعا ويستعملان بهما واعلم يا امير المؤمنين ان احوال
لان ان التياها انه عز وجل عليها وجعله متصرفا بها اربع احوال
الاولى الحزب عشر سنه وفيما شبابه وضيائه وحسنه وبهاؤه وسلطان
في حبه وطالها اثنا عشر سنه من حسن عراقي حبه وثلث سنه
بسمها سلطان البر والجزر او غلبتها وهو قوم ما يكون وانفقه هو العبه
الابوالكلام الحبي سوره حبه وثلث سنه ثم يدخل في طالها ثلث سنه
وهو حبه وثلث سنه الى ان يستوي سنين من مفايون في سلطان
انثون ويلون احمر ما يكون واقوله وادريه واكنه للسرو طعنه
حضره لا يور وفكره في عوايقها ومدارها وانظر فيها ثم يدخل الحار
لرابعه وهي سلطان البلغم وهي الحامض التي لا تحول منها ما يقع وقد علم

في المهر مخيد وواته الشباب واستنكر كل شوكان يعرفه من نبتة حتى
صار ينام عند النوم وسهوه عند النوم ويدلر ما تقدم وينتهي ما تحذرت
به وتكثر من حديث النفس ويذهب ما الجسم ويهاوه ويقرب سائر أطفان
وسعرة ولا تزل وجهه في آداب وانعكاس ما عاش لانه في سلطان
البلغم وهو يارد حمله في جوده ورطوبته في طباعه بلون في احتمه قد
دلت لا يبرأ من غير علاج الى معرفته من شياسته الجسم
واجواله واما ادراك علاج الى ساوله واجتنابه وما يجب ان فعله في
اوقاته فاذا اردت الحزم فلا تجزع الا لا يعجز مخلوا من الجهل الى حمة
عشر منه فانها صحت لك فاذا انقضت الشهر فلا تجزع الى الاربعون
مضطر الى اخراج الدم وذلك ان ابرم بقصر في بعض الجهل وتريد
في زيادته ولكن الحزمه تقدر ما مضى من السن من عشر من سنه
لحزمه كل عشرين يوماً وان يلسن سنه في كل ثلث يوماً وان يلسن
كل اربعين يوماً وما زاد فحساب ذلك واعلم يا امرالمؤمنين ان الحزمه
انما يخذلها من صغار العروق المشبوهة في اللحم ومصادقها في الشرايين
لا تضعف القوة كما يوجد من الضعف عند الفصال في حزامت النقره
لثقل الراس وحماضه لا يجد عين محفف عن البرار والوجه والعين في
نافعه لوجع الاضراس واما باب الفصد عن شياير ذلك وقد تجزع
تحت الدخيل لعلاج الفلج في الغم وفساد الله وغير ذلك من اوجاع
الغم وكذلك التي توضع من الكفين تبع من الحفقات الذي يكون مع شيا
والحرارة والتي توضع على الساقين قد ينقص من الامتلاء الكلاله
والارحام ويور الطمث غير انهما منكم منه لانه الجسد وقد يعرف
منها المعشوه الشديده الا انها نافعه لذي البثور والدمامل والرياح
من الحماضه محفله من قليل قليلاً التوازي في المص من لا واز
وكذلك التوالث فصاعداً ويتوقف عن الشروط حتى حزمه الموضع
تدبر الحماض عليهم ويلين المشربه على جوده لينه وشمع الموضع
شرطه بالدم من ذلك الموضع الذي يصد دهن فانه ينسل
الا و ذلك يلين المشربه والمبضع بالدهن وشمع عقيب الحماض

وعند الفراعصما الموضع بالدم من يشق من حروق فافصله سببا
من ارض ليلاليم بضر ذلك التصود وبعد فافصله ان يفصل من العر
هاتون في الموضع كلفله اللجة في تلك اليم من فوق العروق ذبه الام
واكثر العروق اما اذا كان الصدمه جيل للدرع والبقال بطرير
التمسك بها فاما الباسين والاكل فاليفما والملك في الصدمه من فيهما
خم وادع عنك موصع الفصد للالطار فيطير الدم وخصه في النساء فانه
لمن لجلد ويميل الام وسهل الفصد وحب كمالا كونا من خراج الدم
بختاب النساء ببردك ما في عشر ساعه وحب من يوم صاح صاف
لا عيم فيه ولا في اسديله ولخرج من الدم بقدر ما يرى من بعين
وهو تدخر يومك ان الحام فانه يورث الداء واصحابك راسك وحبك
ما جاز من عله وياك والملم اذا اجتمعت فان الحام الدايه تكون منه
فاد العسلت من الحامه في حرقه سر عزي فالقها على ما جعل
ا ثوب لينا من فزا او عيس وحب قدر الحصه من الدرر باق الابر
فاشربه وكله من عشر شرب ان كان شدا وان كان ضعفا فاشرب
لا تنكح من المغلي فانك اذا فعلت ذلك فقد امتعت من اللقوه والبق
والبرص والجدام باد الله تعالى ومن من اليرقان لعلني فانه يقوى
النفس ويحوي الدم وانه ما طر من علما ملحا ولا يطا بعده ثلثي ساعه
فانه يعرض ضد الجرب وان كان متنا فكل الطبا هي اذا اجتمعت
واشرب عله ريك الشراب الذي وصفته لك وادهن موضع
الحرقه بدهن الخيري وما ورد وشي من مسك وصب منه على
هاتك ساعه تفرغ من حمامك فاما في الصيف فاذا اجتمعت
نكل التكباج والحلام والمصرص والحامير وصب على هاتك ذهن
النفثع وما ورد وشيا من كافور واشرب من ذلك الشرا ملوك
وتسقى بك بعد طعمك وياك وكش الحركه والغضب ويجمعه
النساء يومك ان يسل على وسعي ان يهدا من اللوم ان يجمع
جرفه البيض والشك في حاله احد فاما اذا اجتمعا ولدا الفرج ووراح
البواسير ووجع الاضراس واليق والبيد الذي يشربه اقلها اذا

اجتمعوا ولد العرعر والنرض واذا امتنك كل الحمل يولد الكلف في الموجه كل
المخوصه واليهان الملوحة والتمل الملوخ بعد الحطبه والغصه للعرعر
يولد الهن والهرب وادمان اكل كل الغنم واجواقها بعكس المئانه حرك
احمام على البطنه يولد القويح ولا تقرب النساء اول الليل لانتناوم صيف
وذلك ان المعده والعروق تلون ممتليه وهو غير محمود يتخوف
منها القويح والفلج واللقوه والمقرس والخصاه والذقطير والفتق
وضعف البصر والدمع فاذا اريد ذلك فليسن في اخر الليالي فان
اصح لمدتك وارجا للولد وادكي للعقل في الولد الذي يقضي سنه ولا
لجامع امره حتى تلامعها وتغزديهما فانك اذا فعلت اجتمع ما وها
وما ورك فكان منها الخير واشتمت منك مثل الذي تسببه منها
وظهيره نفع عيسها ولا تلجمها الا وهي طاهره فاذا فعلت ذلك
كان روح لمدتك واصح لك باذن الله ولا نقول طال ما فعلت
لدا واكتك اقم بودني وشربت لدموم بيضني وفعلت ذلك
ولم اري مكر وها وانا هذا القليل من الناس انبير المومنين
... بل بهيه لا يعرف ما يضره ولا ما ينفعه ولو اجيد
الضر ولا يستره فموقف بعد ثلاث عقوبته اشهد ولكن يرت
الامهال والعاقه فيعاود دم اعاد حتى يوحى على اعظم السرقات
فيقطع ويعظم الشكر به وما اودته عاقبه طمعه والامر وكلها بيد
الله عز وجل ان يكون له واولا اليه الماب ونرجو منه حسن الثواب
انه عموذ يواب عليه نوكلنا وعليه فليتوكل المومنون واليهوت
ولا تقرب الابا لله اعلى العظيم ٥
قال في فلما وصلت هذه الرساله من اخي الحسن علي بن موسى الرضا
صلوات الله عليهما وعليهما والطر من حريتهما الى انما ون فترها
فرح بها وامر ان تكتب بالذهب وان يروح بالرساله الذهبية
بمجلسه تعالى ٥ ولله العبد الفقير الى الله تعالى عبد الله محمد بن
ابن عبد الصالح الحسن بن عبد المرحوم وفاض النعماء كان بالعراب الحسن
ابن قائم بن الحسين بن علي بن قائم السلي رحمه الله تعالى لم الار قبل اذان
المغرب لم كان في انعام الشها عسره وهو من عسره وبعار حبه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَبِهِ نَسْتَعِينُ

أخبرنا ابو محمد هارون بن موسى التلعكبري^١ رضى الله عنه، قال حدثنا محمد بن همام^٢ بن سهيل^٣ رحمة الله عليه، قال حدثنا الحسن بن

١ - ذكره الشيخ النجاشي «قدس سره» حيث قال : هارون بن موسى ابن أحمد بن سعيد، أبو محمد التلعكبري من بني شيبان، كان وجهاً في أصحابنا ثقة، معتمداً، لا يطعن عليه، له كتاب الجوامع في علوم الدين، كنت أحضره في داره مع ابن له، أبي جعفر والناس يقرؤون عليه. أنظر رجال النجاشي ص: ٣٤٣.

وقال الشيخ الطوسي «قدس سره»: جليل القدر، عظيم المنزلة، واسع الرواية، عديم النظر، روى جميع الاصول والمصنفات. مات سنة خمس وثمانين وثلاثمائة. أنظر رجال الطوسي ص: ٥١٦.

والتلعكبري : نسبة الى تل عكبرا، بضم العين عند عكبرا. والظاهر أنه قد كان محلة منها. أنظر مراصد الاطلاع ٢٧١/١.

٢ - في (ب) هشام.

٣ - في الاصل سهل، والصواب ما أثبتناه. قال النجاشي في رجاله ص ٢٩٤: محمد بن أبي بكر همام بن سهيل الكاتب الاسكافي، شيخ أصحابنا ومتقدمهم، له منزلة عظيمة، كثير الحديث. وقال الشيخ الطوسي في رجاله ص ٤٩٤، يكنى أبا علي وهمام يكنى أبا بكر، جليل القدر، ثقة روى عنه التلعكبري وسمع منه أولاً سنة ثلاث وعشرين و ثلاثمائة، وله منه اجازة، ومات سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة.

وقال الشيخ النجاشي في المصدر السابق: مات أبو علي بن همام يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الاخرة سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وكان مولده يوم

محمد بن جمهور^١، قال حدثني أبي^٢، و كان عالماً بأبي الحسن علي بن موسى الرضا صلوات الله عليهما، خاصاً به، ملازماً لخدمته، و كان معه حين حمل من المدينة الى المأمون^٣ الى خراسان^٤، واستشهد عليه السلام بطوس^٥ وهو ابن تسع و أربعين سنة.

قال : كان المأمون بنيسابور^٦، وفي مجلسه سيدي ابوالحسن الرضا عليه السلام و جماعة من الفلاسفة والمتطبيين، مثل : يوحنا بن ماسويه^٧،

الاثنين لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان و خمسين و مائتين.

١ - قال الشيخ النجاشي في رجاله ص ٤٩: الحسن بن محمد بن جمهور العمي، أبو محمد. بصري، ثقة في نفسه، ينسب الى بني العم من تميم.

٢ - قال الشيخ النجاشي في رجاله ص ٢٦٠ في ترجمة محمد بن جمهور: روى عن الرضا عليه السلام، وله كتب: كتاب الملاحم الكبير، كتاب نوادر الحج، كتاب أدب العلم، أخبرنا محمد بن علي الكاتب قال: حدثنا محمد بن عبد الله قال: حدثنا علي بن الحسين الهذلي المسعودي قال: لقيت حسن بن محمد بن جمهور فقال لي: حدثني أبي محمد بن جمهور وهو ابن مائة و عشرين سنة.

٣ - في (ب) أن سار.

٤ - خراسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق أذاورد قصبه جوين و بهيق، و آخر حدودها مما يلي الهند طخارستان و غزنة و سجستان. أنظر مرصد الاطلاع ٤٥٥/١.

٥ - طوس: بالضم، مدينة بينها و بين نيسابور عشرة فراسخ، تشتمل على بلدين يقال لاحدهما الطابران، والاخرى نوقان، و بهما أكثر من ألف قرية، و بها قبر الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام و هارون الرشيد. أنظر المصدر السابق ٨٩٧/٢.

٦ - نيسابور: بفتح اوله و تسمى نشاو و رايضاً. مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة خرج منها جماعة من العلماء، و بينها و بين مرو والشاهجان ثلاثون فرسخاً. أنظر المصدر السابق ١٤١١/٣.

٧ - هو أبو زكريا يوحنا بن ماسويه، مسيحي المذهب، سرياني، قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة الطبية مما وجد با نقرة، و عمورية، و بلاد الروم حين سبها.

وجبرائيل بن بختيشوع^١، وصالح بن بهلثة الهندي^٢، وغيرهم من متحلي العلوم، وذوى البحث والنظر.

فجرى ذكر الطب، وما فيه صلاح الاجسام وقوامها، فأغرق المأمون و من كان بحضرته فى الكلام، وتغلغوا فى علم ذلك، وكيف ركب الله تعالى هذا الجسد، وجمع فيه هذه الاشياء المتضادة من الطبائع الاربع، ومضار الاغذية ومنافعها، وما يلحق الاجسام من مضارها من العلل.

قال : وابوالحسن عليه السلام ساكت لا يتكلم فى شىء من ذلك، فقال له المأمون: ما تقول يا ابا الحسن فى هذا الامر الذى نحن فيه منذ اليوم؟ فقد كبر على، وهو الذى لا بد منه، ومعرفة هذه الاغذية النافع منها والضار، وتدبير الجسد.

المسلمون. ووضعه أميناً على الترجمة. وخدم هارون الرشيد والامين والمأمون. وبقى على ذلك الى ايام المتوكل. وكان معظماً ببغداد، جليل القدر، وجعله المأمون فى سنة ٢١٥ رئيساً لبيت الحكمة. انظر ابن النديم فى الفهرست ص ٢٩٥، وابن جلجل فى طبقات الاطباء ص ٦٥.

١ - جبرائيل بن بختيشوع بن جور جيس بن بختيشوع الجند يسابوري، كان طبيباً حاذقاً، وكان طبيب الرشيد وجليسه وخليله، ويقال: ان منزلته ما زالت تقوى عند الرشيد حتى قال لاصحابه: من كانت له حاجة الي فليخاطب بها جبرائيل، فاني أفعل كل ما يسألني فى كل امورهم. ولما توفي الرشيد خدم الامين والمأمون الى أن توفي، ودفن فى دير مار جرجس بالمدائن سنة ٢١٣ هـ. انظر ابن جلجل فى طبقات الاطباء ص ٦٤ والقفطى فى اخبار العلماء ص ٩٣.

٢ - فى (ب) سلهمه. وهو خطأ. ذكره ابن ابي اصيبعة فى عيون الانبياء فى طبقات الاطباء ٥٢/٣، من علماء الهند، كان خبيراً بالمعالجات التى لهم، وله قوة واندازات فى مقدمة المعرفة. كان بالعراق فى ايام الرشيد، وله نادرة مع الرشيد فى شفاء ابن عمه ابراهيم بن صالح بعد أن غسل وحفظ وكفن.

فقال له ابوالحسن عليه السلام: عندي من ذلك ماجربته، وعرفت صحته، بالاختبار ومرور الايام، مع ماوقفتني عليه من مضي من السلف مما لايسع الانسان جهله، ولا يعذر في تركه: وانا أجمع ذلك لامير المؤمنين^١، مع مايقاربه مما يحتاج الى معرفته.

قال: وعاجل المأمون الخروج الى بلخ^٢، وتخلف عنه ابوالحسن عليه السلام، فكتب المأمون اليه كتابا يتنجز ما كان ذكره له، مما يحتاج الى معرفته على ما سمعه وجربه (من الاطعمة، والاشربة)^٣، وأخذ الادوية، والفسد^٤، والحجامة^٥، والسواك، والحمام، والنورة، والتدبير في ذلك. فكتب اليه ابوالحسن عليه السلام كتاباً هذه نسخته^٦:

-
- ١ - ليس في (ب).
 - ٢ - بلخ: مدينة مشهورة بخراسان من أجل ولاياتها وأشهرها ذكراً، واكثرها خيراً. انظر مرصد الاطلاع ٢١٧/١.
 - ٣ - زيادة من (ب).
 - ٤ - الفصد: قال الشيخ الرئيس ابن سينا: هو استفراغ كلي يستفرغ الكثرة، والكثرة هي تزايد الاخلاط على تساويها في العروق. القانون ٢٠٤/١.
 - ٥ - الحجامة: كالفصد، وهوشق العرق واخراج الدم منه، لكنها تختلف عن الفصد بأنها تؤخذ من صغار العروق. المصدر السابق ٢١٢/١.
 - ٦ - اختصت المقدمة المذكورة في نسخة الاصل ونسخة (ب) من نسخنا التي اعتمدناها في التحقيق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعتصمت بالله اما بعد: فانه وصل كتاب امير المؤمنين فيما أمرني به من توقيفه على ما يحتاج اليه، مما تجربته، وسمعته في الاطعمة، والاشربة، وأخذ الادوية، والفصد، والحجامة، والحمام، والنورة، والباه وغير ذلك مما يدبر استقامة امر الجسد به.

وقد فسرت (لامير المؤمنين)^١ ما يحتاج اليه، وشرحت له ما يعمل عليه من تدبير مطعمه، ومشربه، واخذه الدواء، وفصده، وحجامة و باهه، وغير ذلك مما يحتاج اليه في سياسة جسمه، وبالله التوفيق^٢.

١ - في (ب) له.

٢ - كذا في الاصل ونسخة (ب) اما في نسخة (ج) فأولها بعدالبسمة النص التالي: «قال الامام عزة وجه الانام مظهر الغموض بالرؤية اللامعة كاشف رموز الجفر والجماعة، أفضى من قضى من بعد جده المصطفى وأغزى من غزى بعد أبيه علي المرتضى امام الجن والانس السلطان علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه وعلى آبائه وأولاده النجباء الكرام ان الله تعالى... الخ».

أما نسخة (د) فأولها بعد البسمة: «الرسالة الذهبية في الطب بعث بها الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام الى المأمون العباسي في صحة المزاج وتديره بالاغذية والاشربة والادوية. قال امام الانام عز وجه الاسلام مظهر الغموض... الى آخر النص السابق الذكر كما في نسخة (ج).

(١)

(اعلم يا أمير المؤمنين) ^١ ان الله عز وجل لم يبتل البدن بداء حتى جعل له دواء يعالج به، ولكل صنف من الداء صنف من الدواء، وتدبيره ونعت، وذلك ان هذه الاجسام اسست على مثال الملك. فملك الجسد هو (ما في) ^٢ القلب. والعمال العروق في الاوصال (والدماغ. وبيت الملك قلبه) ^٣ وارضه الجسد. والاعوان يده، ورجلاه، عيناه، وشفته، ولسانه، واذناه ^٤. وخزائنه معدته، وبطنه، وحجابه صدره.

فاليدان عونان يقربان، ويبعدان ويعملان على ما يوحى اليها الملك (والرجلان ينقلان الملك) ^٥ حيث يشاء. والعينان يدلانه على ما يغيب عنه لان الملك وراء حجاب لا يوصل اليه الا باذن وهما سراجاه ايضاً. وحصن الجسد وحرزه الاذان. لا يدخلان على الملك الا ما يوافقهما لانهما لا يقدران ان يدخلا شيئاً حتى يوحى الملك اليهما اطرق الملكة منصتاً لهما حتى يعي منهما ثم يجيب بما يريد (ناداً منه) ^٦ ريح الفؤاد وبخ

١ - ليست في (ج). وفي (ب) اعلم ان الله.

٢ - الزيادة من (ج و د).

٣ - في (ب و ج و د) والاوصال. والمراد بالاوصال: هي مفاصل البدن وماية سبباً لوصولها، فان بها تتم الحركات المختلفة من القيام والقعود وتحريك الاعضاء.

٤ - في الاصل (والدماغ بيت الملك). وما اثبتناه هو الصواب كما في (ب و ج و د).

٥ - الزيادة من (ب و ج و د). وهو الصواب. كما سيأتي لهما ذكر في فوائد الاعض

٦ - ليست في نسخة (د).

٧ - في (ب و ج و د) بأدوات كثيرة منها.

المعدة، ومعونة الشفتين.

وليس للشففتين قوة الابانشاء للسان^١. وليس يستغنى بعضها عن بعض. والكلام لا يحسن الا بترجيحه في الانف، لان الانف يزين الكلام، كما يزين النافع المزمار.

(وكذلك المنخران همائقبا الانف، والانف يدخل على الملك)^٢ مما يحب من الروائح الطيبة. فاذا جاء ريح يسوء أوحى الملك الى اليدين فحجبت بين الملك وبين تلك الروائح.

وللملك مع هذا ثواب وعذاب: فعذابه أشد من عذاب الملوك الظاهرة القادرة في الدنيا. وثوابه افضل من ثوابها. فأما عذابه فالحزن. واما ثوابه فالفرح. واصل الحزن في الطحال، واصل الفرغ في الثرب^٣ والكليتين. وفيهما عرقان موصلان في الوجه، فمن هناك يظهر الفرغ والحزن، فترى تباشيرهما في الوجه وهذه العروق كلها طرق من العمال الى الملك^٤ ومن الملك الى العمال.

وتصديق ذلك: اذا تناول الدواء ادته العروق الى موضع الداء.

واعلم (يا أمير المؤمنين)^٥ ان الجسد بمنزلة الارض الطيبة الخراب ان

١ - في (ج ود) الا بالاسنان.

٢ - الزيادة ليست في (د).

٣ - الشرب: جسم شحمي يحيط بالمعدة والامعاء وغيرهما، مؤلف من طبقتين غشائيتين يحللها شحم لين وشظايا صغار من الاوردة والشرايين، وهو يتبدى من فم المعدة وينتهي الى القولون. التلويح ص ٨٧.

٤ - في الاصل (العمال)، والصواب ما اثبتناه كما في (ب و ج ود).

٥ - في (ج) أيها الامير. وقدوردت كذلك في كل موضع فيه كلمة أمير المؤمنين في

تعوهدت بالعمارة والسقى من حيث لا تزدد من الماء فتغرق، ولا تنقص منه فتعطش دامت عمارتها و كثر ريعها، وزكازرعها. وان تغافلت عنها فسدت ونبت فيها العشب. والجسد بهذه المنزلة والتدبير فى الاغذية والاشربة^١، يصلح ويصح، وتزكوا العافية فيه.

(٢)

وانظريا أميرالمؤمنين (ما يوافقك و)^٢ ما يوافق معدتك، ويقوى عليه بدنك ويستمرته من الطعام والشراب^٣، فقدره لنفسك، واجعله غذاك. واعلم يا أميرالمؤمنين ان كل واحدة من هذه الطبائع تحب ما يشاكلها، فاتخذ ما يشاكل جسدك. ومن اخذ الطعام زيادة (الابان) لم يفده، ومن اخذ بقدر لازيادة عليه ولا نقص، غذاه ونفعه. وكذلك (الماء. فسبيلك)^٥، ان تأخذ من الطعام من كل صنف منه فى ابانه^٦، وارفع يدك من الطعام وبك اليه بعض القرم^٧، فانه اصح لبدنك واذكى لعقلك، واخف على نفسك ان شاء الله.

١ - الزيادة من (ب و ج ود).

٢ - الزيادة من (ب و ج ود).

٣ - الزيادة من (ج).

٤ - ليس في (ب و ج ود). والمراد منه: انك اذا أخذت من الطعام زيادة على حاجتك فستظهر اضراره فيما بعد.

٥ - في الاصل (ما سبيله). والصواب ما أثبتناه كما في (ب و ج ود).

٦ - ابانه: بكسر الهمزة وتشديد الباء: أي حينه. وفي (ب و ج ود) أيامه وهما بمعنا واحد.

٧ - القرم: شدة شهوة اللحم، ثم اتسع حتى استعمل في الشوق الى كل شىء. انظر

ثم كل يا امير المؤمنين البارد في الصيف، والحار في الشتاء، والمعتدل في الفصلين، على قدر قوتك وشهوتك وابدأ في اول طعامك بأخف الاغذية الذي تغذى بها بدنك، بقدر عاداتك وبحسب وطنك^١، و نشاطك، وزمانك.

والذي يجب ان يكون اكلك في كل يوم عندما يمضى من النهار ثمان ساعات (اكلة واحدة)^٢، او ثلاث اكلات في يومين^٣. تتغذى باكرأ في اول يوم ثم تتعشى، فاذا كان في اليوم الثاني عند (مضى)^٤ ثمان ساعات من النهار اكلت اكلة واحدة، ولم تحتج الى العشاء^٥. وليكن ذلك بقدر، لا يزيد ولا ينقص. وتكف عن الطعام وانت مشتهى له^٦. وليكن شرابك على اثر طعامك من هذا الشراب الصافي المعتق مما يحل شره^٧.

١ - في (ب وج ود) طاقتك.

٢ - الزيادة من (ب وج ود).

٣ - في الاصل يوم. وصوابه ما اثبتناه كما في (ب وج ود).

٤ - الزيادة من (ب وج ود).

٥ - في (ب وج ود) وكذا أمر جدي محمد (ص) علياً عليه السلام في كل يوم وجبة و

في غده وجبتين.

٦ - عن الاصبغ بن نباتة قال: قال امير المؤمنين عليه السلام للحسن: الا أعلمك أربع خصال تستغني بها عن الطب؟ قال: بلى. قال: لا تجلس على الطعام الا وانت جائع ولا تقم عن الطعام الا وانت تشتهي وجود المضغ واذا نمت فأعرض نفسك على الخلاء فاذا استعملت هذا استغنيت عن الطب. الخصال ١/١٠٩.

٧ - في (ب وج ود) يليه النص التالي: «والذي انا واصفه فيما بعد. ونذكر الان ما ينبغي ذكره من تدبير فصول السنة وشهورها الرومية الواقعة فيها من كل فصل على حده وما يستعمل من الاطعمة والاشربة وما يجتنب منه وكيفية حفظ الصحة من أقاويل العلماء القدماء. ونعود الى قول الائمة (ع) في صفة شراب يحل شره ويستعمل بعد الطعام.

ذكر فصول السنة :-

أما فصل الربيع فانه روح الازمان، وأوله آذار. وعدد أيامه واحد وثلاثون يوماً وفيه يطيب الليل والنهار، وتلين الارض، ويذهب سلطان البلغم، ويهيج الدم، ويستعمل فيه من الغذاء اللطيف، واللحوم، والبيض النيمبرشت^١، ويشرب الشراب بعد تعديله بالماء، و يتقى فيه أكل البصل، والثوم، والحامض. ويحمد فيه شراب المسهل، ويستعمل فيه الفصد والحجامة.

نيسان: ثلاثون يوماً. فيه يطول النهار، ويقوى مزاج الفصل، ويتحرك الدم، وتهب فيه الرياح الشرقية، ويستعمل فيه من المأكّل المشوية، وما يعمل بالخل، ولحوم الصيد، و يصلح الجماع، والتمرخ بالدهن في الحمام، ولا^٢ يشرب الماء على الريق، ويشم الرياحين، والطيب.

آيار: واحد وثلاثون يوماً. (تصفو فيه الرياح، وهو آخر فصل الربيع، وقد نهى فيه عن أكل الملوحات، واللحوم الغليظة كالرؤوس، ولحم البقر، واللبن. وينفع فيه دخول الحمام أول النهار، ويكره فيه الرياضة قبل الغذاء.

حزيران ثلاثون يوماً^٣. يذهب فيه سلطان البلغم والدم، ويقبل زمان المرة الصفراوية و نهى فيه عن التعب، وأكل اللحم دسماً، والاكتار منه، وشم المسك^٤ والعنبر^٥ وفيه ينفع أكل البقول الباردة، كالهندباء^٦، وبقلة الحمقاء^٧، وأكل الخضر. كالخيار، والقثاء

١ - لفظ فارسية يقصد منها البيض الذي لم ينضج نضجاً كاملاً.

٢ - ليس في (ج). ٣ - ما بين القوسين ليس في (ج).

٤ - المسك: قال الشيخ الرئيس في القانون ١/٣٦٠: سرة دابة كالضبي أو هو بعينه، له نابان أبيضان معقنان الى الانسى كقرنين.

٥ - العنبر: قال الشيخ الرئيس: «فيما يظن: نبع عين في البحر، والذي يقال أنه زبد البحر، أو روث دابة بعيد. أنظر المصدر السابق ٣٩٨.

٦ - الهندباء: هو صنفان برى وبستاني، فالبرى أعرض ورقاً من البستاني، وأجود للمعدة منه، والبستاني منه صنفان أحدهما قريب الشبه من الخس غريض الورق والاخر أدق ورقاً منه، وفي طعمه مرارة. أنظر الجامع لمفردات الادوية والاعذية ٤/١٩٨.

٧ - قال ابن البيطار في المصدر السابق ص ١٠٢: وهي البقلة المباركة والبقلة اللينة

والشيرخشت^١ والفاكهة الرطبة واستعمال المحمضات. ومن اللحوم: لحم المعز الثني. والجذع^٢. ومن الطيور: الدجاج، والطيحوج، والدراج، والالبان، والسّمك الطري.

تموز: واحد وثلاثون يوماً. فيه شدة الحرارة، وتغور المياه ويستعمل فيه شرب المياه الباردة على الريق. ويؤكل فيه الاشياء الباردة الرطبة. ويكسر فيه مزاج الشراب. وتؤكل فيه الاغذية اللطيفة السريعة الهضم، كما ذكر في حزيان. ويستعمل فيه من التور^٣ والرياحين الباردة الرطبة الطيبة الرائحة.

آب: واحد وثلاثون يوماً، فيه تشتد السموم، ويهيج الزكام بالليل، وتهب الشمال، و يصلح المزاج بالتبريد والترطيب، وينفع فيه شرب اللبن الرائب، ويجتنب فيه الجماع، والمسهل، ويقل من الرياضة، ويشم الرياحين الباردة.

أيلول: ثلاثون يوماً، فيه يطيب الهواء، ويقوى سلطان المرة السوداء، ويصلح شراب المسهل، وينفع فيه أكل الحلاوات، وأصناف اللحوم المعتدلة كالجداء^٤ والحولي^٥ من الضان، ويجتنب فيه لحم البقر، والاكتار من الشواء، ودخول الحمام، ويستعمل فيه الطيب المعتدل المزاج، ويجتنب فيه أكل البطيخ والقثاء.

والعرفج والعرفجين أيضاً وهى الرحلة. وفيه عن جالينوس: هذه البقلة باردة مائة المزاج وفيها قبض يسير. وقال الانطاكى في تذكرته ٨/١: وسميت حمقاء لخروجها فى الطرق بنفسها وهى نبات طرى فى غلظ الاصابع فتطول دون ذراع وتمتد على الارض وتزهر جملة الى البياض وتخلف بزراً صغيراً وتدرک فى الربيع والصيف وهى باردة رطبة.

١ - قال ابن البيطار فى المصدر السابق ص ٧٥: شير خشك. هو طل يقع من السماء ببلاد العجم على شجر الخلاف بهرة وهو حلوا الى الاعتدال. وفيه عن التميمي هو أفضل أصناف المن وأكثرها نفعاً لمحرورى الامزجة.

٢ - الجذع: هو الذى أكمل السنة الاولى ودخل فى الثانية. وفى نسخة (د) الجداء والجداء: جمع جدى الذكر من اولاد المعز فى السنة الاولى. أنظر حياة الحيوان ١/١٨٥.

٣ - النور: الزهر، أو الابيض منه. أنظر القاموس ٢/١٤٩.

٤ - الجداء: سبق تعريفه.

٥ - الحولى: ما أتى عليه حول من ذى حافر وغيره أنظر القاموس ٣/٣٧٤.



تشرين الاول : واحد و ثلاثون يوماً، فيه تهب الرياح المختلفة، ويتنفس فيه ريح الصبا، ويجتنب فيه الفصد، وشرب الدواء، ويحمد فيه الجماع، وينفع فيه (أكل اللحم السمين، والرمان المز، و الفاكهة بعد الطعام، ويستعمل فيه)^٢ أكل اللحوم بالتوابل، ويقلل فيه شرب الماء، ويحمد فيه الرياضة.

تشرين الثاني : ثلاثون يوماً، فيه يقطع المطر الوسمي^٣، وينهي فيه عن شرب الماء بالليل، ويقلل فيه من دخول الحمام، والجماع، ويشرب بكرة كل يوم جرعة ماء حار، ويجتنب فيه أكل البقول الحارة كالكرفس، والنعناع والجرجير^٤.

كانون الاول : واحد و ثلاثون يوماً، تقوى فيه العواصف، ويشتد البرد، وينفع فيه كل ما ذكرناه في تشرين الاخر. ويحذرفيه من اكل الطعام البارد، ويتقى فيه الحجامه والفصد، ويستعمل فيه الاغذية الحارة بالقوة والفعل.

كانون الاخر : واحد و ثلاثون يوماً، يقوى فيه غلبة البلغم، وينبغي ان يتجرع فيه الماء الحار على الريق، ويحمد فيه الجماع، وينفع الاحشاء فيه أكل البقول الحارة كالكرفس، والجرجير، والكراث. وينفع فيه دخول الحمام أول النهار، والتمريخ بدهن الخيري^٥، وما ناسبه، ويحذرفيه الحلوة، وأكل السمك الطري، واللين.

شباط : ثمانية و عشرون يوماً. تختلف فيه الرياح، وتكثر الامطار، ويظهر فيه العشب، ويجري فيه الماء في العود. وينفع فيه أكل الثوم. ولحم الطير، والصيد، و الفاكهة اليابسة، ويقلل من أكل الحلاوات. ويحمد فيه كثرة الجماع، والحركة، والرياضة.

١ - المز: بالضم بين الحامض والحلو. القاموس ١٩٩/٢.

٢ - ما بين القوسين ليس في (د). ٣ - الوسمي : المطر النازل في أول الفصل.

٤ - الجرجير: بقلة يكثر زرعها في ثغر الاسكندرية، ويسمونها بقلة عائشة، وهي برى

وبستاني. أنظر الجامع لمفردات الادوية والاغذية ١/١٦٠.

٥ - دهن الخيري: قال ابن البيطار في الجامع لمفردات الادوية والاغذية ٢/١٠٨ عن

التميمي: «أنه لطيف محلل، موافق للجراحات، وخاصة ما عمل من الاصفر منه، وهو شديد التحليل لاورام الرحم، والاورام الكائنة في المفاصل، ولما يعرض من التعقد والتحجر

في الاعصاب والتقبض». ٦ - في (ج و د) الحلق.

(٣)

«صفة الشراب»^١

يؤخذ من الزبيب^٢ المتقى عشرة ارطال، فيغسل وينقع في ماء صافى، غمره وزيادة عليه اربعة اصابع، ويترك فى انائه ذلك ثلاثة ايام فى الشتاء، وفى الصيف يوماً وليلة.

ثم يجعل فى قدر نظيفة، وليكن الماء ماء السماء^٣ ان قدر عليه، والا فمن الماء العذب الصافى الذى يكون ينبوعه من ناحية المشرق. ماءً ابيضاً، براقاً، خفيفاً. وهوالقابل لما يعترضه على سرعة من السخونة والبرودة. وتلك الدلالة على خفة الماء^٤.

ويطبخ حتى ينتفخ الزبيب، ثم يعصر، ويصفى ماؤه، ويبرد. ثم يرد الى القدر ثانياً. ويؤخذ مقداره بعود، ويغلى بنار لينة غلياناً رقيقاً حتى يمضى ثلثاه، ويبقى ثلثه.

ثم يؤخذ من العسل المصفى رطل^٥، فيلقى عليه. ويؤخذ (مقدار الماء ومقداره من القدر)^٦، ويغلى حتى يذهب قدر العسل، ويعود الى حده..

١ - في (ب وج ود): صفة الشراب الذي يحل شربه واستعماله بعد الطعام، وقد تقدم ذكر نفعه فى ابتدائنا بالقول على فصول السنة وما يعتمد فيها من حفظ الصحة وصفته هوأن:-

٢ - الزبيب : هو جفيف العنب.

٣ - ماء السماء: اي ماء المطر.

٤ - قال الخجندي في التلويح: وأفضل المياه مياه العيون الجارية على الاراضي الطينية المنحدرة من مواضع عالية لاسيما الغمرة المكشوفة التي تبعد منابعها، ويخف وزنها، ويجري نحو المشرق الصيفي والشمال.

٥ - الرطل: ما يساوي (٣١٤) غراماً تقريباً.

٦ - في (ب وج ود): مقداره ومقدار الماء الى أين كان فى القدر.

ويؤخذ صفيقة^١، فتجعل فيها من الزنجبيل^٢ وزن درهم^٣، ومن القرنفل^٤ وزن درهم، ومن الدار صيني^٥ وزن (نصف درهم)^٦، ومن الزعفران^٧ وزن درهم (ومن السنبل^٨ وزن نصف درهم ومن العود^٩

١- الصفيقة: القماش الكثيف النسيج. وفي نسخة (د) خرقة ضعيفة.

٢- الزنجبيل: قال الشيخ الرئيس ابن سينا في القانون ج ٣٠٢/١: «قال ديسقوريدوس: الزنجبيل أصوله صغار مثل اصول السعد. لونها الى البياض، وطعمها شبيه بطعم الفلفل، طيب الرائحة.

٣- الدرهم: هو ما يساوي (٢/٥) غراماً تقريباً.

٤- القرنفل: قال الشيخ الرئيس في القانون ج ٤١٦/١: «نبات في حد الصين، والقرنفل ثمرة ذلك النبات، وهو يشبه الياسمين لكنه أسود. وذكره كنزى الزيتون، وأطول وأشد سواداً».

٥- الدار صيني: قال الشيخ الرئيس في المصدر السابق ص/٢٨٨: «هو اصناف كثيرة لها أسماء عند الاماكن التي تكون فيها. فمنه صنف جيد مائل الى السواد، ما هو جبلى غليظ، وصنف أبيض رخومتفخ، منفرك الاصل، أسود ملس، قليل العقد، ومنه صنف رائحته كالسليخة مائل الى الخضرة، وقشره كقشرتها الحمراء. وهو مما تبقى قوته زماناً، وخصوصاً ان دق وقرص بشراب.

٦- في (د) مثله. أي وزن درهم.

٧- الزعفران: قال الرئيس في القانون ج ٣٠٦/١: «معروف مشهور جوده الطري الحسن اللون الذكي الرائحة، على شعره قليل بياض غير كثير، ممتلىء صحيح، سريع الصبغ، غير ملزج ولا متفتت.

٨- السنبل: قال الشيخ الرئيس في المصدر السابق ص ٣٩٠: «السنبل سنبلان: سنبل الطيب وهو سنبل العصافير: والناردين وهو السنبل الرومي».

٩- العود: قال الرئيس في القانون ج ٣٩٨/١: هو خشب، أو اصول خشب يؤتى به من بلاد الصين، وبلاد الهند وبلاد العرب، بعضه منقط مائل الى السواد، طيب الرائحة قابض فيه مرارة يسيرة، وله قشر كأنه جلد. أجود أصنافه العود المنديلي، ويجلب من وسط بلاد الهند.

النى^١ وزن نصف درهم^٢، ومن المصطكي^٣ وزن نصف درهم بعد ان يسحق كل صنف من هذه الاصناف وحده وينخل، ويجعل فى الخرقة، ويشد بخيط شداً جيداً. (ويكون للخيط طرف طويل تعلق به الخرقة المصرورة فى عود معارض به على القدر، ويكون القى هذه الصرة فى القدر فى الوقت الذى يلقى فيه العسل.

ثم تمرس الخرقة ساعة فساعة، لينزل ما فيها قليلا قليلا، ويغلى الى ان يعود الى حاله، ويذهب زيادة العسل.

وليكن النار لينة، ثم يصفى ويبرد، ويترك فى انائه ثلاثة اشهر مختوماً عليه، لا يفتح، فاذا بلغت المدة فاشربه، والشربة منه قدر اوقية^٤ بأوقيتين ماء^٥.

(٤)

فاذا اكلت يا امير المؤمنين كما وصفت لك من قدر الطعام فاشرب من هذا الشراب ثلاثة اقداح بعد طعامك فاذا فعلت فقد امننت باذن الله

١ - فى (ج) الهندي مثله.

٢ - ما بين القوسين ليس فى (د). وفيه «ومن الهندباء مثله ومن... الخ».

٣ - المصطكي : قال الشيخ الرئيس فى القانون ج ١/٣٦٠: «منه رومي أبيض، ومنه نبطي الى السواد. وشجرته مركبة مائبة قليلة، وأرضية كثيرة». وقال ابن البيطار فى الجامع لمفردات الادوية والاغذية ج ٤/١٥٨: «هو علك الروم. وهو ثمرة المصطكا. والمصطكا: شجرة معروفة كلها قابضة. وقديكون من هذه الشجرة صمغة يقال لها مستجي».

٤ - الاوقية : تساوي (٣٢٣) غراماً تقريباً.

٥ - ما بين القوسين كما فى (ب وج ود). مع اختلاف يسير فى الالفاظ فقط لا يضر

فى المعنى.

يومك (من وجع النقرس^١ والابردة، والرياح المؤذية)^٢.
 فان اشتهيت الماء بعد ذلك فاشرب منه نصف ما كنت تشرب فانه
 اصح لبدنك، واكثر لجماعك واشد لضبطك وحفظك)^٣.
 (فان الماء)^٤ البارد، بعد اكل السمك الطرى يورث الفالج^٥.
 واكل الاترج^٦ بالليل يقلب العين ويورث الحول^٧، واتيان المرأة الحائض

١ - النقرس : بالكسر. ورم أو وجع في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين. انظر القاموس ٢/٢٥٥.

٢ - في (ب وج ود): و ليلتك من الاوجاع الباردة المزمنة، كالنقرس والرياح وغير ذلك من أوجاع العصب والدماغ والمعدة، وبعض أوجاع الكبد والطحال، والامعاء والاحشاء.

٣ - في (ب وج ود) أصلح لبدنه واكثر لجماعه، وأشد لضبطه وحفظه فان صلاح البدن وقوامه يكون بالطعام والشراب، وفساده يكون بهما، فان أصلحتهما صلح البدن، وان افسدتهما فسد البدن. ثم ينتقل بنا نساخ النسخ الثلاث (ب وج ود) الى المقطع الثامن من هذه الرسالة وأوله: «واعلم يا أمير المؤمنين ان قوة النفوس تابعة... الخ».

٤ - في (ب وج ود) والاعتسال بالماء. ونقل ابن القسيم الجوزي في زاد المعاد ٢/١٩٦ قول ابن بختيشوع: الاغتسال بالماء البارد بعد اكل السمك الطرى يولد الفالج.

٥ - الفالج : قال الشيخ الرئيس في القانون ج ٢/٩٠: «هو ما كان من الاسترخاء عاماً لاحد شقيّ البدن طولاً. فمنه ما يكون في الشق المبتدأ من الرقبة ويكون الوجه والرأس مع صحيحين ومنه ما يسري في جميع الشق من الرأس الى القدم.

٦ - الاترج : قال ديقوريدوس هونبات تبقى ثمرته عليه جميع السنة. والتمر بنفسه طويل، ولونه شبيهه بلون الذهب، طيب الرائحة مع شيء من كراهة، وله بزرشبيه ببزرالكمثرى. انظر الجامع لمفردات الادوية والاعذية ١/١٠.

٧ - الحول : ظهور البياض في مؤخر العين، ويكون السواد من قبل الماق. أو اقبال الحدقة على الانف. أو ذهاب حدقتها قبل مؤخرها. انظر القاموس ٤/٣٧٥.

يولد الجذام^١ في الولد. والجماع من غير اوراق الماء على اثره يورث الحصة^٢. والجماع بعد الجماع من غير ان يكون بينهما غسل يورث للولد الجنون (ان غفل عن الغسل)^٣.

وكثرة اكل البيض، وادمانه يورث الطحال، ورياحاً في رأس المعدة^٤. والامتلاء من البيض المسلووق يورث الربو^٥، والابتهاج^٦. (واكل اللحم النسي يورث الدود في البطن)^٧. واكل التين يقمل الجسد اذا ادمن

وقال ابن البيطار عن ابن ماسويه: «من أكل الاترج بالليل ونام عليه أورثه الحول. انظر المغني في الطب / مخطوط ورقة ٥٧.

١ - الجذام: علة تحدث من انتشار السوداء في البدن كله، فيفسد مزاج الاعضاء. و هيأتها وربما انتهى الى تآكل الاعضاء وسقوطها عن تقرح. انظر القاموس ج ٤/٨٨. ونقل ابن القيم الجوزي في كتابه زاد المعاد ج ٢/١٩٦ عن ابن بختيشوع قوله: وطىء المرأة الحائض يولد الجذام، وقال الانطاكي في تذكرة اولى الالباب ج ٢/٧١: وجماع الحائض يوقع في البثور والقروح والاواكل.

٢ - الحصة: اشتداد البول في المثانة حتى يصير كالحصة. انظر القاموس ٤/٣١٨. و نقل ابن القيم في زاد المعاد ج ٢/١٩٦ قول ابن بختيشوع: الجماع من غير ان يهرق الماء عقيب يولد الحصة. ونقل عن ابن ماسويه قوله: ومن جامع فلم يصبر حتى يفرغ فاصابه حصة فلا يلوم من الانفسه.

٣ - ليست في (ب و ج). وقال ابن ماسويه: ومن احتلم فلم يغتسل حتى وطىء أهله فولدت مجنوناً أو مخيلاً فلا يلوم من الانفسه. انظر زاد المعاد ج ٢/١٩٦.

٤ - قال ابن البيطار: وينبغي ان يتجنب الاكثار من البيض المسلووق لمن يعتره القولنج، انظر الجامع لمفردات الادوية ١/١٣٢.

٥ - الربو: بالفتح، ضيق النفس. ونقل ابن القيم الجوزي في زاد المعاد ج ٢/١٩٦ عن ابن ماسويه قوله: ومن أكل بيضاً مسلووقاً بارداً و امتلاء منه فاصابه ربو فلا يلوم من الانفسه.

٦ - البهر: بالضم. انقطاع النفس من الاعياء. المصدر السابق ١/٣٧٨.

٧ - قال ابن البيطار: في المغني ورقة ٢١٥، عن ابن جريح، ان من مولدات الدود في

عليه^١.

و شرب الماء البارد عقيب الشيء الحار، و عقيب الحلاوة يذهب
بالاسنان. والاكثر من اكل لحوم الوحش والبقر، يورث تيبس العقل وتحجير
الفهم، و تلبد الدهن، و كثرة النسيان^٢.

(٥)

و اذا اردت دخول الحمام و ان لا تجد في راسك ما يؤذيك . فابدأ عند
دخول الحمام بخمس حسوات ماء حار^٣. فانك تسلم باذن الله تعالى من
وجع الرأس، والشقيقة^٤. و قيل خمسة اكف ماء حار تصبها على راسك عند
دخول الحمام.

و اعلم يا أمير المؤمنين ان تركيب الحمام على تركيب الجسد. للحمام
اربعة ابيات مثل اربع طبائع.

البيت الاول : بارد يابس، والثاني : بارد رطب، والثالث : حار رطب،

والرابع : حار يابس^٥.

البطن أكل اللحم الني.

١ - انظر القانون ج ١/٤٤٦، و عن ابن ماسويه قال: كثيراً ما يتولد في مدفن آكله
القمل الكثير، انظر الجامع لمفردات الادوية ١/٤٤٨.

٢ - ذكر ابن البيطار عن جالينوس: اذا هو أكثر منه أعيب بالامراض الحادثة عن المرة
السوداء كالسرطان والجذام والوسواس. انظر الجامع لمفردات الادوية ١/١٠٥.

٣ - في (ب و ج و د) فاتر.

٤ - الشقيقة : وجع يأخذ نصف الرأس والوجه. انظر القاموس ج ٣/٢٥٩.

٥ - قال الخجندي في التلويح: ص ١٢١ في تقسيم بيوت الحمام: «الفعل الطبيعي
للحمام ان يسخن بهوائه، و يرطب بمائه. والعرضي مثل: ان يسخن بمائه البارد، و بهوائه

ومنفعة الحمام تؤدي الى الاعتدال، وينقى الدرن^١، ويلين العصب والعروق، ويقوى الاعضاء الكبار، ويذيب الفضول والعفونات^٢.
و اذا اردت ان لا يظهر فى بدنك بشرة ولا غيرها، فابدأ عند دخول الحمام بدهن بدنك، بدهن البنفسج^٣. و اذا اردت (ان لا يبش)^٤، ولا يصيبك قروح، ولا شقاق، ولا سواد، فاغسل بالماء البارد قبل ان تنور^٥.
ومن اراد دخول الحمام للنورة، فليتنجب الجماع قبل ذلك باثنتى عشرة ساعة، وهو تمام يوم. وليطرح فى النورة شيئاً من الصبر^٦، والقاقيا^٧.

الحار. والبيت الاول: مبرد مجفف، والثاني مبرد مرطب، والثالث مسخن مرطب، والرابع مسخن مجفف.

١ - في (ج) البدن. والدرن: هو الوسخ.

٢ - قال الدميري في حياة الحيوان ١٢٥/٢: «اعلم ان الحكماء قد ذكروا ان للحمام والنورة منافع ومضار، فمن منافعه: «انه يوسع المسام، ويستفرغ الفضول، ويحلل الرياح، و ينظف البدن من الوسخ والعرق، ويذهب الاعياء، ويلين الجسد، ويجيد الهضم.

٣ - قال الشيخ الرئيس في القانون ج ٢٦٦/١: «بارد رطب في الاولى، ودهن البنفسج طلاء جيد للجرب». وقال ابن البيطار في الجامع لمفردات الادوية والاعذية ج ١٧/٢: «انه يبرد، ويرطب وينوم، ويعدل الحرارة».

٤ - في (ب وج ود) استعمال النورة.

٥ - في الاصل (يبش) والصواب ما اثبتناه كما في (ب وج ود) أي قبل ان تستعمل النورة.

٦ - قال الشيخ الرئيس في القانون ٤١٥/١: «الصبر عصارة جامدة بين حمرة وشقرة و ماؤه كماء الزعفران.

٧ - قال الشيخ الرئيس في القانون ٣٤٦/١ «القاقيا: هو عصارة القرظ يجفف ثم يقرص وفيه لذع يزول بال غسل» وفيه عن ديسقوريدوس: هو شجر ذات شوك وشوكه غير قائم وكذلك اغصانها ولها زهر ابيض وثمر ابيض في غلف وتجمع الاقاقيا وتعمل عصارتها بان يدق ورقه مع ثمره وتخرج عصارتها.

والحفض^١: او يجمع ذلك، ويأخذ منه اليسير اذا كان مجتمعاً او متفرقاً. ولا يلقي في النورة من ذلك شيئاً حتى تلمات النورة بالماء الحار الذي يطبخ فيه البابونج^٢، والمرزنجوش^٣ او ورد البنفسج^٤ اليابس. وان جمع ذلك اخذ منه اليسير مجتمعاً او متفرقاً قدر ما يشرب الماء رائحته. وليكن زرنج^٥ النورة مثل ثلثها^٦. ويدلك الجسد بعد الخروج منها ما

١ - الحفض: شجرة مشوكة، لها اغصان طولها ثلاثة أذرع، وكثر عليها الورق، ولها ثمر شبيه بالقليل، أسود ملز، مرالمذاق، أملس، وقشر الشجر أصفر، ولها أصول كثيرة. ونبت في اماكن الارض الوعرة. انظر الجامع لمفردات الادوية والاعذية ٣٢٣/٢.

٢ - قال ابن البيطار في المصدر السابق ٧٣/١: «البابونج» هو ثلاثة أصناف، والفرق بينها انما هو في لون الزهر فقط، وله أغصان طولها نحو من شبر، وفيها شعب، وورق صغار دقاق ورؤس مستديرة صفار في باطن بعضها زهر أبيض، وأصفر، وفريفي. ونبت في أماكن خشنة، والقرب من الطرق، ويقلع في الربيع. والبابونج: بالقاف. اسم خاص للنوع العطر من البابونج الدقيق.

٣ - قال ابن البيطار في المصدر السابق ج ٤/١٤٤: «المرزنجوش». ويقال له مرزجوش ومردقوش. وهو فارسي، واسمه السمسق بالعربية، والعنقر أيضاً. وهونبات كثير الاغصان ينبسط على الارض في نباته، وله ورق مستدير عليه زغب، وهو طيب الرائحة جداً.

٤ - قال ابن البيطار في المصدر السابق ج ١/١١٤: «البنفسج»: هونبات معروف له ورق أسود، وله ساق يخرج من أصله، عليه زغب صغير، وعلى طرف ساقه زهر طيب الرائحة جداً. يثبت في المواضع الضليلة الحسنة.

٥ - قال الشيخ الرئيس في القانون ج ١/٣٠٤: «الزرنج»: جوهر معدني، منه أخضر، و منه أصفر، ومنه أحمر. أجوده الاصفر المتسرح الامني، الذهبي الصفائح، وله رائحة كرائحة الكبريت.

٦ - في (ب و ج و د) مثل سدس النورة.

يقطع ريحها، كورق الخوخ^١ و ثجير^٢ العصفر^٣، والحناء^٤ و (السعد^٥
والورد^٦) .

ومن اراد ان يامن النورة و يامن احراقها، فليقلل من ثقلها. و ليبادر
اذا عملت في غسلها. و ان يمسح البدن بشيء من دهن ورد. فان احقرت
والعياذ بالله، اخذ عدس مقشر (فيسحق بخل و ماء ورد)^٧، و يطلى
على الموضع الذي احقرته النورة، فانه يبرأ باذن الله.

١ - قال الشيخ الرئيس في القانون ج ١/٤٦١: «يقطع ورقه اذا طلي به رائحة النورة».
٢ - كذا في (ب). وفي الاصل يتخير. والثجير: ثقل كل شيء يعصر، وقال ابن
البيطار: واما ثجير العصفرو هو الذي يرمى به من بعد أخذ تمام الصبغ منه.
٣ - العصفر: قال ديقوريدوس: «هونبات له ورق طوال مشرف خشن مشوك و ساق
طولها نحو من ذراعين بلاشوك، عليها رؤوس مدورة مثل حب الزيتون الكبار، و زهر شبيه
بالزعفران، و نور أبيض، و منه ما يضرب الى الحمرة، و هوريفي و بري». انظر
القانون ١/٣٩٦.

٤ - الحناء: قال ديسقوريدوس: «هي شجرة ورقها على اغصانها و هو شبيه بورق
الزيتون غير أنه أوسع و ألين و أشد خضرة. و لها زهر أبيض شبيه بالاشنة طيب الرائحة، و
بزره أسود». انظر المصدر السابق ١/٣١٣.

٥ - السعد: قال ديسقوريدوس: «هو أصل نبات له ورق يشبه الكراث غير أنه أطول و
أرق و أصلب. و له ساق طولها ذراع أو أكثر، و ساقه ليست مستقيمة بل فيها أعوجاج على
طرفها أوراق صفار نابتة، و بزر. و أصوله كأنها زيتون منه طوال، و منه مدور، منشبك بعضه
مع بعض، سود، طيب الرائحة، فيها مرارة». انظر القانون ١/٣٧٨.

٦ - قال ابن البيطار في الجامع لمفردات الادوية و الاغذية: «الورد: هو نور كل شجرة.
و زهر كل نبتة ثم خص بهذا المعروف. فقيل لاحمره الحوحم، و لا يبيضه الوثير و أصله
فارسي» انظر ٤/١٨٩.

٧ - في (ب و ج و د) الورد و السنبل، مفردة أو مجتمعة.

٨ - في (ب و ج و د): يسحق ناعماً و يداف في ماء ورد و خل.

والذى يمنع من تأثير النورة للبدن. هو أن يدللك عقيب النورة بخل
عنب^١، ودهن ورد دلکاً جيداً.

(٦)

ومن اراد ان لا يشتكى مئانته، فلا يحبس البول ولو على ظهر دابته.
ومن اراد ان لا تؤذيه معدته فلا يشرب على طعامه ماء حتى يفرغ منه،
ومن فعل ذلك رطب بدنه، وضعف معدته، ولم تأخذ العروق قوة الطعام،
لانه يصير فى المعدة فجأ اذا صب الماء على الطعام اولاً فأولاً.
ومن اراد ان يأمن الحصة، وعسر البول، فلا يحبس المنى عند نزول
الشهوة، ولا يطيل المكث على النساء.
ومن اراد ان يأمن وجع السفلى، ولا يضره شىء من ارياح البواسير
فليأكل سبع تمرات هيرون^٢ بسمن بقر، ويدهن انثيه بزئبق خالص^٣.
ومن اراد ان يزيد فى حفظه، فليأكل سبع مثاقيل زبيباً بالغداة على
الريق.

ومن اراد ان يقل نسيانه، ويكون حافظاً، فليأكل فى كل يوم ثلاث
قطع زنجبيل^٤، مربى بالعسل، ويصطنع بالخردل^٥ مع طعامه فى كل يوم.

١ - فى (ب وج ود): العنب الثقيف.

٢ - الهيرون: البري من التمر. أنظر كتاب الالفاظ الفارسية المعربة ص ١٥٩ ونقل
الزيدي فى تاج العروس ٣٦٧/٩ عن القتيبي قوله: الهيرون كزيتون ضرب من التمر جيد. و
فى (ب) برني، وفى (ج ود) يربى.

٣ - قال الانطاكي: الزئبق بارد رطب يذهب الحكمة والجرب والقروح التى فى خارج
البدن. انظر تذكرة اولى الالباب ١/١٨٤.

٤ - قال الشيخ الرئيس فى القانون ٣٠٢/١: «انه يزيد فى الحفظ».

٥ - قال الشيخ الرئيس فى القانون ٤٥٤/١: «الخردل. بقلة معروفة، ومن خواصها:

ومن اراد ان يزيد في عقله فلا يخرج كل يوم حتى يلوک على الریق ثلاث هليلجات^١ سود مع سکر طبرزد^٢.
ومن اراد ان لا (تشقق اظفاره ولا تفسد)^٣ فلا يقلم اظفاره الا يوم الخميس.

ومن اراد ان لا يشتكى اذنه، فليجعل فيها عند النوم قطنة.
ومن اراد دفع الزکام فى الشتاء اجمع، فليأكل كل يوم ثلاث لقم شهد^٤.

واعلم يا اميرالمؤمنين ان للعسل دلائل يعرف بها نفعه (من ضرره)^٥ و ذلك ان منه ما اذا ادركه الشم عطس^٦، ومنه ما يسكروله عند الذوق حرافة^٧

ان شرب على الریق ذكى الفهم». وقال قسطنس: «ان من شرب من بزر الخردل بشراب على الریق ذكى فؤاد آكله» انظر الجامع لمفردات الادوية والاعذية ٢٢/٣.

١ - الهليلج: قال ديسقوريدوس: «معروف: وهو اصناف كثيرة، منه الاصفر الفخ، ومنه الاسود الهندي، والبالغ النضج وهو اسمن. ومنه كابلي وهو اكبر الجميع، ومنه صيني وهو دقيق خفيف». وقال الشيخ الرئيس ابن سينا في خواص الكابلي انه ينفع الحواس والحفظ، انظر القانون ٢٩٨/١. وقال الرازي في الحاوي ٦٣٧/٢١ ويقوى الحواس يزيد في الحفظ والذهن.

٢ - قال الشيخ الرئيس في القانون ٣٨٩/١ «سكر الطبرزد. أبرد والطف أنواع السكر، وفي (ب وج) سكر أبلوج.

٣ - في (ب وج ود) ينشق ظفره ولا يميل الى الصفرة ولا يفسد حول ظفره.

٤ - الشهد: هو العسل.

٥ - زيادة من (ب وج ود).

٦ - في الاصل عطش. والصواب ما اثبتنا. وقال الشيخ الرئيس في القانون ٤٠٢/١:

«والحريف من العسل يعطس شمه».

٧ - الحرافة: طعم يلدغ اللسان بحرارته، وقال الشيخ الرئيس في المصدر السابق:

«والحريف الشمي منه يذهب العقل».

شديدة فهذه الانواع من العسل قاتله^١.
 وليشم النرجس^٢ فانه يأمن الزكام. وكذلك الحبة السوداء^٣.
 واذا (جاء الزكام في) الصيف، فليأكل كل يوم خيارة واحدة،
 وليحذر الجلوس في الشمس.
 ومن خشى الشقيقة^٥، والشوصة^٤، فلا (ينم حين يأكل) السمك^٧ الطرى صيفاً كان أم شتاءً.
 ومن اراد أن يكون صالحاً، خفيف اللحم، فليقلل عشاءه بالليل.
 (ومن اراد أن لا يشتكى كبده عند الحجامة، فليأكل في عقيبه)

-
- ١- انظر القانون ٤٠٢/١، والجامع لمفردات الادوية والاغذية ١٢٢/٣.
 - ٢- قال ابن البيطار في الجامع لمفردات الادوية والاغذية ١٧٩/٤: «النرجس: نبات له ورق شبيه بورق الكراث، الا انه أدق منه وأصغر بكثير، وله ساق جوفاء ليس لها ورق، طولها اكثر من شبر، عليها زهر أبيض، في وسطه شيء لونه أصفر، ومنه مالونه الى القرمزية، وله أصل أبيض مستدير، وثمرته سوداء كأنها غشاء مستطيلة.
 وفيه عن ابن عمران شمه ينفع الزكام البارد.
 - ٣- قال ابن البيطار في المصدر السابق ٧٢/٣: «الحبة السوداء: وتسمى أيضاً بالشونيز. وهونبات صغير دقيق العيدان، طوله نحو من شبرين أو أكثر، وله ورق صغار، على طرفه رأس شبيه بالخشخاش في شكله، طويلة مجوفة، تحوي بزراً سود حريفاً طيب الرائحة.
 - وفي عن جالينوس انه يشفي الزكام اذا صير في خرقة وهو مقلو وشمه الانسان.
 وفيه أيضاً عن ديسقوريدوس. اذا سحق وجعل في صرة واشتم نفع الزكام.
 - ٤- في (ج و د): خاف الانسان الزكام في زمان.
 - ٥- الشقيقة: وجع يأخذ نصف الرأس والوجه. القاموس ٢٥٩/٣.
 - ٦- الشوصة: وجع في البطن، أو ريح تعتقب في الاضلاع، أو ورم في حجابها من داخل. انظر المصدر السابق ٣٠٧/٢.
 - ٧- في (ب و ج و د): فلا يؤخر أكل.

هندباء^١ بخل^٢.

ومن اراد أن لا يشتكى سرته فليدهنها اذا دهن راسه.

ومن اراد ان لا تشقق شفثاه، ولا يخرج فيها ناسور^٣، فليدهن حاجبيه^٤.

ومن اراد ان لا يسقط ادناه^٥، ولا لهاته^٦، فلا يأكل حلواً لا تفرغ بخل^٧ (ومن اراد ان لا يفسد اسنانه فلا يأكل حلواً الا اكل بعده كسرة خبز)^٨

ومن اراد ان لا يصيبه اليرقان^٩، والصفار^{١٠}، فلا يدخلن بيتاً^{١١} في الصيف اول ما يفتح بابه (ولا يخرجن من بيت في الشتاء اول ما يفتح بابه بالغداة)^{١٢}!

١ - قال الرازي في الحاوي ٦٣٢/٢١: «هو صالح للكبد والمعدة، ونافع اذا استعمل بالخل بعد الفصد والحجامة».

٢ - ما بين القوسين ليس في (ب و ج و د).

٣ - الناسور: علة في اللثة. انظر القاموس ١٤١/٢.

٤ - في (ب و ج و د): حاجبية من دهن رأسه.

٥ - كذا في الاصل وفي (ب و ج): أذناه.

٦ - اللهاة: اللحم المشرفة على الحلق، أو ما بين منقطع أصل اللسان الى منقطع القلب من أعلى الفم. انظر القاموس ٣٨٨/٤.

٧ - انظر القانون ٤٦٢/١.

٨ - ليس في (ج) ١.

٩ - اليرقان: وجع يتغير منه لون البدن فاحشاً الى صفرة أو سواد. انظر القاموس ٢١٥/٣.

١٠ - ليس في (ب و ج و د). و الصفار: دود في البطن. انظر القاموس ٧١/٢.

١١ - المقصود من البيت هنا هو الغرفة في الدار.

١٢ ليس في (ج).

ومن اراد ان لا يصبه ريح، فليأكل الثوم^١ فى كل سبعة ايام.
ومن اراد ان يمر به^٢ الطعام، فليتكى على يمينه، ثم ينقلب بعد ذلك
على يساره حين ينام.

ومن اراد ان يذهب بالبلغم، فليأكل كل يوم جوارشناً^٣ حريفاً، ويكثر
دخول الحمام، واتيان النساء، والقعود فى الشمس، ويتجنب كل بارد، فانه
يذيب البلغم ويحرقه.

ومن اراد ان يطفىء المرة الصفراء، فليأكل كل بارد لين، ويروح
بدنه، ويقل الانتصاب^٤، ويكثر النظر الى من يحب.

ومن اراد ان (لا تحرقه)^٥ السوداء فعليه بالقى، وفصد الغروق والاطلاء
بالنورة.

ومن اراد ان يذهب بالريح الباردة، فعليه بالحقنة، والادهان اللينة
على الجسد. وعليه بالتكميد بالماء الحار فى الابزن^٦. (ويتجنب كل بارد

١ - قال ابن البيطار فى الجامع لمفردات الادوية والاعذية ١/١٥٢: «الثوم: بستاني و بري ويعرف بثوم الحية». وفيه عن جالينوس: «الثوم يحلل الرياح أكثر من كل شىء يحلله ولا يعطش». وفيه أيضاً عن الرازي: «يحلل الرياح ويفشها أكثر من كل غذاء حتى انه يمنع تولد القولنج الريحي اذا أكل».

٢ - أمراً الطعام: طاب له ونفعه.

٣ - الجوارش: قال الانطاكي فارسية: عبارة عن الدواء الذي لم يحكم سحقه ولم يطرح على النار بشرط تقطيعه رقاقاً. ويستعمل غالباً لاصلاح المعدة والاطعمة وتحلل الرياح. تذكرة اولى الالباب ١/١١٢.

٤ - (ب وج ود): الحركة.

٥ - في (ب وج ود): يحرق.

٦ - الابزن: حوض يغتسل فيه، وقد يتخذ من نحاس. معرب من آب زن. انظر

يابس، ويلزم كل حارلين)١.
ومن اراد ان يذهب عنه البلغم فليتناول كل يوم من الاطريفل ٢ الاصغر
(مثقلاً واحداً)٣.

(٧)

واعلم يا أمير المؤمنين: ان المسافر ينبغي له ان يحترز في الحر ان يسافر
وهو ممتلىء من الطعام، او خالى الجوف. وليكن على حد الاعتدال
وليتناول من الاغذية اذا اراد الحركة)٤، الاغذية الباردة مثل القريص٥،
والهلام٦، والخل، والزيت٧، وماء الحصرم٨، ونحو ذلك من البوادر٩.
واعلم يا أمير المؤمنين. ان السير الشديد في الحر ضار للجسام

١- ليس في (ج و د).

٢- الاطريفل. لفظة يونانية معناها الاهليلجات. وبلغة المدينة هو مركب من
الاهليلجات وهي من الادوية التي تبقى قوتها الى سنتين ونصف. وجل نفعه في امراض
الدماغ، وقطع الابخرة، وتقوية الاعصاب، والمعدة، ويقطع البواسير ويزكي ويذهب
سلس البول. انظر طريقة صنعه في تذكرة اولى الالباب ١/٥٠.

٣- زيادة في (ج و د).

٤- ليس في (ب و ج و د).

٥- القريص: غذاء يطبخ من اللحم اللطيفة كالحم السمك، والفرخ، مع الخل
أو الحموضات.

٦- الهلام: طعام من لحم العجل بجلده، أو مرق السكياج المبرد المصفى من الدهن.
انظر القاموس ٤/١٩١. وفي الجامع لمفردات الادوية ١/١٠٦. هو مرق لحم البقر المبرد
المصفى عن دسمه.

٧- في الاصل التزيت. وما أثبتناه من (ب و ج و د).

٨- الحصرم: هو غص العنب مادام أخضراً.

٩- انظر القانون ١/١٨٤. والتلويح ص ١٧٧.

المهلوسة^١، اذا كانت خالية من الطعام وهو نافع للابدان الخصبه.
فاما اصلاح المياه للمسافر، ودفن الاذى عنها، هو ان لا يشرب المسافر
من كل منزل يردّه، الا بعد ان يمزجه بماء المنزل الاول الذى قبله. او
بشراب واحد غير مختلف فيشوبه بالمياه على اختلافها^٢.

والواجب ان يتزود المسافر من تربة بلدة، وطينه^٣، فكلما دخل منزلاً
طرح فى انائه الذى يكون فيه الماء شيئاً من الطين^٤ (ويمات فيه فانه يردّه
الى مائه المعتاد به بمخالطة الطين)^٥.

وخير المياه شرباً للمقيم والمسافر ما كان ينبوعها من المشرق نبعاً
ايضاً. و افضل المياه التى تجرى من بين مشرق الشمس الصيفى و مغرب
الشمس الصيفى .

و افضلها واصحها اذا كانت بهذا الوصف الذى ينبع منه، و كانت
تجرى فى جبال الطين لانها تكون حارة فى الشتاء، باردة فى الصيف، ملينه

١- فى الاصل المهلوسة. وما أثبتناه كما فى (ج و د). قال فى القاموس ٢/٢٥٠:
«اللواس: الخفاف السراع».

٢- قال الشيخ الرئيس فى القانون ١/١٨٧: «ومن التدبير الجيد لمن سافر فى المياه
المختلفة ان يستصحب من ماء بلده فيمزج به الماء الذى يليه. و يأخذ من ماء كل منزل
للمنزل الذى يليه.

٣- فى (ب و ج و د) و طينته التى ربي عليها.

٤- قال الشيخ الرئيس فى القانون ١/١٨٧: «ومن التدبير الجيد للمسافر ان
يستصحب طين بلده و خلطه بكل ما يطرأ عليه، و خضعه فيه ثم يتركه حتى يصفوا». و
قال الخجندي فى التلويح ص ١٧٧: «ومن التدبير الجيد لمن سافر فى المياه المختلفة ان
يستصحب من ماء بلده أو طين بلده فيصلح بهما ماء»:

٥- فى (ب و ج و د) الذى يورده من بلده. ويشرب الماء والطين فى الانية
بالتحريك، و يؤخر قبل شربه حتى يصفو صفاءً جيداً.

للبطن، نافعة لاصحاب الحرارة^١.
و اما المياه المالحة الثقيلة، فانها تيبس البطن، و مياه الثلوج والجليد
رديئة للاجسام، كثيرة الاضرار بها.
و اما مياه الجب، فانها خفيفة، عذبة، صافية، نافعة جداً للاجسام اذا
لم يطل خزنها و حبسها في الارض.
و اما مياه البطائح^٢ والسباخ^٣، فحارة غليظة في الصيف لركودها و دوام
طلوع الشمس عليها. وقد تولد لمن داوم على شربها المرة الصفراء و تعظم
اطحلتهم^٤.
و قد وصفت لك يا امير المؤمنين فيما بعد^٥ من كتابي هذا ما فيه كفاية
لمن اخذ به، و انا ذاكر من امر^٦ الجماع (ما هو صلاح الجسد و قوامه بالطعام
والشراب، و فساده بهما، فان اصلحته بهما صلح، و ان افسدته بهما فسد)^٧.

(٨)

و اعلم يا امير المؤمنين ان قوى النفس تابعة لمزاجات الابدان و

١ - قال الخجندي في التلويح: «وأفضل المياه مياه العيون الجارية على الاراضي
الطينية المنحدرة من مواضع عالية، لاسيما الغمرة المكشوفة التي تبعد منابعها، و يخف
وزنها، و يجري نحو المشرق الصيفي و الشمال.

٢ - البطائح: جمع بطحاء. مسيل واسع فيه دقاق الحصى. القاموس ١/٢١٦.

٣ - السباخ: جمع سبخه. أي الارض ذات الملح و التز. القاموس ١/٢٦١.

٤ - انظر القانون ١/٣٦٣.

٥ - في (ب و ج و د). تقدم.

٦ - زيادة من (ج و د).

٧ - ليس في (ج و د).

مزاجات الابدان تابعة لتصرف الهواء. فاذا بردمرة، وسخن اخرى، تغيرت بسببه الابدان والصوراً.

(فاذا استوى الهواء، واعتدل. صارالجسم معتدلاً) لان الله عز وجل بنى الاجسام على اربع طبائع: على الدم^٣، والبلغم^٤، والصفراء^٥، والسوداء^٦.

فائنان: حاران، واثنان: باردان، وخولف بينهما فجعل: حاريا بس، و حارلين، وبارد يابس، وبارد لين^٧.

ثم فرق ذلك على اربعة اجزاء من الجسد: على الرأس، والصدر والشراسيف، واسفل البطن.

واعلم يا أميرالمؤمنين ان الرأس، والاذنين، والعينين والمنخرين، والانف، والفم من الدم. وان النصدر من البلغم والريح. وان الشراسيف من المرة الصفراء (وان اسفل البطن من المرة السوداء)^٨.

١- انظر القانون ٨٠/١-٨٧.

٢- في (ب وج ود): فاذا كان الهواء معتدلاً اعتدلت أمزجة الابدان و صلحت تصرفات الامزجة في الحركات الطبيعية كالهضم والجماع والنوم والحركة وسائر الحركات.

٣- الدم : ويشتمل إضافة الى ما ذكر فيما بعد على القلب و العروق و توابعها.

٤- البلغم : ويضم الجهاز التنفسي بمجاريه والرئتين و القصبات الهوائية و توابعها.

٥- الصفراء: وتشمل الجهاز الهضمي والكبد والمرارة والطحال والبنكرياس و توابعها.

٦- السوداء: وتشمل الكلى والمجاري البولية والتناسلية والارحام و توابعها.

٧- انظر القانون ٩/١.

٨- زيادة من (ج ود). وبه يتم التقسيم المذكور.

(٩)

واعلم يا أمير المؤمنين ان النوم^١ سلطانه فى الدماغ، وهو قوام الجسد و
قوته.

و اذا اردت النوم، فليكن اضطجاعك اولا على شقك الايمن، ثم
انقلب على شقك الايسر. وكذلك فقم من مضطجعك على شقك الايمن
كما بدأت به عند نومك.

و عود نفسك من القعود (بالليل مثل ثلث ما تنام، فاذا بقى)^٢ من الليل
ساعتين، فادخل الخلاء لحاجة الانسان. والبث فيه بقدر ما تقضى
حاجتك، ولا تطيل فان ذلك يورث (الداء الدفين)^٣.

(١٠)

واعلم يا أمير المؤمنين ان خير ما استكت به (الاشياء المقبضة التي
تكون لها ماء)^٤، فانه يجلو الاسنان، ويطيب النكهة، ويشد اللثة ويسمنها،
وهو نافع من الحفر، اذا كان ذلك باعتدال، والاكثر منه يرق الاسنان و
يزعزعا، ويضعف اصولها.

١- فى الاصل الدم. وأثبتناه من (ب).

٢- ليس فى (ب و ج ود).

٣- فى (ب و ج ود): داء الفيل. والمراد من الداء الدفين، الامراض التي تكون فى
المقعدة عند أسفل الانسان كالبواسير وغيره.

٤- فى (ب و ج ود): ليف الراك.

فمن اراد حفظ اسنانه فليأخذ قرن أيل محرق^١، و كزمازج^٢ و سعد^٣، و ورد^٤، و سنبل الطيب^٥، اجزاء بالسوية^٦، و ملح اندراني^٧ ربع جزء (فخذ

١- قال الشيخ الرئيس في القانون ٤٢٦/١: «قرن الايل و قرن المحرقان يجلو الاسنان بقوة، ويشد اللثة، ويسكن وجعها الهائج، ويجب ان يحرق حتى يبيض. وقال ابن البيطار في المغني ورقة ٨٢/ب: «ولقرن الايل خاصة المحرق في قلع الصدا من الاسنان والحفر فيها و تسوية أصولها.

٢- قال الشيخ الرئيس في القانون ٣٢٧/١: «الكزمازك هو ثمر الطرفاء». وفيه عن ديسقوريدوس: الطرفاء شجرة معروفة تنبت عند مياه قائمة، ولها ثمر شبيه بالزهر. وقد يكون بمصر الشام طرفاء بستاني شبيه بالبري في كل شيء ما خلا الثمر، فانه يشبه العفص. ومن خواصه: قال الشيخ الرئيس: «ان فيه قبضاً، و جلاءً، و تنقية من غير تجفيف شديد، و ماءه جال مجفف، جلانه اكثر من تجفيفه، و طبيخ ورقه بالشراب ينفع وجع الاسنان مضمضة. و يمنع من تأكلها خصوصاً ثمرته».

٣- قال الشيخ الرئيس في القانون ٣٧٨/١: «انه ينفع من عفن الانف»، و الفم، و القلاع، و استرخاء اللثة، و يزيد في الحفظ جداً، و ينفع من قروح الفم المتأكلة.

٤- قال الشيخ الرئيس في القانون ٣٠٠/١ و من خواصه: «انه يشد اللثة». و قال ابن البيطار في الجامع لمفردات الادوية و الاغذية ١٨٩/٤ عن ديسقوريدوس: «اذا طبخ بشراب كان صالحاً لوجع العين و الاذن و اللثة اذا تمضمض بها. و اذا ذروها يبس على اللثة التي تنصب اليها الفضول أصلحها.

٥- قال ابن البيطار في المصدر السابق ٣٧/٣ عن ديسقوريدوس: «انه يجفف اللسان، و يمكث طيب الرائحة في الفم اذا مضغ».

٦- في (ب و ج و د): و حب الاثل أجزاء سواء.

٧- قال ابن البيطار في المصدر السابق ١٦٣/٤: «هو أحد أصناف الملح المعدني. و فيه عن ديسقوريدوس: و قوته قابضة تجلو و تنقي، و نافع اللثة المسترخية. و فيه أيضاً و قال غيره: «اذا حل الملح بالخل و تمضمض به قطع سيلان الدم المنبعث من اللثات، و المنبعث أيضاً بعد قلع الضرس. و اذا سخن و أمسك في الفم نفع من وجع الضرس».

كل جزء منها، فتدق وحده وتستك^١ به فانه ممسك للاسنان^٢.
ومن اراد ان يبيض اسنانه فليأخذ جزء ملح اندراني وجزء من زبد
البحر^٣ بالسوية، يسحقان جميعاً ويستن بهما.

(١١)

واعلم يا أمير المؤمنين: ان احوال الانسان التي بناه الله تعالى عليها و
جعله متصرفاً بها اربعة احوال:
الحالة الاولى. لخمسة عشرة سنة، وفيها شبابه، وصباه، وحسنه، و
بهاؤه، وسلطان الدم في جسمه.

والحالة الثانية: لعشرين سنة، من خمس عشرة الى خمس وثلاثين
سنة، وفيها سلطان المرة الصفراء، وغلبتها، وهو اقوم ما يكون، وابقظه
والعبه. فلا يزال كذلك حتى يستوفى خمس وثلاثين سنة.

ثم يدخل في^٤ الحالة الثالثة: وهي من خمس وثلاثين سنة الى ان
يستوفى ستين سنة، فيكون في سلطان المرة^٥ السوداء (ويكون احكم ما
يكون، واقوله، وادراه، واكتمه للسر، واحسنه نظراً في الامور وفكراً في

١- في (ب وج ود) فيدق الجميع ناعماً ويستن.

٢- في (ب وج ود) ويحفظ أصولها من الافات العارضة.

٣- قال ابن البيطار في المصدر السابق ١٥٤/٢ عن ديسقوريدوس: «له خمسة
اصناف -منها صنفان- يقبضان الاسنان، وقد يستعملان في أشياء أخر تجلو وتنقي». و
قال ابن البيطار أيضاً في المعني ٨٢/ب: «انه جيد لجلاء الاسنان وخاصة الصبيان». و
قال الشيخ الرئيس في القانون ٣٠٤/١: «والاملس اوفق بجلاء الاسنان وهو بالجملة شديد
للاسنان».

٤- زيادة من (ج ود).

٥- زيادة من (ب وج ود).

عواقبها، ومداراة لها، وتصرفاً فيها)^١.

ثم يدخل في الحالة الرابعة: وهي سلطان البلغم، وهي الحالة التي لا يتحول منها ما بقي (وقد دخل في الهرم حينئذ، وفاته الشباب، واستنكر كل شيء كان يعرفه من نفسه، حتى صار)^٢ ينام عند النوم، ويسهر عند النوم و يذكر ما تقدم، وينسى ما تحدث به، ويكثر من حديث النفس، ويذهب ماء الجسم وبهاؤه، ويقل نبات اظفاره وشعره، ولا يزال جسمه في ادبار و انعكاس ماعاش، لانه في سلطان البلغم، وهو بارد جامد. (فلجموده و رطوبته في طباعه يكون فناء جسمه)^٣.

(١٢)

وقد ذكرت لامير المؤمنين جملا مما يحتاج الى معرفته من سياسة الجسم واحواله، وانا اذكر ما يحتاج الى تناوله واجتنابه. وما يجب ان يفعله في اوقاته.

فاذا اردت الحجاماة فلا تحتجم الا لاثنتي عشر تخلو من الهلال الى خمسة عشر منه، فانه اصح لبدنك. فاذا نقص الشهر فلا تحتجم الا ان تكون مضطراً الى اخراج الدم، وذلك ان الدم ينقص في نقصان الهلال، ويزيد

١- في (ب و ج و د) وهو سن الحكمة والموعظة والمعرفة والدراية وانتظام الامور، و صحة النظر في العواقب، وصدق الرأي، وثبات الجأش في التصرفات.

٢- في (ب و ج و د): «الى الهرم ونكد عيش و ذبول و نقص في القوة و فساد في كونه و نكته حتى ان كل شيء كان لا يعرفه، حتى ينام».

٣- في (ب و ج و د) فبجموده و برده يكون فناء كل جسم يستولي عليه في آخر القوة البلغمية.

في زيادته^١.

ولتكن الحجامة بقدر ما مضى من السنين، ابن عشرين سنة يحتجم في كل عشرين يوماً، وابن ثلاثين سنة، في كل ثلاثين يوماً، وابن اربعين في كل اربعين يوماً، وما زاد فبحساب ذلك.

واعلم يا أمير المؤمنين: ان الحجامة انما يؤخذ دمها من صغار العروق المباشرة في اللحم، ومصداق ذلك، انها لا تضعف القوة كما يوجد من الضعف عند الفصاد.

وحجامة النقرة^٢ تنفع لثقل الرأس، وحجامة الاخدعين^٣ يخفف عن الرأس، والوجه، والعين، وهي نافعة لوجع الاضراس.

وربما ناب الفصد عن ساير ذلك. وقد يحتجم تحت الذقن لعلاج القلاع في الفم، وفساد اللثة، وغير ذلك من اوجاع الفم^٤، وكذلك التي

١ - قال الشيخ الرئيس في القانون ٢١٢/١: «ويؤمر باستعمال الحجامة لا في أول الشهر لان الاخلاط تكون قد تحركت أو هاجت، ولا في آخره لانها تكون قد نقصت، بل في وسط الشهر حين تكون الاخلاط هائجة تابعة في تزايدها لزيد النور في جرم القمر. وقال الخجندي في التلويح ص ١٩٧: «وقتها المختار وسط الشهر فان الاخلاط تزيد فيه لتزايد نور القمر».

٢ - النقرة: قال الشيخ الرئيس ابن سينا في القانون ٢١٢/١. «الحجامة على النقرة خليفة الاكل تنفع من ثقل الحاجبين، وتخفف الجفن، وتنفع من جرب العين». وقال الرازي في الحاوي ٢٦٤/١: «وان دام الصداع وعتق، أحجم النقرة».

٣ - الاخدعان: وقال الشيخ ابن سينا في القانون ٢١٢/١: والحجامة على الاخدعين خليفة القيصال. تنفع من ارتعاش الرأس وتنفع الاعضاء التي في الرأس: مثل الوجه، والاسنان، والضرس، والاذنين، والعينين، والحلق والانف.

٤ - قال الشيخ الرئيس في القانون ٢١٣/١: «والحجامة تحت الذقن تنفع الاسنان والوجه والحلقوم، وتنقي الرأس والفكين».

توضع بين الكتفين تنفع من الخفقان الذى يكون مع الامتلاء والحرارة. والتى توضع على الساقين قد ينقص من الامتلاء^١ فى الكلى والمثانة والارحام، ويدرالطمث^٢، غير انها منهكة للجسد، وقد تعرض منها العشوة^٣ الشديدة، الا انها نافعة لذوى البثور والدمامل.

والذى يخفف من الم الحجامه تخفيف (المص عنداوم ما يضع المحاجم ثم يدرج)^٤ المص قليلا قليلا والثوانى ازيد فى المص من الاوائل، وكذلك الثوالث فصاعداً.

ويتوقف عن الشرط حتى يحمر الموضع جيداً بتكرير^٥ المحاجم عليه، وتلين المشرطة على جلود لينة، ويمسح الموضع قبل شرطه بالدهن.

وكذلك يمسح الموضع الذى يفصد بدهن فانه يقلل الالم، وكذلك يلين المشراط والمبضع بالدهن. ويمسح عقيب الحجامه، وعند الفراغ منها الموضع بالدهن.

ولينقط على العروق اذا فصدت شيئاً من الدهن، كيلا تلتحم فيضر ذلك المقصود. وليعمد^٦ الفاصد ان يفصد من العروق ما كان فى المواضع القليلة اللحم لان فى قلة اللحم من فوق العروق قلة الالم.

١- فى (ب): الامتلاء نقصاً بيناً وينفع من الاوجاع المزمنة.

٢- قال الشيخ الرئيس فى القانون ٢١٢/١: «والحجامه على الساق تنقي الدم وتدر الطمث.

٣- العشوة: وهى العمش. ضعف الرؤية مع سيلان الدمع فى أكثر الاوقات.

القاموس ٤/٣٦٤.

٤- زيادة من (ب و ج ود).

٥- فى الاصل: بتدبير، وما أثبتناه كما فى (ب و ج ود).

٦- فى الاصل: وليعد. وما أثبتناه كما فى (ب و ج ود).

واكثر العروق الماء اذا كان الفصد في حبل الذراع^١، والقيفال^٢ (لاجل كثره اللحم عليها)^٣. فاما الباسليق^٤، والاكحل^٥، فانهما اقل الماء في الفصد اذا لم يكن فوقهما لحم.

والواجب تكميد موضع الفصد بالماء الحار، ليظهر الدم، وخاصة في الشتاء. فانه يلين الجلد، ويقلل الالم، ويسهل الفصد^٦.

ويجب في كل ما ذكرنا من اخراج الدم اجتناب النساء قبل ذلك باثنتي عشرة ساعة. ويحتجم في يوم صاح، صاف، لاغيم فيه، ولاريح شديدة. وليخرج من الدم بقدر ما يرى من تغيره. ولا تدخل يومك ذاك الحمام. فانه يورث الداء. واصبب على رأسك وجسدك (الماء الحار، ولا تغفل ذلك من ساعتك)^٧.

واياك والحمام اذا احتجمت، فان الحمى الدائمة تكون منه. فاذا اغتسلت من الحمامة، فخذ خرقة مرعزي^٨ فالفها على محاجمك، او ثوباً

١ - حبل الذراع. عرق في اليد. وهو أحد الفروع الثلاثة للقيفال، ويمتد على ظهر الزند الاعلى ثم يمتد الى الوحشي، مائلا الى حذبه الزند الاسفل، ويتفرق في اسفل الاجزاء الوحشية من الرسغ. انظر القانون ٦٤/١.

٢ - القيفال: هو عرق في الكتف. المصدر السابق.

٣ - في (ب و ج ود) لا تصالهما بالعضل وصلابة الجلد.

٤ - الباسليق: ويريد يستفرغ من نواحي تنور البدن الى أسفل التنور. انظر القانون ٢٠٩/١.

٥ - الاكحل: ويريد يبتدأ من الانسي، ويعلو الزند الاعلى، ثم يقبل على الوحشي، ويتفرع فرعين على صورة حرف اللام اليونانية فيصير أعلى أجزائه الى طرف الزند الاعلى، و يأخذ نحو الرسغ. انظر المصدر السابق ٦٥/١.

٦ - أنظر القانون ٢٠٨/١.

٧ - في الاصل: (ماء حار من غد) وما أثبتناه كما في (ب و ج ود).

٨ - في (ج و د): فرعوني. والمرعزي: بكسر الميم والعين نوع من المعز طويل الشعر

ليناً من قز، او غيره. وخذ قدر الحمصة من الدرياق الاكبر^١ (فاشربه. و كله من غير شرب ان كان شتاءً، وان كان صيفاً فاشرب الاسكنجيين المغلى)^٢، فانك اذا فعلت ذلك فقد امنت من اللقوة^٣، والبهق^٤، والبرص^٥، والجذام باذن الله تعالى.

ومص من الرمان الامليسي^٦، فانه يقوى النفس ويحيى الدم. و لا تأكلن طعاماً مالحاً ولا ملحاً بعده بثلثي ساعة^٧ فانه يعرض منه الجرب^٨. و ان كان شتاءً فكل الطياهيح^٩ اذا احتجمت، واشرب عليه من ذلك الشراب

ناعمه يوجد في آسيا الصغرى، وسمي بالمرعز أو المرعزي لان المرعز هو في الاصل الزغب تحت شعر العنز. انظر المعجم الزوولوجي الحديث ٤٥٠/٥.

١ - الترياق: بالتاء وبالดาล يطلق على ماله بادزهرية ونفع عظيم، وهو الان يطلق على الهادي يعني الاكبر الذي ركه اندروما خس القديم. وبقي مدة يسمى ترياق الاربع، انظر تركيبه مفصلاً في تذكرة اولى الالباب ٩٢/١ وفيه أيضاً انه ينفع للجذام والبرص واختلاط العقل والفالج والاسترخاء والتشنج والاختلاج والصرع.

٢ - في (ب وج ود) وامزجه بالشراب المفرح المعتدل، وتناوله أو بشراب الفاكهة، وان تعذر ذلك فبشراب الاترج فان لم تجد شيئاً من ذلك فتناوله بعد علكه ناعماً تحت الاسنان واشرب عليه جرع ماء فاتر، وان كان في زمان الشتاء والبرد، فاشرب عليه السكنجيين العسلي.

٣ - اللقوة: مرض يميل به الوجه الى جانب. انظر حياة الحيوان ٣١٩/٢.

٤ - البهق: بياض رقيق يعترى ظاهر البشرة لسوء مزاج العضو الى البرودة، وغلبة البلغم على الدم. انظر القاموس ٢٢٣/٣.

٥ - البرص: بياض يظهر في ظاهر البدن لفساد المزاج. انظر القاموس ١٩٢/٢.

٦ - في (ب وج ود): المز. والامليسي. هو الذي لا يكون في حبه نوى.

٧ - في (ب وج ود): ثلاث ساعات.

٨ - الجرب: داء يحدث في الجلد بثوراً صغيراً لها حكة شديدة.

٩ - الطياهيح: جمع طيهوج. وهو طائر يعرف بالاندلس بالضريرس. وهو شبيه

الذي وصفته لك .

وادهن موضع الحجامه بدهن الخيري، ماء ورد، وشيء من مسك^١.
 وصب منه على هامتك ساعة تفرغ من حجامتك . واما في الصيف، فاذا
 احتجمت فكل السكباج^٢، والهلام والمصوص^٣ والخامير^٤ وصب على
 هامتك دهن البنفسج، وماء ورد، وشيئا من كافور^٥: واشرب من ذلك
 الشراب الذي وصفته لك بعد طعامك .

واياك وكثرة الحركة، والغضب، ومجامعة النساء يومك ذاك^٦.

→
 بالحجل الصغير غير ان عنقه أحمر ومنقاره ورجله أحمران مثل الحجل وماتحت جناحه
 أسود وأبيض. ومنه ما يسمى المنهاج أجوده السمين الرطب الخريفي وهو معتدل الحل
 ينفع الناقهين. انظر الجامع لمفردات الادوية ١٠٥/٣.

١ - قال ابن البيطار في الجامع لمفردات الادوية والاغذية ١٥٦/٤ عن ابن ماسه: انه
 يسخن الاعضاء الخارجية ويقويها اذا ضعفت اذا وضع عليها. وقال الشيخ الرئيس
 في القانون ١/٣٦٠: اذا حل في الادهان المسخنة وطلبي بها فقار الظهر نفع من الخدر.

٢ - السكباج: فارسية: مرق يعمل من اللحم والخل.

٣ - المصوص: طعام من لحم يطبخ وينقع في الخل، أو يكون من لحم الطير خاصة.
 انظر القاموس ٣١٨/٢.

٤ - كذا في الاصل. ولم أعر على معناها، ولعلها تحريف «اليحامير»: وهو اللحم
 الذي يأكلونه بالخل والخردل والابزار. انظر وسائل الشيعة ٣٧٤/١٦ وفي (ب و ج ود)
 الحامض.

٥ - قال الشيخ الرئيس في القانون ١/٣٣٦: «الكافور أصناف، وقال بعضهم ان
 شجرته كبيرة تظل خلقاً، وتألفه البابورة فلا يوصل اليها الا في مدة معلومة من السنة، وهي
 سفحية بحرية أما خشبه فهو أبيض هش خفيف جداً، وربما اختنق في خلله شيء من أثر
 الكافور.

٦ - انظر القانون ١/٢٠٤ - ٢١٢.

(١٣)

وينبغي ان تحذر أمير المؤمنين ان تجمع في جوفك البيض والسمك في حال واحدة، فانهما اذا اجتماعا ولدا القولنج^١ ورياح البواسير، ووجع الاضراس.

والتين^٢ والنبيد الذي يشربه اهله اذا اجتماعا ولدا النقرس والبرص. و ادامة اكل البصل^٣ يولد الكلف في الوجه^٤ واكل الملوحة، واللحمان المملوحة، واكل السمك المملوح بعد الحجامه، و الفصد للعروق يولد البهق، والجرب^٥. و ادمان اكل كلى الغنم و اجوافها يعكس^٦ المثانة، و

١ - القولنج : مرض معوي مؤلم، يعسر منه خروج النقل والريح. انظر القاموس ٢٠٤/١. وقال ابن ماسويه في كتاب المحاذير على ما نقله ابن قيم الجوزي في كتابه زاد المعاد ١٩٦/٢: ومن جمع في معدته البيض والسمك فأصابه فالج أو لقوة فلا يلومن الانفسه. وقال: ابن بختيشوع في المصدر السابق احذر ان تجمع بين البيض والسمك فانهما يورثان القولنج والبواسير ووجع الاضراس.

٢ - في (ب و ج ود) اللبن. و ظاهره الصواب كما نقل عن ابن ماسويه قوله: ومن جمع في معدته اللبن والنبيد فاصابه برص أو نقرس فلا يلومن الانفسه.

٣ - في (ب) البيض. قال ابن بختيشوع كما نقله ابن القيم الجوزي في زاد المعاد ١٩٦/٢: و ادامة أكل البيض يولد الكلف في الوجه. ونقل عن ابن ماسويه في نفس المصدر: من أكل البصل أربعين يوماً و كلف فلا يلومن الانفسه.

٤ - الكلف. شىء يعلو الوجه كالسمسم، أولون بين السواد والحمرة. انظر القاموس ١٩٨/٣.

٥ - قال ابن بختيشوع كما نقله عنه ابن القيم الجوزي في كتابه زاد المعاد ١٩٦/٢، و أكل الملوحة والسمك المالح والافتصاد بعد الحمام يولد البهق والجرب. قال ابن ماسويه في نفس المصدر ومن افتصد فأكل مالحاً فاصابه بهق أو جرب فلا يلومن الانفسه.

٦ - في (ب و ج ود) يعكّر. ظاهره الصواب كما نقل عن ابن بختيشوع قوله: ادامة

دخول الحمام على البطنة يولد القولنج^١.

(١٤)

ولا تقرب النساء في اول الليل، لاشتاءً، ولا صيفاً. وذلك ان المعدة والعروق تكون ممتلية وهو غير محمود، يتخوف منه القولنج، والقالج، واللقوة، والنقرس، والحصاة، والتقطير^٢، والفتق^٣ وضعف البصر والدماغ. فاذا اريد ذلك فليكن في آخر الليل فانه اصح للبدن وارجى للولد، واذكى للعقل في الولد الذي يقضى بينهما.

ولا تجامع امرأة حتى تلاعبها^٤، وتغمز ثديها، فانك ان فعلت، اجتمع ماؤها (و ماؤك فكان منها الحمل)^٥. واشتهت منك مثل الذي تشتهيها منها، (و ظهر ذلك في عينيها)^٦.

ولا تجامعها الا وهى طاهرة، فاذا فعلت ذلك (كان اروح لبدنك، واصح لك باذن الله)^٧.

أكل الغنم يعقر المثانة. انظر زاد المعاد ١٩٦/٢.

١- انظر القانون ٦١٤/٢. وزاد المعاد ١٩٦/٢.

٢- التقطير: علة في الصفاق، يحدث منها تقطير البول المستمر.

٣- الفتق: علة في الصفاق، بان ينحل الغشاء، أو يقع فيه شق ينفذه جسم غريب كان

محصوراً فيه قبل الشق. انظر القاموس ٢٨٣/٣.

٤- في (ب) وتكثر ملاعبتها.

٥- في (ب و ج و د) لان ماؤها يخرج من ثديها والشهوة تظهر من وجهها وعينيها.

٦- ليس في (ب و ج و د).

٧- في (ب و ج و د): فلا تقم قائماً ولا تجلس جالساً ولكن تميل على يمينك ثم

انهض للبول من ساعتك، فانك تامن الحصاة باذن الله تعالى. ثم اغتسل واشرب شيئاً من الموميائي. بشراب العسل أو بعسل منزوع الرغوة، فانه يرد من الماء مثل الذي خرج منك.

ولا تقول طال ما فعلت كذا، واكلت كذا فلم يؤذني وشربت كذا و لم يضرني، وفعلت كذا ولم ارمكروهاً وانما هذا القليل من الناس يا أميرالمؤمنين كالبهيمة لايعرف ما يضره، ولا ما ينفعه.
ولو اصاب اللص اول ما يسرق فعوقب لم يعد، لكانت عقوبته اسهل، ولكن يرزق الامهال، والعافية، فيعاود ثم يعاود، حتى يؤخذ على اعظم السرقات، فيقطع، ويعظم التنكيل به، وما اودته عاقبة طمعه.
والامور كلها بيدالله عز وجل ان يكون له ولدا، واليه المآب. ونرجوا منه حسن الثواب انه غفور تواب. عليه توكلنا و عليه فليتوكل المؤمنون. ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

قال ابو محمد الحسن القمي^١. قال لى ابي: فلما وصلت هذه الرسالة من ابي الحسن على بن موسى الرضا صلوات الله عليهما وعلى آبائهما والطيبين من ذريتهما الى المأمون، قرأها، وفرح بها، وامر ان تكتب بالذهب، وان تترجم بالرسالة الذهبية.

تمت الرسالة بحمد الله تعالى، وكتب العبد الفقير الى الله تعالى عبدالرحمن المدعو ابي بكر بن عبدالله الكرخي الجنس، عتيق السعيد المرحوم قاضى القضاة كان بالعراق الحسن بن قاسم بن ابي الحسين بن

→
واعلم يا أميرالمؤمنين ان جماعهن والقمر في برج الحمل أوفي الدول من البروج أفضل وخير من ذلك ان يكون في برج الثور لكونه شرف القمر، ومن عمل فيما وصفت في كتابي هذا، وبربه جسده، أمن باذن الله تعالى من كل داء، وصح جسمه بحول الله تعالى وقوته، فان الله تعالى يعطي العافية لمن يشاء، ويمنحها اياه والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

١ - كذا في الاصل. وهو أبو محمد الحسن بن جمهور العمي، وقد تقدمت ترجمته.

على بن قاسم النيلي^١ رحمهم الله تعالى .
في يوم الاثنين قبل أذان المغرب بلخ^٢ كان فراغها من النسخ تاسع
عشر ذى الحجة سنة خمس عشرة وسبعمائة (٧١٥) هـ . تم .

١ - هو عز الدين أبو محمد الحسن بن القاسم بن هبة الله النيلي مدرس المالكية
بالمستنصرية، من أكابر العلماء واعيان الافاضل وافراد الفقهاء . قدم بغداد . ورتب قاضي
القضاة في رجب سنة سبعمائة ولم يزل على منصبه الى ان توفي في شعبان سنة اثنتي
عشرة وسبعمائة . انظر: ابن الفوطي، تلخيص مجمع الاداب ٤/ق: ٩٠-٩٢ .
٢ - كذا في الاصل، والظاهر: بلخ .

فهرس المفردات الطبية

٤١٦	حب الاثل	٤٢٣	الابزار
٤٠٨	الحبة السوداء	٤١٠	الابزن
٤٢٣	الحجل	٤٠٠	الاترج
٤١١	الحصرم	٤٢٢	الاسكنجبين
٤٠٤	الحضض	٤١١	الاطريفل
٤٠٥	الحناء	٤٠٦	البابونج
٣٩٥	الحولي	٤٢٤ ، ٣٩٤	البصل
٤٢٣	الخامير	٣٩٥	البطيخ
٤٠٩	الخيز	٣٩٤	البقلة الحمقاء
٤٢٣ ، ٤٠٦	الخردل	٤٢٤ ، ٤٠١ ، ٣٩٤	البيض
٤٠٨	الخشخاش	٤٠٦	التمر
٤٢٣ ، ٤١١ ، ٤٠٩ ، ٤٠٥ ، ٣٩٤	الخل	٣٩٦	التوابل
٤٠٦	خل العنب	٤٠١	التين
٤٠٨ ، ٣٩٤	الخيار	٤١٠ - ٣٩٦ - ٣٩٤	الثوم
٣٩٨	الدارصين	٣٩٥	الجداء
٣٩٥	الدجاج	٣٩٥	الجدع
٣٩٥	الدراج	٣٩٦	الجرجير
٤٢٢	الدرياق	٤١٠	الجوارش
٤٢٣ ، ٤٠٣	دهن البنفسج	٣٩٤	الحامض

الرسالة الذهبية المعروفة بـ (طب الامام الرضا (ع)) / ٤٢٩

٤٠٥	العدس	٤٢٣، ٣٩٦	دهن الخيري
٤٠٧، ٤٠٦، ٣٩٩، ٣٩٧	العسل	٤٠٦، ٤٠٥	دهن الورد
٤٢٥، ٤٠٨		٤٢٢، ٣٩٦	الرمان
٤٠٥	العصفر	٤٠٦	الزئبق
٤١٦	العفص	٤١٧	زبد البحر
٤٠٦، ٣٩٧	العنب	٤٠٦، ٣٩٧	الزبيب
٣٩٤	العنبر	٤٠٤	الزرنخ
٣٩٨	العود	٣٩٨	الزعفران
٣٩٦	الفاكهة اليابسة	٤٠٦، ٣٩٨	الزنجبيل
٤٠٣	القايا	٤١١	الزيت
٣٩٥، ٣٩٤	القتاء	٤١٦، ٤٠٥، ٣٩٨	السعد
٣٩٨	القرنفل	٤٢٣، ٤١١	السكباغ
٤١٦	قرن الايل	٤٠٧	السكر
٤١١	القريص	٤٢٦	السمسم
٤٢٢	القرز	٤٠٠، ٣٩٦، ٣٩٥	السمك الطري
٤٢٣	الكافور	٤٢٤، ٤٠٨	
٣٩٦	الكراث	٤٢٤	السمك المملوح
٣٩٦	الكرفس	٤٠٦	سمن البقر
٤١٦	الكزمازج	٤١٦، ٣٩٨	السنبل
٤٢٤، ٣٩٦	اللبن	٤٠٨	الشونيز
٣٩٥	اللبن الرائب	٣٩٥	شيرخشت
٣٩٥، ٣٩٤	لحم البقر	٤٠٧	شهد
٣٩٦	لحم الطيور	٤٠٣	الصبر
٤١١	لحم العجل	٤١٦	الطرفاء
٤٢٤	اللحم المملوح	٤١٢، ٤١٢	الطين
٤١١	ماء الحصرم	٤٢٢، ٣٩٥	الطيحوج

٤٠٨	الزرجس	٤٢٣، ٤٠٥	ماء الورد
٣٩٦	النعناع	٤٠٤	المرزنجوش
٣٩٥	التور	٤٢١	المرغزي
٤٠٦، ٤٠٥، ٤٠٤، ٤٠٣	النورة	٤٢٣، ٣٩٤	المسك
٤١٦، ٤٠٤	الورد	٣٩٩	المصطكي
٤٠٤	ورد البنفسج	٤٢٣	المصوص
٤٠٥	ورق الخوخ	٣٩٥	المعزالثني
٤٢٣، ٤١١	الهلام	٤٢٢	الملح
٤٠٧	الهليلج	٤١٧، ٤١٦	ملح اندراني
٤٠٩، ٣٩٩، ٣٩٤	الهندباء	٤٢٣	المنهاج
٤٢٣	اليخامير	٤٢٥	الموميائي
		٤٢٤	النيبذ

فهرس الامراض والعلل

٤٠١	الجنون	٤٠١	الابتهار
٤٢٥،٤٠٦،٤٠١	الحصاة	٤٠٠	الابردة
٤٢١	الحمى الدائمة	٤١٩	ارتعاش الرأس
٤٠٠	الحول	٤٠٦	أرياح البواسير
٤٢٠	الخفقان	٤١٦	استرخاء اللثة
٤١٥	الداء الدفين	٤٠٣	الاعياء
٤٢٠	الدمامل	٤٢٠	البثور
٤٠١	الدود	٤٢٤،٤٢٢	البرص
٤٠١	الريو	٤٢٤،٤١٥	البواسير
٤٠٠	الرياح المؤذية	٤٢٤،٤٢٢	البهق
٤١٠	الريح الباردة	٤١٦	تآكل الاسنان
٤٠٨،٤٠٧	الزكام	٤٠٢	تحير الفهم
٤٠٣	السواد	٤٠٧	تشقق الاظفار
٤٠٣	الشقاق	٤٠٩	تشقق الشفة
٤٠٨،٤٠٢	الشقيقة	٤٢٥	التقطير
٤٠٨	الشوصة	٤٠٢	تلبد الدهن
٤٠٩	الصفار	٤٠٢	تيبس العقل
٤٢٥	ضعف البصر	٤٢٢،٤٠١	الجدام
٤٢٥	ضعف الدماغ	٤٢٤،٤٢٢	الجرب

٤٢٥،٤٢٤،٤٢٢	اللقوة	٤١٣،٤٠١	الطحال
٤٢٥،٤٢٤،٤٠٠	النقرس	٤٠٦	عسر البول
٤١٦	وجع الاذن	٤٢٠	العشوة
٤١٦	وجع الاسنان	٤٢٥،٤٠٠	الفالج
٤٢٤،٤١٦	وجع الاضراس	٤٢٥	الفتق
٤٠٢	وجع الرأس	٤١٩	فساد اللثة
٤٠٦	وجع السفل	٤١٦	قروح الفم
٤١٦	وجع العين	٤١٩	قلاع الفم
٤١٦	وجع اللثة	٤٢٥،٤٢٤	القولنج
٤٠٩	اليرقان	٤٠٢	كثرة النسيان
		٤٢٤	الكلف

المراجع

- اخيار العلماء باخبار الحكماء
الارشاد
علي بن يوسف القفطي مطبعة السعادة / مصر / ١٣٢٦ هـ
محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد) المطبعة
الحيدرية / النجف
- تاج العروس
محمد مرتضى الحسيني الربيدي المطبعة الخيرية /
مصر / ١٣٠٦ هـ
- تاريخ البعقوبي
أحمد بن أبي يعقوب بن جهمر الكاتب مطبعة الغري /
النجف / ١٣٥٨ هـ
- تذكرة أولي الالباب
تلخيص مجمع الاداب
داود الضرير الانطاكي المطبعة العثمانية / مصر / ١٣٥٦ هـ
عبدالرزاق بن أحمد الحنبي مطبعة وزارة الارشاد /
دمشق / ١٩٦٧
- التلويح في أسرار التنقيح
الجامح لمفردات الادوية والاغذية
محمد بن عبداللطيف بن محمد الخجندي مخطوط / مكتبة
الامام الحكيم العامة
- الحاوي في الطب
محمد بن زكريا الرازي مطبعة دار المعارف العثمانية / حيدر
آباد / ١٩٦٨ م
- حياة الحيوان الكبرى
الخصال
كمال الدين الدميري طبع مصر بدون تاريخ
محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي مطبعة حيدري /
ايران / ١٣٨٩
- رجال الشيخ الطوسي
محمد بن الحسن الطوسي (شيخ الطائفة) المطبعة الحيدرية /
النجف / ١٣٨١ هـ
- رجال النجاشي
أحمد بن علي بن العباس النجاشي مطبعة المصطفوي / ايران

- زيد المعاد في هدى حير العباد محمد بن بكر بن أيوب المعروف (بابن قيم الجوزي) المطبعة المصرية/ مصر/ ١٣٩٢ هـ
- سير اعلام النبلاء محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي مخطوط مصور/ مكتبة الامام الحكيم العامة
- طبقات الاطباء سليمان بن حسان المعروف (بابن جلجل) مطبعة المعهد الفرنسي / القاهرة/ ١٩٥٥ م
- عيون أخبار الرضا محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي مطبعة دارالعلم/ قم/ ١٣٧٧ هـ
- عيون الانباء في طبقات الاطباء أحمد بن القاسم المعروف (بابن أبي اصيبعة) مطبعة الاقبال/ بيروت/ ١٣٧٦ هـ
- الفهرست محمد بن اسحاق المعروف (بابن النديم) مطبعة دانشگاه طهران/ ايران/ ١٣٩١ هـ
- القاموس المحيط محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المطبعة الحسينية/ مصر/ ١٣٣٠ هـ
- القانون في الطب الحسين بن عبدالله ابن سينا مطبعة حسين بيك/ مصر/ ١٢٩٤ هـ
- كتاب الالفاظ الفارسية المعربة ادي شير المطبعة الكاثوليكية/ بيروت/ ١٩٠٨ م
- كشف الغمة في معرفة الائمة علي بن عيسى الاريلي مطبعة النعمان/ النجف
- مرآة الزمان يوسف سبط ابن الجوزي مخطوط مصور/ مكتبة الامام الحكيم العامة
- مرصد الاطلاع عبدالؤمن بن عبدالحق البغدادي مطبعة عيسى البابي/ مصر/ ١٣٧٣ هـ
- المعجم الزوولوجي الحديث محمد كاظم الملكي مطبعة النعمان/ النجف/ ١٩٦١ م
- المغني في الطب عبدالله بن أحمد ابن البيطار مخطوط/ مكتبة الامام الحكيم العامة
- وسائل الشيعة محمد بن الحسن الحر العاملي المطبعة العلمية/ قم/ ١٣٧٧ هـ

الفهرست

٥	المقدمة
١١	لمحة مختصرة عن المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام
١٩	النص الكامل لخطاب ممثل للامام الخميني دام ظلّه العالی
٣٥	نص خطاب سيادة حجة الاسلام والمسلمين السيد علي خامنه اي
٥٧	ثامن الحجج وعصمة الانبياء عليهم السلام
١٠٥	علي بن موسى الرضا عليه السلام والفلسفه الالهيه
١٩٣	ولاية العهد بين الإمام والمأمون
٢٣٩	بحث في علم الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام
٢٨٥	نقش الخواتيم لدى الائمة عليهم السلام
٣٣٣	قراءة في فكر الامام الرضا عليه السلام
٣٥٥	الرسالة الذهبية المعروفة بـ (طب الامام الرضا(ع))

تصنيف

المقدمة	١
الفصل الأول في بيان أهمية اللغة العربية	٢
الفصل الثاني في بيان أهمية اللغة العربية	٣
الفصل الثالث في بيان أهمية اللغة العربية	٤
الفصل الرابع في بيان أهمية اللغة العربية	٥
الفصل الخامس في بيان أهمية اللغة العربية	٦
الفصل السادس في بيان أهمية اللغة العربية	٧
الفصل السابع في بيان أهمية اللغة العربية	٨
الفصل الثامن في بيان أهمية اللغة العربية	٩
الفصل التاسع في بيان أهمية اللغة العربية	١٠
الفصل العاشر في بيان أهمية اللغة العربية	١١





Princeton University Library



32101 088432123